

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد خيضر - بسكرة

شعبة علم الاجتماع

قسم العلوم الاجتماعية



عنوان الأطروحة

## هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة

من منظور أساتذة جامعة بسكرة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اجتماع التنمية

إشراف :

أ.د عبد الرحمان برفوق

إعداد الباحثة :

ميمونة مناصرية

### لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة بسكرة	أستاذ	أ.د بلقاسم سلاطنية
مشرفا ومقررا	جامعة بسكرة	أستاذ	أ.د عبد الرحمان برفوق
عضوا مناقشا	جامعة بسكرة	أستاذ	أ.د نصر الدين جابر
عضوا مناقشا	المركز الجامعي خنشلة	أستاذ	أ.د عبد العزيز العايش
عضوا مناقشا	جامعة باتنة	أستاذ	أ.د مصطفى عوفي
عضوا مناقشا	جامعة باتنة	أستاذ	أ.د مولود سعادة

السنة الجامعية : 2011 - 2012

# إهداء

إلى والدي طيب الله ثراه

إلى والدتي بارك الله في عمرها

إلى طفليّ محمد عبد العظيم وعبد الغفور

# شكر وتقدير

أشكر الله الذي أحاطني بعظيم فضله وسعة رحمته.

- أشكر أستاذي الفاضل أ.د عبد الرحمان برقوق على إشرافه على هذه الأطروحة.

- أشكر أستاذي الفاضل أ.د بلقاسم سلاطنية على مساعدته الكبيرة لي.

- أشكر الأستاذين أ.د نصر الدين جابر ود. فوزية مليوح ، الأول على تحكيمه

الاستمارة والثانية على توزيع الاستمارة

- أشكر أ.د علي أسعد وطفة من جامعتي دمشق والكويت الذي لم يدخر جهدا في

تقديم العون .

- أشكر أ.د محمد عبد الكريم الحوراني من جامعة اليرموك بالأردن على إنارة الطريق

ورسم الخطوط العريضة لهذا العمل.

- أشكر زوجي الرجل الصالح الذي رافقني في كل خطوات هذه الأطروحة بالعون

والتشجيع.

- أشكر شقيقيّ الأستاذين إسماعيل والسعيد مناصرية اللذين مافتئا يؤازراني ويقدمان

لي يد المساعدة .

- أشكر أسرتي التي كانت سندي أينما التفت وحيثما وجهت وجهي .

- أشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاح هذا العمل .

# فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
	شكر وتقدير
أ - ز	فهرس المحتويات
ح	فهرس الجداول
ط - س	مقدمة عامة

## الفصل الأول : الإطار التصوري للدراسة

02	تمهيد
02	أولا : المداخل المنهجية
03	1 - مدخل الصراع
04	2 - مدخل التفاعل الرمزي
06	3 - المدخل الواقعي
07	ثانيا : الإشكالية
12	ثالثا : أهمية الدراسة
13	رابعا : أهداف الدراسة
14	خامسا : مفاهيم الدراسة
14	1 - المجتمع المحلي
17	2 - النسق العولمي
19	سادسا : صعوبات الدراسة
19	سابعا : الدراسات السابقة

## الفصل الثاني: قراءة سوسيولوجية في النسق العولمي

27	تمهيد.....
27	أولا : المقاربات النظرية للعولمة.....
29	1 - نظرية نظام العولمة .....
31	2 - المقاربات النظرية لمفهوم العولمة.....
32	2- 1 - مقارنة انتوني جينز Antony Giddens .....
35	2-2- مقارنة فيك جورج وبول ويلدينج Vic George et Paul Wilding .....
36	2- 3 - مقارنة ليسلي سكلير Leslie Sclair .....
44	ثانيا : ماهية العولمة .....
48	ثالثا: النسق العولمي : الأفكار والمبادئ .....
52	رابعا : النسق العولمي : البناء والوظيفة .....
59	خامسا : النسق العولمي : التاريخ والجغرافيا .....
63	سادسا : النسق العولمي : المفردات السلبية والإيجابية.....
68	خلاصة الفصل.....

## الفصل الثالث : الهوية في التراث المعرفي

70	تمهيد.....
71	أولا : مداخل دراسة الهوية .....
94	ثانيا : ماهية الهوية .....
104	ثالثا : وظائف الهوية.....
105	رابعا : أبعاد (مركبات ) الهوية .....
116	خامسا : أنواع الهويات الثقافية .....
212	سادسا : آليات تشكل الهوية.....
131	خلاصة الفصل.....

## الفصل الرابع : آليات عولمة البنى التحتية للمجتمع المحلي

134	تمهيد.....
135	أولا :جدلية العلاقة بين العولمة وهوية المجتمع المحلي من منظور الصراع
135	1 - البناء الاجتماعي التحتي .....
136	2 - البناء الاجتماعي الفوقي .....
138	ثانيا :آليات الرأسمالية في تشكيل النسق العولمي .....
143	ثالثا : آليات الرأسمالية في عولمة البنى التحتية للمجتمعات المحلية
143	1 - مراحل عولمة البنى التحتية للمجتمع المحلي.....
146	2 - الأسس التي تقوم عليها عملية العولمة.....
148	3- مسوقات عولمة الصناعة .....
149	رابعا : نتائج عولمة البنى التحتية في المجتمعات المحلية.....
149	النتيجة الأولى: صناعة الفقر والبطالة.....
164	النتيجة الثانية : انحسار سيادة الدولة .....
170	خلاصة الفصل.....

## الفصل الخامس : آليات عولمة البنى الفوقية للمجتمع المحلي

172	تمهيد.....
172	أولا : خصائص الهوية في ضوء الثقافة .....
174	ثانيا : الثقافة والهوية الثقافية .....
177	1 - الثقافة والتثاقف .....
179	2 - عوامل التغير الثقافي .....
180	ثالثا : سمات ثقافة العولمة .....
184	رابعا : آليات عولمة البنى الفوقية .....
184	1 - اختراق التمرکز العرقي .....

185	..... 2 - الثقافة العولمية
189	..... 3 - اللاتضمنين الثقافي أو عولمة التجربة المحلية
190	..... 4 - عولمة الضمير الجمعي العالمي
192	..... 5 - التعولم الهوياتي
192	..... 5-1 - الاستلاب الهوياتي
196	..... 5-2 - الاغتراب الهوياتي
198	..... 5-3 - المحاكاة والتمثيل
199	..... خامسا : نتائج تأثير العولمة في البنى الفوقية للمجتمع المحلي
203	..... خلاصة الفصل

## الفصل السادس : آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة

205	..... تمهيد
206	..... أولا : الوعي بالهوية المحلية
210	..... ثانيا : آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة
211	..... 1 - عناصر التفاعل مع الآخر
211	..... 1-1 - آلية المواجهة بالانعزال والتفوق
214	..... 1-2 - آلية المواجهة بالعنف والمناهضة والصراع
219	..... 1-3 - آلية المواجهة بالحوار الحضاري
236	..... 2 - عناصر التناسق الداخلي
236	..... 2-1 - التنمية المستدامة
237	..... 2-1-1- التنمية البشرية المستدامة
246	..... 2-1-2 - التنمية الاقتصادية المستدامة
250	..... 2-2 - تفعيل عناصر الهوية في المجتمع المحلي
250	..... 2-2-1 - تجديد الدين
252	..... 2-2-2 - تجديد اللغة
255	..... 2-2-3 - تجديد الثقافة المحلية

255	..... 2- 2- 3- 1 - تغيير الذهنيات
256	..... 2- 2- 3- 2 - اعتماد مبدأ التنوع الثقافي في المجتمع المحلي
257	..... 2- 2- 3- 3 - المشاركة في بناء الحضارة العالمية
258	..... ثالثا : عوائق مواجهة الهوية المحلية للعولمة
258	..... 1 - عقبات الحوار بين الحضارات
260	..... 2 - عوائق التنمية المستدامة
263	..... 3 - معوقات بناء ثقافة عالمية
266	..... خلاصة الفصل

## الفصل السابع : هوية المجتمع المحلي الجزائري

269	..... تمهيد
269	..... أولا : ملامح المجتمع المحلي العربي
276	..... ثانيا : القواسم الهويةية بين مجتمعات العالم العربي
276	..... 1 - الدين الإسلامي
276	..... 2 - اللغة العربية
277	..... 3 - التاريخ والتراث
278	..... ثالثا: هوية العقل في العالم العربي المسلم
280	..... رابعا : الهوية الجزائرية
281	..... 1 - الهوية الجزائرية في السياق التاريخي
282	..... 2 - أبعاد الهوية الجزائرية
283	..... 2 - 1 - البعد الزمكاني للهوية
285	..... 2 - 2 - البعد العرقي أو الإثني
292	..... 2 - 3 - البعد الديني
294	..... 2 - 4 - البعد اللغوي
299	..... 3 - أزمة الهوية الجزائرية



302	..... 3 - 1 - مظاهر أزمة الهوية الجزائرية
304	..... 3 - 2 - سجلات اللغة العربية
306	..... 3 - 3 - سجلات الأمازيغية
311	..... خلاصة الفصل

## الفصل الثامن : الاجراءات المنهجية للدراسة

313	..... تمهيد
313	..... أولا : مجال الدراسة
314	..... ثانيا : مجتمع الدراسة
317	..... ثالثا : منهج الدراسة
317	..... 1 - منهج قياس الاتجاهات
322	..... 2 - تكوين الاتجاهات الاجتماعية
324	..... 3 - مراحل تكوين الاتجاهات
325	..... 4 - أهمية الاتجاهات في هوية المجتمع المحلي لدى الأستاذ الجامعي
326	..... رابعا : بناء مقياس الاتجاه
326	..... مقياس ليكرت
328	..... الخصائص السيكومترية للمقياس
329	..... خلاصة الفصل

## الفصل التاسع : التحليل والتفسير السوسولوجي للبيانات

332	..... تمهيد
333	..... أولا : محور الوعي بالعولمة
335	..... ثانيا : محور تمثلات الهوية الجزائرية لدى المبحوثين

346	.....ثالثًا : محور مواجهة العولمة بالانعزال
348	.....رابعًا : محور مواجهة العولمة بالعنف والمناهضة
351	.....خامسًا : محور مواجهة العولمة بالحوار الحضاري
353	سادسًا : محور مواجهة العولمة بالتنمية البشرية المستدامة
357	سابعًا : محور مواجهة العولمة بالتنمية الاقتصادية المستدامة
362	ثامنًا :محور مواجهة العولمة بتفعيل عناصر الهوية المحلية في المجتمع
362	المؤشر الأول : تفعيل دور الدين الإسلامي في الحياة الاجتماعية
366	المؤشر الثاني : تفعيل دور اللغة العربية في الحياة الاجتماعية
372	المؤشر الثالث : تفعيل دور الأمازيغية في الحياة الاجتماعية
377	المؤشر الرابع : تفعيل التاريخ الوطني في الحياة الاجتماعية .
382	.....نتائج الدراسة
392	.....خاتمة
393	.....قائمة المراجع
407	.....الملخصات
410	.....الملاحق

# فهرس الجداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
01	توزيع أفراد العينة حسب النوع	315
02	توزيع أفراد العينة حسب فئات الأعمار	315
03	توزيع أفراد العينة حسب التخصص	316
04	عدد عبارات كل محور ونسبتها بالنسبة للمقياس	327
05	وعي المبحوثين بالعلومة	333
06	ترتيب عناصر الهوية الوطنية حسب أهميتها بالنسبة للمبحوث	335
07	اتجاهات المبحوثين نحو مسألة الأمازيغية	342
08	اتجاه المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعلومة بالانعزال	347
09	اتجاه المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعلومة بالعنف والمناهضة	349
10	اتجاه المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعلومة بالحوار الحضاري	351
11	اتجاهات المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعلومة بالتنمية البشرية المستدامة	353
12	اتجاهات المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعلومة بالتنمية الاقتصادية المستدامة	358
13	تفعيل دور الدين الإسلامي في الحياة الاجتماعية	363
14	تفعيل دور اللغة العربية في الحياة الاجتماعية	368
15	تفعيل دور الأمازيغية في الحياة الاجتماعية	373
16	تفعيل دور التاريخ الوطني في الحياة الاجتماعية	378
17	نتائج اتجاهات المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعلومة	385

## مقدمة

الهوية مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للتفاعل الاجتماعي في ضوء تلك العناصر ، وقد دأبت على إتيان المواضيع المتعلقة بالهوية وتعاطيها ، الدراسات الخاصة بعلم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي ... ، وكذا وعلى الخصوص الجماعات السياسية- من أحزاب وجمعيات - التي تسعى ضمن قائمة أولوياتها إلى الانتشار والتوسع في صفوف القواعد الجماهيرية كأول وأهم خطوة ، لكي تستمر حياةً وفاعلةً لتطبيق برامجها، ولعلها إحدى أهم شروط الحياة السياسية والحزبية.

لم تكن الحروب العالمية وشبه العالمية والثورات يوما ، ذات فائدة لأحد ، فقد أطاحت هذه الحروب والثورات التكنولوجية بالنظم الاجتماعية التي كانت تبدو راسخة ، وجلب التقدم التقني وثورة الاتصالات سرعة تحول غير معروفة حتى الآن في التعايش الاجتماعي ، إذ لم تعد العادات والتقاليد وأعراف المجتمعات واتجاهاتهم التي تمنح غالبية البشر الشعور بالانتماء ، ومعنى الحياة موجودة إلا في شكل شذرات ، ... الأمر الذي يجعل المرء يتساءل إلى أي تقاليد سيحتكم ، هل التقاليد التي تجمعها مع مجتمعه المحلي وجماعته الاثنية أم التقاليد التي يمارسها يوميا ولو مع أشخاص تجمعها بهم علاقات ثانوية ، تنتهي عادة بانتهاء المصلحة ؟، أم أن جماعته الاثنية بهنت في خضم الحياة المعاصرة صلته بها، وتحولت علاقاته الأولية مجرد شعور بالحميمية أو حنين للماضي وقصصا ترويها ذاكرة الآباء ومن عاصر أحداث الوئام والتضامن الإثني ؟.....

وقد وصفت هذه التحولات الكبيرة ، والتغيرات العميقة بالثورات العملاقة ، من قبل الباحثين والمفكرين ، حيث أكثر من تقاسم هذا الوصف ثورة الميديا ، وثورة الاتصال وثورة الجينات والثورة الرقمية وثورة المعرفة ... ، الأمر الذي أدى بالتفكير فيما ستكون عليه الحقبة الزمنية القادمة إلى ابتكار مصطلحات أهمها : ما بعد العولمة ، وما بعد الحداثة وما بعد المعرفة  
1...

وأمام الذهول البشري إزاء ما يتحقق من تقدم علمي هائل وكبير ومخيف أيضا ، ابتدع المفكرون مفهوم النهايات كصيغة جديدة للتعبير عن حالة الذهول والانصعاق أمام هذا المد الهائل من التحولات الاقتصادية الثقافية والطفرات العلمية التكنولوجية ، فالساحة الفكرية تفيض بخطابات نهاية التاريخ ونهاية الأسرة ونهاية المدرسة ونهاية العلم ونهاية الحداثة ونهاية

<sup>1</sup> علي أسعد وطفة . في الاغتراب الثقافي المعاصر . مجلة المعرفة . العدد 571 نيسان 2011 . ص ص 20- 21 .

العولمة<sup>1</sup> ، الأمر الذي أفضى بالأطروحة إلى التساؤل عما إذا كانت التقاليد والحميمية الإثنية أيضا ستنتهي ، وهل سينتهي التدين وتنتهي اللغة المحلية وينتهي الانتماء للوطن و...، بعبارة أخرى هل ستنتهي هوية المجتمعات المحلية لتحل محلها هوية أخرى تساير مختلف التحولات الحاصلة ؟ .

من جهة أخرى ، فإن إلقاء المرء نظرة عابرة على محتويات السوبر ماركت • ( Superette ) ، أو سوق القماش أو محلات بيع السيارات .... تجعل بصره يرتد خاسئا حسيرا ، بل مذهولا أمام الكم الهائل من التنوع ، أو قل الكم الهائل من الأذواق والأفكار والأيديولوجيات ، حيث يجد الصين وفرنسا وألمانيا ودول الاتحاد الأوروبي و.... جنبا إلى جنب ، مما يجعله حائرا ماذا سيختار ، فكل نموذج أحسن من الآخر ، إذ تبهره الجودة ويسلبه التنوع وتغريه الحاجة إلى الاقتناء فيصير مستهلكا بلا تردد ، ...

بناء على كل ما سبق من مظاهر النهايات واختلال التوازن القيمي وكذا انكماش العالم وسرعة الاتصال و...مما يوحي بمدى الخطر المحقق بهوية المجتمعات المحلية ، ما أدى بالهوية إلى أن تتبوأ مكانها بين مجمل القضايا الهامة في البلاد كالاقتصاد والسياسة و.... وهذا تأكيد على عدم جمودها في قالب واحد ، من قبل العديد من التخصصات الأكاديمية ، مما يحدو بالتدخل السوسيوولوجي إلى أن يبحث لأفكاره ومقارباته عن موقع قدم ، يستوعب انطلاقا منها مختلف القضايا التي تحف قضايا الهوية والعولمة على السواء ، حيث يحتاج الحديث عن العلاقة الجدلية بين الهوية والعولمة من منظور النظريات السوسيوولوجية إلى كثير من الضبط على مستوى المفاهيم والسمات والأبعاد والحدود الفاصلة بين المصطلحين بإيجاد الرابط الاتصالي والانتقالي من طرف لآخر ، ضمن أطوار التسلسل التأثيري من منظور متعدد الزوايا بتعدد المدارس والاتجاهات ، والمداخل المنهجية ، مع توظيف لمختلف الأدوات والمقاييس التقنية مع مراعاة لكل السياقات التاريخية والظروف الاجتماعية والسياسية التي ارتبطت بها مختلف النماذج .

تشكل هذه الدراسة واحدة من الدراسات التي تولي عناية خاصة للمجتمع الجزائري ، في واحدة من أهم قضاياها ، التي طالما اعتقد أنها تشكل أزمة المجتمع الجزائري ، ألا وهي الهوية ، التي طالما تجاذبت مختلف الأيديولوجيات أبعادها ، ساعية بذلك إلى تغليب منطق اتجاه على منطق اتجاه آخر ، من خلال تبني بعد على حساب الأبعاد الأخرى ، لإثبات الأحقية في التواجد ، وصناعة منطق يتمشى وتلك الرؤى ، في مقابل إقصاء الآخر أو تحجيمه أو إعدامه بالكامل

<sup>1</sup> علي أسعد وطفة . نفس المرجع السابق . ص 21 .  
\* متجر كبير بخدمة ذاتية

، ...ومن باب الأمانة العلمية ،والطرح الأكاديمي المحض كانت الموضوعية ديدن الأطروحة في كل أجزائها ، وعنوان كل القراءات التي استمدت منها الأفكار التي شكلت مادة هذا العمل ، رغم أن جماعة البحث وجدت نفسها باحثا ومبحثا في الآن ذاته وبكل المقاييس ، ليس كونها أستاذا جامعيا فحسب ، بل لأنها حامل للهوية الجزائرية محل الدراسة ومعنية بكل أبعاد هذه الهوية ، حيث تبنت الدراسة بشأن البعد العرقي مبدأ " كلكم من آدم وآدم من تراب " ، وتبنت بشأن البعد الإيديولوجي مبدأ "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " ، وكذا "شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب " بينما انتهت الأطروحة على وقع الكلمات الخالدة :

يا نشء أنت رجاؤنا      وبك الصباح قد اقترب  
خذ للحياة سلاحها      وخض الخطوب ولا تهب

من جهة أخرى انطلقت الدراسة من مبدأ اللاحتمية في علاقة التأثير والتأثر بين العولمة والهوية المحلية ، أي بمعنى معالجة تأثير العولمة في الهوية بمطلق الموضوعية ، مع اعتبار أن كل احتمالات المواجهة واردة بكل أشكالها.

وإذا كان تحديد المفاهيم تحديدا إجرائيا يكتسي بعضا من السهولة واليسر في العلوم الطبيعية ، نظرا لإمكانية ملاحظة ظواهرها وقياسها قياسا كيميا ، وتسجيلها تسجيلا موضوعيا ، فإنه من الصعوبة بمكان تحقيق ذلك في الظواهر ذات الطابع الاجتماعي ، وذلك لأن المفهوم في هذه الأخيرة يحظى بالاختلاف في حد ذاته ، باختلاف المدارس الفكرية والأيديولوجيات التي ينتمي إليها ، ... وبناء عليه فإن تحديد المتغير الواحد ينطوي على العديد من العمليات التي من شأنها أن تكشف عن مختلف الترابطات والتأثيرات المتداخلة مع مفاهيم تشابهه كمتغير ، للوصول إلى الدلالات والأبعاد التي جرى الاختلاف على تحديدها بحسب الاتجاهات الفكرية والأيديولوجية لبعض المفكرين ، من أجل تثبيت المدلول في المعالجة وتقادي الصعوبات التي يحتمل ظهورها خلال عملية التحليل .

ولذلك فإن طرح مسألة الهوية كمسألة سوسيوولوجية ، إنما يضع الدراسة في مواجهة مسألة أخرى هي إقامة المتغيرات ، أي ترجمة الهوية كمتصور ومفهوم إلى عملية بحث محددة في شكل متغير\* ، أي أن إنشاء متغير اسمه الهوية هو عبارة عن ترجمة التصورات إلى قرائن ، وهو ما يقتضي الانتقال من التعريف المجرد أو المفهوم الحدسي للأفكار السوسيوولوجية إلى معايير تسمح بتحديد تصنيف حول هذا المتغير ، وعلى هذا الأساس فإن اعتماد مصطلح "هوية

\* للإشارة فإن لفظة "متغير" مستمدة من الرياضيات والفيزياء النظرية ، وقد أخذت هذه اللفظة معنى أشد اتساعا في العلوم الاجتماعية ، كما استقرت العادة شيئا فشيئا ، بالتعبير في تصور المتغير عن نتيجة توزيع مجموعات الأشياء وفق معيار أو معايير محددة ، فالجنس والعمر ومستوى الكفاءة هم أمثلة عن متغيرات . انظر : ريمون بودون . **مناهج علم الاجتماع** . ترجمة : هالة شبيون الحاج . منشورات عويدات . بيروت . لبنان . 1972 .

المجتمع المحلي " رغم توفر العديد من المصطلحات الدالة على المتغير "كالهوية الاجتماعية " والهوية الجماعية " والهوية الوطنية " "الهوية القومية "... وغيرها ، بيد أن الدراسة تقتني مصطلح "هوية المجتمع المحلي " وتبني على أساسه كل خطواتها النظرية والميدانية بناء على مفهوم المجتمع المحلي ، وكذا لأن المفهوم الأقرب لعلم الاجتماع والذي - ربما- لا تنقاسمه فيه العلوم الأخرى .

بينما تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة تخصيص التصور ، والتي تتعلق بتحليل مركبات هذا المتغير ، والتي سنسميها " أنواع ، أبعاد ، ... " يمكننا استنباطها تحليليا من المفهوم العام الذي يشملها ، أو ماديا من تركيب ارتباطاتها ، والواقع أن الهوية كتصور يتوافق مع مجموعة معقدة من الظواهر أكثر من مجرد ظاهرة بسيطة أو ملاحظة مباشرة ، التي يضطر فيها الباحث إلى التفتيش بداخله لترتيب عناصر الهوية كما يعتقدونها أو كما تشكلت فصولها لديه اجتماعيا .

ثم تأتي المرحلة الثالثة والمتعلقة باختيار المؤشرات، التي يدل كل واحد منها في حركيته أو ثباته على جانب معين من جوانب الهوية ، الأمر الذي يسمح بالتعامل مع المتغير بشيء من السهولة واليسر، والتعبير عن مختلف الأبعاد بشيء من التكامل نظرا لتقسيم الأدوار بين مختلف المؤشرات .

بينما تتعلق المرحلة الرابعة بتكوين الأدلة ، وذلك من خلال تأليف المعطيات الأولية الحاصلة خلال المراحل السابقة ، الأمر الذي يقتضي إقامة مقياس موحد .

فيما يأتي في مرحلة مواءمة تحليل العلاقات بين المتغيرات ، حيث تبين أن للعولمة علاقات وطيدة بهوية المجتمعات ، وهذه الارتباطات هي ما شكل انطلاق التحليل السوسولوجي ، حيث ومن مختلف القراءات تبين الأثر الكبير الذي أحدثته انضواء العالم داخل النسق العولمي على هوية المجتمعات المحلية .

وباستقراء مختلف الكتابات حول ورود مفهوم الهوية في التراث الفكري العربي والغربي ، تبين أن المفهوم في الفكر العربي - وإن كان متأخرا ومحدودا - يختلف عن الفكر الغربي ، لكن الدراسة تبنتهما معا .

ولا شك أن الصور الناطقة باسم الهوية ،إنما هي تلك التي شكلتها رموز اللغة وطقوس الدين وسجلات التاريخ وممارسات الأمازيغية ، الأمر الذي يدفع بالدراسة إلى اختيار عينة مثقفة ، بإمكانها قراءة تلك الصور ، وكذا إدراك الحركية الاجتماعية للمجتمع تجاه العولمة ، مما يسمح بصياغة آليات للمواجهة والممانعة تحول دون استكمال هذه الحركية الاجتماعية ، الرامية إلى تحقيق مستوى من التشابه والنمطية مع مجتمعات لا تربطها بها نفس المعايير والأبعاد دون وعي الأفراد بهذه الحركية .

أما مرحلة التفسير السوسولوجي فتتم بقراءة أنظمة العلاقات السببية بين اتجاهات المبحوثين ، من خلال القراءة الإحصائية للمعطيات التي أسفرت عنها استمارة قياس الاتجاه ، والقراءات النظرية ، والخبرة الاجتماعية لجماعة البحث والتي تراكمت عبر السنين ، ذلك أن العلاقة الإحصائية بين شدات الاتجاه لأي آلية من آليات المواجهة ، لا يجب أن تفسر مباشرة من خلال القيمة المتوصل إليها ، فعلاوة على أن عيوب منهج قياس الاتجاه ودوره في إخفاء العديد من الحقائق ، يجب النظر إليها على أنها نسق من الأفكار التي شكلها الجانب العاطفي والمعرفي والسلوكي للمبحوث ، بناء على نظام من العلاقات وزخم من المواقف الاجتماعية التي شكلت هذا الاتجاه .

هذا وقد رصدت الأطروحة تسعة فصول كاملة للإجابة عن تساؤلات الدراسة ، حيث حرصت على التسلسل المنطقي في الأفكار ، بما يمنع تشويش فكر القارئ ، حيث جاء **الفصل الأول** ليفتح الدراسة بإشكالية تنبئ عما تروم الأطروحة البحث عنه ، متبوعة بأهداف الدراسة وأهميتها وكذا مختلف المداخل المنهجية ، التي ستشكل الإطار المرجعي الذي تستند إليه الدراسة في استعراض وتحليل وتفسير مختلف المعلومات التي تجمع الهوية المحلية بالعملة ، فيما يقرأ **الفصل الثاني** وبشكل سوسولوجي النسق العولمي في مختلف سياقاته النظرية والتركيبية والفكرية والتاريخية ، عبر جملة من العناوين أولها المقاربات النظرية للعملة التي تعطي فكرة للقارئ عن اتجاهات كل من الليبراليين واليساريين تجاه العملة ، ثم يواصل الفصل قراءة المبادئ والأفكار التي يركز عليها النسق العولمي وكذا بنائه ووظيفته ، في سياقات تاريخية وجغرافية تظل شاهدة على تواجده وهيمنته في الزمان والمكان تحت مختلف الشعارات والمسميات ، إلى أن تفضي القراءة إلى استخلاص الآثار الإيجابية والسلبية للنسق العولمي .

أما **الفصل الثالث** فيفتني آثار الهوية في التراث المعرفي بكل تخصصاته ، إذ سجل وجودها في **المدخل الفلسفي والمدخل السوسولوجي** حيث تصادف الدراسة بأن مفهوم الهوية في الفكر العربي تختلف عن مفهومها في الفكر الغربي ، حيث يستحضر علم الاجتماع في هذه الأثناء مختلف أدواته المعرفية للبحث عن الهوية والتعبير عنها ، خاصة فيما يتعلق بعلاقة



الهوية بالتوحد ، والضمير الجمعي والتعددية الثقافية والفعل الاجتماعي ، أما في المدخل النفسي فإن للهوية باع طويل ، حيث ارتبط الحديث عنها بالحديث عن تشكيل الأنا وتكوين الضمير والوعي واغتراب الذات ، كما ارتبطت بالحرية والإبداع ... وبالعديد من المفاهيم التي تظل حkra على علم النفس ، أما في المدخل الأنثروبولوجي فتقف الدراسة على إسهامات هذا التخصص في إثراء الهوية الثقافية .

ولا يتوقف الأمر هنا بل إن مختلف المداخل آفة الذكر قد أفضت بالدراسة إلى صياغة تعريف للهوية ، والوقوف على طبيعة الهوية الاجتماعية وكذا خصائص الهوية وحالاتها ومستوياتها ووظائفها ، إلى جانب أبعادها وأنواعها لتبحث في الأخير في آليات تشكل الهوية .

بينما يبحث الفصل الرابع في جدلية العلاقة بين العولمة وهوية المجتمع المحلي من منظور الصراع ، حيث يتعرض إلى مفاهيم كالبناء الاجتماعي التحتي والبناء الاجتماعي الفوقي ، وكذا آليات الرأسمالية في تشكيل النسق العولمي ثم آليات الرأسمالية في عولمة البنى التحتية للمجتمعات المحلية ، ليصل إلى نتائج هذه العولمة والمتمثلة في إشاعة الفقر وانحسار سيادة الدولة .

هذا ويستعرض الفصل الخامس آليات عولمة البنى الفوقية للمجتمعات المحلية ، حيث يبحث في خصائص الهوية في ضوء الثقافة ، وكذا الثقافة والهوية الثقافية إلى جانب سمات ثقافة العولمة ، بينما تتكون آليات عولمة البنى الفوقية من اختراق التمرکز العرقي والنتاقف العولمي واللاتضمين الثقافي أو عولمة التجربة المحلية وعولمة الضمير الجمعي العالمي والتعولم الهوياتي الذي يتمظهر في الاستلاب والاغتراب الثقافي .

أما الفصل السادس فيستعرض بعد تعرضه للوعي بالعولمة ، مختلف آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة ، مقسما إياها إلى جانبين رئيسيين أولهما عناصر التفاعل مع الآخر بما يتضمن من مظاهر كالمواجهة بالانعزال والتفوق أوالمواجهة بالعنف والمناهضة والصراع أو المواجهة بالحوار الحضاري وثانيهما عناصر التناسق الداخلي والمتمثلة في التنمية البشرية المستدامة والتنمية الاقتصادية المستدامة ، وكذا تفعيل عناصر الهوية في المجتمع المحلي ، بما في ذلك تفعيل دور الدين ودور اللغة ، هذا إلى جانب عوائق مواجهة الهوية المحلية للعولمة .

أما **الفصل السابع** فقد أُفرد للحديث عن الهوية المحلية الجزائرية في إطار المجتمع العربي الكبير ، حيث يستعرض أهم سمات وأنواع المجتمعات المحلية في العالم العربي ، ثم أبعاد الهوية الجزائرية المتمثلة أساسا في البعد الزمكاني والبعد العرقي والبعد الديني والبعد اللغوي ، هذا إلى جانب أزمة الهوية الجزائرية .

أما **الفصل الثامن** فقد انصب اهتمامه على تخير مجالات الدراسة وأساليبها ووسائلها ، حيث وقع الاختيار على الأستاذ الجامعي بجامعة بسكرة ليكون عينة للدراسة ، ووقع الاختيار على منهج قياس الاتجاه الذي فرض استمارته كأداة لقياس اتجاه .

أما **الفصل التاسع** فقد انبرى لقراءة اتجاهات أساتذة الجامعة تجاه آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة ، من خلال تحليل وتفسير النتائج .

# الفصل الأول

## الإطار التصوري للدراسة

أولا : المداخل المنهجية

1 - مدخل الصراع

2 - مدخل التفاعل الرمزي

3 - المدخل الواقعي

ثانيا : الإشكالية

ثالثا : أهمية الدراسة

رابعا : أهداف الدراسة

خامسا : مفاهيم الدراسة

1 - المجتمع المحلي

2 - النسق العولمي

سادسا : صعوبات الدراسة

سابعا : الدراسات السابقة

## تمهيد

يبحث هذا الفصل في توضيح صورة الدراسة في ذهن جماعة البحث ، وهي الصورة التي تعبر عن تمثّل عقلي مجرد لمسألة المواجهة بين الهوية المحلية والعولمة ، حيث تجمع الصورة شتات الإدراكات المتعلقة بموضوع الدراسة ، وتتمثل هذه الإدراكات في المداخل المنهجية التي تسمح بالاقتراب الواعي بين عالم الواقع وعالم التجريد ، الأمر الذي من شأنه أن يمنح الباحث مختلف الصيغ والنظريات وأبجديات التفكير المجرد لتناول الواقع بشيء من السهولة واليسر ، فيما تصيغ الإشكالية العلاقة الجدلية بين المتغيرين في شكل تساؤل ينبغي الإجابة عنه ، بينما تعبر الإدراكات الأخرى عن أهمية الدراسة وأهدافها ، بل وتوضح أي الهويات هي المقصودة بالدراسة في هذا العمل ، وكذا ما يعنيه النسق العولمي في إطار السعي الحثيث للنظام الرأسمالي بعولمة المجتمعات على اختلافها ، هذا وتبدأ الدراسة من حيث انتهى الآخرون في قراءة جادة للتراث المعرفي الذي شمل الهوية والعولمة معا .

## أولا : المداخل المنهجية

من جهة أخرى فإن هذه الدراسة تعد واحدة من البحوث الامبريقية التي تعني الاحتكام للواقع ، وهي اتجاه ملموس ومعين بالتحديد ، ويتم طبقا لإطار نظري محدد سلفا ، ومرتكزا في بعض مراحلها على عمليات عقلية نظرية ، بالاستعانة بالمناهج الكيفية التي تتكئ في وصفها للواقع على أرقام مجردة ، مع الأخذ في الاعتبار للحقائق التاريخية الواردة عبر مختلف المؤلفات التي تؤرخ للعمران البشري على أرض الجزائر، و البحث هنا يهتم بقراءة العقل الباطن للمثقف ، ويحاول أن يرسم من هذه القراءات آليات لمجابهة العولمة ، وتحديد العلاقات الموجودة بين مختلف الظاهرات التي ينتجها النسق العولمي وهوية المجتمع المحلي ، مما يمكن من وضع تنبؤات عن الأوضاع المقبلة ، و من هنا فمنهج قياس الاتجاه المعتمد ليس مجرد إجابة على عبارات مقتضبة ، بل إنه ينم عن هالة من الخبرات التي تشكلت عبر الزمن ، مما يسمح للدراسة بالتنقصي ومعرفة الأسباب والمسببات لهذا التراكم الخبراتي الذي شكل هذه الاتجاهات ، كما يسمح هذا المنهج وبشيء من السهولة باختيار الأداة المناسبة وكذا مقياس الاتجاه ، الأمر الذي يساعد في فهم الظاهرة موضوع الدراسة.

و لذا فقد تم اعتماد المدخل المنهجي الذي يسمح بالاقتراب الصحيح والواعي من الظاهرة وبيصر بالأدوات المنهجية الملائمة ، فهو يقدم رؤية شاملة عن الواقع ، وعن كفاءات تناوله بالبحث والدراسة ، و هو يمثل نقطة الوصل بين الجهاز المفاهيمي أي الإطار المرجعي النظري التصوري ، وبين الطرائق المنهجية لتناول الظاهرة، ومعالجتها من حيث الأدوات والتقنيات ، فدوره إذن هو : -

- يساعد على التناسق المنطقي .
- يساعد على تبصر جوانب الظاهرة المدروسة .
- يسمح باختيار الأساليب الملائمة .
- يحقق الانسجام بين الجانب ( العنصر) التصوري للبحث و الجانب أو (العنصر) التحليلي الإمبريقي ، و أخيرا الجانب ( العنصر) التفسيري .

وبما أن هذه الدراسة تركز على متغيرين أساسيين هما : الهوية والعولمة ، وهما متغيران مختلفا النمط ، متشعبا الأبعاد ، فقد استدعى الأمر اقتناء جملة من الأدوات المنهجية واستعارة مختلف الطروحات الفكرية من مختلف التخصصات الأكاديمية على اختلاف مرجعياتها ، حيث تم توظيف جملة من المداخل المنهجية ، كمدخل الصراع لأن أنصاره ومفكره ، هم أكثر وأجود وأحسن من فسر العولمة من حيث المفهوم والأبعاد ومختلف القضايا ، المدخل الرمزي ، لأن الهوية في النهاية هي عالم من الرموز ، سواء كانت هذه الرموز دلالة على أمر مادي أو ممارسة أو فعل اجتماعي أو .... كل هذا يتم ضمن مختلف العلاقات الدولية ، الأمر الذي تطلب استخدام المدخل الواقعي .

هذا مع الاستناد إلى بعض النظريات المفسرة لبعض المواقف ، كمنظريّة التعلم لباندورا ، ومنظريّة إعادة الإنتاج لبيار بورديو .

## 1 - مدخل الصراع

صحيح أن مدخل الصراع واسع الرؤى كثير الأفكار متعدد المناهج ، لكن هذه الدراسة ستقتطف منه ما يخدمها فقط ، أي استخدام المدخل في جزئه الذي يفسر العلاقة بين البنى التحتية والبنى الفوقية ، أي العلاقة بين عالم المادة وعالم الفكر ، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن القيم حقائق واقعية توجد في إطار اجتماعي اقتصادي ، فهي ترتبط بحياتنا العلمية

ارتباطا وثيقا ، وينطلق مفكرو هذا الاتجاه في تفسيرهم للحياة الاجتماعية ، من منطلق مؤداه : أن التاريخ يتحكم في مسيرته قوانين موضوعية لا تخضع لإرادة الأفراد أو الجماعات ، وهذه هي حتمية التاريخ من وجهة نظرهم ، كما يعد البناء الاقتصادي للمجتمع هو المصدر الرئيسي للقيم لأن هذه الأخيرة تتشكل وتتطور بتطور النسق الاقتصادي ، وذلك لوجود رابطة وطيدة وتأثيرات تبادلية بين البناء التحتي والبناء الفوقي ، فالبناء التحتي يؤدي دائما إلى إحداث تغييرات في البناء الفوقي ، وبالتالي في القيم باعتبارها إحدى مكوناته ، كما يؤدي بدون شك البناء الفوقي هو الآخر إلى إحداث تأثيرات في علاقات الإنتاج ، فإذا كان التأثير إيجابيا أسرع في تغيير البناء الاقتصادي ، أما إذا كان التأثير سلبيا فسيعرقل عملية التغيير في ذلك البناء .

إن العامل الذي يتحكم في التطور العام في المجتمع ليس الفكر فقط ، وإنما يعود إلى الأحوال الاقتصادية التي تسود هذا المجتمع في أي مرحلة من مراحل تطوره، وبالتالي فهي تكيف تفكير أفرادهم وتحدد أساليب تطوره وأنماط سلوكهم ، وفي هذا الشأن يقول كارل ماركس بأنه ليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم بل على العكس يتحدد وعيهم بوجودهم الاجتماعي ، ومن هنا نكتشف حقيقة مؤداهما أن القيم نسبية ، ذات طبيعة دينامية، تتطور وتتغير بتطور وتغير الأوضاع الاقتصادية ، ومختلفة باختلاف المراحل التطورية التي يمر بها المجتمع ، كما أنها تتباين بتباين الوضع والظروف المادية المكونة للبناء الطبقي في المجتمع ، لذا فالقيم الإنسانية المطلقة ، لا يمكن أن توجد في مجتمع يتسم بالصراع بين الطبقات<sup>1</sup> .

## 2 - مدخل التفاعل الرمزي

الإنسان كائن رمزي بطبعه ، أبدع الرموز وتشكل في صورتها ، واستطاع عبرها أن يشيد مملكته الفكرية الواسعة عبر تقاطعات الزمان والمكان ، حيث سجل الرمز حضوره الكبير في مختلف الفنون والعلوم الإنسانية ، واستطاع في الآن ذاته أن يشكل أداة منهجية وظفت بفعالية في تفسير نشأة التنظيمات الاجتماعية الأولى ، ودراسة العقائد الدينية ، وتحليل النظم الحضارية عبر التاريخ الإنساني<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> جازية كيران . محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 2008 . ص ص 24 - 25 .  
<sup>2</sup> علي أسعد وطفة . من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي : قراءة في الوظيفة البيداغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية . مجلة شؤون اجتماعية . العدد 104 . شتاء 2009 . السنة 26 .

فالرمز يشكل ظاهرة اجتماعية ثقافية كونية متناهية التعقيد ، بكل المقاييس ، وبالتالي فإن دراسة حدود الظاهرة الرمزية ، وتحديد أبعادها ، يشكل حاجة فكرية وثقافية ملحة ومهمة ، إن لم يكن في غاية الإلحاح والأهمية<sup>1</sup> ، وتقع اهتمامات المدخل المنهجي الرمزي في مجمل القضايا المتصلة باللغة والمعنى ، بما يتيح من فرص للوصول إلى الوعي الذاتي وإدراك الذات والإحساس بالفردية ، كما أنه يمكننا من رؤية أنفسنا من الخارج مثلما يرانا الآخرون ، والعنصر الأساسي في هذه العملية هو الرمز ، حيث أن التفاعلية الرمزية توجه اهتمامنا إلى تفصيلات التفاعلات الشخصية في حياتنا اليومية ، والطريقة التي تتم بها هذه الترتيبات لإعطاء المعنى لما يقوله ويفعله الآخرون.

ولأن الهوية من طبيعة رمزية (اللغة عبارة عن مجموعة رموز ، والدين عبارة تعاليم وطقوس و....) فهي تستمد كثيرا من عناصرها من أعمال المدرسة التفاعلية الرمزية ، إذ يسهم التفاوض المستمر بين الفرد والعالم الخارجي في رسم وإعادة تشكيل

تصوره/تصورها عن نفسه/نفسها ، حيث يسهم التفاعل بين الذات والمجتمع في ربط العالمين الشخصي والفردى بعضهما ببعض ، في تشكيل الهوية في ظل بيئة ثقافية واجتماعية حبلى بالرموز والطقوس والسمات و....

ولعل الإسهام الذي تقدمه التفاعلية الرمزية للهوية ، هو ما يتعلق بتفسير ذلك التفاعل الذي ينشأ بين مختلف العقول والمعاني ، والذي يعد سمة مميزة للمجتمع الإنساني ، ويستند هذا التفاعل الاجتماعي على حقيقة هامة هي أن يأخذ المرء ذاته في الاعتبار، وأن يحسب حسابا أيضا للآخرين ، وعلى هذا النحو يمكن صياغة المجتمع الإنساني ، تلك الصورة التي تعبر تعبيراً صادقا عن التفاعل والتساند والاعتماد المتبادل بين الفرد والمجتمع ، وبين السلوك الخارجي والذات الاجتماعية .

فالسلوك الإنساني الرمزي في طبيعته إنما يفصح عن هوية صاحبه ،وله معنى بالنسبة لمن يشتركون في هذا السلوك، مثلا: اللغة التي يتخاطب بها الناس هي في حقيقتها مجموعة رموز تؤدي معنى معيناً لتفصح عن هوية المتكلم ، وقد تفصح عن انتمائه الجغرافي والإثني . ولذلك يعتقد جيرترز بأن الإنسان مرتبط بنسيج المعاني التي يقوم هو شخصيا بنسجها ، ويتفاعل من خلالها مع الآخر ، وهذا النسيج من المعاني يسمى الثقافة.

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق .

## 3 - المدخل الواقعي

يفترض أن لا مجال هنا للمدخل الواقعي ، بيد أن الدراسة تستعيره من العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، لاستخدامه بشكل عرضي ، خلال الحديث عن العلاقة التي تربط مجتمع الأغنياء بعالم الفقراء .

تتمايز المجتمعات فيما بينها على أساس كم ونوع المعارف المتراكمة والسياق الذي تجري فيه عملية التغذية أو التلقين المعرفي والتنشئة عامة ، وطبيعي أن المجتمعات الراكدة حصاها أو رصيدها المعرفي أقل من حيث الكم وجامد ومتخلف من حيث النوع ، لأن تزايد وتنوع وتطور الحصاد المعرفي رهن الفعالية الاجتماعية النشطة ، ومن ثم تطور اللغة ، وتتصف ثقافة المجتمعات الراكدة بالجمود والتعصب للقديم وعدم التسامح ، مع تعديل أو تطوير جديد ، على عكس مجتمعات الفعالية الاجتماعية النشطة ، فإن سياقها الثقافي يتصف بالدينامية والمرونة والقدرة على التكيف السريع مع المتغيرات ، وهو ما يهيئ لها فرصا أفضل للبقاء والتقدم والمنافسة<sup>1</sup>.

تتضمن الواقعية أو الاتجاه الواقعي في تحليل العلاقات الدولية عددا من المقاربات النظرية التي يجمع بينها افتراضها بأن العلاقات الدولية مجرد صراع، تسعى فيه كل دولة للحفاظ على بقائها في ظل بيئة عدائية. وبذلك فإن البيئة الدولية بالنسبة للواقعيين بيئة فوضوية ينتفي فيها أي شكل من أشكال السلطة الفوقية التي يمكن للدول الاحتكام إليها. هذه الظروف تساهم في تكريس ما يسميه الواقعيون بالمعضلة الأمنية المتأتمية من سعي كل دولة لزيادة مستويات أمنها بشكل منفرد، عبر حيازة مصادر القوة خاصة في شقيها العسكري والاقتصادي. وبذلك فإن الواقعيين يميلون إلى تبني سياسة القوة التي لا تعير اهتماما للاعتبارات الأخلاقية لدى صياغة الأجندة السياسية الخارجية لأن الأمر يتعلق هنا بصراع من أجل البقاء، حيث يعتبر الاعتماد على الذات السبيل الوحيد لضمان استمرارية الدولة.

وترتكز الواقعية على ستة مبادئ أساسية هي :

- أنه يمكن تطوير نظرية عقلانية تعكس القوانين الموضوعية التي تسيّر وفقها السياسة طالما أنها تستند إلى الطبيعة الإنسانية ، وهذه الطبيعة ثابتة لا تتغير بأي حال من الأحوال.

- المصلحة هي جوهر العمل السياسي، وهي تتحدد بمؤشر القوة، حيث أن القوة

<sup>1</sup> شوقي جلال . العولمة الهوية والمسار رؤية عربية . الدار المصرية اللبنانية . القاهرة . مصر . 2007 . ص 175 .



بالنسبة للواقعيين تعتبر وسيلة وهدفا في الوقت نفسه، وتعرف القوة على أنها القدرة على التأثير في سلوك الآخرين أو تغييره وفق الاتجاه المرغوب به، من جهة، ومن جهة أخرى القدرة على مقاومة محاولات الآخرين للتأثير في السلوك.

- يفترض الواقعيون أن المصلحة التي تتحدد بالقوة تعتبر مفهوما موضوعيا يتمتع بصلاحية غير قابلة للجدل، ومع ذلك فإن مضامين المصلحة ليست ثابتة بالنسبة لكل الدول كما أنها ليست ثابتة على امتداد فترات تاريخية متعاقبة.
- الواقعية ليست نظرية غير أخلاقية ، بل أنها فقط نظرية لا تبالي بالمعايير الأخلاقية على اختلافها ، وذلك لأنها وفي الوقت الذي تعي فيه التبعات الأخلاقية للعمل السياسي، فإنها واعية أيضا بالتوتر الذي يمكن أن يحدث بين القيادة المتمسكة بالمضامين الأخلاقية وبين مقتضيات نجاح العمل السياسي.

- ترفض الواقعية ادعاء دولة من الدول بأن قيمها الأخلاقية يجب أن تكون بمثابة قوانين كونية تستوجب خضوع الجميع لها. وبدلا من ذلك ترى أن المصلحة هي التصور الذي يتبوأ مكانة القانون الكوني لأنه يحول دون الإقدام على مغامرات سياسية نابعة من محاولة فرض المنظومة القيمية والأخلاقية لدولة معينة على الدول الأخرى، وكذلك لأن تحقيق المصلحة شيء يشترك يحظى بإجماع الكل.

- السياسة من المنظور الواقعي حقل مستقل بذاته وللحصول على تحليل جيد يتوجب استبعاد أي مجال آخر من مجالات الاهتمام الإنساني<sup>1</sup>.

## ثانيا : الإشكالية

الحديث عن الهوية هو حديث عن الوجود الإنساني والحضاري لأمة من الأمم ، في امتدادها الفكري ، وتواصلها المعرفي ، ولعل الأمر لا يمكن في أي دراسة أن يقتصر على تجريد المفاهيم ، بل بصياغة أفكار توضح ماهية هذا الوجود الإنساني ، وتضعه في مكانه الصحيح بين مختلف المفاهيم التي تتجاذب تشكيله والتأثير به ، وقد أصبحت فكرة الهوية أكثر أهمية في علم الاجتماع ، بينما علماء الاجتماع الأوائل نادرا ما استعملوا هذا المفهوم رغم ما تضمنته أعمالهم في ثناياها من مسائل متعلقة بالهوية ، فمثلا معظم الدراسات المبكرة للطبقة الاجتماعية كانت تنظر إلى الهوية الطبقيّة كمركز لإحساس الناس بمن هم ، ودراسات الوعي الطبقي كانت تفترض دائما أن الهوية الطبقيّة قوية دائما ، بينما قللوا من أهمية الهويات الأخرى

<sup>1</sup> عادل زفاغ . الواقعية . 2010/04/03 . [www.geocities.com/adelzeggagh/rationalism\\_in\\_IR.html](http://www.geocities.com/adelzeggagh/rationalism_in_IR.html) .

كالجس والعرق واعتبروها من ضمن المفاهيم الحديثة للهوية ، وقد كانت هويات الشعوب على الدوام مستقرة لأن المجموعات الاجتماعية كانت على الدوام تشترك وترتكز على متغير أو أكثر من المتغيرات الأساسية كالطبقة والوطنية .

بينما أثبتت نظريات ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة اتجاهها مختلفا في موضوع الهوية ، حيث اقترحت تلك النظريات أن هويات الشعوب لها مظاهر مختلفة ومتعددة ، تتغير باستمرار وقد تحتوي على تباينات كبيرة ، وعليه فإن الناس ينشطون في خلق هوياتهم الخاصة ، ولم تعد الهويات مختزلة فقط في المجموعات الاجتماعية التي ينتسب إليها الأفراد ، لأن الأفراد لديهم العديد من الاختيارات بشأن الجماعات التي يودون الارتباط بها ، وهم إزاء المظاهر الجديدة للعولمة المحملة بخصائص الرأسمالية يمكنهم أن يقرروا أو حتى يغيروا هوياتهم ، فيما يرى بعض الباحثين أن غالبية الأفراد في المجتمعات المعاصرة لم يعد لهم هوية مستقرة وثابتة ، لأن هوياتهم تميل إلى التشظي والتجزئة على الدوام .

ولهذا السبب تردد مفهوم الهوية ، وشغل حيزا هاما في العديد من الأعمال الأكاديمية ، ونال قسطا كبيرا من التعريف والتوصيف ، من بين ذلك تعريف حلیم بركات بأنها " وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة أو طبقة في إطار الانتماء الإنساني العام ، إنها معرفتنا بما، وأين ، ونحن ،ومن أين أتينا ، وإلى أين نمضي ، وما نريد لأنفسنا وللآخرين ، وبموقعنا في خريطة العلاقات والتناقضات والصراعات القائمة<sup>1</sup> . وفي هذا الإطار تبدو الهوية نسيجا معقدا جدا ، يستمد من عقيدة الشعب ، وقيمه الكبرى ، وذاكرته التاريخية ، وخصائص المكان الذي ينتمي إليه ، وهي ليست بنية جامدة ، ولا معطى نهائيا ، فبعض مفرداتها يتمدد ، وبعضها ينكمش ، وبعضها يظهر ، وبعضها الآخر يتوارى ، بحسب نوعية الأنشطة الثقافية التي يمارسها الناس ، وبحسب الظروف والتحديات التي يواجهونها .

وإذ تعددت مستويات الهوية ، فهي تكاد تتطابق مع انتماءات الناس ، فنحن نشعر بالتفرد والانتماء في آن واحد ، فالفرد داخل الأسرة ذو هوية خاصة ، يتضابق من تجاهلها ، أو العدوان عليها مع شعوره بالانتماء إلى أسرته ، والأسرة أيضا تشعر بهوية خاصة داخل مجتمعها ، وتخشى على تلك الهوية من غوائله ، وكل مجتمع يخامر الشعور نفسه حيال المجتمعات الأخرى ، ... وهكذا فكل مجتمع وأمة يتوجس من العولمة ، لأنها تمزق الغطاءات الثقافية لمعظم شعوب الأرض ، وتعددهم بغطاء موحد عليه بصمة الغرب عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة ، رغم أن الأصل في تشكيل الهوية هو السمات الثقافية التي يحتكم

<sup>1</sup> حلیم بركات . المجتمع العربي في القرن العشرين : بحث في تغير الأحوال والعلاقات . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت لبنان . 2000 . ص62 .

إليها المجتمع ، فالثقافة تعتبر أصلا ورافدا يصب في روح المجتمع كي يصنع الهوية المحلية ، ومهما كانت الثقافة عليلة ، ومهما كانت بعيدة عن متطلبات العصر ، فإنها تظل في عيون أصحابها شيئا لا يصح التفريط به ، والتنازل عنه بأي ثمن ، وهذا الشعور على المستوى الشعبي أقوى منه على مستوى النخبة .

تتعرض اليوم وأكثر من أي وقت مضى تخوم المجتمعات والحضارات للاختراق بسيول متدفقة بغزارة من الأفكار والأيديولوجيات ، والصور والمعلومات ، بعد أن باتت كتامتها السابقة ضائعة إلى غير رجعة . تتعرض الجماعات ، وهي المشحونة ذات يوم بمعان عميقة والمتماسكة من قبل بعلاقات وثيقة ، لفقدان الصلة بالمكان -لانسلاخ من الأمكنة المألوفة والخاصة - ، ففي كل مكان ترى عناصر كانت بالأمس في الفسيفساء الكوكبية للثقافات متسربة ، دائبة على الاندماج والتزاوج فاقدة تميزها .

إنها ثقافة الصورة ، ثقافة اللحظة ، ثقافة السرعة ، الثقافة التي تعبر عن نفسها بالأرقام...مميزة هذه الثقافة أنها تتسرب دون أن تُرى ، تتسلل عبر الأبواب العتيقة ، وتخترق جدران صوت المعايير فتكيفها كيفما شاءت ، بل وتصنع منها مواسم لأفراحها وبؤر توتر لسيادتها ، وأسواقا لبضاعتها ،...إنها ببساطة ثقافة العولمة .

فالعولمة تعني في مفهومها المثالي بناء عالم واحد ، أساسه توحيد المعايير الكونية، وتحريير العلاقات الدولية، والسياسية والاقتصادية، وتقريب الثقافات، ونشر المعلومات، وعالمية الإنتاج المتبادل، وانتشار التقدم التكنولوجي ، وعالمية الإعلام .. .بيد أن هذا المفهوم لا يمكن أن يتم إلا بين القوى المتكافئة سياسيا واقتصاديا وثقافيا، بحيث لا يستطيع طرف فرض التغيير على الطرف الآخر، وبذلك يسير التغيير في اتجاهين بدلا من اتجاه واحد، وهذا لا يحدث إلا بين الأقوياء.

بينما العولمة - كما هي مطبقة في عالم الواقع - هي عملية إلحاقية انتقائية، تقسم العالم إلى عالمين : عالم القوى الكبرى ذات المصالح المتبادلة، والمؤسسات العالمية ، والشركات العملاقة ، وعالم الدول النامية أو الضعيفة ، والعالم الثاني عليه أن يقبل دور التابع للعالم الأول ، وحتى طاقاته التكنولوجية القليلة التي طورت بشق الأنفس يتم استنزافها والاستيلاء عليها بواسطة دول العالم الأول .

وبناء عليه فإن العولمة في مفهومها الاقتصادي معناها إقصاء المستضعفين نهائيا من أي مشاركة في ميادين التنافس الاقتصادي ، وإفساح المجال للشركات عابرة القارات لكي تفرض قوانينها وأسعارها وشروطها على أصحاب الكيانات الاقتصادية الهشة من الفقراء والمطحونين ،

دون أي اعتبار لإنسانية الإنسان . والنتيجة معروفة سلفاً، وهي أن يبقى الضعفاء فريسة لجشع الكبار ، واقفين في انتظار الموت أو الانتحار .

والعولمة في مفهومها الأخلاقي مثلما تنادي بقيم الحرية واحترام حقوق الإنسان ...، فإن ذلك أيضاً ينسحب على الحرية في ممارسة الأخلاق التي تحلو للمرء أو التي تخطر على باله بلا قيود ، مما أدى إلى تدمير هذه الأخلاق ، فظهر الشذوذ والجريمة بأصنافها وأشكالها ، واختفى مفهوم الأسرة ...ودق رجال التربية ناقوس الخطر .

وفي مفهومها الثقافي تعني سيادة ثقافية "البسبسة" و"الكوكلة" و "الكننكة" و "المكدنة" ، و"الجكسنة"، وانتزاع أصحاب الدين من قيمهم وتقاليدهم وثقافتهم إلى حيث يكونون مسخاً مشوهاً، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء. كما تعني التدفق المعرفي الهائل في اتجاه واحد.

وفي مفهومها السياسي تعني هيمنة المعولم ، فهو صاحب السيادة، والقول الفصل، لا راد لما يريد، ولا صوت يعلو على صوته، وهو مثل راعي القطيع ، عصاه جاهزة لأي شاة شاردة.

وفي مفهومها التكنولوجي تعني استئثار المعولمين بالتكنولوجيا الفائقة، وبالأدوات التكنولوجية، وبالقدرة على استخدامها لتحقيق مصالحهم ، وفرض شراء الأدوات التكنولوجية دون أسرارها على المعولمين ، وفرض استخدامها في الأغراض التي تحقق مصالح المعولمين فقط<sup>1</sup>.

وبمقدار بعد الهويات المحلية عن الأسس التي تقوم عليها ثقافة الغرب وقيمه وتطلعاته ، بقدر الأذى الذي سيلحق بها من طرف العولمة ، إذ على المجتمعات المحلية أن تتنازل عن خصوصياتها الثقافية من أجل الاقتراب من المفاهيم والمعايير الكونية التي تنتشرها العولمة ، وإلا فمصيرها النبذ والتهميش ، كونها لا تنضم إلى حركة العولمة الرامية إلى توحيد المفاهيم والقيم ، حول المجتمع المدني والأسرة وأنماط السلوك في المأكل والملبس والمسكن ، وكل الممارسات ، والشرط لذلك كله هو تجاهل الثقافات المحلية وعدّها غير موجودة .

وعلى حد تعبير الدكتور علي أسعد وطفة ، فإنه توجد بين مفهومي الهوية والعولمة وشائج علاقات جدلية فريدة من نوعها في طبيعة العلاقة بين المفاهيم والأشياء .إنهما مفهومان متجاذبان متقاطبان متكاملان في آن واحد . وفي دائرة هذا التجاذب والتقاطب والتكامل ، يأخذ

<sup>1</sup> علي أحمد مذكور. العولمة وخصائصها التكنولوجية والحصانة الثقافية . مقدم إلى ندوة العولمة وأوليات التربية .المنعقدة بكلية

التربية جامعة الملك سعود. 18 أبريل 2004.

مفهوم الهوية على الغالب " دور الطريدة بينما يأخذ مفهوم العولمة دور الصياد " ، فالعولمة تطارد الهوية وتلاحقها وتحاصرها وتُجهز عليها ثم تتغذى بها ، وفي دائرة هذه المطاردة تعاند الهوية أسباب الذوبان والفناء وتحتدّ في طلب الأمن والأمان ، وتتشبث بالوجود والديمومة والاستمرار .

وإذ تعني العولمة ذوبان الخصوصية والانتقال من الخاص إلى العام ، ومن الجزئي إلى الكلي ، ومن المحدود إلى الشامل . وعلى خلاف ذلك يأخذ مفهوم الهوية اتجاهاً متقاطباً كلياً مع مفهوم الشمولية والعمومية ، فالهوية انتقال من العام إلى الخاص ، ومن الشامل إلى المحدود .. إذ تبحث عن التمايز والتباين والمشخص والمنفرد والمعين .. أما العولمة بحثاً عن العام والشامل واللامتجانس واللامحدود <sup>1</sup> .

فقبل تسارع التغيرات وحدث ثورة الاتصالات الحديثة ، كان الوعي يحيا دائماً في فضاء داخلي (داخل المجتمع المحلي) ، ومن خلال رموزه ومعاييرها يتعامل مع الفضاء الخارجي ، وقد كانت الحدود بين الذات والآخر واضحة ، أما الآن فقد تماهت الحدود ، وزالت السدود ، وصار التعرف على الأنا والآخر أمراً معقداً للغاية .

وإن أكبر تهديد هو خلق هوية ذات مفاهيم وقيم هجينة ، تغيب فيه مقومات الشخصية الأصيلة ، وهنا تكمن الخطورة ، ولذا يجب أن تأخذ مسألة الهوية البعد الروحي في المقام الأول ، وبه تتحصن أبداً ، ثم تأتي المعطيات الأخرى القابلة للتغير والتأقلم والتطور حسب الأحوال <sup>2</sup> .

وتأتي اليوم في العالم العربي الإسلامي العودة القوية لثوابت الهوية ، نتيجة لإخفاق الأيديولوجيات الوطنية التمدينية في بناء هوية منزوعة الصلة بالعمق الثقافي والتاريخي لهذه المجتمعات ، وفشل قيم الحداثة وشعاراتها في إحداث التنمية والرفاهية المأمولة ، ولذلك كانت مسألة الهوية ، ووعي الذات ، واحدة من أهم سمات عصر الإمبريالية في طورها الراهن ، طور العولمة ، يعاد إنتاجها على مستوى الوعي واللاوعي ، وفي المخيلة الاجتماعية ، مع كل تطور نوعي ، في النظام الرأسمالي العالمي ، ومع تحديث أدوات السيطرة والنهب وأساليبها <sup>3</sup> .

لكن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يهيمن منطق الحقيقة الواحدة التي تفرضها العولمة ، ويصاب الأفراد بالتردد بين قيمهم ومسايرة عالم جديد ، وهنا يمكن أن تنتقل الهوية

<sup>1</sup> علي أسعد وطفة . صدام الهوية والعولمة في دول الخليج العربية . مجلة آراء . العدد 71 . أوت 2010 . مركز الخليج للأبحاث .

<sup>2</sup> صالح بلعيد . في الهوية الوطنية . دار الأمل . للطباعة والنشر والتوزيع . الجزائر . 2007 . ص 138 .

<sup>3</sup> محمد صالح الهرماسي . مقاربة في إشكالية الهوية : المغرب العربي المعاصر . ط 2 . دار الفكر . دمشق . سورية . 2002 . ص 140 .

المحلية من موقع الدفاع إلى موقع المواجهة ، والمواجهة تعني العمل على نشر إشعاع الثقافة المحلية ، مع تعميق القيم الروحية وسط الفراغ الذي قد يحيا بداخله المجتمع ، بوضع آليات للمواجهة .

وتعتبر هذه الدراسة واحدة من النماذج التي تعالج كيفية انتقال الهوية المحلية من موقع الدفاع إلى موقع المواجهة للعولمة ، حيث تستند إلى سؤال رئيسي : ما هي آليات مواجهة هوية المجتمع المحلي للعولمة ؟

وعن هذا التساؤل تنبثق تساؤلات فرعية هي :

- هل يمكن للهوية المحلية أن تواجه العولمة بالانعزال والمقاطعة والانزواء ؟
- هل يمكن للهوية المحلية أن تواجه العولمة بالعنف والصراع والمناهضة ؟
- هل يمكن للهوية المحلية أن تواجه العولمة بالحوار الحضاري ؟
- هل يمكن للهوية المحلية أن تواجه العولمة بالتنمية البشرية المستدامة؟
- هل يمكن للهوية المحلية أن تواجه العولمة بالتنمية الاقتصادية المستدامة؟
- هل يمكن للهوية المحلية أن تواجه العولمة بتفعيل عناصر الهوية المحلية ؟

### ثالثا : أهمية الدراسة

تستمد الدراسة أهميتها من أهمية الهوية بالنسبة للمجتمع ، حيث ترمي إلى البحث من خلال وظائفها وأدوارها المختلفة عما يبقها هوية محققة ، فحين نقول بأن الهوية تتضمن أبعادا تشير إلى تشابه الأفراد في المجتمع الواحد - بغض النظر عن الهوية الفرعية التي يجسدونها من خلال وحدة العرق أو الجنس أو الوظيفة أو...- فإن ذلك يتطلب استمرارية تاريخية وشعورا قويا بالانتماء و..وهو ما تبحث الدراسة في كيفية إيجاده والمحافظة عليه ، إلى جانب كيفية تحقيق درجة عالية من التجانس والانسجام والتماثل السلوكي بين أفراد المجتمع بما يضمن التماسك الاجتماعي ، ونفس الأمر ينسحب على عملية التعايش والإثراء المتبادل بين مختلف الثقافات الفرعية داخل المجتمع الواحد ، مع احتواء التمايز والتغاير والتفاوت داخل نطاق المجتمع الواحد بما تحمل من الأفكار الوطنية التي تمنح الأفراد وجهة نظر مشتركة .

- كما تستمد أهميتها من أهمية العينة الممثلة للمجتمع الجزائري ، وهي أساتذة الجامعة

لأنهم يمثلون شريحة هامة في المجتمع ، كونها ذات تماس مباشر مع عالم الفكر والإبداع ، ومخول لها رسم استراتيجيات المواجهة ، وإبداع الخطط الكفيلة بالأخذ بيد المجتمع نحو الرقي والازدهار، ...حيث جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على اتجاهاتهم نحو آليات مواجهة الهوية المحلية لمختلف تحديات العولمة .

- بينما على المستوى الأكاديمي تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية قضايا الهوية ، خاصة تلك المتعلقة بالمتغيرات العالمية حيث :

- تكمن أهمية الدراسة في إمكانية تجريد المعطيات الواقعية ، وقراءة مختلف الممارسات والفعاليات ، والعلاقات الدولية بمصطلحات محددة وبسيطة .
- تجسيد مختلف الممارسات السوسولوجية في علاقات واضحة المعالم، مجردة الطابع .
- الصياغة الأكاديمية لمختلف الممارسات والأدوار والوظائف في إطار العلاقة الجدلية بين الهوية والعولمة .
- تعتبر الدراسة رصدا لواقع اجتماعي مميز ، في زمن معين على أرض الجزائر ، ولآراء أساتذة جامعيين في ظروف محلية وعالمية معينة .
- تعتبر الدراسة مفتاحا لدراسات مكملة ، للولوج إلى دراسة المجتمع المحلي الجزائري .
- الوقوف على حدود التأثير والتأثر بين المتغيرين الأساسيين ، الهوية والعولمة من خلال القراءة السوسولوجية المحضة ، بعيدا عن المفاهيم والصياغات المتداولة في تخصصات أخرى ، كالعلاقات الدولية والنفسية والأدبية ، ...
- الربط بين عالميين مختلفي الطبيعة ، أي المادي والرمزي ، بوشائج ذات طابع أكاديمي ، حيث التوليف بين عالم الفكر والحس .

## رابعا : أهداف الدراسة

الأهداف هي النهاية التي تتحرك الدراسات نحوها ، أو تعمل لأجل الوصول إليها ، ويدور الخلاف حول أساليب ووسائل مواجهة الهوية للعولمة ، وهو خلاف نابع من اختلاف أبعاد العولمة من جهة ، ومن تصورات المجتمع حامل الهوية من جهة ثانية ، حيث يتقاسم ذلك أنصار الفكر التقليدي وأنصار التحديث ، ولكل منهما وجهة نظر حول علاقة الهوية بالعولمة وآليات المواجهة ، ولذلك تحاول هذه الأطروحة تقديم مقاربة سوسولوجية إيجابية في التعاطي

مع الظروف التاريخية الجديدة ، وهي تتجسد في صياغة رؤية لذاتنا ووعي جماعي لواقعنا ، ومفاهيم إستراتيجية للعمل والبناء بعيدا عن منطق ردات الفعل وأسلوب الرفض والمواجهة السلبية للتحديات ، وبعيدا أيضا عن ممارسة الاستيراد العشوائي إلى وطننا للشعارات والبضائع المادية والمعنوية التي تطيح بالهوية الجزائرية ، حيث :

- تعد هذه الدراسة محاولة للخروج برؤية محلية لظاهرة العولمة بشكل عام ، وانطلاقا من تأثير العولمة على الثقافة المحلية ، عن طريق التناقص العولمي ، الذي بدا جليا في كل الممارسات ذات الطابع العالمي ، ويصب هذا الجهد في اتجاه صياغة رؤية حول كيفية مواجهة التيار الجارف للثقافات المحلية من قبل العولمة ، سواء كانت الصياغة منهجية أو نظرية أو إيديولوجية .

- تهدف الدراسة إلى توضيح العلاقة الوثيقة التي تربط الهوية بالعولمة ، عبر تحليل وتفسير اتجاهات المبحوثين ، وتجسيدها في شكل آليات تسمح بمواجهة طوفان العولمة .

## خامسا : مفاهيم الدراسة

### 1 - المجتمع المحلي

ورغم اتساع الهوة بين مختلف الثقافات والتشكيلات البشرية ذات المركبات الإبداعية والسلوكية والذهنية التي لا يمكن أن تعمم مركبا ما على كل البشر أو أغلب البشر ، ذلك لأن كل مجتمع يميل إلى تشكيل كل ثقافي فريد ، حيث يوجد عنصر مهم في تحديد مفهوم الثقافة يؤكد تنوع الثقافات ونسبتها وهو دور الرمز وأحيانا قد تكون اللغة نفسها باعتبارها تجريدا ووصفا للواقع ، فالإنسان يضع عالما من الرموز ، ثم يحيا في هذا العالم الرمزي ، وبالتالي تكون كل حقيقة له رمزية ، ثم تكون كل الأحكام والتقسيمات والمدرجات كلها نسبية مع النظام الثقافي الذي ينتمي إليه ، فالمدينة مثلا من الناحية السوسولوجية الفنية البحتة عبارة عن قارة مجردة ، ولكن العناصر التي تتكون منها مثل الإقامة و البناءات الداخلية ووسائل المواصلات ... عبارة عن موجودات مشخصة لها طبائع مختلفة ، وإن ما يجعل المدينة شيئا محددًا هو ذلك التكامل الوظيفي لعناصرها المختلفة على هيئة وحدة كلية، ومع ذلك لا يكون للمدينة وظيفة واحدة ، بل عدة وظائف ، و ليس معنى هذا أن كل الوظائف توجد في كل المدن بلا استثناء ، فلكل منها عالمها المحلي الذي صنعه روادها بطريقة تلقائية .



ورغم تمايز المدن والمجتمعات عن بعضها في الشكل والوظيفة ، تفرض العولمة نظامها على كل أشكال التمايز ، بما في ذلك المجتمعات المحلية التي تتفرد بشكلها الخاص ووظائفها ورموزها الثابتة ، إذ من أبرز الخصائص التي تحدد المجتمع المحلي سوسولوجيا :

- مجتمع محلي ايكولوجي ، أي مجتمع محلي يتفاعل فيه السكان تفاعلا مباشرا مع الأرض سواء بالنسبة لما تستطيع هذه الأرض أن تنتبته أو أن تخرجه من معدن ، أو من استغلال سطحها بالتعمير ، وتتوقف الطبيعة الايكولوجية على مدى طبيعة نشاط السكان ومدى قبولهم لتأثيرات معينة .

- بناء ديمغرافي متميز ، حيث أن بناء المجتمع المحلي يعتمد في تعقده أو بساطته أو تنوعه على شروط كنظام التخصص وتقسيم العمل وحجم السكان والصورة التي وصل إليها التقدم التكنولوجي ، وكذا طبيعة المواصلات ، إلى جانب شروط أخرى تترك أثرا واضحا في شكل البناء ومضمونه .

- صفات معينة للفعل الاجتماعي أو التنظيمي ، من حيث الشدة والكثافة ويخضع تنظيم الفعل لاعتبارات كثيرة من أهمها : نوع الجماعات ، أساليب الضبط الاجتماعي ، مدى التقدم الذي بلغه التوجيه الاجتماعي .

- مجموعة من القيم تعتبر بمثابة الموجهات الأساسية للسلوك الاجتماعي<sup>1</sup> .

وقد دأب الإنسان منذ الأزل على صناعة مجتمعه المحلي، ليس فقط بالبناء والتعمير والتنظيم و... بل صناعة في وعيه أيضا ، فيما لا ينظر للعالم الخارجي إلا من خلال وعيه بعالمه الداخلي ، فهو يأتي الفعل ويطوره ليصبح ظاهرة ويسعى جاهدا لنشر الظاهرة ،... يستحسنها في بداية الأمر ...، لكنها بمرور الزمن تمارس قهرا عليه ، وتتحول في ممارساته اليومية إلى عادة ، وكلما زاد قهرها له تحولت إلى تقليد يورثه للجيل الذي يلي جيله ، لكنه يقبلها كما هي بقواعدها السلوكية، ويتجنب الصدام أمام سطوتها ، إذا ما بلغت في هيمنتها درجة اتخاذها كعرف أو كقانون يظل جميع الأفراد بلا استثناء .

تكتسب عقول الفاعلين قواعد اجتماعية تحصل عليها من المحيط الاجتماعي، حيث تتم صياغة هذه العقول حتى تنسجم مع المحيط الذي تعيش فيه .

<sup>1</sup> محمد عاطف غيث. علم الاجتماع الحضري: مدخل نظري. دار النهضة العربية للطباعة. بيروت. 1983. ص ص 111

وعند تعايش الأفراد مع محيطهم الاجتماعي كفاعلين ، فإنهم يتفاعلون مع الفاعلين الآخرين ، ويبدأون باكتساب خبرات اجتماعية حول عالمهم المحيط .  
كما لا يفرط الفاعلون في المكتسبات الاجتماعية ، فهم يحرصون على تخزينها في ذاكراتهم لتكون باكورة معارفهم الاجتماعية .  
يستخدم الفاعلون هذه المكتسبات المعرفية المخزونة في ذاكراتهم عند تعاملهم اليومي مع غيرهم من الفاعلين ، أي يستخدمون الخبرات الماضية لمواجهة الفاعلين الآخرين في محيطهم ، الأمر الذي يمنحهم رؤى جديدة حول علائق اجتماعية مستشرفة .

وإزاء هذا الأمر يتشكل عند الفاعل ما أسماه علماء الاجتماع بـ"المعرفة المخزونة"، لينتج عنها مفهوم آخر هو "التخلل الذاتي" الذي يأتي كنتيجة عن التقبل الذاتي بين مختلف الفاعلين ، كل منهم للآخر ، وهذا لا يحصل إلا عندما ينتج هؤلاء نوعاً من "النمذجة" ، التي تعني تشكيل صيغ متنوعة ومتعددة للأفعال الاجتماعية التي مرت عليهم في حياتهم الاجتماعية ، وهكذا تتشكل خبرات ذاتية - اجتماعية ، قد تتعزز إذا واجهت نفس ظروف تشكلها ، أو تلغى إذا واجه الفاعل ظروفًا معاكسة لها تبرهن على سوء تشكيلها أو انحراف رؤيتها أو نقص تركيبها<sup>1</sup> .

هذه النمذجة التي تضم بين جنباتها مختلف المعاني والأفكار والتصورات ونسق المفاهيم وأنماط التفاعل مع مختلف المواقف و... إضافة إلى البناء الديمغرافي والجانب الأيكولوجي وتاريخ الوجود على الرقعة الجغرافية والتراث الذي ترافق مع هذا التاريخ... بانسجامها وتوافق أجزائها إنما تشكيل هوية ، هي هوية المجتمع المحلي .

رغم كل هذه الخصوصية في التشكل ، ليس فقط في نمط الحياة الجماعية كالبناء والتعمير ونمط التنظيم والترتيب الاجتماعي ومختلف الممارسات الظاهرة للعيان ، بل على مستوى الوعي الجمعي للأفراد ، تتعالى نداءات لعلماء الاجتماع للحفاظ على تلك الخصوصيات والميزات وتترايد في ذات الوقت حدة التدخل والاختراق من قبل العولمة لعولمة العالم وصهره في بوتقة واحدة وضم المجتمعات المحلية في قرية واحدة شأنها شأن كل التجمعات القائمة .  
وإذ تنتوع أشكال الهوية بحسب موقعها من المعالجة أو المدخل الذي تقع الدراسة تحت طائلة أدبياته ومناهجه ، بين الهوية الفردية والجماعية والوطنية و.... بيد أن الهوية المقصودة

<sup>1</sup> عبد الغني عماد . منهجية البحث في علم الاجتماع . الإشكاليات ، التقنيات ، المقاربات . دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت . لبنان . 2007 . ص 117 .

في هذه الأطروحة بالدراسة هي هوية المجتمع المحلي ذي الخصائص آنفة الذكر ، ولأن تأطير أبعاد الهوية هو من الصعوبة بمكان فإن الأمر سيقصر على الأبعاد الواردة في الدستور الجزائري المتمثلة في : الإسلام واللغة العربية والأمازيغية والتاريخ الوطني ، رغم أن الأبعاد الأخرى وإن لم يشر لها صراحة ، إلا أنها تتجلى على مستوى التحليل كسمات الشخصية الجزائرية .

## 2 - النسق العولمي

النسق System في المعنى اللغوي العام مفردة تدل على الاتساق والانتظام والترتيب، أي انتظام عناصر الموضوع بترتيب واتساق، وبكلام آخر فإن تعبير النسق يشير إلى أن الحقائق والمفردات والنشاطات أو العناصر المكونة للمادة أو الموضوع يتصل بعضها ببعض بتوافق وترتيب منظم يدل على الاتساق والتكامل بنيويا ووظيفيا.

والنسق في المعنى التحليلي عبارة عن مجموعة من الكيانات والعلاقات التي تربط هذه الكيانات. فالنسق الاقتصادي مثلا يشتمل على عدد من الكيانات الفرعية المترابطة مثل (الصناعة، الإنتاج، الخدمات، الإدارة، التوزيع، السيطرة النوعية...الخ) أما العلاقات بين تلك الكيانات فيعبر عنها بالتفاعلات بين تلك الكيانات.

بينما يصفه محمد عاطف غيث بأنه تنظيم ينطوي على أجزاء مترابطة تتميز بالاعتماد المتبادل ، وتشكل وحدة واحدة ، على أن النسق يعتبر نموذجا تصوريا يستخدم لتيسير فحص الظواهر المعقدة وتحليلها ، وعلى الرغم من أن النسق يمثل تجريدا من نسق أكبر منه ، إلا أنه يعالج كما لو لم يكن جزءا من كل<sup>1</sup>، فيما يحدد بارسونز النسق الاجتماعي ، باعتبار أنه يتكون من عدد من الفاعلين الأفراد الذين يتفاعل أحدهم مع الآخر في أحد المواقف ، يحركهم الميل إلى الحصول على أكبر قدر من الإشباع ويتم تحديد علاقتهم بما في ذلك أحدهم بالآخر ، ويتم التوفيق بينهم في ضوء نسق من الرموز المشتركة المتكونة ثقافيا ، ويقول أيضا بأن الوحدات الرئيسية للنسق الاجتماعي تتكون من جماعات وأدوار (أي لا تتكون من أفراد) ترتبط معا من خلال القيم (غايات أو موجهات الفعل) والمعايير (قواعد تحكم أداء الدور في سياق قيم النسق)<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد عاطف غيث . قاموس علم الاجتماع . دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية . مصر . 1989 . ص 480 .  
<sup>2</sup> عبد الهادي الجوهري . قاموس علم الاجتماع . المكتب الجامعي الحديث . ط3 . الأزاريطة . الاسكندرية . مصر . 1998 . ص 236 .

أي أن النسق المراد الحديث عنه هو تجمع لعدد من الكيانات والمكونات ، ذات الوظائف الواضحة (وظيفة أو وظائف لكل كيان ، ) والمتفاعلة فيما بينها ، في ضوء معايير وقوانين يحتكم إليها الجميع وهذا في وجود بيئة خارجية يتفاعل ويتعامل معها هذا النسق .

وفي هذا المقام تطلق الدراسة مفهوم النسق العولمي على مختلف الكيانات ذات الأدوار المتسقة مع بعضها البعض ، والتي تحكمها قيم ومعايير النظام الرأسمالي ، بينما توجهها غايات النظام الرأسمالي المتمثلة في عولمة العالم ، وتتمثل هذه الكيانات أساسا فيما تسميه مختلف الأدبيات "أدوات العولمة " وهي تتجسد في الشركات متعددة الجنسيات ، ومنظمات حقوق الإنسان وصندوق النقد الدولي و... وغيرها التي تؤدي أدوارا تمارس وظائف ترنو جميعها إلى تنميط المجتمعات ، وكسر الحواجز الجغرافية وتحرير الأسواق ، وبسط نفوذ ثقافة العولمة على وجه البسيطة . والملاحظ أن هذه الكيانات تتميز بدرجة عالية من الاتساق والتكامل والتساند الوظيفي في الأدوار فقرارات مجلس الأمن تنفذه الأمم المتحدة ، بناء على تقارير منظمة حقوق الإنسان وهكذا ...

وقد أتى توماس فريدمان على ذكر هذا النسق في كتابه " السيارة ليكساس وشجرة الزيتون قائلًا : ...كلما زادت أسفاري تبين لي أن هذا النظام له منطقه الخاص ، ويستحق أن يكون له اسم خاص به "العولمة " ، والعولمة ليست ظاهرة ، وليست مجرد اتجاه عابر ، فاليوم أصبح النظام الدولي العلوي يشكل السياسات الداخلية والعلاقات الخارجية لكل دولة في العالم تقريبا ، ونحن بحاجة إلى أن نفهمه على هذا النحو .

أما العولمة فأمرها يختلف ، إنها كما قال توماس فريدمان تتطوي على ذلك التكامل الصارم بين الأسواق ، وفي الدول الأمم ، وفي التكنولوجيات لدرجة لم تحدث من قبل ، وبطريقة تمكن الأفراد والشركات والدول الأمم من التجول حول العالم والوصول إلى مسافات أبعد وبصورة أسرع وأعمق وأرخص من أي وقت مضى ، وبطريقة من شأنها أيضا أن تفرز ردة قوية من جانب أولئك الذين تعرضوا لمعاملة وحشية أو فاتهم ركب ذلك النظام الجديد ، والعولمة لها ثقافتها الغالبة الخاصة التي تجعلها تميل إلى إيجاد التجانس الثقافي مع باقي المجتمعات ، والعولمة لها تكنولوجيتها ، إنها دنيا الكمبيوتر ، إنها تصغير الأشياء إلى منمنمات وأرقام ، إنها تكنولوجيا الاتصال والأقمار الصناعية وبصريات الألياف والانترنت التي تصغر العالم إلى أبعد مدى ، أما الوثيقة\* التي تحدد نظام العولمة فهي "الصفقة"<sup>1</sup>.

\* كانت الوثيقة التي تحدد نظام الحرب الباردة هي " المعاهدة " ، أما الآن فالوثيقة التي تحدد نظام العولمة هي "الصفقة" .  
<sup>1</sup> توماس فريدمان . السيارة ليكساس وشجرة الزيتون ، محاولة لفهم العولمة . ترجمة : ليلي زيدان . الدار الدولية للنشر والتوزيع . القاهرة . مصر . 2000

## سادسا : صعوبات الدراسة

من الممتع أن يجد المرء نفسه باحثا يتلمس الواقع حوله ، ويُعمل الفكر والخيال لنسج خيوط قضية وطنية بأسلوب أكاديمي ، ينأى عن الذاتية والأحكام المسبقة بيد أنه من الصعب أن يجد نفسه بين مختلف الأطروحات المختلفة بل والمتضاربة إزاء نفس القضايا والمسائل ، بينما الأصعب من ذلك كله أن يجد الباحث نفسه باحثا ومبحثا في الآن ذاته وبكل المقاييس .

من الممتع أن يجد المرء نفسه باحثا في شؤون العولمة حيث تغمره مختلف التخصصات بزخم معرفي هائل ، لكنه من الصعب أن يستحضر اللغة السوسولوجية أثناء الصياغة فيما تستند العديد من خطواته إما على الواقع المرئي والمحكي أو كتب التاريخ الكتب الدينية والاقتصادية وكذا العلوم السياسية والآداب وعلوم التربية وعلم النفس و....

من الممتع أن يفكر الباحث - وفي ذات الآن - بذهن محلي أو إقليمي في عالم عالمي ، لكنه من الصعب أن يتوصل إلى إسقاط العولمة كعملية تتضمن العديد من أنماط الفعل ، والعديد من أساليب الهيمنة على مظاهر الحياة اليومية في الواقع الجزائري ، إذ ليس من اليسير التعاطي مع مفاهيم وقوانين ومصطلحات نشأت بعيدا عن المجتمع الجزائري ، مما يصعب قراءة مظاهرها قراءة سوسولوجية ونحت مصطلحات تناسب تلك القراءات .

صحيح أن البحث في الهوية المحلية الجزائرية يسمح بسبر أغوار المجتمع الجزائري ، ويسمح بالتعبير عن مختلف الممارسات وتفسير العديد من المواقف ، إلا أن الصعوبة تكمن في غياب المراجع المحكمة والتأصيلية التي تدعو إلى البحث بشيء من الارتياح .

## سابعا : الدراسات السابقة

الدراسات السابقة هي عبارة عن معارف تتجدد ، وتتنقد ، وتبنى على أنقاضها الأفكار بما يتلاءم مع العصر ، من خلال تجدد مواضيع البحث الأكاديمي ، التي تشكل سلسلة حلقات المحاولات الجادة الرامية إلى الوقوف على الحقائق ، و هي تعتبر إحدى أهم مفردات البحث.. تظهر باستعراضها أهمية الموضوع.. ومدى اهتمام الباحثين به ، وتتمثل الدراسات السابقة في كل المساهمات العلمية التي لها صلة بالموضوع المراد بحثه ، وتم تقديمها لدوائر علمية بهدف

الحصول على درجة علمية ، أو على مقابل مادي ، أو لمجرد المساهمة العلمية كمشاريع البحث التي تقع في اهتمامات مخابر البحث العلمية . فهي تزود الباحث بالمعايير والمقاييس والمفاهيم الإجرائية والإصلاحية التي يحتاجها ، ... وهكذا يستفيد من إيجابيات مناهجها ويتجنب سلبياتها .

على كثرة الأدبيات التي تناولت العلاقة الجدلية بين الهوية والعولمة ، قلّت الدراسات الجادة التي تناولت ذلك في المجتمع الجزائري ، وفي سعينا الحثيث لذلك ومن خلال الاطلاع على الدراسات السابقة لم نجد مقياسا لقياس اتجاهات الأفراد نحو آليات رد فعل الهوية على العولمة ، وهو أمر متوقع لكون ظاهرة العولمة حديثة ، ولكون أشكال المواجهة لم تتبلور بعد في أذهان المفكرين والمنظرين ، إذ مازال العديد من أفراد النخبة المنظرة للمجتمع ، إما مبهورا بالعولمة لا يرى فيها سوى صورة الهيمنة المفروضة على العالم العربي ، وإما مستسلما من هول ما رأى ، وإما ناقما على كل ما يمت للعولمة بصلة ، ... ولذلك كانت ردود الفعل لا تعدو على أن تكون مجرد شذرات أقلام ، أو أنها إنجازات أكاديمية لم تخرج عن التوصيات التي تذيّل الدراسات عادة إلى جانب السياق النظري ، الذي ظل يجتر التراث الماركسي ، في سعيه الدائم نحو كشف الوجه السيئ للرأسمالية .

ورغم أن الباحثة قد اطلعت على ما ينيف عن 400 كتاب حول متغيري الدراسة ، إلا

أن المقام هنا يبجل دراستين فقط وهما كما يلي :

**الدراسة الأولى: الثقافة العربية والعولمة " دراسة سوسولوجية لآراء المثقفين العرب "**

للدكتور محمد حسن البرغثي ،

الأصل في هذه الدراسة أنها أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع السياسي ، حيث توجه الباحث في دراسته الميدانية إلى المثقفين العرب (اليمن ، الأردن ، مصر ، المغرب) ، وبالتحديد أعضاء هيئة التدريس الجامعي ، لاستكشاف اتجاهاتهم نحو تأثير العولمة في الثقافة العربية ، ومعرفة هذا التأثير بشقيه الإيجابي والسلبي ، أما المجال الزمني فقد تمثل في الفترة من 01 ماي 2004 إلى غاية 30 ماي 2004 .

حيث طرح التساؤل : ما هو تأثير العولمة في الثقافة العربية ؟ .

وللإجابة عن التساؤل رصد الباحث تسعة فصول حيث :

شمل **الفصل الأول** تحديد مشكلة البحث ، بينما في **الفصل الثاني** تم استعراض نماذج من الدراسات السابقة ذات العلاقة بالثقافة العربية والعولمة ، وهي في مجملها نظرية ، أما **الفصل الثالث** فقد تم فيه تقديم عرض تحليلي لمفهوم العولمة ، مع استعراض للتطور التاريخي للظاهرة ، وعلاقتها بالعالمية ، أما **الفصل الرابع** فقد تم التركيز فيه على (الثقافة العربية بين الخصوصية والعولمة ) حيث طرحت إشكالية تحديد المفهوم ، وعناصر الثقافة ، قضية التراث والحداثة والعولمة الثقافية ، بينما ركز **الفصل الخامس** على (الهوية الثقافية والعولمة) بداية بتحديد مفهوم الهوية وعلاقة الهوية بالعولمة ، ثم إجراءات الحفاظ على الهوية القومية ، وموقع الهوية في ظل صراع الحضارات ، أما **الفصل السادس** فقد تناول (المتقف العربي وصدمة العولمة) مع التركيز على علاقة المتقف العربي والسلطة ، وعلاقة المتقف العربي والمجتمع ، مع البحث في الدور المطلوب من المتقف العربي في زمن العولمة .

أما **الفصل السابع** فقد أفرده الباحث للإجراءات المنهجية ، التي تحوي متغيرات الدراسة وفروضها ، وإجراءات اختيار العينة ، وكيفية بناء مقياس اتجاهات المتقفين العرب نحو تأثير العولمة في الثقافة العربية ، ثم الأساليب الإحصائية التي استخدمت في تحليل البيانات المتعلقة بالدراسة . أما **الفصل الثامن** فقد عرض فيه البيانات ، فيما شمل **الفصل التاسع** على نتائج الدراسة .

وقد خلص الباحث إلى النتائج الآتية :

- العولمة تشكل فعل اعتداء على الثقافة العربية.
- تهدف العولمة إلى فرض النموذج الثقافي الأمريكي على الثقافة العربية .
- تستهدف العولمة الهوية القومية وتسعى إلى تفكيكها وطمسها .
- التراث هذه الإشكالية القائمة في الفكر العربي ، سيخضع إلى مراجعة شاملة في ظل العولمة ، وهذا ما يرفضه أولئك الذين يستخدمون التراث كسلاح أيديولوجي من أجل الدفاع عن الهوية القومية .

- إن النسيج اللازم للحياة الاجتماعية سيكون عرضة للتدمير من خلال قدرة العولمة على استهداف جذور الثقافة العربية.
- تعد العولمة عامل تسريع لتحقيق الحداثة في داخل الثقافة العربية .
- اللغة العربية ستشهد تراجعاً في الاستخدام والاهتمام في ظل العولمة.
- الدين الإسلامي ، وهو عنصر رئيس في تكوين الهوية الثقافية ، هو في وضع استهداف من جانب العولمة .
- العولمة عززت ثقافة الصورة بينما تراجعت ثقافة المكتوب.
- ستهيئ العولمة المناخ اللازم لصراع المجموعات العرقية والدينية والمذهبية في داخل الثقافة القومية .
- لقد كرست العولمة ثنائية الازدواج الثقافي في داخل الثقافة العربية بين الأصل والوافد .
- إن مؤسسات ( الأسرة ، المدرسة ، الإعلام ) وهي تنتج القيم والرموز الثقافية ستقع تحت طائلة التأثير السلبي للعولمة .
- العولمة نبهت وحفزت الثقافة العربية لإعطاء الأهمية اللازمة لمفهوم الأمن الثقافي .

**الدراسة الثانية : القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الاستقلال**  
**"دراسة انثروبولوجية لبحث نمط الهوية في مخيال تراث الأدب الشعبي للدكتور محمد بوراكي .**

وانطلاقاً من النزعة المادية الشديدة التي تشهدها بلادنا والتي ساهمت وما تزال تساهم في تغيير وجهة الحياة في المجتمع ، التي يتحكم فيها نظام رهيب للإعلام الدولي ، والتراث الشعبي هو أكثر عناصر الثقافة تغييراً وأكثر ميلاً إلى الانزواء تحت ضربات التحديث ، خصوصاً إذا لم نكن نملك أرسيفاً لهذا التراث الشعبي ، فهو معرض للاندثار ، وقد حاول الباحث في هذه الدراسة إعادة الاعتبار لهذا التراث الشعبي ، وبهذا العمل يساهم في دراسة التاريخ الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري ، ولذا فقد طرح التساؤل



الموالي : ما هي القيم التي يحملها التراث أو الأدب الشعبي ؟ وهل تعكس هذه القيم خصوصية المجتمع الجزائري بحيث تميزه عن بقية المجتمعات البشرية الأخرى ؟.

وقد أجاب الباحث عن تساؤل الدراسة من خلال سبعة فصول تناولت ما يلي :

الفصل الأول وشمل الإطار التصوري والمنهجي للدراسة حيث حددت فيه المفاهيم العلمية لكل من القيمة والثقافة والهوية ، بينما جاء الفصل الثاني لتشكيل وتصنيف القيم الثقافية والهوية ، في حين أن الفصل الثالث خصص للتفسيرات الإثنوغرافية والأنثروبولوجية للقيم الثقافية ، أما الفصل الرابع فقد كان لموضوع تراث الأدب الشعبي ومفهومه وتصنيفه ومضمونه وعناصره الأساسية كالأمثال والأشعار الشعبية ، بينما الفصل الخامس خصص لتحديد أبعاد الهوية الوطنية في مخيال تراث الأدب الشعبي ، كالأبعاد: المكاني والزمني والبعد الديني و البعد اللغوي ، أما الفصل السادس فقد تناول موضوع الهوية الوطنية بين ثوابت الأصالة ومتغيرات الحداثة في مخيال تراث الأدب الشعبي ، بينما تناول الفصل السابع أزمة الهوية الوطنية ويضم عدة محاور كأزمة الهوية الوطنية وأنماط الهوية ثم مستقبل الهوية الوطنية في ظل العولمة .

وخلص الباحث إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها فيما يلي :

- الدراسات الأنثروبولوجية المكثفة لثقافات الشعوب المختلفة ساعدت الباحث كثيرا في فهم الثقافة الجزائرية .
- من تناول مختلف الكتابات الأنثروبولوجية لثقافات شعوب العالم تبين أنه لا توجد ثقافة عالمية واحدة ، فلكل شعب ثقافته الخاصة ، فالثقافة تتبع من من الهوية الثقافية ، أما الثقافة العولمية فهي أسطورة لا وجود لها ، خلقتها أجهزة الإعلام الغربية حتى تخضع هذه الشعوب لسلطانها ، وهي في الحقيقة ثقافة أمريكية .
- تبين من خلال الدراسة أن الجزائر أرض تراث مادي ومعنوي مكتوب وشفوي أو شعبي ، وهذا التراث تأثر بالحضارات والثقافات التي مرت بالمنطقة ولذا فهو مزيج منها .

- هناك علاقة تداخل معقدة بين التراث الكتابي الرسمي والمؤسساتي وبين التراث الشعبي والشفوي (الأمازيغي والعربي) ، وإن كان هذا الأخير أقدم من الأول في الوجود بالجزائر ، لكن كلاهما يشكل الثقافة والهوية الثقافية في الجزائر .
- مشكلة الهوية الوطنية بالجزائر نتيجة تراكم ثقافي ، ومحصلة لتطورات تاريخية واجتماعية وثقافية شهدتها منطقة الجزائر منذ القدم .
- الكتابات الإثنوغرافية الإسلامية من أقدم الدراسات الوصفية ، التي ساهمت في رسم ملامح الهوية الثقافية في الجزائر مثل ابن خلدون ، والإدريسي والمقري وحسن الوزان المعروف بالليون الإفريقي والتمقروني وابن حملاوش ...
- تراث الأدب الشعبي حافظ على الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري سيما خلال الاستعمار الفرنسي .
- تبين من خلال الدراسة أن الهوية الوطنية تتكون من أربعة أبعاد : البعد المكاني والبعد الزمني ، البعد العرقي (الإثني) والبعد الديني والبعد اللغوي.
- عكست الثقافة الشعبية والأمثال بعض الرواسب الثقافية كالنزاعات العرقية والعصبية والإثنية التي انبثقت بالأساس من نظام القرابة القبلية والعائلية.
- التعصب العرقي والقبلي والجهوي لا يزال ماثلا في وعي أفراد المجتمع الجزائري في الوقت الحاضر .
- البعد الديني للهوية في الجزائر تشكله خمسة نماذج هي : نموذج القطاعات القبلية الإسلامية ، النموذج العثماني أو نموذج مجتمع "الثكنة" في الإسلام ، نموذج الإسلام في ربة الاستعمار الغربي ، الإسلام والاستعمار ونموذج الحركة الوطنية للاستقلال أو البعد الوطني للهوية ، نموذج الصحوة الإسلامية .
- كشفت الدراسة أن معيار الشرف في التشكيل الاجتماعية التقليدية البربرية والبدوية ، هو صفاء النسب العرقي والقبلي ، كما لاحظنا أن معيار الشرف في الثقافة العربية الإسلامية هو صفاء النسب الديني .

- تحتمي الناس عادة بالرموز الدينية عندما تشعر بالخطر .
- القيم الدينية وبعض العادات والأعراف الموروثة تمثل أبرز العقبات في طريق تمثيل كثير من التحولات التي يسعى إليها بعض الأشخاص في المجتمع بسبب اللاشعور للإنسان للتمسك بتقاليده .
- أصيب المجتمع الجزائري بصدمة ثقافية جراء تعرضه للاحتلال الفرنسي ، وما فاقم الأزمة هو الانقسامات الداخلية العرقية كالبربرية والعروبة والإسلام رغم أنها كلها عنوان لوطن واحد .
- السلطة الجزائرية لم تتجح في حل المسألة الأمازيغية منذ الاستقلال ، بل كتبتها فقط ، مما أدى إلى ظهورها في ظل الأزمة الحالية التي تمر بها البلاد .
- ما استنتجناه من الدراسة أن هناك ثلاثة أنماط أساسية شكلت الهوية الوطنية :هي الهوية العربية الإسلامية ، والهوية الأمازيغية الإسلامية والهوية الإسلامية الفرانكفونية ، ولكن تبقى العقيدة الإسلامية هي التي تجمع هذه الهويات الفرعية في هوية واحدة هي الهوية الإسلامية ، وهي هوية المجتمع الجزائري .
- وتشكل هذه الدراسات السابقة روافد بالنسبة للأطروحة ، الدراسة الأولى كانت بداية الانطلاق للأطروحة ، بينما الثانية فكانت رافدا علميا أغنى الأطروحة بالحقائق الجزئية المتضمنة ، والتي توصل إليها الباحث محمد بوراكي "رحمه الله" .

# الفصل الثاني

## قراءة سوسيولوجية في النسق العولمي

أولا : المقاربات النظرية للعولمة

1 - نظرية نظام العولمة

2 - المقاربات النظرية لمفهوم العولمة

2 - 1 - مقارنة انتوني جيدنز Antony Guidens

2 - 2 - مقارنة فيك جورج وبول ويلدينج Vic George et Paul Wilding

2 - 3 - مقارنة ليسلي سكلير Leslie Sclair

ثانيا : ماهية العولمة

ثالثا : النسق العولمي : الأفكار والمبادئ

رابعا : النسق العولمي : البناء والوظيفة

خامسا : النسق العولمي : التاريخ والجغرافيا

سادسا : النسق العولمي : المفردات السلبية والإيجابية

**تمهيد :**

قبل نحو ربع قرن لم يكن العالم يعرف مصطلح العولمة ، وحين صيغ المصطلح لم يبق حبيس جذوره ورهين موطنه وسياقه الفكري ومؤسساته المالية والإنسانية وغيرها ، بل إنه اخترق كل مجالات الحياة اليومية المحلية والعالمية بما فيها الممارسات الاجتماعية والاقتصادية والمالية و... حتى المؤسسات الأكاديمية أصبحت تتلون بلون الرأسمالية وتأتمر بأوامرها وإيماءاتها ، بل وتخطط بإيحاء منها...، وفي ذلك كله تشكل إما امتدادا للرأسمالية أو ناقدا لها ، وعلى ضوء ذلك برزت المقاربات السوسيولوجية للعولمة ، التي تستعرض مختلف التجاذبات الفكرية حول العولمة ، فبين مجالات التأييد والمعارضة والحياد تظهر بين أروقة هذه المجالات خيارات أخرى ، برؤى أكاديمية أخرى ، الأمر الذي يفضي بهذا الفصل إلى الوقوف على ماهية العولمة بناء على مختلف المقاربات السوسيولوجية للعولمة .

**أولا : المقاربات النظرية للعولمة**

كثيرة هي الكتابات التي تناولت العولمة بالتحليل والنقد والتعريف والبحث في الأبعاد والمظاهر والتجليات والنتائج ، لكنها قليلة تلك التي حاولت تشكيل المداخل النظرية للعولمة والتي من شأنها رسم صورة واقعية بصيغة نظرية سوسيولوجية ترقى بالظاهرة من الممارسة إلى آفاق التجريد ، ليتم فهم الظاهرة الاجتماعية كشيء يتحرك وينمو ويمارس ، إذ أن رسم الأبعاد والحدود بشكل مجرد من شأنه تحديد المحيط الاجتماعي وفهم هوية الظاهرة وكذا رصد مختلف العلاقات الاجتماعية داخل هذا المحيط الاجتماعي .

وحسب ما جاء به يحي اليحياوي فإن العولمة تواجه إشكاليين منهجين اثنين :

**يتعلق الإشكال الأول باصطلاح ومفهوم العولمة :** حيث يعتقد أن مفهوم العولمة ، قد سقط مبكرا وربما لسوء حظه في الميدان العام ، لا قبل أن يؤسس فحسب ، ولكن أيضا قبل أن تستقر حمولته وتبين ملامحه ومكوناته الكبرى .

فقد أصبحت العولمة مجالا بحثيا مهما ، تتنازع تعريفها ، طبيعتها ، آثارها ، مجالاتها ... إلخ ، رؤى متعددة تنطلق من مدارس فكرية وسياسية ، بل وأطر مرجعية مختلفة ، ناهيك عن وقوع " العولمة " كموضوع أساسي - الآن - بين موضوعات جميع العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة .

والدليل على ذلك كون المفهوم قد تعرض (ولا يزال) لتضخم في الاستعمال وتعدد في الاستخدام من طرف الأفراد والمؤسسات أو من لدن الجماعات، إما بغرض تبرير واقع أو تمرير

اختيار أو لمجرد مجازة الموضة الرائجة على اعتبار أن من لا يستخدم مصطلحات ومفاهيم العصر (وتقنياته أيضا) هو حتما خارج العصر، خارج منطق العصر.

معنى هذا الإشكال أن المصطلح قد سقط ، لمجرد بروزه ، في المشاع وأصبح بالتالي حديث الخاص والعام ،حديث النخبة والجماهير أيضا.

**أما الإشكال الثاني فيتعلق بطبيعة المقاربة النظرية للعولمة :** التي يراد بها أو من خلالها العرض لظاهرة العولمة في فعلها وتفاعلها ،في اعمال مكوناتها أو اشتغال آلياتها. ويعتقد أن معظم المقاربات المتوفرة تتعامل مع الظاهرة وفق حقل الاهتمام، اهتمام الباحث أو المتتبع، وهو ما يجعلها إما مقاربة جزئية أو مقاربة مؤد لجة \* ،لكن نادرا ما تكون شاملة وموضوعية.

بمعنى أن معظم المقاربات الرائجة إما تتعرض للظاهرة من الزاوية الاقتصادية الخالصة أو من جانب ربطها بالثورة التكنولوجية أو من منطلق محاولة فهمها من خلال استحضار إشكالات كإشكال الهوية أو الخصوصية أو الذاتية الثقافية،فتبقى بالتالي إما مقصية لباقي زوايا الرؤية الأخرى أو متحدثة في ظاهرة لم يضبط مفهومها ضبطا علميا أو لنقل ،على الأقل ،موضوعيا وشاملا.

**هذان الإشكالاتان :** سقوط الظاهرة في المشاع والميدان العام والمقاربة الجزئية الإسقاطية والإجرائية حالا في تصوره دون إمكانية التنظير للظاهرة أو على الأقل المؤسسة والتأسيس لمحدداتها ومرتكزاتها، وهو ما يجعل الكتابات كتابات هواة لا كتابات احترافية مدققة ومحصنة<sup>1</sup>.

فهذه الكتابات عادة تصرف النظر عن أطروحات الأوساط النظرية ، مع أن هناك علاقة لا يمكن تجاهلها بين العالم النظري المجرد والعالم الواقعي حيث تمارس الجماعات الاجتماعية مختلف أنشطتها عبر الأفعال الاجتماعية ، في وقت يجد الأكاديمي نفسه بحاجة للنظريات حتى تضي معنى على الكم الهائل من المعلومات التي تغمرنا يوميا.

لكن أكثر ما يبدو إزاء الحديث عن العولمة هو التباين في وجهات النظر تجاهها ، وتعود هذه الاختلافات الجوهرية إلى الاختلاف حول القوى الأساسية التي تسهم في صياغة محصلات التفاعل الدولي.

لقد تزامن التفكير بصياغة النظرية السوسيولوجية في أعقاب الثورة الفرنسية ، التي شكلت ثورة أيديولوجية ، تغير بموجبها وانهار وتفكك النظام المجتمعي ، نتيجة تقهقر النظام

\* من الأيديولوجيا .

<sup>1</sup> يحي اليحيوي . في إشكالية العولمة 15 / 05 / 2009 . [www.elyahyaoui.org/cpr\\_settat.htm](http://www.elyahyaoui.org/cpr_settat.htm)

الكنسي ، وفسح المجال للتفكير العقلي ليتبوأ مكانه ، حيث تفنن الرواد الاجتماعيون في تنظيم الواقع الإنساني والاجتماعي على أساس العقل ، باستخدام المناهج الطبيعية لأنها الأقرب للدقة ، بيد أن التأسيس الأكاديمي ، كانت أكبر إشكالاته كيفية بناء المجتمع الجديد "الرأسمالي" ، كيف يبنى هذا المجتمع؟ ، كيف يحافظ على استقراره؟ هذا بعد أن استوعب العقل كل حيثيات التغيير وإفرازاته ، فصاغ النظرة للمجتمع في قوالب مجردة ، سماها تارة طبقات اجتماعية ، وسماها تارة أخرى بناءات اجتماعية .

ولم تتوقف النظرية السوسيولوجية هنا ، بل ظلت تواكب كل تغيير للأحداث على الصعيد الإنساني والبشري والدولي ، ليكون التنظير حاضرا في كل المراحل ، على اختلاف أزمونها ، ومن هذه المراحل نجد العولمة التي تمثل إحدى مراحل الرأسمالية ، وجدير بالاهتمام في هذا المقام الذي تحظى فيه العولمة بحصة الأسد من البحث ، أن نستقرأ التراث السوسيولوجي الملائم لهذا المقام\* .

والنظريات المتعلقة بالعولمة ، مثلها مثل أي نظرية ، قائمة على افتراضات حول نظرية المعرفة وعلى موقف من مناهج البحث ، ولما كانت النظريات السائدة معتمدة على الواقعية معرفيا ، والوضعية منهجيا ، كان من الطبيعي أن أي نقد لها سيؤدي إلى تغييرات كبيرة على مستوى نتائج العلم ، وقد فتح هذا الجدل أبواب النقاش والجدل حول قضايا تجاوزت النظريات التقليدية ، بل ومناهج البحث التي استعملت ، وصار تناول العولمة في قالب نظري معين ، يعتمد بشكل واضح على موقف محدد من المعرفة ومن الوجود .

## 1 - نظرية نظام العولمة :

يعتقد ليسلي سكلير (Leslie Sclair) أن العولمة فكرة جديدة في علم الاجتماع ، رغم أنها في العلوم الأخرى مثل دراسات الأعمال والعلاقات الدولية ، كانت عامة في بعض الأوقات ، ذلك لأن السمة البارزة في القضايا المتعلقة بالعولمة ، أنها لا يمكن حلها على مستوى الدولة -الأم ، بل تحتاج إلى تنظير بمفهوم العمليات العالمية (عابرة القارات) فيما يتخطى مستوى الدولة -الأم<sup>1</sup> .

وهنا ينبغي أن نسجل أنه في إطار العولمة ، تصبح العلاقة الدولية تتسم بالتمييز بين المتقدم والمتخلف ، ويمكن النظر إليها في ضوء ما يسمى بما وراء الثقافات ، إذ من خلالها

\* جعل المنظرون الاجتماعيون وعلماء الاجتماع في القرن 19 من أمثال أوجست كونت وسان سيمون وكارل ماركس ، ما يسميه كثيرون الآن بالعولمة ، محور عملهم التحليلي ، وكذلك السياسي ، ففي الحقبة التالية لما<sup>1</sup> فرديريك جيمسون و ماساو ميوشي ثقافات العولمة بترجمة : ليلي الجبالي . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . مصر . 2004 . ص 315 .

يمكن الكشف عن العلاقة بين الجزء والكل في إطار العالم ، وما يتم في إطار هذه العلاقة من أفعال عملية إما لتطويرها أو التخلف عنها ، أو للحد من تأثيراتها ، وهذا ما يجعل مفهوم الثقافة هنا مفهوما غنيا أو فقيرا ، إن انعدام حركة الثقافة في إطار هذه العلاقة ، بما يعكسه من تأثيرات إيجابية أو سلبية ، هو ما يحكم على غنى أو فقر ثقافة ما في دولة متخلفة أو العكس في دولة غنية ، من خلال تفعيلها في العلاقات الدولية ، حيث وفي ضوء مفهوم ما وراء الثقافات فإن الرأسمالية العالمية تعمل على إقصاء التعددية والتنوع في الخطاب ، بهدف خلق ثقافة واحدة ، وحيث تعمل على إيجاد صورة كلية للعالم باعتباره مكانا واحدا لا يجد التنوع فيه مكانا ، وطبيعي جدا أن تجد العولمة كنظام وكمؤسسات اقتصادية ، نمطا ثقافيا جديدا يتسم بالتهميش لصالح ثقافة واحدة ، تسيطر وتهيمن على ثقافات واقتصاديات كل ما عداها من الثقافات الأخرى ، وما شكل عليها من خطر المنافسة في الوجود ، وفي أخذ زمام قيادة العالم<sup>1</sup>.

وقد ركز الباحثون في شؤون العولمة على ظاهرتين جديدتين تعتبران من أهم القضايا التي ارتبطت بالمرحلة الأخيرة للرأسمالية ، الأولى هي التغيرات الكمية والنوعية في الشركات غير القومية ، من خلال عمليات مثل عولمة رأس المال والإنتاج ، والثانية هي ما حدث من تحولات في القاعدة التكنولوجية وما تبعها من آفاق عالمية لوسائل الإعلام ، ومن هنا برز الاهتمام الكبير بتحليل الاقتصاد العالمي ، وتحليل المجتمع عولميا ، وتحليله قوميا أيضا .

وتستند **نظرية النظام العالمي** الممهدة لتكريس العولمة على جملة مقولات من بينها :

- رفض ثنائية التقليدي-الحديث والنظر إلى مجتمعات العالم على أنها تشكل وحدة واحدة متفاعلة بالرغم من كون هذه المجتمعات تشغل مكانات طبقية متباينة ، والتأكيد بالتالي على أن وحدة التحليل ليست المجتمع النامي ، وما فيه من قوى داخلية وإنما النظام العالمي ككل .
- تحدد المكانة الطبقية التي تشغلها دولة من الدول نمط الإنتاج السائد فيها ، وقوة جهازها الحكومي ، وكفاية مدنها وبورجوازياتها الوطنية .
- تحول النمط الإنتاجي في دولة من الدول النامية إلى النمط الصناعي الكثيف يؤدي إلى تحسن في مكانتها الطبقية داخل النظام العالمي الحديث .

وقد فسر سمير أمين العلاقة بين الدول النامية والنظام العالمي الجديد عبر دمج مفهومي

التبعية والنظام العالمي ، وأبرز مقولاته بهذا الشأن :

- إن التوجه الراهن لتطور الرأسمالية يعمق الاستقطاب العالمي بين المراكز

<sup>1</sup> شحاتة صيام . علم اجتماع العولمة . مصر العربية للنشر والتوزيع . القاهرة . مصر . 2009 . صص 13 - 14 .



والأطراف ، وخاصة بعد انهيار المعسكر الاشتراكي ، وهذا مصدر أساسي من مصادر الفوضى في النظام العالمي المعاصر ، إذ ينتج هذا الاستقطاب العالمي تناقضا جديدا مميزا ناتجا عن تفاوت مستويات التنمية الاقتصادية والسياسية مما يؤدي إلى مزيد من الفوضى في هذا النظام .

• للخروج من الفوضى العالمية لا تملك دول الأطراف إلا الاستمرار في محاولاتها لفك الارتباط مع النظام العالمي المهيمن ، ويتم ذلك من خلال آليات محددة أهمها : تسييس الجماهير ديمقراطيا وتنظيمها ، وتدعيم الانتاجات الوطنية التي تقوم بدور الوسيط الاجتماعي لصياغة مشروع حضاري بديل والنضال من أجل تحقيقه<sup>1</sup> .

## 2 - المقاربات النظرية لمفهوم العولمة

قليلة هي الكتابات السوسيولوجية التي تناولت العولمة من باب المقاربات النظرية المفصلة، بينما لا يكاد يخلو كتاب من الحديث عن الموقفين الرئيسيين من العولمة ( الموقف المؤيد والموقف المعارض ) ، بينما لا يعكس المنتج العربي سوى إعادة صياغة واجترار لما توصل إليه الفاعلون الحقيقيون سواء كانوا صانعين للعولمة أو مناهضين لها ، بيد أن أغلب الناس تدرك أن هناك تحولا اجتماعيا مهما في العالم المحيط بنا ، لكن هناك تعارض حول ما إذا كانت هذه التحولات لها علاقة بالعولمة أم لا ، نظرا لصعوبة إدراك وفهم عملية العولمة ، كونها مضطربة وغير قابلة للتكهن ، وبذلك تتعدد الطروحات إزاءها ، بتعدد الزوايا المنظور من خلالها لهذه العملية المعقدة .

من جهة أخرى هناك من الباحثين السوسيولوجيين من يرى أن صراع الأيديولوجيات (الليبرالية -المحافظة- الراديكالية..) قد ساعد على تطوير النظريات العلمية المتناسقة مع وجهات النظر الأيديولوجية المعنية وطور من قدراتها على التفسير والتنبؤ، ولكن من جهة أخرى يمكن القول أن التحليل السوسيولوجي المرتبط ارتباطاً أعمى بمنطلق أيديولوجي معين يُشكل احتكاراً لقدرات عالم الاجتماع في التفسير وتطويع المعطيات النظرية والمنهجية لتتناسب مع موضوع البحث وخاصية الظاهرة<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> مجد الدين خمّش . العولمة وتأثيراتها في المجتمع العربي . دار مجدلاوي للنشر والتوزيع . عمان الأردن . 2011 . ص ص 199-200 . للمزيد من التفصيل انظر : سمير أمين . امبراطورية الفوضى . دار الفارابي . بيروت . لبنان . 1992 .

<sup>2</sup> خلف محمد الجراد . مُعضلات التجزئة والتأخر وأفاق التكامل والتطور . منشورات اتحاد الكتاب العرب . لبنان . 1998 . ص 12 .

وفيما يلي استعراض لأهم الدراسات الجادة التي حاولت الوقوف على مختلف المقاربات النظرية للعولمة ، بناء على تصنيف وجهات نظر أحاطت بالعولمة من جل الجهات إن لم نقل كلها :

## 2 - 1 - مقارنة انتوني جينز ( Antony Guidens ) :

في مساهمة أولية للوعي بالآخر ، وفي صرخة في وجه الديكتاتورية ومشروع إنقاذ الدولة المأزومة ، يستعمل أنتوني جينز مصطلح "الطريق الثالث" \* للإشارة إلى عملية تجديد الديمقراطية الاجتماعية ، وهو يأخذ المفهوم في إطار فكري وإطار لصنع السياسة ، محاولاً بذلك تخطي كل من الديمقراطية الاجتماعية ذات الطراز القديم والليبرالية الجديدة ، ومؤلفاً بين الإيجابيات التي يراها موجودة في الرأسمالية وقيم الاشتراكية ، حيث بعد التحولات الكبرى التي حصلت في المجتمعات الغربية في نهاية القرن الماضي والتي تمثلت فيما يلي :

- سقوط الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية في أوروبا الشرقية ، وما ترتب عن ذلك من انهيار وفقدان للثقة في المشروع الماركسي ، ووضوح فشل التخطيط المركزي ، وما صاحبه من مختلف المظاهر التي عدت من سلبيات الاشتراكية كغياب حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية ، وكذا ابتلاع المجتمع المدني من قبل الدولة .

- ضعف الإجماع حول فكرة دولة الرفاهية التي كانت مطروحة وبكل قوة في الدول الصناعية ، وتحول الرأسمالية إلى رأسمالية متوحشة تسعى إلى الربح بأي طريقة ، مع ما صاحب ذلك من بروز هوة عميقة بين قلة ثرية تستفرد بالحكم وعامة فقيرة تعيش الكفاف ، إلى جانب اتساع رقعة المهمشين ، والعنف والجريمة والبطالة ، وكل الأشكال التي طالما قوضت أعرق البنى والأنساق الاجتماعية ، وأكثرها ثباتاً في المجتمع ، وهو الأمر الذي ينبئ بأن السياسة التي تمارس في المجتمعات الرأسمالية لا يمكن أن تكون بديلاً عن عدالة التوزيع .

وبهذه الصورة يبدو أن فكرة **الطريق الثالث** هي نتاج مجموعة من الظروف والتطورات المختلفة ، وهي فكرة تحاول التوليف بين قيم الاشتراكية (عدالة التوزيع ) و(الحافز ) وأهميته

\* ينظر الكثيرون إلى انتوني جينز على أنه المنظر الأول للطريق الثالث ، لكن الحقيقة أن المصطلح استخدم مرات عديدة بواسطة كتاب وسياسيين من ذوي القناعات المتباينة ، فقد استخدمه البابا بيوس الثاني عشر في القرن التاسع عشر ، واستخدمه هارولد ماكملان في السنوات المبكرة للقرن العشرين ، واستخدمه الديمقراطيون الاجتماعيون في سنوات العشرينات تمييزاً لهم عن أنصار مذهب رأسمالية السوق والشيوعية السوفياتية ، ... واستخدم في مناسبات أخرى ، بل وكان مألوفاً في الأوساط الفكرية في أوروبا . انظر : انتوني جينز . الطريق الثالث .

في الرأسمالية ، أو بتعبير آخر التوليف بين العدل والحرية<sup>1</sup>.

يتجه انتوني جيدنز من خلال كتاباته إلى اعتبار الثقافة المتغير الرئيسي في عملية العولمة ، متقاسما هذا الاتجاه مع رونالد روبرتسون ، ويتساءل عن كيفية صمود هوية الأفراد والجماعات الإثنية المختلفة أمام الثقافة الكوكبية التي أصبحت تكتسح العالم وبشتى الطرق والوسائل ، مستخدمة الاقتصاد والسياسة كوابات تلج من خلالها إلى عالم تغيير كينونات المجتمعات المختلفة .

أما عن قضية العولمة في حد ذاتها فتتنازعها ثلاث مدارس فكرية هي<sup>2</sup>:

#### أ - المشككون :

يعتقد فريق من المفكرين أن العولمة قد لقيت من الاهتمام بقدر لا تستحقه ، وأن الجدل قد دار واحتدم حول موضوع لا جديد فيه ، حيث أن الظاهرة الاقتصادية الحالية التي جلبت لها الأنظار ، واعتبرت أساسا في التغيير الاجتماعي هي في الحقيقة أمر قديم ، إذ تشير الشواهد التاريخية إلى أن العالم قد شهد في القرن التاسع عشر حركة تجارية واستثمارات رائجة ذات طابع عالمي ، وفي هذا الصدد يشير المشككون إلى أن توجهات العولمة الجديدة لا تختلف عن سابقتها إلا في جانب كثافة التعاملات التجارية ، لا أكثر .

صحيح أن الدول أصبحت أكثر تماسا ببعضها ، إنما الاقتصاد العالمي لم يحقق قدرا من التكامل ، حتى يمكننا تسميته اقتصادا عالميا حقيقيا ، حيث أن التبادل التجاري اقتصر على أقاليم بعينها ، كأوروبا وآسيا والمحيط الهادي وأمريكا الشمالية .

وإذ تؤكد العولمة ، ويؤكد أنصارها باستمرار على تفهقر دول الدولة في وجه الإرادة العالمية ، إلا أن المشككين في العولمة يؤكدون بأن الحكومات مازالت وستبقى الفاعل الرئيسي في العملية الاقتصادية لشعوبها ، وبفضل قوتها تتعزز وتتوسع ، أما القوى الدافعة للعولمة فهي الحكومات والأسواق ، بينما أنماط التراتب والتدرج الاجتماعي يغلب عليها الحديث حول التهميش المطرد للجنوب ، بينما يتصورون العولمة على أنها تدويل وأقلمة ، ومن زاوية المنحى التاريخي يرون العالم في زمن التكتلات الإقليمية والمجتمعات تدير دواليبها صراع الحضارات .

<sup>1</sup> انتوني جيدنز . الطريق الثالث "تجديد الديمقراطية الاجتماعية" ترجمة: مالك عبيد أبو شهيوه و محمود محمد خلف . دار الرواد . طرابلس . ليبيا . 1999 . ص-ص 12-15 . يسمى علم الاجتماع الكلاسيكي ، أصبح الموقف شديد التعقيد على الجبهة السوسيولوجية ، ويعود ذلك في المقام الأول إلى تشعب جهاز الدولة القومية وتوسيعه وتقوية النزعة القومية ، ولذلك واجهت علماء الاجتماع الكلاسيكيين مشكلة ذات وجهين ، تخص "النزوع القومي" و "العولمة" ، ويمكن القول بأن علم الاجتماع الحديث ولد من هذا المأزق ، وربما اعتبرناه إلى حد ما من ضحايا هذا المأزق . انظر : رونالد روبرتسون . العولمة " النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية . ترجمة: أحمد محمود ونورا أمين . المشروع القومي للترجمة . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . مصر . 1998 . ص41 .

<sup>2</sup> انتوني جيدنز . علم الاجتماع . ترجمة: فايز الصباغ . المنظمة العربية للترجمة . وموسسة ترجمان . ط4 . بيروت لبنان . 2005 . ص-ص 130-133 .

وبعبارة أخرى فهم يعتقدون أن التدويل يعتمد على ما تبديه الحكومات من قبول ومساندة .

### ب - المتعولمون :

يرى المتعولمون أن العولمة ظاهرة حقيقية تتبدى في كل مكان ، فهي لا تعنى فقط التدخل في شؤون الدول والأمم بل وتعني إزالة الحدود بشكل نهائي ، بواسطة حركة التجارة الرائجة ، إذ لم تعد الدولة المفردة قادرة على السيطرة على حدودها ، بسبب عدم قدرتها على التحكم في اقتصادياتها المرتبطة أساسا بالاقتصاد العالمي ، ومختلف القضايا التي تبرز خارج حدودها ، كتقلبات الأسواق المالية ، وبروز المخاطر البيئية ، ... وبإدراك المواطنين لقصور الدولة أمام هذه الأحداث العالمية ، يفقدون الثقة في أنظمة الحكم ، إلى جانب ذلك فهذه الفئة ترى بأن الحكومات الوطنية عاجزة وتواجه تحديات أمام صندوق النقد الدولي ، ومنظمة التجارة العالمية ، وكذا الاتحاد الأوروبي .

بعبارة أخرى يعتقد أنصار العولمة بنهاية الدولة القومية .

### ج - التحوليون :

يتبنى التحوليون موقفا وسطا بين المدرستين الفكريتين السابقتين ، حيث يرون أن العولمة تمثل سببا في العديد من التغيرات على المستوى الاجتماعي ، بينما النظام العالمي يجتاز مرحلة من التحول ، يشكل خلالها معمارا جديدا ضمن أنماط التدرج الاجتماعي ، بيد أن الأنماط التقليدية ظلت على حالها دونما تغير ، فالحكومات ما تزال صاحبة الحل والربط في مجالها الجغرافي ، ومازالت ذات سلطة على أفرادها حتى أولئك الذين ينظمون الصفقات ومختلف العمليات الاقتصادية ، رغم أن الاعتماد العالمي قد قطع أشواطا بعيدة ، ومتعددة الجوانب ، فهذه الجوانب لا تقتصر على الاقتصاد فحسب ، بل تعدته إلى الحياة السياسية والثقافية .

أي أن هناك مستويات غير مسبوقة من الترابطات الكوكبية ، مما جعل عملية العولمة كثيفة ومتسعة ، وقوة الحكومات الوطنية منصبه حول التوليف و الهيكله ، في حين أن العولمة لا تمثلها دولة أو شعب أو اتجاه فكري بعينه ، بل كل قوى الحداثة ، وهذه القوى هي الكفيلة بدفعها إلى الأمام ، بينما يظل الحديث الغالب في أروقة التفكير منصبا حول التحولات في الجماعة السياسية ، في ضوء تصور العولمة حول إعادة تنظيم للعلاقات البيئية الإقليمية والفعل عن بعد ، ... وكل هذا يتم ضمن منحى تاريخي يمثل مرحلة وسيطية من الاندماج والتجزئة العالمية .

عبارة أخرى العولمة تعني تحولا في سلطة الحكومات وفي السياسة العالمية .

## 2- 2 - مقارنة فيك جورج وبول ويلدينج<sup>1</sup> ( Vic George et Paul Wilding ) :

قام الباحثان فيك جورج وبول ويلدينج في كتابهما " العولمة والرعاية الإنسانية " معا بتصنيف المقاربات النظرية للعولمة ، وخلصت نتيجة هذه المحاولة إلى أربعة مقاربات معنونة كما يلي :

أ - **أنصار التطور التكنولوجي** : ويركز أنصار هذا الاتجاه على التكنولوجيا كمتغير أساسي في تفعيل عملية العولمة ، فالعولمة حسب هذا الاتجاه تعني الزيادة والسرعة في نقل الاقتصاد العالمي ، بينما يصبح العالم بلا حدود ، حيث تعد وسائل الاتصال التكنولوجية وبصفة خاصة الكمبيوتر القوى الرئيسة للعولمة .

وتعني ثورة المعلومات تصديرا دوليا للأسواق والتجارة العالمية للتكنولوجيا والمعلومات مع الامتداد الجغرافي المتسع ، وبناء معلومات ومادة علمية تترجم في جميع أنحاء العالم ، وتؤثر جوانب العولمة الاقتصادية والتكنولوجية في الأبعاد السياسية والثقافية ، حيث لا توجد علاقة وظيفية بينهما بوصفها أنساقا فرعية في المجتمع<sup>2</sup>.

ويستطرد العالمان في تقييم هذا الاتجاه ، من حيث قوته التي تم تحديدها في دقة الطرق التي أثرت بها التكنولوجيا والأسواق العالمية في طبيعة العمليات الاقتصادية .  
بينما تنتضح نقاط ضعف هذا الاتجاه في تعريفاته للعولمة ، ووضعها في تعريفات ومصطلحات اقتصادية مبدئية ، مما أدى إلى وجود مزاعم كثيرة عن مدى انتشار العولمة في الوقت الحاضر .

أما عن الجانب التنبؤي فهذا الاتجاه يزعم أن العولمة هي فكرة تجعل العالم بلا حدود في المستقبل<sup>3</sup>.

ب - **المتشائمون الماركسيون** : يشكل هذا الفريق العين الناقدة للعولمة ، على خلفية الاتجاه الماركسي المضاد للعولمة والرافض لكل الأنساق القيمية الرأسمالية ، حيث يعتقد هذا الاتجاه أن العولمة لا تمثل فقط امتدادا للرأسمالية ، بل إنها تمثل حقبة تاريخية منها .

ج - **البراجماتيون التعدديون** : يتجه هؤلاء إلى تأييد العولمة ، بينما يتحدثون عنها عبر العديد من المتغيرات ، حيث يتناولون المتغيرات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية ، و...

<sup>1</sup> فيك جورج وبول ويلدينج . العولمة والرعاية الإنسانية . ترجمة طلعت السروجي . المجلس الأعلى للثقافة ( المشروع القومي للترجمة ) . القاهرة . 2005 . ص ص 19 - 37 .

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق . ص 22 .

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق . ص 24 .

بنفس القدر ، ويجنحون أحيانا إلى انتقادها - بدرجات متفاوتة - محاولتها الهيمنة الثقافية على العالم .

د- **الدوليون المتشككون** : وإذا كانت المقاربات السابقة نوات موقف من العولمة، سواء بالتأييد أو الرفض، ومن ثم يعترفون بوجودها مبدئيا، فإن المنتمين إلى هذه المقاربة " الدوليون " لا يعترفون بوجود العولمة من الأساس على اعتبار أن التطورات الراهنة على مستوى العالم، لم تقض بعد إلى تحول جذري من الحالة الدولية إلى الحالة العولمية .

### 2- 3 - مقارنة ليسلي سكلير ( Leslie Sclair ) :

في تفسيره للعولمة كونها تثير جدلا عالميا واسعا ، يؤكد ليسلي سكلير بأن أدواتها بما تؤديه من ممارسات سياسية وثقافية عابرة للقارات أكثر جدلا من العولمة في حد ذاتها ، ونظرية النظام الكوكبي المطروحة هنا ترى أن الأداة الرئيسية في المجال السياسي هي طبقة رأسمالية عابرة للحدود القومية دائبة على التطور ، فمؤسسات النزعة الاستهلاكية على الصعيد الثقافي -الإيديولوجي ، كما يجري التعبير عنها في وسائل الإعلام العابرة للحدود القومية ، هي الحوامل أو الأدوات الرئيسية في الساحة الثقافية -الإيديولوجية .

بعبارة أخرى ، تقوم الشركات عابرة الحدود القومية بإنتاج السلع مع جملة الخدمات الضرورية لتصنيع هذه السلع وبيعها ، وتقوم الطبقة الرأسمالية العابرة للحدود القومية بإنتاج البيئة السياسية المناسبة لتسويق منتجات هذا البلد بنجاح في ذلك ، أما النزعة الاستهلاكية الثقافية - الإيديولوجية فتنتج جملة القيم والمواقف التي تتمخض عن ، وتديم ، الحاجة إلى المنتجات ، فالشركات العابرة للحدود القومية تدس أنفها في سياسة البلدان المضيفة ، والنزعة الاستهلاكية الثقافية - الإيديولوجية تنتشر في الغالب عبر الشركات العابرة للحدود القومية المنخرطة في ميادين وسائل الإعلام الجماهيرية والإعلان .

إن الأطروحة التي تستند إليها هذه الأداة النظرية ، والتي تعتمد عليها أية نظرية قابلة للحياة عن النظام الكوكبي هي الأطروحة التي تقول إن الرأسمالية تتغير نوعيا ، وتتحول من نظام دولي إلى نظام كوكبي ، ورغم أن هناك حركة دائبة على مقاومة العولمة ، وعلى الرغم من وضوح عدم اختفاء الدولة القومية ، إلا العولمة باتت تصور بوصفها أولى أربع ثورات تجارية ( أعمالية إن صح التعبير ) جارية بصورة متزامنة ، حيث الثورات الثلاث الأخرى هي

الحواشيب ، والإدارة المرنة واقتصاد المعلومات ، ومن ثم فإن هناك ما يكفي من التأييد العام للأطروحة التي تقول بأن النظام الرأسمالي عاكف على الدخول في شيء يشبه حقبة كوكبية<sup>1</sup> . وبدوره صنف ليسلي سكلير المقاربات النظرية للعولمة إلى أربع رئيسية، اشتق مسمياتها من نفس المسميات التي أطلقها عليها أصحابها والمنتمين إليها، وقد جاءت على النحو التالي :

أ- **مقاربة النظم العالمية:** والقائمة على أساس مساهمة ( ايمانويل والبرشتاين ) التي قدمها عقد السبعينات من القرن العشرين، وقسم خلالها الدول إلى مركزية، ومحيطية، وشبه محيطية، في إطار النظام الرأسمالي العالمي .  
وينتقد سكلير منظري هذه المقاربة لغلبة توجهاتهم الاقتصادية، ولارتكاز تحليلاتهم على الدولة القومية، التي انتهى زمانها من وجهة نظره، وكذا استخدامهم مفهومي الكوكبي والدولي بشكل تبادلي دون تمييز .

ب- **مقاربة الثقافة الكوكبية:** ومن أبرز روادها أنتوني جيدنز ورونالد روبرتسون ، وهم -الرواد- يتجهون نحو جعل المتغير الثقافي متقدما في الصدارة، سابقا على السياسي والاقتصادي. كما أن بينهم اهتمام مشترك بالتساؤل بشأن كيف تظل هوية الفرد والأمة باقية وحية في مواجهة الثقافة الكوكبية "البازغة" .  
ومن أبرز مساهماتهم - في هذا الصدد - طرحهم لمفهوم "العولمية Glocalization"، والذي أنصب على تبين وفهم الشبكة المعقدة الضخمة ذات الأوجه المتعددة للعلاقات المحلية-الكوكبية، مع تأكيدهم الواضح على التوجه "المحلي". وينتقدهم سكلير لتركيزهم "الثقافوي" على عملية العولمة .

ج- **مقاربة المجتمع الكوكبي :** تناقش اندثار قوة الدولة القومية، وصعود المؤسسات عبر القومية والكوكبية، وانضغاط الزمان والمكان ، وعلاقة ذلك بالناس في جميع أنحاء العالم ، وينتقدهم سكلير لشموليتهم المفرطة، وتفاؤلهم غير المبرر بالعولمة .

د- **مقاربة الرأسمالية الكوكبية :** ويتبناها سكلير ويدافع عنها، حيث يقرر أن النظام العالمي قد تجاوز خلال السنوات الأخيرة - وبفعل العولمة - مفهوم الدولة القومية ليتحول نحو الكيانات متعددة القومية، حيث يعمل بشكل كلي على ثلاث مستويات من الممارسات متعددة الجنسية "القومية"، الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، وكل ممارسة من هذه الممارسات محكومة " أو مهيمن عليها " من خلال مؤسسة رئيسية تقود خطاها نحو العولمة، حيث نجد أن الشركات

<sup>1</sup> ليسلي سكلير . سوسيولوجيا النظام الكوكبي . مجلد : العولمة الطوفان أم الإنقاذ "الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية . تحرير: فرانك جي لتشنر وجون بولي . ترجمة : فاضل جتكر . المنظمة العربية للترجمة و مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . لبنان . 2004 . ص ص 127 -



متعدية الجنسية هي المحرك الرئيس للممارسات الاقتصادية متعدية الجنسية، والطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية هي المحرك الرئيس للممارسات السياسية متعدية الجنسية، كما أن المحرك الرئيسي للممارسات الأيديولوجية الثقافية متعدية الجنسية يتمثل في الأيديولوجية الثقافية للنزعة الاستهلاكية<sup>1</sup>.

بناء على ما سبق ، وفي محاولة للخروج بتصوير أكثر وضوحا ، يمكن إدماج المقاربات النظرية الأربع للعولمة التي قدمها جورج وويلدينج من ناحية ، وسكلير في ثلاث أساسية ، حيث تدمج في المساهمة الأولى ، مقارنة " المتحمسون للتكنولوجيا " مع مقارنة " البراجماتيون التعدديون " ، فالتكنولوجيا هي إحدى المتغيرات التي من الممكن تضمينها بين المتغيرات المتعددة التي يركز عليها المنتمون إلى المقاربة البراجماتية ، خاصة أن الإطار النظري والمنطلق الإيديولوجي لكلا المقاربتين لا يختلف كثيرا ، فالاختلافات بينهما كمية .

وعلى الجانب الآخر ، نجد أنه من الممكن - إلى حد كبير - دمج مقارنة " النظم العالمية " مع الأخرى الموسومة بمقاربة " الرأسمالية الكوكبية " لدى سكلير ، فمنطلقاتها متشابهة إلى حد بعيد ، حيث التركيز على نقد العولمة الرأسمالية من منظور كلي شامل ، ماركسي في الأساس ، هذا إذا ما تجاوزنا عن اختلافهما حول الموقف من الدولة القومية و دورها الراهن في صدد عملية العولمة كما وكيفا.

وعليه فإنه قد يكون من الملائم تصنيف مقاربات العولمة المتعددة و المختلفة على أساس وجود فريقين رئيسيين ، يضم الفريق الأول المعترفين بالعولمة ، في حين يضم الفريق الآخر غير المعترفين بها والمشككين في وجودها أو كما أسماهم جورج وويلدينج " الدوليون المشككون " .

إلى جانب ذلك فيمكن التمييز في الفريق الأول بين توجهين إيديولوجيين رئيسيين هما :  
الاتجاه الليبرالي والاتجاه اليساري حيث :  
**التوجه الأول :** ينطوي الاتجاه الليبرالي على مساهمات مؤيدي العولمة ، بتنوعاتهم المختلفة ، من المحافظين إلى الإصلاحيين ، حيث هناك من يبذون التأييد المطلق لها كالمتمسكين للتكنولوجيا ، وأصحاب مقاربة المجتمع الكوكبي ، وهناك أيضا من يقبلون العولمة بشكل عام ، وإن كانوا ينتقدون بعض جوانبها خاصة الثقافية ، وهم من أسماهم جورج وويلدينج البراجماتيون التعدديون ، ووردت مساهمتهم لدى سكلير تحت عنوان مقارنة الثقافة الكوكبية .

<sup>1</sup> Leslie sklair. competing conceptions of Globalization. Journal of world – systems research. vol 1999. pp: 149-157 .



**التوجه الثاني :** في حين يضم الاتجاه اليساري مساهمات متعددة لأصحاب توجهات نظرية يسارية ، تطورت تاريخيا في اشتباك نقدي دائم مع الرأسمالية العالمية. وقد أطلق عليهم جورج وويلدنج مسمى : المتشائمون الماركسيون، في حين صنّفهم سكلير ضمن مقاربتين هما : النظم العالمية ، والرأسمالية الكوكبية .

ويعتبر منظرو هذا الاتجاه هم أكثر من انتقد العولمة ، وأماط اللثام عن عيوبها، وعن آثارها الاجتماعية العميقة التي أفرزت - أو تكاد - مجتمعات منمطة السلوك والتوجهات ومختلف أنماط الممارسات .

ورغم كل الاختلافات ، والتباين في وجهات النظر بخصوص إيجابيات العولمة وسلبياتها ، سواء على المستوى النظري أو المنهجي أو الأيديولوجي ، إلا أن كل الاتجاهات تجمع وتتفق على مقولات تتعلق بانكماش العالم وانضغاطه بفعل عوامل وأسباب وبعض المتغيرات التي يجري النقاش حول أولويتها ، إذ أنها قد تكون تكنولوجية وقد تكون اقتصادية أو ثقافية أو إيديولوجية ....

ومن خلال ذلك يمكن الوقوف على الرأي والرأي النقيض ، بخصوص العولمة أي بين الليبراليين واليساريين حيث يرى :

#### • الليبراليون

يمثل الليبراليون بكل أقلامهم ونظرياتهم و.... مدرسة أنصار العولمة ،فهي مدرسة واضحة المعالم والأهداف والتطلعات ، تصوغ أهدافها بشكل يتكيف مع مستجدات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدولية والإقليمية ، إذ لا تكاد تأخذ لها صورة واحدة في مواقف مختلفة ، حتى لو تعلق الأمر بنفس الفاعلين للظاهرة ، فالتكيف الذي حققه أنصار هذه المدرسة مع مختلف الأوضاع وبنفس الدرجة هو في الحقيقة قل نظيره إذا ما قورن بالاتجاهين الآخرين ، فأنصار هذه المدرسة يحملون شعارا ثابتا هو " العولمة وجدت لتبقى " ، حتى لو كان هذا البقاء على حساب اقتصاديات وقوت وأرزاق أمم وهويات وكيانات شعوب ،... وبعبارة أخرى فكتاب هذه المدرسة أو شبه كتابها لا يتساءلون حول وجود العولمة ، أو ما سيكون لها أثر على أمم أخرى في عقود زمنية مقبلة لأنها تمثل بالنسبة لهم :

-التقاء الأذواق وتوحد متزايد بسمح باستخدام المنتجات المعيارية والعمليات الصناعية على المستوى العام .

- اندماج عمليات الشراء والتصنيع بشكل يسمح لهم بالتسوق والتسويق العالميين ، وهذا ما يؤدي إلى كفاءة اقتصادية كبيرة نتيجة انخفاض التكاليف .

- سيطرة أشخاص معينين على صناعات عالمية معينة .
- وجود شركات كبرى تسيطر عليها ثقافة عالمية و بنى فكرية واحدة<sup>1</sup>.

بل وأكثر مما سبق ظل الليبراليون يصرون على مقولات نظرية التحديث ويستندون إليها في تحليلاتهم على اختلاف مناسباتها حيث :

### مقولات نظرية التحديث :

تستند نظرية الأفكار التقليدية للرأسمالية على :

- رفض مراحل تطور المجتمعات التي جاءت بها الماركسية(المشاعية ،العبودية،الإقطاعية ، الرأسمالية والاشتراكية ) ، وطرح بديل عن ذلك وهو : مرحلة التقليدية أو التخلف ومرحلة الحداثة أو التقدم ، بينما المجتمع الإنساني يشكل خطا مستقيما في عبوره من التخلف للتقدم .
- رفض فكرة أن قوى الإنتاج والصراع الطبقي هما محركا التاريخ ، بل أن قوى التحديث الغربية هي التي تغير مؤسسات المجتمع التقليدي وتقدم نموذجا يمكن تقليده ، وتدعم النخبة المحلية التي تهيب الظروف نحو انطلاق التحديث .
- لا يعود سبب تخلف البلدان النامية إلى خضوعها للاستعمار وإنما إلى مؤسساتها التقليدية التي تتميز بالقدرة والغيبية ، والتي تنمي اتجاهات وقيم لا عقلانية لدى الأفراد ، وهي قيم ذات أثر سلبي على التنمية ، من حيث أنها تبعد الأفراد عن الادخار والتفاني في العمل و... وتوجههم بدلا عن ذلك إلى الإغراق في الاستهلاك ، واحتقار العمل اليدوي و...
- كما أن عملية التغيير الاجتماعي التي شهدتها أوروبا من قبل ، والتي اشتملت على التحضر والتصنيع وتحديث الشخصية ، هي نفسها العملية التي تشهدها الآن بلدان الشرق الأوسط العربية\* ، الأمر الذي من شأنه تكرار التجربة الغربية في تحويل المجتمع التقليدي إلى مجتمع حديث .

<sup>1</sup> بول كيركبرايد . العولمة والضعف الخارجية . ترجمة : رياض الأبرش . مكتبة العبيكان . الرياض . المملكة العربية السعودية. 2003 ص33 .  
\* يركز المفكرون عادة في تعريف الحداثة إلى فكرتين أساسيتين هما: فكرة الثورة ضد التقليد، وفكرة مركزية العقل ،...وفي وصف طابع هذه الإشكالية يقول محمد محفوظ: "يبدو أن مصطلح الحداثة وكأنه نص مفتوح على كل مضامين التقدم المعاصر، بحيث أنك لا تفرق بشكل صارم بين مضمون مصطلح الحداثة وبين مضامين مفاهيم التحديث والتقدم والعصرية أو الجديد. ويمتد التداخل ليشمل المعايير والقيم وأنماط السلوك واللباس وطرز السكن أي كل مناحي الحياة في آخر المطاف" ، ويتميز مفهوم الحداثة Modernity عن مفهوم التحديث Modernization في اللغتين الفرنسية والإنكليزية. فالحداثة هي موقف عقلي تجاه مسألة المعرفة وإزاء المناهج التي يستخدمها العقل في التوصل إلى معرفة ملموسة. أما التحديث Modernization فهو عملية استجلاب التقنية والمخترعات الحديثة حيث توظف هذه التقنيات في الحياة الاجتماعية دون إحداث أي تغيير عقلي أو ذهني للإنسان من الكون والعالم. فأنصار التيارات السلفية المتطرفة يوجدون في المعاهد العلمية ويتعاملون مع التقنية الحديثة دون أن يأخذوا بالروح العلمية أو الفلسفية لهذه التقنية. ومن أجل أن نفهم جوهر الحداثة يتوجب علينا أن ندركها كطاقة مجددة متحركة منطلقة تتمثل الماضي والحاضر وتعيد إنتاجهما بروح مستقبلية جديدة.

والتحديث في التجربة العربية يأخذ طابع المحاكاة الجوفاء لمظاهر المدنية في الغرب ونماذج الحضارية وهذه المظاهر لا تتم عن حالة حضارية أو حداثة تنبثق من صميم المجتمع وتتكون في رحم الحضاري. وغالبا ما يظهر أن هذه النماذج الحضارية تتعارض مع النسق الحضاري العربي في أصوله وتجلياته الذاتية. وهذا يعني أن استجلاب مظاهر الحداثة من الغرب قد يؤدي إلى مزيد من الضياع والاحتضار. وقد يعني ذلك، وهذه هي الحالة على الأغلب في عالمنا العربي، تعايش منظومتين اجتماعيتين متنافرتين في آن واحد هما: مجتمع تقليدي يمارس حياته وفق معايير وقيم

- تمر مجتمعات الشرق الأوسط والبلدان النامية بمرحلة انتقالية ، وهي مرحلة تأتي عادة عقب ابتعاد المجتمعات عن الحالة التقليدية ، وترافق دخولها إلى العالم الحديث المصنع ، وتتميز هذه المرحلة الانتقالية بوجود المؤسسات التقليدية والحديثة جنباً إلى جنب ، لتزول التقليدية بالتدرج إلى أن تنمحي .

- كل المجتمعات الإنسانية بما أنها تخضع لنفس عمليات التغيير - ستصل إلة وضع حضاري يشبه وضع المجتمع الصناعي الغربي ، حيث سيادة العلمانية والعقلانية المرتبطة بالنظام الصناعي الذي يفرض علاقاته البرجماتية المميزة .

- آلية التنمية الأساسية هي السوق ، وليس التخطيط من قبل الدولة ، ولذلك فإن القضاء على مشكلة التخلف ينبغي إعطاء الحرية كاملة للقطاع الخاص حتى يستثمر ، باستخدام التقنيات الحديثة لرفع الكفاية الإنتاجية ، واستخدام الأرباح المحققة لمزيد من الاستثمارات .  
- المشاركة الشعبية غير مطلوبة في الدول النامية لتحقيق النمو ، وإنما يكفي ازدياد عدد الأشخاص الذين يتميزون بالشخصية الإنجازية لتحقيق التقدم الاقتصادي<sup>1</sup> .

#### • اليساريون :

خالفاً للمشككين ، لا يتساءل اليساريون عن وجود نظام عالمي جديد من صنع العولمة ، لأنهم متأكدون من وجوده ، ولكنهم ينتقدون ويعارضون نتائجها ، ولذلك فهم يرون أن العولمة أمر لا يمكن مقاومته ، وإنما يجب الحد من استراتيجية الهيمنة التي تنتهجها ، والتي تمارسها الشركات متعددة الجنسيات بدون شفافية ولا رؤية ديمقراطية ، كما تبرز في جدلياتهم بعض المؤسسات الدولية كمنظمة التجارة العالمية ، والبنك الدولي ، و... كمؤسسات تسعى علناً لتحقيق أهداف أيديولوجية تحت شعار الترويج الحر والحيادي للتنمية الاقتصادية والتجارة .  
ويعارض المعادون العولمة ويرفضونها تحت طائلة الحجج التي تتمثل فيما يلي :

تقليدية، ومجتمع حدائش يعيش وفق أحدث المعايير العصرية دون أن يتمثل روح هذه المعايير ويتشرب من تدفقاتها الذاتية. ووفقاً لهذه التصور فإن التحديث العربي في التاريخ المعاصر يأخذ صورة متناقضة مع الحداثة الحقيقية.  
كما يميز محمد أركون في كتابه الإسلام والحداثة بين المفهومين: "فالحداثة موقف للروح أمام مشكلة المعرفة، إنها موقف للروح أمام كل المناهج التي يستخدمها العقل للتوصل إلى معرفة ملموسة للواقع. أما التحديث فهو مجرد إدخال للتقنية والمخترعات الحديثة) بالمعنى الزمني للكلمة) إلى الساحة العربية أو الإسلامية، نقصد إدخال المخترعات الأوروبية الاستهلاكية وإجراء تحديث شكلي أو خارجي، لا يرافقه أي تغيير جذري في موقف العربي المسلم للكون والحياة.

يصف محمد أركون هذا بأمثلة مستمدة من واقع الجزائر والخليج العربي. ففي الجزائر وفي صبيحة الاستقلال عام 1962 انخرطت في التحديث في مجال التصنيع الثقيل وذلك عن طريق استيراد المصانع والمعامل والخبرات، وهذه ليست حداثاً، فالحداثة كانت ممكنة عن طريق بناء المخابر في مجال الفيزياء والكيمياء والرياضيات. وفي الخليج نشاهد الموقف عينه فبلدان الخليج تستورد مظاهر الحداثة المادية من أليات وسيارات وأجهزة وأنابيب النفط ومصافيه وهي آلات ومخترعات كلفت أوروبا مئات السنين من البحث والتجريب العلمي وفي أصل هذه المخترعات تكمن روح ديكارت وفرانسيس بيكون وغاليلو وكوبرنيكوس وأديسون وغيرهم، وهذه هي الروح العلمية روح العلم الحديث التي تمثل جوهر الحداثة. ونحن ننقل مظاهر هذه الروح وليست روح العلم والمعرفة العلمية الحققة. للمزيد انظر : علي أسعد وطفة. مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة .

http://www.alimbaratur.com/index.php?option=com\_content&view=category&id=19:2010-08-07-22-53-2012/04/03 . 42&layout=blog&Itemid=21

<sup>1</sup> مجد الدين خمّس . مرجع سبق ذكره . ص ص 191 - 193 .

- العولمة تكون نوعا من عدم المساواة وتزيد من اللامعادلة ، إذ وعلى ما هو معروف منذ أكثر بقليل من 150 سنة الماضية كانت مناطق العالم متشابهة في درجة تقدمها ، وبعد ذلك نقلت العبودية والاستعمار والعولمة الثروة من الجنوب إلى الشمال ببطء وتدرج ، وبمرور الزمن أصبح 20 % من سكان العالم يحصلون على نحو 83 % من دخل العالم .

- التنمية العالمية ليست بالضرورة ذات مردود لكل إنسان ، حيث وفي الوقت الذي يجادل أنصار العولمة بأنه إذا زادت معدلات النمو في العالم فإن كل إنسان يمكن أن يستفيد ، تفند التقارير على مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية ... بل وتؤكد أنه كلما زادت الدول الغنية غنى زادت الفقيرة فقرا وسوءا .

- أما بالنسبة للمؤسسات الدولية الرئيسية\* ، والمتمثلة في البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية ، فهي لا تسعى إلى التنمية والتطوير كما يقولون ، ولكنها تسعى إلى تكريس الاستعمار في ثوب جديد ، من خلال اعتمادها على عمليات وقروض البنك الدولي ، وسعيها الدائب لتكوين ديون تتراكم على الدول النامية ، وتنتج هذه المؤسسات ما يسمى " طاحونة الاستثمار بالديون " ، ويؤكد اليساريون المتابعون لعورات العولمة بأن صفات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي كانت ذات آثار فاجعة ، فسياسات إعادة الهيكلة لهاتين المؤسستين تهدف إلى تمكين هذه الدول من دفع ديونها على حساب ازدياد الفقر واستغلال القوى المحلية وتراجع الخدمات الاجتماعية وإضعاف المقدرة على تطوير الاقتصاد المحلي ، من جهة أخرى فإن السياسات المبنية عليها هذه المؤسسات معادية للبيئة ، فهي تعتمد على استغلال المصادر الطبيعية بقطع الغابات وتسميد شديد للتربة لإنتاج مواد لازمة للتصدير ، وجرف التربة لإنتاج المعادن بسرعة أكبر ، واستغلال وليس استثمار أحواض السمك والبحار الإقليمية والمياه العميقة من أجل الإنتاج .

وعلى أساس هذه الحجج يصوغ اليساريون وجهة نظرهم إزاء العولمة فيما يلي :

- العولمة تمثل شكلا جديدا من أشكال الاستغلال الاستعماري .
- الحكومات الوطنية استبدلت من قبل المعتدين الاستعماريين بمؤسسات عالمية وشركات متعددة الجنسية .
- أهم القوى الدافعة للعولمة في عالمنا اليوم هي رأسمالية السوق الحرة وتحرير التجارة وديون العالم الثالث .

\* تعتبر هذه المؤسسات إحدى أهم أدوات النظام الليبرالي والعولمة بشكل خاص ، ....

- وسيكون نتاج النقاط السابقة تكوين نخبة اقتصادية عالمية تتجاوز مصالحها الحدود الوطنية ، وبروليتاريا عالمية مهمشة .

كما أبدع المنظرون اليساريون في صياغة النظرية التي تعبر عن توجهاتهم ، وتتناول مختلف القضايا المرتبطة بالعلاقة بين المركز والأطراف ، وهي:

### نظرية التبعية :

التي تفسر التخلف وعدم النمو في البلدان النامية من خلال مفهوم التبعية للغرب الرأسمالي ، حيث ترى أن التخلف وعدم النمو في البلدان النامية يعود إلى الشروط اللامتكافئة للعلاقة بين هذه البلدان وبين الغرب الرأسمالي ، وهي شروط تعمل على استمرار استنزاف الفائض من البلدان النامية ، وعدم السماح بتراكمه في هذه البلدان ويبدو ذلك بشكل خاص من خلال فهم دوس سانتوس للتبعية فهي : حالة تكشف أن اقتصاد بعض الدول يرتبط بنمو اقتصاد دولة أو دول أخرى وتوسعها ، إذ تأخذ علاقة التشابك بين اقتصاد دولتين ، أو أكثر ، وبينها وبين التجارة الدولية صفة التبعية عندما تستطيع بعض الدول المهيمنة ، أو المسيطرة أن تتسع وتنمو ذاتيا ، في حين أن الدول الأخرى التابعة لا تستطيع أن تفعل ذلك إلا كانعكاس لتوسع ونمو الاقتصاد المهيمن .

وتعد مقولات نظرية التبعية رفضا لنظرية التحديث ، ذلك أن نظرية التحديث تسعى لإعادة إنتاج التجربة الرأسمالية الغربية في بلدان العالم الثالث دون اهتمام بالخصوصية البنائية الثقافية لهذه البلدان .

ويقدم منظرو نظرية التبعية المقولات الأساسية لهذه النظرية والمتمثلة في :

- الأقاليم شديدة التخلف اليوم هي تلك التي كانت على علاقة وثيقة مع مراكز النظام العالمي إبان تشكل هذا النظام في القرن السادس عشر .

- يؤدي تركيز الدول الصناعية على الحصول على المواد الخام بأسعار رخيصة من الدول النامية إلى نشوء ما يعرف باسم "الاقتصاد الثنائي" فيها ، أي وجود شريحة اقتصادية محدودة تتميز بالكفاية التكنولوجية ، بينما تبقى البنية الاقتصادية للدول النامية على درجة كبيرة من التقليدية في أساليب العمل وأدواته ، في حين توجه الشريحة الحديثة قدراتها المتميزة للأسواق الخارجية وتزدهر باستمرار نتيجة لذلك ، تبقى أجزاء البنية الاقتصادية عاجزة عن سد الحاجات المحلية المتزايدة .

- يتواطأ رأسماليو الدول النامية مع رأسماليي المراكز العالمية الغربية لتحقيق مصالحهم

المشتركة على حساب تطور الدول النامية وتقدمها ، فهم يعملون على ربط السوق المحلي بالسوق العالمي باستمرار ويعملون على عقلنة واقع التنمية لضمان الحصول على الدعم والتأييد الشعبي والسياسي لهذا الواقع .

- لا يؤدي وجود الشركات المتعددة الجنسيات في البلدان النامية إلى نمو هذه البلدان لأن هذه الشركات العملاقة تقوم بتحويل أغلب أرباحها إلى مراكزها الأصلية في البلدان المتقدمة ، وهي لا تستثمر في البلدان النامية إلا نسبة ضئيلة من الأرباح التي تحصل عليها من البلدان النامية .

- هناك سقف للتنمية في البلدان النامية لا يمكن تجاوزه ، وبالتالي فإن هذه البلدان حتى وإن استطاعت تحقيق درجة من النمو الاقتصادي والاجتماعي لا يمكن أن تصل إلى مستوى البلدان الصناعية المتقدمة التي تعمل باستمرار على إبقاء البلدان النامية في وضع التابع حتى وإن تطلب ذلك استعمال المقاطعة الاقتصادية ، أو القوة العسكرية<sup>1</sup> .

من كل ما سبق حول محاولة اختزال الواقع الاجتماعي والممارسات اليومية - بكل ما يكتنفها من سلوكات وأفكار وعقائد واتجاهات ومعايير وقيم و...- على صعيد العلاقة بين العالمي والمحلي، في قوالب سوسولوجية بعبارات مجردة سميت بالمقاربات النظرية ، يمكن الوقوف على ماهية العولمة انطلاقاً من وظائفها أو من تجلياتها أو من نطاق تواجدها على أرض الواقع حيث :

### ثانياً : ماهية العولمة

العولمة هي ترجمة لكلمة Globalisation المشتقة من كلمة Globe أي الكرة ، و المقصود هنا الكرة الأرضية ، و يتحدث علماء الاجتماع في مجال التحديث عن " Global Cultur " أي الثقافة العالمية والـ " Globalization " اصطلاحاً باللغة اللاتينية تدل على مشروع لمركزة العالم في حضارة واحدة ، كما ويعتبر المصطلح مرادفاً لصفة العالمية Mondiale (يترجم مصطلح العولمة إلى الفرنسية Mondialisation )، و يستعمل للدلالة عن الحركة و النشاط الذي يستهدف توجيه العالم ، وأما في اللغة العربية فيمكن قياس كلمة عولمة على وزن فوعلة ، وعولم على وزن فوعل ، بمعنى قولب ، أي أعطى شيئاً معيناً ميزات جديدة وفق نموذج محدد و مضبوط ، أو حوا شيئاً من وضع إلى وضع آخر بناء على

<sup>1</sup> مجد الدين خمّش . مرجع سبق ذكره . ص ص 193 - 194 .

نمط جاهز و معد مسبقا، بينما يشير معجم ويبسترز Webster's إلى العولمة كونها تعني اكتساب الشيء طابع العالمية ، و بخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميا<sup>1</sup> .

و مفهوما ، تشير العولمة إلى شيئين معا : انكماش العالم و ازدياد الوعي بالعالم ككل ، و حسب تعريف رونالد روبرتسون للعولمة فإنها تعني تشكيل و بلورة العالم بوصفه موقفا واحدا و ظهورا لحالة إنسانية عالمية واحدة<sup>2</sup> ، أي إزالة الحدود الاقتصادية والعلمية و المعرفية بين كل التجمعات الإنسانية بتقليص المسافة فيما بينها ، سواء تعلق الأمر بانتقال الأشخاص أو السلع و الخدمات أو رؤوس الأموال ، أو المعلومات و الأفكار و القيم ، الأمر الذي يجعل العالم أشبه بسوق كبيرة تضم عدة أسواق فرعية ، و تتميز بسمات تلك السوق الضخمة ، وهي و إن كانت تذلل صعوبات التواصل بين مختلف الشعوب باختزالها المسافات و كسرهما الحواجز ، فالعولمة تسمح بمرور كل شيء حتى الممنوعة منها كالمخدرات مادامت تدر ربحا على السوق الكبيرة الواقعة في قلب العالم ، حتى الأوبئة أصبح مسموحا لها دخول عالم العولمة ( انفونزا الطيور ، الأيدز ، جنون البقر ،انفلونزا الخنازير...) فهي تظهر في بلد و ينال جزاء ظهورها كل العالم ، فالعولمة إذن هي عملية كلية مندمجة الأبعاد و الآليات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية ، لأنها تعبر عن مرحلة تاريخية مكملة للحدث أو هي الحادثة في حلة جديدة ، تتجلى فيها ظواهر اقتصادية وسياسية تعزز إلى أقصى حد القيم الأمريكية في حين تحدث خلخلة في منظومة القيم للمجتمعات الأخرى بواسطة تكنولوجيا هي أحدث ما توصل إليه العقل البشري . وقد رصد السيد ياسين أربع فئات في كتابه " العولمة والطريق الثالث " <sup>3</sup> يمكن أن نقف من خلالها على ماهية العولمة وهي :

- 1- أن العولمة حقبة تاريخية مكملة للحدث وترتكز على نفس مبادئها ولكن في حلة جديدة ، ذلك أن الحادثة كانت ظاهرة عننت التغيير في النظام السياسي ، من النظام الملكي إلى النظام الديمقراطي ، الذي يقوم على سلطة الشعب والمجالس الممثلة للشعب ، واعتماد الليبرالية نظاما اقتصاديا ، و المساواة بين الجنسين على الصعيد الاجتماعي و إلزامية التعليم للأطفال والانتقال من نموذج الجماعات والطوائف الدينية المتحاربة إلى المواطن ، و تذويب الطوائف والأديان في بوتقة مدنية علمانية واحدة ، لا تميز فيها على أساس عرقي أو ديني أو عملي ، وبهذا تكون علاقة المواطن بالدولة لا بسلطة أخرى .
- 2 - أن العولمة يتجلى فيها البعد الاقتصادي أكثر من غيره و هو مفتاحها لغزو العالم غير

<sup>1</sup> العيد صالح. العولمة و السيادة الوطنية المستحيلة . دار الخلدونية للنشر و التوزيع . الجزائر 2006 . ص 58 .

<sup>2</sup> بركات محمد مراد . ظاهرة العولمة رؤية نقدية . وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية . قطر . 2001 . ص 91 .

<sup>3</sup> السيد ياسين . العولمة و الطريق الثالث . ميريت للنشر . القاهرة . 1999 . ص 9 .



المعولم عبر هيمنة الشركات على كل أسواق العالم و احتكارها للمجال الأكثر وفرة في الموارد الطبيعية و الأكثر إستراتيجية في الموقع ، وحسب سمير أمين فإنه ليس هناك أي جديد في العولمة إنها شكل من الاستعمار أو موجة ثالثة من التوسع الاستعماري لا تختلف في أهدافها عن الموجات السابقة ، ذلك أن أهداف رأس المال المهيمن للشركات العملاقة متعددة الجنسيات تظل هي هي ، أي السيطرة على الأسواق و غزو موارد الكوكب والاستفادة من مزيد من استغلال العمل في الأطراف .

3 - أن العولمة هي هيمنة وانتصار للقيم الأمريكية على خلفية الانتصار السياسي والاقتصادي وإبداء القوة في كل المجالات، فقد ظهرت القيم الأمريكية تغزو العالم بما لها وما عليها من محاسن و مساوئ و تناقضات ، رغم الغربة التي تشكو منها داخل المجتمع الأمريكي ذاته ، إلا أنها تسعى لنقل غربتها وتناقضاتها إلى كل المجتمعات المغلوب على أمرها ، فالمغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب ، رغم ما للقيم من أهمية لدى بعض المجتمعات خاصة المجتمعات العربية الإسلامية ، حيث تعد القيم محددًا جوهريًا من محددات السلوك الإنساني ، إذ تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها ، وتعتبر القيم في المجتمعات المحلية من الوسائل المميزة لأنماط الحياة الاجتماعية ، فهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بدوافع السلوك وأهداف الأفراد و تصرفاتهم و ردود أفعالهم التي تنعكس علائقيا وحيزيا<sup>1</sup> .

4 - أن العولمة ثورة اجتماعية و تكنولوجية ، حيث صاحب ظهور هذا المفهوم أكبر ثورة معرفية في تاريخ الإنسان ، و يعتقد برهان غليون أن العولمة تحمل مخاطر هيمنة أقوى نفوذا وأثرا من الاستعمار التقليدي لأنها بالضبط لا تستخدم الطرق العنيفة التي استخدمها ولكنها تعتمد على قبول الناس وسعيهم إليها وإلى الاندماج فيها، كما تخاطب عقولهم ومخيلاتهم ، قبل أن تتعامل مع مواردهم الطبيعية<sup>2</sup> ، حيث تغطي مشاريعها وتضفي عليها مشروعية بخطابات تدغدغ بها شعوب العالم كنشر الديمقراطية واحترام حقوق الشعوب ونبذ الديماغوجية\* وبذلك تتيح التدخل باسم مبادئ إنسانية ، وتمثل شبكة الانترنت الأسلوب الإعلامي الأمثل للوصول إلى كل الشعوب دون إرادة أو إذن أو حتى رأي من الأنظمة المحلية بصرف النظر عن الحدود السياسية والخصوصيات الثقافية. ذلك لأنها شبكة عملاقة من الحواسيب المتشابكة ، حيث يستطيع أيًا كان وصل حاسوبه بها ، من مؤسسات حكومية أو تعليمية ، أو وكالات أو صناعات

<sup>1</sup> حميد خروف و آخرون. الإشكالات النظرية و الواقع (مجتمع المدينة نموذجًا) . منشورات جامعة منتوري . قسنطينة. 1999. ص 86 .

<sup>2</sup> برهان غليون و سمير أمين . ثقافة العولمة و عولمة الثقافة . ط 3 . دار الفكر سورية و دار الفكر المعاصر لبنان . 2002 . ص 134 .  
\* الديماغوجية : سياسة تملق الجماهير ، و يقصد به الاتجاه الانتهازي للحكام للسيطرة على جماهير الشعب غير المثقفة ، فيتحدث من يتجهون هذا الاتجاه عن المشروعات الاقتصادية و الاجتماعية على أساس كاذب ، و ينتهزون فرصة القلاقل الاجتماعية و اليأس بالالتجاء إلى التحيز والتحمل



أو أفراد ، ليتمكن المشترك من الاستفادة من المعلومات التي يعرضها المشتركون بهذه الشبكة ، كما يمكن اليوم لجميع سكان الأرض القادرين دفع الثمن ، الارتباط من خلال الصحن الهوائي بالقنوات التلفزية ذاتها الموجودة في كل العالم ، والتي تتوجه في بثها لجمهور عالمي أو معولم أكثر فأكثر لا لجمهور محلي .

فأحد مشاهير علماء السياسة الأمريكيين جيمس روزناو في محاولته لتعريف العولمة، يحدد ثلاثة أبعاد لا بد من أخذها بعين الاعتبار ، يتعلق أولها بانتشار المعلومات على نطاق واسع ، و ثانيها تذويب الحدود بين الدول ، أما البعد الثالث فيتمثل في زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات .

ويبين روزناو بأن آليات وطرق العولمة الثقافية سلمية الطابع ، وطوعية الجوهر ، وهي تتمثل في التفاعل الحواري ثنائي الاتجاه باستخدام تقنية الاتصال والمعلوماتية ، والاتصال الأحادي عن طريق الطبقة الوسطى ، والمحاكاة والتقليد بين الدول والشعوب ، إضافة إلى المنافسة التي تؤدي إلى استخدام طرق وتقنيات متشابهة ، وبخاصة في المنافسات التجارية والمنافسات الرياضية والعلمية ، وتمائل المؤسسات وبخاصة في المجالات المالية والتسويقية والعلمية والسياسية والإدارية .

وهذه العمليات ، إضافة إلى الآليات والطرق المتشابهة في إنجاز الأعمال تؤدي إلى نتائج إيجابية في عديد من المجتمعات والثقافات ، وقد تؤدي إلى نتائج سلبية في ثقافات أخرى ، وبخاصة المغلقة منها <sup>1</sup>.

من جهة أخرى لم يعد باستطاعة العالم اليوم أن يتحدث على طريقة لينين في الاقتسام الجغرافي للكرة الأرضية إلى مناطق نفوذ وسيطرة امبريالية واضحة المعالم ، إلى هذا الحد أو ذلك ، إذ أن نمو حركية رأس المال وتطور المعلوماتية الإنتاجية الجديدة اديا إلى حركية وسيولة مرافقة في قواعد التراكم والاستغلال الاقتصادية ، بإمكان رأس المال الآن الاستمرار في الاستغلال المباشر للعمل في عدد متنوع من التشكيلات الاجتماعية في اللحظة ذاتها ، وفي ظل شروط تختلف اختلافا كبيرا فيما بينها <sup>2</sup>.

بينما يعتقد محمد عابد الجابري أن العولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي ، بل إيديولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم ، فهي نفي للآخر ، وإحلال للاختراق الثقافي على الصراع الأيديولوجي ، حيث كانت الأيديولوجيا هي التي تطبع الحرب الباردة ، أما الآن - في عصر العولمة - فقد سادت بدائل أخرى تأخذ تارة نكهة اقتصادية و تارات أخرى ثقافية

<sup>1</sup> جيمس روزناو . ديناميكية العولمة : نحو صياغة علمية . مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية . القاهرة . مصر . 1999 . ص13 .

<sup>2</sup> Konstantinos Tsoukalas. Globalization and the Executive Committee . The Socialist Register . 1999. p58.

، أو كليهما معا ، وهي - أي العولمة - تعني الآن، في المجال السياسي منظورا إليه من زاوية الجغرافيا ( الجيوبوليتيك ) ، العمل على نمط حضاري يخص بلدا بعينه ، و هي الولايات المتحدة الأمريكية بالذات ، على بلدان العالم أجمع ، إنها ليست مجرد آلية من آليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي ، بل إنها أيضا و بالدرجة الأولى دعوة إلى تبني نموذج معين . و بعبارة أخرى ، فالعولمة إلى جانب أنها تعكس مظهرا أساسيا من مظاهر التطور الحضاري الذي يشهده عصرنا ، هي أيضا إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة الأمريكية على العالم و أمركته<sup>1</sup>.

فالعولمة إذن تختلف عن العالمية حسب الجابري - كما أوردها علي غربي - من حيث أن العالمية ( Universalism ) تعني طموحا نحو الارتقاء بالخصوصية إلى مستوى عالمي ، ومن ثم فهي تفتح العالم على ما هو عالمي و كوني ، أما العولمة Globalization فهي إقصاء لكل ما هو خصوصي و بالتالي فرض لإرادة الهيمنة .

و العولمة في نظر سمير أمين هي صعود الهيمنة الأمريكية العالمية ، و هي ليست في العمق إلا إستراتيجية تحقيق هذه الهيمنة ، حتى في مواجهة الدول الصناعية الكبرى التي تتقاسم معها جزء من الكعكة المهيمنة<sup>2</sup>.

بينما يصفها الطيب تزيني بأنها نظام اقتصادي سياسي اجتماعي وثقافي يسعى إلى ابتلاع الأشياء و البشر في سبيل تمثلمهم و هضمهم وإخراجهم سلعا .

### ثالثا: النسق العولمي : الأفكار والمبادئ

#### 1- أفكار النسق العولمي

هذا النسق العولمي ، وكأي نسق آخر يحظى بقسط من ثبات البنيان والرؤى والأفكار والوظائف والأدوار، وبقدر ما تتال منه عوامل التغيير وضرورات التكيف ، وطبيعة المصالح ،... يتغير بل ويعدل ويقوم ويتماشى ويتكيف ليحافظ على الاستمرار والبقاء ، ليحافظ على سلطة عالم الشمال المهيمن على الجنوب ، ويمهد بذلك الطريق لثقافة الغرب لتكتسح ثقافة الشرق بكل حضاراته ، ...إنه التغيير والثبات والاستمرار ، خصائص ثلاث تكتنف العولمة أينما ولت وجهها ، وأينما مدت أذرعاها ، وكيفما تلونت أبعادها ، فالعولمة هي العولمة الوريث الشرعي للنظام الرأسمالي ، وجدت لتبقى بكل الوسائل والأدوات الاستمولوجية منها

<sup>1</sup> علي غربي . مجلة الباحث الاجتماعي . منشورات جامعة منتوري . قسنطينة . 1999 . ص ص 12 ، 15 .  
<sup>2</sup> برهان غليون وسمير أمين . عولمة الثقافة و ثقافة العولمة . ص 132

والإمبريقية ، فقد نظر لبقائها فرنسيس فوكوياما ، وأزاح من أمامها الحضارات المنافسة ، لا بل وسفه كل منتج حضاري هو ندا لها صموئيل هنتنغتون ،... كل هذا لصناعة إعادة الصياغة والتكوين لكل المجتمعات على اختلاف أجناسها وألوانها ومواردها الطبيعية ، ويبدو أن الإستراتيجية التي ظلت حاضرة في كل المواقف والمناسبات هي سعي القوى العظمى الحثيث باسم العولمة إلى إعادة تشكيل بعض الأعراف الدولية المستقرة حتى الآن في التعامل بين الأمم، وذلك بإعادة تعريف وتقنين المفاهيم التي سادت العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، مثل مفهوم (الدولة)، و(السيادة) وغيرهما، لتتفق مع المصالح والأطماع المتزايدة لتلك القوى. ويبدو أن أهم أداة ساعدت في تجسيد تلك الإستراتيجية هي التكنولوجيا متسارعة التطور ، الأمر الذي مكن للفلسفات العلمانية التي ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين ، - ولا سيما العلمنة وفلسفة التحرر والفلسفة الاجتماعية - من تشكيل ونشر الثقافة العلمانية إلى كل مجتمعات العالم تقريبا ، الأمر الذي أفرز شعارا جديدا عم أرجاء الفكر العالمي وهو " فكر عالميا واعمل محليا " .

والحقيقة أن تحليل خطاب الفكر الغربي المعاصر هو من الصعوبة بمكان ، حيث يصعب الفصل بين آليات هذا الفكر الغربي ومنطلقاته الفكرية والسياسية ، فكل منهما يحتوي الآخر ويدل عليه ، ففي خطاب صدام الحضارات يظهران متداخلين إلى درجة التوحد ، ويبدو ذلك من خلال جملة من الأفكار نسوقها انطلاقا من فكرة صدام الحضارات لصموئيل هنتنغتون والتي يتكئ عليها الغربيون إلى أبعد الحدود في سبيل تبرير وتسويق مختلف مقولات العولمة حيث :

الافتراض الأساسي في خطاب صدام الحضارات هو أن الثقافة أو الهوية الثقافية والتي في أوسع معانيها الهوية الحضارية ، هي التي تشكل نماذج التماسك والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة ، فأكثر الصراعات انتشارا وأهمية وخطورة لن تكون بين طبقات غنية وفقيرة ، أو جماعات متميزة على أسس اقتصادية ، وإنما بين شعوب ذات هويات ثقافية مختلفة ، فعالم ما بعد الحرب الباردة - حسب هذا الخطاب - عالم يتكون من سبع أو ثماني حضارات هي : الحضارة الغربية وتضم النموذجين الأوروبي والأمريكي وبعض الدول التي استوطنها الأوروبيون كأستراليا ونيوزيلندا ، الحضارة الكونفوشية أو الصينية ، والحضارة اليابانية ، والحضارة الهندوسية والحضارة الأرثوذكسية ، وحضارة أمريكا اللاتينية ، والحضارة الإفريقية والحضارة الإسلامية ، بينما الحضارتان اللتان لا يمكنها الاندماج مع الحضارة الغربية هما : الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية .

الغريب في هذا الخطاب أنه لم يستخدم الديانة كمعيار للتصنيف إلا عندما جاء على ذكر الحضارة الإسلامية ، فالحضارة الغربية نسبة للغرب وهو مجال جغرافي ، والكنفوشيوسية نسبة إلى فيلسوف الصين كونفشيوس ، واليابانية والهندية نسبة إلى بلدين ، والسلافية الأرثوذكسية نسبة إلى عرق ودين ، والحضارة الإفريقية نسبة إلى قارة ، ونفس الشأن بالنسبة لحضارة أمريكا اللاتينية ، والاختيار على هذا النحو يعتبر إخلالا بالمنهجية العلمية ، لأنه كان على هنتنغتون تحديد معيار واحد للتصنيف .

وأهم ما يحاول أن يقنعنا به هذا الفكر هو المركزية الأوروبية المتفردة عن كل الحضارات الأخرى لأنها تتطوي على سمات تؤهلها لذلك ومن بينها :

**الميراث الكلاسيكي :** إن مواريث الغرب من الحضارة الكلاسيكية متعددة ، بما فيها الفلسفة اليونانية والعقلانية والقانون الروماني واللاتينية والمسيحية .

**اللغات الأوربية :** اللغة هي العنصر الثاني بالنسبة لهنتنغتون والتي تأتي بعد الديانة كعنصر للحضارة ، الغرب يختلف عن الحضارات الأخرى في تعدد لغاته ، اليابانية والعربية والهندية معروفة بأنها اللغات الأساسية لحضاراتها .

**فصل السلطة الدينية والديوية :** بالنسبة لهنتنغتون الحضارة الغربية والحضارة الهندوسية ينفصل فيهما الدين عن السياسة ، بينما في الحضارة الإسلامية الله هو القيصر ، وفي الحضارة اليابانية والصينية قيصر هو الله ، بينما في الأرثوذكسية الله الشريك الأكبر للقيصر ، وحسب هنتنغتون انقسام هذه السلطة ساعد على تطور الحرية في الحضارة الغربية .

**التعددية الاجتماعية :** تاريخيا المجتمع الأوربي درج على أن يكون على درجة كبيرة من التعدد .

**الفردية :** إن لخصائص السابقة للحضارة الغربية ساهمت بشكل أو بآخر في انبثاق إحساس من الفردية وتقاليد من الحقوق والحرريات الفردية ، وهو ما يميز الحضارة الغربية عن غيرها من الحضارات .

وبينما يعدد هنتنغتون مساوئ الحضارة الإسلامية ويتحامل عليها ويشوه حقائقها ، يزعم بأن الصدام آت لا محالة بين الحضارة الإسلامية والغربية بناء على جملة عوامل من بينها :

- النمو السكاني للمسلمين يخلق بطالة لعدد كبير من الشباب الذين يضطرون للهجرة للغرب ويمارسون ضغوطا على المجتمعات الغربية .

- الإحياء الإسلامي الذي أعطى للمسلمين الثقة في أهمية حضارتهم وقيمهم مقارنة بتلك التي في الغرب .

- الممارسات الغربية التي تعمل على جعل القيم والمؤسسات الغربية عالمية ، والمحافظة على تفوق الغرب عسكريا واقتصاديا ، والتدخل في صراعات العالم الإسلامي ، خلقت ازدياداً شديداً للغرب من قبل المسلمين .
- الاتصال المتزايد بين المسلمين والغربيين حفز لدى كل منها هويته الخاصة ، وشعوره بالتميز عن الآخر<sup>1</sup>.

## 2 - مبادئ النسق العولمي

**فكر عالمياً واعمل محلياً<sup>2</sup>**: شعار مرفوع من قبل الذين أدركوا تحديات العولمة وتيقنوا من ضرورة التفاعل معها، وفي إطار تحديد عواملها ، يحاول المنظرّون جمع المفاهيم العامة للعولمة حول ثلاثة مبادئ جامعة، يرمي كل منها إلى الأفكار التي وراءها والغايات التي يرمي إليها أصحابها، وهي:

**3-1 - اللامركزية** : ويعني أن أثر العلاقات المتشابكة والمتداخلة بين الأمم لا تقسح مجالاً للدولة الواحدة بالتصرف على أفراد دون المجتمع الدولي. ويرون أن ذلك يصدق حتى في كثير من القضايا الداخلية للدولة المعنية، مثل تلك القضايا المتعلقة بالتجارة وبحقوق الإنسان، بل حتى السياسات التربوية باتت مجالاً للتدخل في شؤون الدول بدعوى مختلفة. ومن خلال هذا المبدأ تتصرف الدول الكبرى وتفرض إرادتها وثقافتها على الشعوب المستضعفة باسم المجتمع الدولي، كما حدث مراراً في محنة العراق وأفغانستان.

**3-2- اللاقطرية** : ويعنون بذلك أن الحدود السياسية المعروفة بين الدول تبدأ في الانحصار والتلاشي أمام الكثير من حقائق العولمة، وقد بدأ فعلاً بالاتصالات والتجارة الإلكترونية، حيث لا حرمة لسيادة الدولة ولا احترام لإرادتها، وتظهر خطورة هذا المبدأ على التربية والتعليم من حيث نقل الأفكار الضارة بالنشء وبالمجتمع إلى داخل الوطن ومن ثم تتفقت العملية التربوية عن الانضباط والسيطرة.

**3-3- الحركة الحرة** : لرؤوس الأموال والأرباح والبضائع (والأفراد على قدر) عبر الحدود، وتحرير السوق ليضبط نفسه بنفسه.

من خلال هذا المبدأ يتم غزو البلاد المستضعفة عن طريق الشركات الكبرى فيصبح

استقلال الدولة وسيادتها في خطر فتضيع إرادتها السياسية وسياستها التربوية.

<sup>1</sup> صموئيل هنتنغتون . صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي . ترجمة : مالك عبيد أبو شهيوه ومحمود محمد خلف . الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان . بنغازي . ليبيا . 1999 . ص ص 13- 39 .

<sup>2</sup> إبراهيم شوقار . فلسفة التربية في عصر العولمة (قراءة نظرية من منظور إسلامي) . ندوة العولمة وأولويات التربية . كلية التربية جامعة الملك سعود . الرياض . المملكة العربية السعودية . 17 ، 18 ، 04/ 2004 .

وهكذا يصبح قانون الحركة الحرة والتنافس الحر هما أهم خاصيتين للعولمة، مما يعني ضمناً إنه لا حياة للضعفاء والمتخاذلين عن ركب العولمة. وهذه صيغة أخرى لقانون تشارلز دارون في الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح، ولكن تختلف عنها في أن التنافس على الحياة في عصر العولمة يقع في مجال العلاقات الإنسانية التي أرشد الله عباده للتعامل فيه وفق ضوابط العقل وقانون الشرع، للسمو بمقام الإنسانية عن درك الأنعام. أما قانون دارون فكان في مجال الحياة الطبيعية.

هذه المفاهيم - أعني اللامركزية واللاقطرية والحركة الحرة-، كما هو ظاهر، عبارة عن مقابلات أو أضداد لمفاهيم سادت إبان نظام (ثنائية القطب) في العلاقات الدولية، وبالتحديد مفهوم المركز والأطراف، ومفهوم الدولة القطرية، ومفهوم السيادة. والغاية من تغيير هذه المفاهيم القديمة هي زعزعة المراكز القانونية المستقرة في العلاقات الدولية لنهب الثروات وإذلال الشعوب. ولحماية هذا المخطط في سياسات العولمة ابتكرت وسائل وأدوات للتطبيع، بعضها في الجانب الاقتصادي، مثل المنظمات التجارية الدولية والإقليمية كمنظمة التجارة الدولية، مجموعة السبعة الكبرى وغيرهما، والبعض الآخر في الجانب السياسي، كتكوين التحالفات والكيانات الكبرى مثل الإتحاد الأوروبي، والحلف الأطلسي وغيرهما.

كل هذه أدوات ووسائل لتنسيق المواقف وحماية المصالح وتنفيذ الأغراض في سوق العولمة ذات المنافسة الحرة، من غير ضبط أخلاقي من قيم السماء أو قانون الفطرة السوية. وإلى جانبها كياناتهم القديمة التي هي بالأصل أدوات لتنفيذ مخططات الدول الكبرى، مثل مجلس الأمن وصندوق النقد الدولي وأمثالهما. هذا باستثناء الشركات العالمية الكبرى المعروفة بالمتعددة الجنسيات، التي هي صاحبة القرار الحقيقي في الدول الكبرى من وراء الكواليس.

### رابعا : النسق العولمي : البناء والوظيفة

تتمثل بنى العولمة في مجمل المؤسسات والهيئات التي تجسد أفكار العولمة، والتي تسمى في مختلف الأدبيات بأدوات العولمة، بينما تتمثل وظائف العولمة في مختلف الأدوار التي تقوم بها بنى العولمة في سبيل عولمة العالم.

#### 1 - أدوات العولمة :

لم تنتشر العولمة بخطابات رنانة على المنابر، ولكنها تمكنت من بسط نفوذها بواسطة العديد من الخطط والأساليب التي مكنتها من تجسيد رغبة الإنسان الطامح للسيطرة عبر التمدد

والانتشار في العالم الفسيح ، فكان أنصارها دائما يجدون غطاء من المشروعية المنطقية والثقافية لتسويق التمدد وبسط النفوذ .

والواقع أن الأمر الذي ساعد كثيرا أنصار العولمة في هذا التمدد هو التطور التقني الكبير الذي لم يكن متوقعا في أوقات سابقة، حيث توصل الإنسان إلى مشاهدة صور تبعد أماكنها عنه بما قياسه نصف محيط الأرض في ثوان معدودة ، وهو الأمر الذي أتاح لكل ذي قوة إمكانات مضاعفة ، وأغرى كل ذي طموح بأن يندفع في اتجاه ما يريد بشهية لا تعرف الارتواء<sup>1</sup> ، وهذه بعض الأدوات التي يستخدمها النظام الرأسمالي في تمرير العولمة وإسباغها على كل العالم :

### 1 - 1 - الشركات متعددة الجنسيات :

هي شركات بلغ عددها نحو 40 ألف شركة تعمل من خلال نحو 200 ألف فرع ، وقد بلغ رصيد استثماراتها 2.7 تريليون دولار عام 1978 ، وتستحوذ على 50% من ذلك الرصيد أكبر 100 شركة عالمية من الشركات متعددة الجنسيات.

بينما تنقسم خمسة بلدان رئيسية هي الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وفرنسا وألمانيا وبريطانيا فيما بينها وحدها 172 شركة من أكبر مائتي شركة في العالم ، وهذه الشركات مسؤولة عن ثلث الناتج العالمي من سلع وخدمات ، و75% من الطاقة العالمية الخاصة بالبحث والتطوير ، وهي تستخدم أكثر من 75 مليون عامل<sup>2</sup> .

وقد ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، حيث خرجت الرأسمالية الصناعية منهكة القوى ، وقد حاولت استعادة نشاطها بعد الخسائر الفادحة التي منيت بها أوروبا ، فكان السبيل الوحيد هو العمل على إزالة كافة العقبات والقيود أمام تحرير التجارة وأسواق المال والأعمال من سيادة الدولة غي سبيل استعادة عمليات العولمة ، وقد ساعد التقدم التقني على تحقيق ذلك ، حيث صارت المعلومات والأموال تنتقل بسرعة البرق، وبهذا ينكشف للمستثمرين الميزات التي يحصلون عليها من خلال عولمة مراكز الإنتاج والتوزيع ، مما أدى إلى ظهور الشركات الكبرى التي تعمل على مد أنشطتها إلى خارج حدود بلادها الأصلية .

### 1 - 2 - المنظمات والاتفاقات :

مع إدراك العالم الغربي لعدم جدوى الاستعمار العسكري بعد الحرب العالمية الثانية ، كان لابد من ابتكار خطط جديدة تمكنه بأداء دور الاستعمار القديم ، ولكن بدون خسائر هذه المرة ، حيث ظهرت في العالم مفاهيم جديدة لاستثمار القوة ، فانتقل حقل استخدام القوة من السياسة واستخدام السلاح إلى المال والأعمال والاستثمار والتنمية الاقتصادية ، وحتى يحافظ

<sup>1</sup> عبد الكريم بكار. العولمة. طبيعتها - وسائلها-تحدياتها - التعامل معها. دار الإعلام للنشر والتوزيع. ط3. عمان. الأردن. 2002. ص65.  
<sup>2</sup> نفس المرجع السابق. ص66.



الغرب على نفوذه ورعاية مصالحه ، أنشأ الأطر والمؤسسات الدولية على المستويات القانونية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، حيث أنشأ على مستوى التمويل للأنشطة والمشروعات الدولية مؤسستين مهمتين هما : صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، وبعدها أنشأ منظمة التجارة الدولية ليستكمل بها الإطار المؤسسي الدولي على الصعيد الاقتصادي ، وقد استغرقت المفاوضات من أجل التوصل إلى اتفاقية "الجات" حوالي نصف قرن ، وقد صيغت اتفاقية "الجات" بطريقة تخدم الأقوياء ، ولا خيار أمام الدول الضعيفة ، حيث كانت اتفاقية الجات الأولى تتيح للدول أن تتحفظ على بعض البنود ، وتوافق على أخرى ، أما الاتفاقية الأخيرة فليس فيها خيار ، فإما أن توافق على مجمل الاتفاقيات ، وإما أن تعد خارجها .

وبهذه الصورة يتم رسم الإطار القانوني لعولمة اقتصاد العالم ، بما يزيد الأقوياء قوة والفقراء ضعفا ، ولا ريب أن هناك استثناءات ولكنها قليلة<sup>1</sup>.

### 1 - 3 - العقوبات الاقتصادية :

في سعيها الحثيث نحو تعميم الرؤى والمعايير الغربية ، لم تعمل مؤسسات النسق العولمي على تسهيل تدفق الاستثمارات الغربية إلى أرجاء الأرض فحسب بل عملت على حمل العالم على الانصياع لها ، عن طريق المنظمات الدولية - خاصة الولايات المتحدة الأمريكية- لتحقيق ذلك ، وإذا لم الأمر ممكنا فلا مانع من سن العقوبات على نحو منفرد ، ولأن أمريكا هي الأكثر تأثيرا في العالم اليوم ، فإنها في الغالب هي من يقوم بهذا العمل ، حتى لو ألحق هذا العمل الضرر بها ، بحجج متعددة من بينها : انتهاك حقوق الإنسان ، مكافحة الإرهاب ، الحيلولة دون انتشار الأسلحة النووية ، حقوق العمال ومحاربة المخدرات وحماية البيئة ، ...بل إن هناك مشروع قانون اسمه " قانون التحرر من الاضطهاد الديني " صدر عام 1997 ، وهو قانون مثير للجدل ، حيث يكشف في تفاصيله عن أن أمريكا قادرة على إيجاد الذرائع للتدخل والبطش بالآخرين إلى ما لا نهاية ، ولو أن ذلك القانون أقر وطبق ، فإن ذلك سيعني شكلا متقدما من أشكال العولمة ، لأنه سيمنح لأمريكا الحق بالتدخل في الكثير مما كان يعد خصوصيات ثقافية وشؤونا محلية .

### 1 - 4 - شبكة الانترنت :

<sup>1</sup> عبد الكريم بكار . مرجع سبق ذكره . ص ص 67-68 .



في البداية كانت العولمة على خط غرينتش ، واليوم العولمة تمتد على طول تكنولوجيا الاتصالات والشبكات المختلفة للمعلومات والألياف الضوئية لتدخل المكان في إطار العولمة لتصبح العولمة المعلوماتية أحداثا تنتشر في إطار زمان محدد لتنتشر عبر مكان معين دون الأخذ في الاعتبار الفوارق المكانية والحدود الجغرافية ، بحيث تبدو العولمة المعلوماتية هي المحرك الأساسي للابتكار التكنولوجي في مجال تكنولوجيات المعلومات<sup>1</sup>.

ربما هي أعظم إبداع بشري منذ الخليقة ، لما لها من خصائص إزالة الحدود وتقريب الأفكار ، فهي توفر وسيلة فعالة لتنفيذ السريع إلى المعلومة ، فقد أمنت انتشارها وتوظيفها على نحو مدهل ، حتى أصبحت أهم الوسائل لتحقيق النزعة الحالية نحو العولمة ، والذين يستخدمون شبكة الانترنت يشكلون في الحقيقة مجتمعا كونيا ، ربما يصبح في المستقبل له تقاليده ومفاهيمه الخاصة ، لأن هذه الشبكة أتاحت التفاعل الحر المباشر بين أعداد ضخمة من الناس ، بصرف النظر عن الحدود الجغرافية واختلاف التوقيت والثقافة ، وإذا كانت السلع المعولمة تحمل طابع النفوذ الاقتصادي ، فإن هذه الشبكة أتاحت عولمة المعلومات والمفاهيم والأفكار ، وهذه أشد تأثيرا في إعادة ترميز الوجود الإنساني ، وإحداث التحولات الفكرية والأخلاقية والسلوكية<sup>2</sup>، وهي بذلك تشكل ايدولوجيا تطرح حدودا أخرى غير مرئية ترسمها الشبكات العالمية بقصد هيمنة السوق والأذواق والفكر والسلوك حتى أطلق عليها أنها رأسمالية تكنولوجية معلوماتية ، ومن منظور معلوماتي فإن العولمة يمكن أن ترى من خلال ثنائية الكون : الزمان والمكان<sup>3</sup>.

وهي في تصاعد مستمر من حيث عدد منتسبيها والمقبلين عليها ، رغم أن ما تسوقه هو مفاهيم غربية ، وأكثر من 98% من المعلومات التي عليها هي بلغات غربية ، وللاجليزية فيها النصيب الأكبر ، وهو الأمر الذي تتسجم تماما مع جوهر العولمة .

### 1 - 5 - وسائل الإعلام :

الإعلام مرتبط بشروط الحياة الإنسانية نفسها، قبل أن يصبح خدمة يدفع من أجلها، حيث إن اللغة والتعبير هما مصدر كل شيء بينما الإعلام جوهرى للحياة الاقتصادية، حيث بدونه، لا يمكن للمقاول أن يتوقع، وبالتالي لا يمكنه أن يتحرك عندئذ، إن سير عمل الأسواق "المواد الأولية" أو المنتجات المالية، لا يمكن أن يتفاعل إلا عن طريق الانتشار السريع للإعلام.

في الوقت نفسه فالإعلام، هو أساس الحياة الديمقراطية، حيث تطمح المجتمعات بـ "تنوير" أكثر وبـ "شفافية" أكثر وإلى رعاية أكثر في الفلك العام، لأن المعركة من أجل حرية التعبير

<sup>1</sup> نعيم ابراهيم الظاهر . إدارة العولمة وأنواعها . عالم الكتب الحديث . اربد . الأردن . 2010 . ص 303 .

<sup>2</sup> عبد الكريم بكار . مرجع سبق ذكره . ص ص 70-71 .

<sup>3</sup> نعيم ابراهيم الظاهر . مرجع سبق ذكره . ص 303 .

هي أساس الاستحقاق الديمقراطي.

الإعلام هو الثقل المتزايد لوسائل الإعلام، في آخر الأمر. وانطلقت الصحافة التي ظهرت في القرن السابع عشر، وانطلقت في القرن التاسع عشر، وانتشر الراديو ما بين الحربين العالميتين - وتعمم التلفاز خلال مرحلة التنامي لما بعد الحرب العالمية الثانية. وتشكل المجموعات الإعلامية ووكالات الأنباء، وسلاسل أفنية التلفاز العالمية، جميعاً، بعداً جوهرياً للعولمة، ولم تتوقف تكاليف الاتصالات عن الانخفاض. مثلها مثل تكاليف النقل، وسهلت التطور الأسي في تبادل المعلومات، فتسارع البريد بسبب ثورة النقل، قبل كل شيء، الذي لم يسمح بنقل المعلومات "مباشرة" خلال مدة طويلة جداً، ولقد فتحت الأساليب القديمة للاتصالات "كالإشارات الضوئية، التلغراف البصري لمخترعه شاب CHAPPE عام 1827، ثم أعقبه التلغراف الكهربائي عام 1837، ثم الكابل البحري "الخط ما بين دوفر - كاليه عام 1852، وتلغراف 1876، التلغراف دون خطوط عام 1890 فتحت جميعها الطريق أمام الراديو، والتلفاز أطيروا عام 1924، ومرت معالجة المعلومات بعمليات ميكانيكية قبل الحرب العالمية الثانية "معالجة الخرائط المنقبة" إلى ثورة الإلكترونيات فبعد الحاسوب الإلكتروني الأول عام 1945 وهو حاسوب قادر على تنفيذ ألف (1000) عملية ضرب بالثانية، إلى الحاسوب المترنز (TRANSISTORISE) (من الترانزيستر)، عام (1958)، من ثم الحاسوب الإلكتروني ذي الدارة المتكاملة عام 1964 زادت جميعها من التحليلات بشكل كبير. وسهل استخدام الأقمار الاصطناعية اعتباراً من عام 1960 والفيبر البصري، انطلاقاً من ثمانينات 1980 الاتصالات، وتوصل التقارب في المعلوماتية والاتصالات اليوم (وسائل الإعلانات المتعددة" إلى تكامل طرق مختلفة من الاتصالات على الدعامات التقنية نفسها 1.

أحدث التقدم التكنولوجي في مجال البث الإعلامي ثورة كبرى في حياة الناس، فقد أطلق الغرب عدداً كبيراً من الأقمار الصناعية بما يقارب خمسمائة (500) قمر صناعي تدور حول الأرض مرسلات إشارات لاسلكية، تحمل في مضامينها صوراً ورموزاً ودلالات للحياة العصرية الغربية، ولما يستجد من حادثة في أصقاع الأرض كافة، ولأول مرة في التاريخ أمكن للناس أن يروا ما يحدث في أطراف المعمورة وقت حدوثه، بل إن التنظيم الممتاز لمراسلي الشبكات التلفزيونية ومراسلي وكالات الأنباء قد جعل كثيراً من الناس القريبين من موقع الحدث أقل خبرة به من بعض البعيدين عنه.

<sup>1</sup> موسى الزعبي . دراسات في الفكر الاستراتيجي والسياسي . منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق سوريا . 2001 .

إن استخدام الناس المفرط للتلفزيون يجعل حياتهم أكثر ارتباطاً بقنواته وبرامجه ، فالمحطات الفضائية التي تبث على مدار الساعة تثير شهية الناس ، وتحرك خيالهم باتجاه أنماط العيش في الغرب ، وكذا المجالات المتخصصة هي الأخرى تؤثر في حياة الناس من خلال ما تنشر من شؤون العلم والأزياء والطبخ والأثاث المنزلي ، بل إنها تتخصص في تصوير الحياة الاجتماعية المنشودة ، ومعالجة المشكلات الأسرية ، وفنون تربية الأولاد وأشكال التكيف مع مختلف الصعوبات الحياتية ، ...، حتى لو كانت تلك الحياة لا تتناسب ومعايير كل الأمم ، فهذه المجالات تنهل من معطيات الحياة الغربية حلوها ومرها ، وتعيد ما التقطته في صور تحليلية وإحصائية مقننة ، وبذلك تصنع الأحلام التي توجه السلوك، وبذلك يتم تنميط مجتمعات العالم<sup>1</sup>.

### 1 - 6 - الإعلان :

من المفردات السيئة للعولمة أن الاتصال ماضٍ للتميش لحساب الدعاية والإعلان ، ولأن للاتصال اتجاهين : الاتصال الذي يربي الناس ، ويفتح لهم أبواب التبادل الثقافي ، والإعلان الذي هو عبارة عن رسالة ، لا تدعو إلى الحوار والمناقشة ، ولا تنتظر من أحد جواباً ، فقد بلغت ميزانية الإعلان في العالم في السنوات الأخيرة ما ينيف عن 330 مليار دولار حسب تقرير إحدى وكالات أبحاث الإعلان ، وهذه الميزانية في تصاعد مستمر . ونتيجة لحملة الإعلان بات الناس يستهلكون ما لا يحتاجونه ، وبات المطلوب منهم المزيد من الاستهلاك ، حتى تظل عجلة الصناعة في حركة دائبة ، فعلى مدار التاريخ كان الناس ينتجون ما يحتاجون إلى استهلاكه ، أما اليوم فعلى الناس أن يمارسوا المزيد من الاستهلاك من أجل تحقيق المزيد من الإنتاج ، بقطع النظر عن كل النتائج البيئية والصحية التي تترتب على ذلك .

### 2 - وظائف النسق العولمي

#### 2 - 1 - رسملة العالم :

أي تحويل العالم إلى النظام الرأسمالي ، حيث تقوم مؤسسات العولمة ورجالها من الناحية الاقتصادية ، على نشر الرأسمالية كنظام للتجارة ونظم الاستهلاك ، ولقد أدى الإعلام الدولي دوراً كبيراً في فرض النظام الرأسمالي على البشرية ، من خلال تعزيز صورة إيجابية عن الشركات متعددة الجنسيات الرأسمالية ، الشركات العملاقة ( سوني ، دزني ، تايم وورنر )<sup>2</sup> ، ولقد كانت ثورة الاتصال هي الأداة الأكثر استخداماً في هذه الحملة ، وكان الهدف الأول

<sup>1</sup> عبد الكريم بكار . مرجع سبق ذكره . ص ص 71-72 .

<sup>2</sup> نعيم إبراهيم الظاهر . مرجع سبق ذكره . ص 42 .

والأخير هو أفتاع الرأى العام العالمى بمدى جودة البضائع والسلع المادية منها والفكرية ، وكذا نزاهة منتجها ، ومدى التقنية العالية والجيدة والدقيقة التى تتميز بها ، وقد نجح هذا النظام بشكل أو بآخر فى إحداث الفرق بينه وبين غيره ، كالنظام الاشتراكي مثلا ، الذى سقط تحت وطأة مطرقة العوامل الداخلية التى تشكل منها ، والعوامل الخارجية التى كان النظام الرأسمالى أحد أسبابها ، صحيح بأن النظام الاشتراكي قد زال كنظام حكم سياسى ، لكنه ما زال يمثل عالقا ببعض الأنساق الفكرية ، إلى جانب النظام الإسلامى الذى يسعى أنصاره إلى إحلاله ليس فقط فى الدول الإسلامىة بل فى كل المعمورة .

وكانت وسائل الاتصال ووسائطها الأداة الفعالة للترويج للاقتصاد العالمى ، حيث تصل عائدات هذا القطاع إلى 1.5 تريليون دولار ، وتحصل الولايات المتحدة الأمريكية وحدها على 47 % من العائدات العالمية لهذا القطاع ، فالأفلام الأمريكية التى تصدر للخارج مدخولها أكثر من مدخولها داخل أمريكا ، الرسملة تسبب فقر دول العالم الثالث ، وارتفاع مديونياتها ، وقد وصلت فى نهاية التسعينات إلى مبالغ ضخمة جدا ، حيث ما يقارب 100 دولة هى أضعف وأقل ثراء من أى واحدة من 40 شركة عملاقة ، وهذا سبيل النظام الرأسمالى لبسط نفوذها ، من خلال تقديم دول العالم الثالث لمزيد من التنازلات السياسية والاجتماعية ، ومن خلال وسائل الإعلام نفسها التى فقدت حريتها وأصبحت أداة طيعة فى يد النظام الرأسمالى ، فالنظام الإعلامى الدولى أصبح يميل إلى عدم توجيه النقد للنظام الرأسمالى .

## 2 - 2 - تجربة العالم :

الأصل فى الليبرالية أنها مدرسة اجتماعية وسياسية وثقافية واقتصادية كبيرة ، نشأت فى أوروبا ، وهى تهدف إلى تحرير الإنسان من القيود السياسية والاجتماعية<sup>1</sup> ، وبذلك تأتي هذه الوظيفة للعولمة لتعنى كلمة لبرلة العالم ، تحرير العالم من كل القيود ، فى الاقتصاد تسعى العولمة إلى تحرير التجارة من كل القيود الجمركية وكل أشكال قيود الدولة على الإنسان ، والاحتكام بعد ذلك إلى منظمة حقوق الإنسان و...واللبرلة الأكبر هى تحرير الإنسان من كل القيود القيمية والمعيارية التى طالما ربطه بمجتمعه ، وجماعته الاثنىة والطوطمية ، والشعور بالحرية الكاملة فى التصرف بعيدا عن كل الضوابط الدينية والاجتماعية ، مع الخضوع الكامل للضوابط القانونية ، خاصة تلك التى يصوغها رجال العولمة ، وبهذا تظهر مفاهيم جديدة تكتسح العالم ، ولكن بدرجات متفاوتة ، تبعا لمدى الإشباع الثقافى الذى يتلقاه الفرد داخل مجتمعه ،

<sup>1</sup> نعيم ابراهيم الظاهر . مرجع سبق ذكره . ص43 .

وتبعاً لمدى الضغوط التي تفرضها العولمة ، ومن ضمن أهم الأمور التي ظهرت في المجتمع الإنساني ، ولقيت شجبا كبيرا ، خاصة من قبل المجتمعات العتيقة مصطلح " الجندر " ، والذي ظهر متلازماً والدعوة للعولمة .

كما أن أهم ما يميز الليبرالية هو الانحياز للفرد دون تدخل الحكومات وباستقلالية عن الدولة ، وما يبارك ذلك هو النظام الإعلامي الدولي الذي يرى أن الليبرالية هي النظام الوحيد الصالح للحكم ، وبذلك فقد ساهمت وبشكل كبير في نشر أفكار ليبرالية ، ودافعت عن حقوق الإنسان المضطهد من غير أمريكا أو حليفاتها ، وهو الأمر الذي أثار العديد من النعرات القبلية في مختلف أنحاء العالم ، خاصة العالم الإسلامي ، وإحياء عرقيات ولغات بائدة ، في الوقت الذي تسعى فيه جاهدة إلى بناء تاريخ لها على أنقاض تاريخ الهنود الحمر\* .

### خامساً : النسق العولمي : التاريخ والجغرافيا

اختلف الباحثون في شؤون النسق العولمي حول تاريخ ظهور العولمة كمفهوم وممارسة وكعملية اجتماعية ، رغم أن الجميع يبدأ بالاقتصاد ورؤوس المال كمقدمة للحديث عن الموضوع ، الأمر الذي يقودنا إلى القول بأن العولمة عملية تراكمية ، أي أن هناك عولمات صغيرة سبقت ومهدت للعولمة التي نشهدها اليوم ، والجديد فيها هو تزايد وتيرة تسارعها في الفترة الأخيرة بفضل تقدم وسائل الإعلام والاتصال ، ووسائل النقل والمواصلات والتقدم العلمي بشكل عام ، ومع ذلك فهي لم تكتمل بعد .

و إن أي نشاط يقوم به الإنسان فإنه يعتبر نشاطاً عولمياً بوصف ما أو بمقياس ما ، ولهذا لم يُجزم ببداية لهذه الظاهرة فيما سلف ، و لكنهم يشيرون إلى محطات تاريخية في أحداث ووقائع تجلت فيها حركة العولمة ، و لعلنا نقف بشكل مقتضب عند هذه المحطات:

1 - كان المسلمون في الماضي هم المطورون الأوائل لأنظمة المتاجرة عبر البلدان ، وكان المقر الرئيس لذلك النشاط هو منطقة الخليج ، وكان يتمركز في جزيرة هرمز ، وقد استمرت هذه الحال إلى نحو من عام 1600 م ، لكن البرتغاليين قاموا خلال القرن الخامس

\* 112 مليون هندي أحمر ، كانوا يسكنون وطنهم ، قيل تسميته أمريكا ، منذ غزو كولومبس عام 1492 ، لم يبق منهم في إحصاء 1900 سوى ربع مليون إنسان ، لقد شن الغزاة الأمريكيون ضد الأصليين من أصحاب الأرض 93 حرباً جرتومية شاملة ، أتت على حياة 400 شعب من الشعوب الهندية الحمراء ، هذه هي الإبادة الجماعية الأعظم والأطول في تاريخ الإنسانية ، ولم تعترف الولايات المتحدة الأمريكية إطلاقاً بعدد الهنود الذين أبيدوا في الشمال الأمريكي ، منذ بداية الغزو الأبيض ... حتى العالم تشارلز داروين وهو يؤكد العلاقة بين العامل الطبيعي والاجتياحات الأوروبية يقول : حيثما خطا الأوروبيون مشى الموت في ركابهم إلى أهل البلاد . انظر : عز الدين المناصرة . الهويات والتعددية اللغوية ، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن . دار مجدلاوي للنشر والتوزيع . عمان . الأردن . 2004 . ص ص 12- 31 .

عشر ببرامج بحث وتطوير في التقانة البحرية في (ساجرس)، وكان الهدف لذلك البرنامج بناء أسطول بحري يتم فيه تحدي نظام المتاجرة الدولي الذي يهيمن عليه المسلمون ، وقد نجح البرتغاليون في صنع السفينة العابرة للمحيطات والتي بإمكانها عبور المحيط الأطلسي ، كما أن بإمكانها حمل مئة قطعة مدفعية و إطلاق نيرانها .

و آذنت هذه التقانة البحرية الجديدة ببدء عصر الاكتشافات الجديدة ، فقد حققت أوروبا في عام 1500م تعادلاً تقانياً مع المسلمين ، إلا أن ميزان القوة بين الطرفين منذ ذلك الحين أخذ يتقوض بسرعة بسبب سلسلة من التقدمات العلمية والتقانية الأوروبية ، مثل إحلال قوة البخار محل قوة العضلات ، واكتشاف توليد الطاقة الكهربائية ونحوها.

حتى اطرده نمو الهيمنة الغربية خلال القرون الخمس الماضية باستثناء حقب قصيرة . وكانت تلك الهيمنة إبان الاستعمار العسكري للدول الضعيفة في أوج قوتها كما جرى في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، وهذا إيذان بأن قيادة العولمة أصبح في أيدي الغرب.

2 - لما انتهت الحرب العالمية الثانية عام 1945م كانت قد خلفت آثاراً تعد منعطفاً مهماً في تاريخ العولمة ، إذ أنه بدأ واضحاً أن الهيمنة الحقيقية لا ينبغي أن تكون عسكرية ، وإنما ثقافية واقتصادية ، وهذا ما سينتج عنه في النهاية هيمنة سياسية شاملة لكل المناحي ، ومن هنا تم وضع الخطط لتجاوز النتائج المأساوية التي نتجت عن الحرب العالمية الثانية.

وقد بذلت الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الحقبة و بين عامي 1948-1951 أكثر من اثني عشر مليار دولار من أجل إعادة بناء الدول الصناعية الغربية واليابان وعبر مشروع مارشال ، ولم يكن هذا كرمًا ذاتياً من الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنها كانت ترى بعداً في هذا البذل سيتحقق لها ، وهو أنها ستجعل من أوروبا واليابان جزء من سوق مفتوحة تساعدهم فيها على استيراد المصنوعات الأمريكية ، وإيجاد فرص للاستثمار ، بالإضافة إعادة تنظيم العلاقات النقدية وأسعار الصرف ووسائل الدفع الدولية ، وقد تمثل ذلك بظهور البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

ومن هنا عدّ بعض الباحثين أوساط عقد الأربعينيات الحقبة التي وضع فيها حجر الأساس لعولمة أطلسية ، وقد سعت أمريكا إلى تسييد أصحاب الأعمال وإضعاف التكتلات العالمية.

3 - من المؤكد أنه لم يكن معترفاً بالعولمة في الدوائر العلمية على أنها مفهوم له أهميته قبل عقد الثمانينيات ، مع أنها كانت تستخدم على نحو متقطع ، أما خلال النصف الثاني من ذلك العقد ، فقد اختلف الأمر حيث أعلن ميخائيل جورباتشوف عن قيام ثورة التغيير وإعادة البناء

وهذا يعني عند التحقيق انهيار الاتحاد السوفييتي سياسياً واقتصادياً ، كياناً و نفوذاً ، كما أنه كان يعني اتجاه الخصم العنيد للغرب خطوات واسعة نحو المنهجية الغربية في السياسة والاقتصاد ، و كان ذلك في كل المعايير انتصاراً للبرالية والرأسمالية ، و تلا ذلك سقوط جدار برلين عام 1989 ، وأخذت الدول التي كانت تشكل حلف وارسو تنضم الواحدة تلو الأخرى إلى الحلف الأطلسي ، وبعضها مازال يطرق الأبواب ولما يفتح له .

وتبع ذلك انهيار أسوار عالية كانت تحتمي بها الأسواق في الصين وأوروبا الشرقية وروسيا ، وصار انتقال الأفكار وأنماط العيش ورؤوس الأموال والخبرات التنظيمية والتقنية أكثر سهولة ، وأوسع مدى من أي مرحلة سابقة .

وهذه المرحلة الأخيرة مازالت مستمرة ، فيما يتعمق استخدام مصطلح (العولمة) ويكتسب معانٍ ودلالات جديدة<sup>1</sup> .

ولهذه المراحل قال توماس فريدمان : "لقد ولد العالم عندما انهار سور برلين عام 1989 ، وليس ثمة ما يدعو للدهشة في أن أحدث اقتصاد في العالم - الاقتصاد العالمي - ما زال يتحسس طريقه ، إن عمليات الضبط والتوازن الشائكة التي كانت تؤدي إلى استقرار الاقتصاديات مرتبطة فقط بالزمن ، فكثير من أسواق العالم تحررت حديثاً ، وتتحكم فيها لأول مرة عواطف الناس لا قبضة الدولة ، ولا يوجد شيء من هذا يضعف من الأمل الذي انبثق قبل عشر سنوات \* مع زوال العالم المحيط بالأسوار ... فلقد أتاح انتشار اقتصاد الأسواق الحرة والديمقراطية في أنحاء العالم لمزيد من الناس في كل مكان تجسيد ما كانوا يصبون إليه في صورة إنجازات فعلية ، كما أن التكنولوجيا ، إذا استخدمت الاستخدام السليم ووزعت بطريقة ليبرالية ، ليست قادرة على محو الحدود الجغرافية فحسب ، بل والحدود البشرية أيضاً ، ونحن نرى أن عالم اليوم الذي لا يتجاوز عمره عشر سنوات ، مازال يعدنا بالكثير ، وفي غضون ذلك ، ليس هناك من يدعي أن النمو على مر السنين كان أمراً يسيراً<sup>2</sup> .

3 - وإن كانت الدراسة تميل إلى المراحل آنفة الذكر ، إلا أنه يستحسن الوقوف على آراء أخرى بهذا الشأن ، حيث يحدد انتوني جينز تاريخ مصطلح العولمة في كتابه "الطريق الثالث .. تجديد الديمقراطية الإجتماعية" الصادر في 1998 .. بعشر سنوات سابقة على كتابه "الكلمة لم تستخدم في الأعمال الأكاديمية أو الصحافة الشعبية إلا منذ عشر سنوات فقط،

<sup>1</sup> عبد الله العزاز . العولمة .. حقيقتها .. نشأتها .. تطورها .. من يقودها؟ .. أهدافها .. مظاهرها .. 2012/01/27 .

\* بالزمن الحالي نقول قبل عشرين سنة .

<sup>2</sup> توماس فريدمان . مرجع سبق ذكره . ص 12 .



وتحولت الكلمة التي لم يكن لها مكان إلى كلمة على كل لسان، فلا يكتمل خطاب سياسي، أو دليل لرجال الأعمال إلا بالإشارة إلى هذه الكلمة.

4 - بينما يقترح رونالد روبرتسون خمس مراحل<sup>1</sup> للعولمة تتمثل فيما يلي :

**المرحلة الأولى :** وهي المرحلة الجنينية : وقد استمرت في أوروبا منذ بواكير القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر ، وشهدت هذه المرحلة نمو المجتمعات القومية ، وتخفيف النظام "المتعدي للقومية" السائد في العصور الوسطى ، وهنا تعمقت الأفكار الخاصة بالفرد والإنسانية ، وسادت نظرية مركزية للعالم وذاع التقويم القريقوري .

**المرحلة الثانية :** وهي مرحلة النشوء : وامتدت هذه المرحلة من منتصف القرن الثامن عشر حتى سبعينيات القرن التاسع عشر في أوروبا ، وما حدث في هذه الفترة هو تحول حاد في فكرة الدولة الحدودية المتجانسة ، وهنا تبلورت المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية الرسمية ، ونشأ مفهوم أكثر تحديدا للإنسانية ، وزادت كثافة الاتفاقيات الدولية ، وظهرت المؤسسات الخاصة بتنظيم العلاقات والاتصالات بين الدول ، وبدأت مشكلة قبول المجتمعات فير الأوربية في المجتمع الدولي ، مما قاد للاهتمام بموضوع القومية والعالمية .

**المرحلة الثالثة :** مرحلة الانطلاق امتدت هذه المرحلة من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى غاية منتصف عشرينيات القرن العشرين ، حيث ظهرت مفاهيم كونية جديدة مثل "خط التطور الصحيح" للمجتمع القومي "المقبول" ومفاهيم أخرى تتعلق بالهويتين الوطنية والفردية ، وتم إدماج عدد من الدول غير الأوربية في المجتمع الدولي ، وبدأت عملية الصياغة الدولية للأفكار الخاصة بالإنسانية ومحاولة تطبيقها ، وعولمة قيود الهجرة ، وتزايدت أشكال الاتصال الكونية بشدة وتعاضمت سرعتها ، كما ظهرت الحكايات العالمية ، والروايات العالمية ، وبشكل عام فقد كانت فكرة العالمية في تمام مستمر . من جهة أخرى ظهرت المنافسات الكونية مثل دورة الألعاب الأولمبية وجائزة نوبل ، كما تم تطبيق فكرة الزمن العالمي حيث تم بسط التقويم القريقوري على كل العالم ، وفي هذه المرحلة بالذات حدثت أول حرب عالمية حيث تشكلت في أعقابها "عصبة الأمم" .

**المرحلة الرابعة :** مرحلة الصراع من أجل الهيمنة وامتدت هذه المرحلة من منتصف عشرينيات القرن العشرين إلى غاية الستينات من نفس القرن ، حيث أهم ما سيطر على المرحلة من أحداث هو الحروب الفكرية حول الشروط الهشة الخاصة بعملية العولمة السائدة ، وإنشاء

<sup>1</sup> رونالد روبرتسون . العولمة . النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية . ترجمة : أحمد محمود ونورا أمين . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . مصر . 1998 . ص ص 132 . 134 .



عصبة الأمم ثم هيئة الأمم المتحدة ، كما تمت محاولة إرساء مفاهيم الاستقلال الوطني ، وتلا ذلك الحرب الباردة ، التي تبلور بموجبها العالم الثالث .

**المرحلة الخامسة :** وهي مرحلة عدم اليقين وبدأت منذ أواخر الستينات ، حيث شهدت هذه المرحلة تصاعدا في الوعي الكوني ، وحدث أول هبوط على سطح القمر ، وتعمقت قيم ما بعد المادية ، كم شهدت المرحلة نهاية الحرب الباردة ، وشيوع الأسلحة الذرية ، كما زادت المؤسسات الكونية والحركات العالمية ، ونظرا لدعاوى العولمة إحياء الثقافات الفرعية ومختلف العرقيات ، فقد أصبح العالم اليوم يواجه مشكلة تعدد الثقافات في المجتمع الواحد ، وتغيرت العديد من المفاهيم والقيم والمعايير تجاه البيئة وقيم المواطنة والمجتمع المدني ، إذ انصب الاهتمام في الوقت الحالي على المجتمع المدني العالمي ، والمواطنة العالمية . فالمجتمعات الحديث لا تتسم بما هو مشترك بينها ، بقدر ما تتسم بحقيقة انخراطها في قضية الكونية ، لم تظهر أبدا قبل بنفس قوة ظهورها في العصر الراهن ، فعملية التحديث هي التحدي المنصوب في مواجهة الجماعات المنغلقة على مخاطرها وخصوصياتها ، كي تشكل مع نفسها جماعة منفتحة من المحاورين والشركاء<sup>1</sup> .

5 - ويرى سيار جميل أن فلسفة العولمة أتت لتجسيد حصيلة كل ما حفل به التاريخ الحديث للبشرية ، لتأسيس تاريخ عولمي جديد للإنسان ، يستمد جزءا - حتى لو كان يسيرا - من منطلقاته مما حفل به القرن التاسع عشر استعماريا ، ومما حفل به القرن العشرون إمبرياليا ، من أجل تأسيس القرن الحادي والعشرين رأسماليا ، بمعنى إذا كان الأول عسكريا ، وإذا كان الثاني سياسيا ، فإن الثالث سيكون لا محالة اقتصاديا بالدرجة الأساس<sup>2</sup> .

### سادسا : النسق العولمي : المفردات السلبية والإيجابية

لعلَّ أبرز ملامح العولمة هي ما يتبدَّى لنا من خلال التطورات المدهشة التي تعرفها مجالات الاتصال والتواصل عبر الأقمار الصناعية والحاسوب والانترنت، وذلك على النحو التالي :

- عمق التأثير في الثقافات وفي السلوك الاجتماعي وفي أنماط المعيشة.

<sup>1</sup> François Bourricaud . Modernity « universal reference» and the process of modernisation in S.N .Eisenstadt patterns of modernity . volume1 .the west . New York University press. P.21.

<sup>2</sup> محمد حسن البرغثي . الثقافة العربية والعولمة . "دراسة سوسيولوجية لأراء المتقنين العرب . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . 2007 . ص81 .

- اتساع دائرة الخيارات الاقتصادية من خلال حركة الإستثمارات الدولية والأسواق المفتوحة، وتضييق دائرة الخيارات السياسية من حيث تساؤل القدرة على الاكتفاء الذاتي اقتصادياً، ومن حيث تزايد معطيات التداخل الاستقلالي سياسياً.

ولكن انصب هذا الاهتمام المعولم أكثر على الجانب الاقتصادي وكأن الجانب الاقتصادي هو المحرك الرئيس والهدف الأسمى لهذه الدنيا.

والملاحظ أن الاقتصاد هو محور اهتمام الغرب منذ زمن بل إن كثيراً من النظريات والآراء والأنظمة التي ظهرت كان المحور الأساس لها هو الاقتصاد فالنظام الأساسي عندما ظهر هو نظام اقتصادي يعتمد على الملكية الفردية وكيفية المحافظة عليها و البحث عن الربح بكافة الأساليب واستغلال القدرات وزيادة الثروات وتوفير القوانين الاقتصادية التي تدعو للنمو والمنافسة والمزاومة اقتصادياً .

وأيضاً الشيوعية التي انهارت ووقفت على طرف نقيض الرأسمالية اهتمت بالاقتصاد وحاربت الملكية الفردية ويرون أن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات . ويلاحظ أن المؤتمرات التي عقدت عن العولمة قد تحولت إلى تناقضات داخل المؤتمر وإلى معارضة شديدة في الشوارع المحيطة بالمؤتمر مثلما حدث ذلك في مدينة (سياتل- الأمريكية) ومدينة (دافوس-السويسرية) ومدينة (كيبك-الكندية) ومدينة (ملبورن-الاسترالية) ومدينة (جنوة-الاطالية) وقد أظهرت هذه اللقاءات الاقتصادية تناقضات عميقة بين توجه الدول الرسمي نحو العولمة ووقوف الناس ضد العولمة ، هذا التناقض في الموقف يوضح الأثر الشديد للعولمة في مختلف المجالات ، وان هذا الأثر لا يقف عند حد الناحية الاقتصادية بل يشمل مجالات وميادين لم تكن متوقعة ولم تكن محسوبة.

وفي ذلك يقول رئيس مؤسسة: (إن أعداداً متزايدة من الأمريكيين يعربون ، على ما هو باد للعيان عن شكوكهم ، ومخاوفهم بشأن عملية العولمة ) ويفسره ذلك (وضع كثير من الأمريكيين تخلف إلى الوراء ، ولم يتحسن دخلهم الحقيقي على نحو يذكر ، أو حتى انخفض عما كانوا يكسبونه قبل عقد مضي ، وبالإضافة إلى ذلك فان اضطراب أسواق العمل والأسواق المالية قد أثار عدم اليقين)

- نمو ما أصبح يُعرف باسم القطيع الإلكتروني من مؤسسات متعددة الجنسيات، وحتى من أفراد يبحثون عن الربح ويؤثرون في قرارات الدول وفي مصائر شعوبها.

- تسخير أدوات العولمة بكيفية تمكّن منتجي هذه الأدوات من الطغيان على المستهلكين والمتلقين بحيث تؤثر في إلغاء لغاتهم الخاصة وفي طمس هوياتهم الوطنية. ويمكن الوقوف على مفرزات العولمة بشيء من الدقة من خلال مايلي :
- الإفرازات السلبية للعولمة :
- هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على اقتصاديات العالم، عبر شركاتها الكبرى، وصولاً إلى استئثارها بأحادية النظام العالمي، تجسيدا لما هو حاصل اليوم من محولات "لأمركة" العالم .
- جمع كافة الأسس الحضارية والاجتماعية للشعوب، ضمن نظام جامع شامل، مما يلغي خصوصيات الجماعات، كما يزيل حتى ذاتية الفرد، ضمن إطار كوني واحد، يصبح معها الفرد من العالم وله، وكذلك المجتمع، أي مجتمع، بعد تعميق التناقض بين المجموعات البشرية، واستغلال صراعتها، لفرض ذهنية أحادية، في نظامها وحياتها .
- استغلال الدول القوية للدول الضعيفة، واستثمار خيراتها، مما يزيد القوة قوةً وغنىً ، ويعمق الفقر والتبعية لدى الفقيرة، حيث أن الأولى ستعتمد إلى مضاعفة فرض سيطرتها الاقتصادية والعلمية والتقنية، وحتى السياسية، وربما الثقافية والاجتماعية ... مما سينتج نهبا لثروات بعض الدول، لاسيما النفطية منها، مما يفرض استعمارا جديدا، متدرّعا بأوجه حضارية مزيفة، كالديمقراطية مثلا، تحت عنوان العولمة، وما شابهة .
- استهداف الدول القوية لبعض الدول، وخاصة دول العالم الثالث، من أجل إزالة "قومياتها"، وتفتيت كياناتها، وتحويلها إلى مجتمعات يسهل احتواؤها لصالح "مراكز" القوى الدولية، مما يقضي على هوياتها وثقافتها، وتراثها فكريا وحضاريا وتاريخيا، وحتى إنسانيا .
- فرض مركزية الصناعة وتطورها في الدول المتقدمة، مما يقضي على الصناعات الناشئة، خاصة في دول العالم الثالث، التي لن تقوى على منافسة الإنتاج الصناعي المتطور، خاصة في ظل إلغاء الحواجز الجمركية، تحت ستار رفع ضرائب الاستيراد عن كاهل المستهلك وما شابه من "الأخلاقيات المزعومة"، مما يوصل إلى تثبيت هذه المجتمعات ضمن إطار محدود من التطور الذي وصلت إليه، تسهيلا لإبقائها ضمن التبعية للقوة الأقوى، بعدما تتعرض اقتصادياتها للتراجع والاهتزاز، بسبب انكشافها على الاقتصاد العالمي، حيث تنهزم عملاتها الوطنية أمام العملات الصعبة، مع كل ما ينتج عن ذلك مثل الكساد الاقتصادي والبطالة... وما يستتبع ذلك من تأزّم اجتماعي، حيث تصبح هذه الدول محدودة مصادر الدخل، بعدما يكون قد سحب من يدها ما يدخل خزينتها من الرسوم الجمركية، وضرائب المرور والتخزين... إضافة إلى ما ينتج من سلبيات بسبب تملك الأجانب للعديد من المرافق والمؤسسات ومراكز الإنتاج الاقتصادية والحيوية لتلك البلدان النامية، لتصبح تابعة للأيدي الأجنبية، حيث تستغل إنتاجياتها المختلفة، مما يجعل مواردها عرضة للاستنزاف وبالتالي يحجّم استقلال قرارها، في المجالين الاقتصادي والتنموي .

- للعولمة آثار خطيرة، على كيان المجتمعات والأمم، عبر تعريض المجتمعات، خاصة المحدودة المداخل منها لمخاطر اقتصادية كبيرة، ناتجة عن تخفيض الحكومات دعمها المالي لبعض أنواع الإنتاج، خاصة الزراعية منها وتلك المرتبطة بالاستهلاك اليومي التي تشمل المواد الغذائية، مما يؤثر أيضا على الدخل الفردي وعلى الأعمال الفردية بشكل عام .

ربما يكون العالم الحر قد ربح لأنه لا يخشى الانفتاح ولا المنافسة ، والواقع أن تنشيط مبادرة الفاعلين الاقتصاديين ، عبر المنافسة والبحث عن أكبر ربح ممكن ، كان عامل دينامية في اقتصاديات السوق ، بيد أن الليبرالية في صيغتها الأنجلوسكسونية حثت على بروز العديد من الآثار الفاسدة ، فالتخفيف من الشامل من القيود التنظيمية الذي دعا إليه أنصار الليبرالية الخالية من الإكراهات ، والمعمول بها جزئيا في الوقت الراهن ، ينزع إلى جعل الدول تتخلى عن إمكانياتها التقليدية في المراقبة ، ويشهد مثال الرساميل "السوداء" التي تعبر العالم ، وتتجم عن أعمال الشبكات الإجرامية المختلفة العابرة للجنسيات ، على الانحرافات التي تولدها هذه الليبرالية . إن فتح الأسواق وتحريرها من الإكراهات وكل أشكال الرقابة ، إنما يفتح الباب للمافيات المختلفة التي تعيث في العالم فسادا ، وبحسب رأي الأنتربول ، ووكالة المخابرات المركزية واللجنة المتخصصة في مجلس الشيوخ الأمريكي ، وكل الهيئات الأخرى المكلفة بدراسة اقتصاد الجريمة والجنوح ، فإن مجرمي العالم كلهم ينزعون إلى أن يدخلوا في الأسواق الرسمية ، برقم أعمال سنوي يبلغ ألف مليار دولار ، وهو مبلغ عليهم بالضرورة "تبييضه" من خلال عمليات شراء واستثمار وتوظيف<sup>1</sup> .

### الأهداف الإيجابية للعولمة :

(أ) النزوع نحو الانتظام العالمي مع تخطي الحدود والخصوصيات تحت عنوان "العولمة السعيدة" حسب تعبير "ألين منك"، لأنها تحقق العدالة الاقتصادية الدولية، وتوزع ثروات الأرض وخيراتها بعدل ومساواة على أبناء الأرض كلها، فيزول الفقر والجوع والحرمان والاضطراب الاجتماعي، وتسقط الفوارق الكبيرة بين الدول، حيث تخفّص ديون الدول النامية أو تلغى، وتندنى نسبة البطالة فيها، حيث تتنافس الدول المتطورة في صناعة السلام ومحاربة الفقر والعوز والأمراض، خاصة في قارتي إفريقيا وآسيا .

(ب) إنها وسيلة لنشر القيم والمفاهيم، وأنماط السلوك البشري عبر التعاون الدولي

المنسجم، مع تخطي الحدود

<sup>1</sup> ناهد طلاس العجة. تحدي العولمة "إعادة تنظيم منظومة المبادلات الدولية أم تبدل حضاري ؟ (العوامل ، الآثار ، البدائل) .ترجمة: محمد عرب صاصيلا. دار طلاس .ط2 . دمشق سورية . 2008 .

والأعراق والألوان البشرية كافة ضمن فهم جلي لمضمون العلاقات الاقتصادية والسياسية والمالية... والإنسانية عامة بين الشعوب، فيصبح الكون عالماً مصغراً يتواصل فيه الناس مع بعضهم البعض حتى أقاصي الأرض، في انفتاح شامل عبر تبادل التقدم العلمي والتكنولوجي والإتصالي، وابتكارات كل هذه القطاعات، بهدف تعميم المعرفة والتطور والترقي ووسائطها على سكان الأرض كافة .

(ج) تسويق سريع للسلع التجارية والمواد الإنتاجية، لتصبح متداولة بين كافة أوصال "القرية الكونية الجديدة"، مما يعمم كل سبل التطور والتقدم والترقي على الدول النامية والفقيرة بدل احتكارها في الدول المتطورة .

(د) تحقيق نظرية العدالة الاجتماعية والمساواة الكاملة بين كافة الأفراد والشعوب التي تؤمن تطبيقاً سليماً لشرعة حقوق الإنسان، مع تسهيل مرور كافة مواد الإنتاج إلى كافة مناطق الكون، بهدف إحفاق رفاهية الإنسان بشكل عام ويوظف في خدمة تطور البشرية، لجعل العالم أيضاً متقارب الثقافة والحضارة عبر توحيد كافة التوجهات الحضارية لما فيه خيرها، بالنظر إلى ما قدمته من فوائد جمة بواسطة منجزاتها العلمية والتقنية، لتكون في متناول الجميع، بخاصة وسائل المعلوماتية والمعرفة والاتصال، ومن هنا كان تساؤل دعاة العولمة وعجبتهم من مواقف أصحاب النظرة السلبية إزاء طرحها، من أن هذه الجوانب التي أفادت العالم بأسره، وأوصلت الإنسان إلى كل ميدان ونقطة في الأرض، ألا يمكن أن تعمم أيضاً على كافة القطاعات الاقتصادية، السياسية، العسكرية، الثقافية، الاجتماعية...؟ ألا تلغي الجوانب السلبية والأزمات التي تفجر الحروب بين المجتمعات من خلال تنظيم دقيق، تتعاون في وضعه أقطاب الفكر والعلم والثقافة وأرباب الابتكارات الحديثة في كافة مناطق العالم؟ ولم ينظر هؤلاء بسلبية إلى الأمور قبل المرور في التجربة والتطبيق...؟ الخ...

(هـ) تطبيق المواطنة الكونية بشكل يسهل معها على المواطن الحصول على كافة الخدمات و مواد الإنتاج واحتياجاته الحياتية كلها، من خلال هذا النظام العالمي الجديد، الذي تُطلقُ عليه تسمية "العولمة"، ومن خلال أساليب الحياة الجديدة مع كل ما يستتبعها من تحسين مستمر، وخفض لكلفة الاستهلاك الناتجة عن تخفيض كلفة الإنتاج وإلغاء رسوم الجمارك... الخ .

(و) توفرُ مؤسسات في العالم توحد الفرد مع الآخرين، وتدمج الجميع كلاً مع بيئته السوسيوإقتصادية، وتنظم تعامل المنظمات داخل منظومة العلوم والتقانة، وتحمي الملكية الفردية لتمكين المبدعين والمخترعين من استرداد استثماراتهم وتحمي المستهلكين من السلوك الاحتكاري ومن إساءة

استخدام التقانة ضمن العمل على الوجه الأمثل، والذي يخلق روح التعاون ويطور الفرد والمجتمع في العالم كافة .

(ز) تعزيز الكفاءة بشكل يترافق مع "أنظمة أكثر فعالية للرقابة على النوعية وإصدار شهادة بكل ما يتعلق بالمستويات والمواصفات والمقاييس"، حيث تتوافر مع تطبيق دقيق لهذه الأنظمة فرص التكيف مع التقانة ووسائل الاتصال وتحسينها، مما يخلق تعاوناً دولياً وإقليمياً من أجل الاكتساب والمعرفة ونشر المعلومات وتلاقح العلم والعلماء، ويخلق حسن استعمال لرأس المال وتوظيفه في المجالات المفيدة والمنتجة في البلدان المحتاجة بصورة خاصة وأساسية عبر التفاعل الدولي المنشود، مما يؤدي إلى تحسين للأداء الاقتصادي والمالي مع زيادة لإجمالي الناتج المحلي والتوظيف .

### خلاصة الفصل :

من مختلف الأدبيات التي تناولت العولمة بالدراسة ، حاول هذا الفصل بجدية قراءة العولمة كظاهرة وكعملية - حسب الموقف - في إطار النسق العولمي ، الذي يعتبر الفاعل الحقيقي لما يحدث على الساحة الدولية من عمليات هيمنة وخرق للسيادة ... ، لتفضي الدراسة إلى حقيقة مفادها أن العولمة هي نسق اجتماعي ذو طابع عالمي ، يتكون من مجموعة من الوحدات الكبرى ، التي تشكل مقومات النظام الرأسمالي في المرحلة الحالية ، أهمها الشركات متعددة الجنسية ، حيث تتفاعل هذه الوحدات فيما بينها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في مواقف مشتركة ، متجاوزة بذلك الحواجز المكانية والطبيعية ، حيث تتوجه كل البناءات نحو مركز مشترك تنهل منه ، كونه يمثل نقطة الارتباط المتبادل ، ألا وهو قواعد الرأسمالية (قواعد النظام الرأسمالي ) ، وهذه الوحدات دائمة الانفتاح على بعضها ، تتبادل المعلومات ، وتتكامل في شكل تكتلات وأحلاف ذات طابع عالمي أو إقليمي ، بينما في علاقاتها مع المحيط الخارج عن التكتل ، تتصبغ كل عملياتها الاجتماعية ( التعاون والتنافس والصراع ) بالطابع البراجماتي خدمة لمصالح العالم المتقدم ، وبكل الوسائل والأساليب ، حتى لو كان ذلك على حساب مقومات شعوب وأقوام وجماعات إثنية ، بل وبيئتها الطبيعية أيضاً ، حيث تظهر عمليات التعاون في شكل شراكة اقتصادية ، وموائمة ثقافية ، ... بينما لا تخلو منطقة في العالم من التوتر بسبب النهج العولمي الرامي إلى لبرلة ورسملة العالم وأمركته\* ، وهو ما سيتم توضيحه في الفقرات القادمة.

\*لبرلة العالم من " اللبرالية " ورسملة من "الرأسمالية " .

# الفصل الثالث

## الهوية في التراث المعرفي

أولا : مداخل دراسة الهوية

ثانيا : ماهية الهوية

ثالثا : وظائف الهوية

رابعا : أبعاد (مركبات ) الهوية

خامسا : أنواع الهويات الثقافية

سادسا : آليات تشكل الهوية

## تمهيد

يعالج هذا الجزء من الدراسة موقع الهوية في التراث المعرفي ، حيث يتجاذب المفهوم ميادين متعددة ، بينما يخضع في كثير من الأحيان لآراء الناس وتصوراتهم حوله ، حيث :

- يضع الكثير من الناس مفهوم الهوية في معارضة أساسية مع قيم وأفكار الحداثة ، فيجعلونها المرادف للولاءات العشائرية والقبلية والطائفية، بل ويرفضون التغيير ، وينشدون النقاء ، برفضهم الخارج باعتباره شرا وغزوا ، فيقومون بذلك بإلغاء الآخر ، عن طريق رفض الاختلاف والتنوع ، ويصرون على ذات تاريخية تمت صناعة الهوية في ضوء معطياتها ، بكل ما يحيط بتلك اللحظة التاريخية ، وبذلك تصبح هذه الهوية فرضية أساسها عقد النقص التي تعترى أصحابها وتدفعهم إلى إضفاء القداسة على بعض جوانبها .

- إن التفكير في الهوية نادرا ما يرتقي إلى مستوى البحث العلمي الجاد ، فكثيرا ما جاء الحديث عن الهوية كرد للفعل ، خاصة في ظل المناخ المشوب بالتراجع الحضاري ، حيث يتشكل عالم تحت أعيننا دون أن يكون لنا القدرة على المشاركة في هذه الصياغة التي لا تحتمل إلا ثرواتها دون أشخاصنا أو هوياتنا .

- إن التفكير في الهوية يجرنا قسرا إلى الحديث عن المشكلات العرقية ، وفي المآسي الإنسانية التي حدثت باسم الهوية ، كما حدث لمسلمي البوسنة والهرسك ، والإبادة الجماعية للهنود الحمر\* ، ... حيث تحولت هذه المآسي إلى واقع يومي أليم تكيف معه مستقبلو نشرات الأخبار في العالم .

- الحديث عن الهوية في الجزائر كثيرا ما يؤدي بالتصور إلى انزلاق المجتمع الجزائري في مغبة الفرقة والاختلاف فيما إذا تمت مساواة الأمازيغية بالعربية ، أو بانزلاق البلاد نحو الهاوية في حالة ما إذا تم تطبيق الشريعة الإسلامية في كل مناحي الحياة الاجتماعية.

- بات بديهيا لدى مختلف التخصصات الأكاديمية أن مفهوم الهوية هو الأكثر تعرضا

\* معظم الهنود الحمر الذين هربوا بأطفالهم إلى الغابات والجبال الوعرة ، صاروا - بسبب هوياتهم الهندية الحمراء - يعيشون في ما أصبح يسمى "أملاك الولايات المتحدة" ، فقد تحولوا بموجب قوانين الذين سرقوا بلادهم إلى لصوص معتدين على أملاك الغير ، وكان لا بد على الجنس الأبيض أن يمارس الإبادة ضد هؤلاء .... فهناك وثيقة تتحدث عن إهداء أغطية مسمومة بجراثيم الجدري لهنود المندان في فورت كلارك ، وقد نقلت الأغطية إلى ضحاياها في 1837/06/20 ، من محجر عسكري لمرضى الجدري في سان لويس على متن قارب بخاري ، فحصلت كذلك في أقل من سنة واحدة أكثر من مائة ألف طفل وشيخ وامرأة وشاب هندي . انظر : عز الدين المناصرة . مرجع سبق ذكره . ص 17 .



للعصف من قبل العولمة ، نظرا لما يبدو عليه المشهد الجدلي بين المفهومين ، حيث ما فتئت العولمة برياحها العاتية تقتلع وتعطل وتعيد تنظيم الساحة الكونية ، وتصوغ أطرا بشكل يؤصل لها، ويسهل لمختلف مؤسساتها ونظمها أن تبسط نفوذها في مساحاتنا التي باتت تنقلص يوما بعد الآخر ، الأمر الذي آل بنا إلى تبديل مذاقنا ، وتمييط رغباتنا وحتى طموحاتنا وأحلامنا .

### أولا : مداخل دراسة الهوية

ولأن الهوية عنصر مشترك بين مختلف جوانب التركيبة البشرية (النفسية والاجتماعية واللغوية و...) فإن البحث عنها في ثنايا المعرفة هو السبيل المؤدي إلى الوقوف على حقيقتها للفرد والمجتمع المحلي على السواء ، بينما تكتفي الدراسة ببعض المداخل التي تراها هامة وضرورية للإلمام بمختلف جوانب الهوية في سياق الموضوع المقترح للدراسة ، ولتحقيق ذلك تطل من زاوية المدخل الفلسفي كونه مبدع مفهوم الفلسفة ، والمدخل النفسي المعبر عن كنه الهوية والجامع لمركباتها الأساسية التي تميز الشخصية البشرية ، بينما تركز الأطروحة على المدخل السوسولوجي ليس كونه التخصص الأكاديمي الذي تنتمي إليه الدراسة فحسب ، بل لأنه المجال التي تتجلي وتتجسد فيه الهوية من خلال الارتباط التلازمي بين "الأنا" و"الآخر" أو "النحن" و"الغير".

يجد الباحث في موضوع الهوية نفسه عادة في متاهة المداخل النظرية ، إزاء مختلف جوانب التحليل والتفسير ، وكذا دراسة مقوماتها وخصائصها ومختلف العوامل التي تسهم من قريب أو بعيد في تشكيلها ، إلى جانب كيفية الحفاظ على ثوابتها والعمل على تغذيتها وإخصابها بما يضمن لها النمو والاستمرار والتجدد ،... الأمر الذي يضع الباحث تحت طائلة الصعوبات المنهجية وغير المنهجية ، وفيما يتعلق بالذاتية والموضوعية من طرف الباحث .

فالهوية في المدخل الفلسفي تختلف عن الهوية في المدخل النفسي وكلاهما يختلفان عن المدخل السوسولوجي ،... فبعض العلوم تجعل من الهوية مواضيع لدراساتها ، وهي بذلك تحيا بهذه الدراسات ، والبعض الآخر يجعل منها أداة للتعرف على مختلف الأقوام والإثنيات ، ولكن في الأخير كل مدخل منوط بتفسير جانب من الجوانب الفرد أو المجتمع ، فالمعارف وإن تختلف

فيما بينها فهي تكمل بعضها وتعطي لأفق الفكر سعة ورحابة ليستوعب كل الاتجاهات ويمتص كل الاختلافات في إطار ما يسمى بالتعدد والتنوع المعرفي.

فقد جاء في "موسوعة الفلسفة" لعبد الرحمن بدوي قوله: أن الهوية تطلق على العلاقة الفكرية التي ترفع كثرة المعاني في الموضوع فتردها إلى الوحدة في الإشارة، فمثلاً "أ في هوية مع ب" معناها أنه: على الرغم من الاختلاف في التعبير بين أ و ب فإن المقصود بهما شيء واحد.

- ففي المنطق والرياضيات تدل الهوية على علاقة بين شيئين (أو كميتين) كل طرف فيها يقوم برأسه، ويستخدم للدلالة على هذه العلاقة العلامة (=) هكذا: س=ص (وتقرأ: س في هوية مع ص).
- وفي علم النفس تثار مشكلة الهوية فيما يتعلق بوحدة ذات الطفل، أو الشاب أو الرجل أو الشيخ رغم اختلاف أطواره وما يقوم به من أدوار.
- وفي علم الاجتماع تثار مشكلة الهوية فيما يتعلق بهوية الشخص في الإطار الاجتماعي، بأن يشعر بالهوية مع أشخاص المجتمع الذي يعيش وينمو فيه، وهو ما يسميه جورج ميد باسم "تعميم الغير" واندماج الذات فيه.
- وفي نظرية المعرفة مبدأ الهوية، إلى جانب مبدأ (عدم) التناقض والثالث المرفوع هي القوانين الضرورية للفكر المنطقي، ولا يكون الفكر سليماً من الناحية المنطقية إلا إذا التزم بها، وصيغته هي: "ما هو-هو".
- وفي الميتافيزيقا نجد أن شيلينغ جعل من الهوية المطلقة جوهر العقل وماهيته، وتبعاً لذلك رأى أن الفلسفة لا يمكنها التخلص من المشاكل العويصة التي تتردى فيها إلا بالرجوع إلى مبدأ الهوية، وذلك لأن جوهر الأشياء الأعمق هو الواحد، والكل الواحد يقوم على المعرفة الذاتية على وجه أدق، وخارجها لا يوجد شيء قابل لأن يعرف.
- ولهذا ينتهي إلى القول بأن العقل هو الهوية المطلقة شيء واحد، والهوية المطلقة ليست فقط ماهيته، بل هي صورته وقانونه، إن المطلق واحدٌ أحدٌ، ماهية واحدة هي عينها.

والهوية هي ضروري مطلقا ، ويقابلها : المستحيل مطلقا ، إنها تقوم في الوحدة المطلقة بين الذاتي والموضوعي <sup>1</sup> .

### 1 - المدخل الفلسفي :

لقد كان لموضوع الهوية باع طويل في ميدان الفلسفة ، لدرجة أن ظهر مصطلح فلسفة الهوية ، الذي يطلق على مذهب شيلينغ القائل بوحدة الطبيعة والفكر ، ووحدة المثل الأعلى والواقع ، وكل فلسفة لا تفرق بين المادة والروح ، ولا بين الذات والموضوع ، فهي فلسفة من هذا القبيل لأنها تجمع بينهما في وحدة لا تنفصل ، وترجعهما إلى شيء واحد هو المطلق <sup>2</sup> .

يعد أرسطو الفيلسوف اليوناني الشهير وواضع أسس علم المنطق أول من تحدث عن الهوية ، وذلك من خلال موقفه المتسق من العالم ، فهو يرد كل شيء إلى أصوله وأركانه الأساسية ، ووضع ثلاث قواعد للهوية أسماها قوانين الهوية ، ورأى أرسطو أنه يمكن رد قوانين الفكر الأساسية إلى قانون واحد هو قانون الهوية ، فقانون عدم التناقض هو صورة سلبية لقانون الهوية ، قانون الثالث المرفوع صورة شرطية لقانون عدم التناقض ، وقانون الذاتية صورة إيجابية للقوانين الثلاثة .

وإذا كان "أرسطو" قد أكد مبدأ ثبات الهوية بالقول بعدم التناقض ، فقد جاء "هيجل" بفلسفته المادية والجدلية وحل التناقض ، وأعلن تغيير الهوية وتحولها من حال إلى حال بفعل التغيير والتناقض اللذين يؤكدان ضرورة المجتمعات ، وبطلان ثبوتها على حال واحد .

معنى هذا أن "هيجل" فرض وجود الوسط الذي يرفع التناقض ، وبالتالي يكرس مبدأ التعددية في الهوية الثقافية ، ويكشف عن أهمية العلاقة التي تبرز التشابك والتداخل والتعارض بين الأفكار والأحداث . وقد مهد المنطق الهيجلي إلى القول باحتمالية القوانين العلمية ، وظهور نظرية النسبية ، وسقوط اليقين عن أفكارنا البشرية، وعدم التعصب لأي فكرة ، لأن كل فكرة تحتمل الصدق أو الكذب . لذلك لا قطعية في يقيننا العلمي ، وهذا لا يعني الاستسلام للتوكيدات الخبرية والخرافية الساذجة التي تنعكس علينا بكل أشكال التخلف ، بل يجب ترسيخ المنهج

<sup>1</sup> عبد الرحمن بدوي . موسوعة الفلسفة . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ج2 . بيروت . لبنان . 1984 . ص ص 569 . 570 .  
<sup>2</sup> جميل صليبا . المعجم الفلسفي . ص ص 531 . 532 .

العلمي بيننا بالثقافة والتعليم ، وزيادة فهم لمزيد من أحكامه ، يجعل التغيير والنسبية فيه لصالح زيادة معرفتنا لا ضدها . وقد أدى هذا إلى الدراسة العلمية للهوية الثقافية لأي مجتمع ، إذن لا يمكن دراسة الهوية الثقافية بمعزل عن المنهج العلمي المعاصر ، فالجزء رغم اختلافه وتنوعه لا يمكن فهمه إلا من خلال الكل أو السياق الذي يحويه، لهذا يدرس رواد الفكر الفلسفي المعاصر قضيتنا الهوية والثقافة في علاقتهما بمنهج البحث العلمي بناء على أن منهج البحث العلمي أساس كل معرفة إنسانية<sup>1</sup>.

وفي الفكر الفلسفي المعاصر ، حظيت العلاقة الترابطية بين المنهج العلمي والهوية بمزيد من الاهتمام ، فإذا كان المنهج هو مجموع العمليات العقلية زائد الإجراءات الميدانية التي يستخدم فيها الإنسان العقل للفهم في أي حقل من الحقول المعرفية والفلسفية والدينية ، فإن الهوية هي البناء الفكري الذي يستند إليه المنهج ، والأساس الذي من خلاله يستقي المنهج معرفته بالبنية الداخلية للمجتمع ، والمحيط الإيديولوجي الكائن فيه ، على اعتبار أن الهوية تشتق من "هو" أي الذات الإنسانية التي تنمو وتتحوّل بفعل حركة الزمن ، وتتشكل الهوية عبر الزمن من جملة أنماط الثقافة التي ينتشع بها المجتمع الإنساني .

لذلك فإن مسألة بناء التصورات والمفاهيم حول قضية ما ، لا تكون خالصة نقيّة عن ذاتية الباحث ، ففي حقيقة الأمر إن هوية الباحث والسياق المحيط بهما يساهمان بشكل كبير في بناء تلك التصورات ، خاصة في القضايا الإنسانية والاجتماعية ، وهذا ما سلم به العلم ومنهجه في الحقبة المعاصرة ، وبناء على وجهة النظر المنهجية هذه تغيرت معالم الهوية وبدأ التفكير في الذات الإنسانية بشكل منهجي ، ومستقبلي ، وتحولت فلسفة الخرافة التي سيطرت على الفكر الإنساني ، إلى فلسفة عقلانية تزن الأمور بمنطق علم ، يعتمد على السياق الاجتماعي والعالم من حولنا.

والهوية هي المنطق الذي يسير عليه المنهج بكل خطواته، إذ أنها تستند إلى معايير ومبادئ ووقائع وخبرات لا يمكن للمنهج إعطائها وقتاً للمعالجة والتطبيق ، ومن هذه الحقيقة يسهل استدلال الفكرة القائلة : بأن مقتضيات الهوية مفروضة على مناهج البحث من الخارج،

<sup>1</sup> فاطمة الزهراء سالم . نحو هوية ثقافية عربية إسلامية . دار العالم العربي . القاهرة . مصر . 2008 . ص 65 .

ولما كانت المناهج تتحول وتتفاوت جودة وحسن تطبيق ورداءة وصعوبة تنفيذ ، كانت الهوية معيار نقدها وتقويمها<sup>1</sup> ، ومن هنا يمكن فهم العلاقة بين الهوية والمنهج في ضوء ما توصل إليه الفلاسفة عبر الزمن :

- خضعت الهوية للدراسة العلمية من خلال المنهج العلمي المعاصر الذي يقوم على الجمع بين مميزات الاستقراء والاستنباط معا ، وهو ما يسمى المنهج الفرضي المعاصر ، الذي يصوغ فروضا علمية ، ويخضعها للملاحظة والتجربة ويربطها بالواقع المعاش .

- يمكن قياس التحولات التي تطرأ على الهوية الثقافية من خلال المنهج الكيفي القائم على الفهم ، والذي يسهم في بناء العلاقات بناء على السياق التاريخي للمجتمع موضوع البحث ، من أجل الوصول إلى المبادئ والقوانين العامة عن طريق البحث في أحداث التاريخ الماضية وتحليل الحقائق المتعلقة بالعوامل والقوى الاجتماعية التي شكلت الحاضر وساهمت في تحول الهوية .

- ولا يمكن بأي حال إغفال التكنولوجيا الرقمية التي غيرت مجرى الحياة ، وجعلت المنهج الكيفي القائم على الفهم ليس بهذه البساطة المعهودة له من قبل ، حيث بات إنسان اليوم يقف موقفا نقديا من عقل ماضيه ، واسترشد العقل الإنساني بالمستقبل صانعا منهجيته ليتجاهل الماضي بكل ما يحمله من تراث وقيم وأخلاقيات دينية ، ويغفل الحاضر ، ويتطلع فقط إلى المستقبل الغامض ، وبهذا أتى العالم الجديد بفجوة هي فجوة العقل ، بفعل تكنولوجيا المعلومات ، وعلى الأخص فجوة ( العقل العربي ) الذي يتطلع إلى المستقبل وينكر الماضي ، إلا أن الماضي مستدمج بداخله بكل نظرياته وإيديولوجياته الفكرية<sup>2</sup>.

## 2- المدخل السوسيولوجي :

يحظى مصطلح الهوية بباع واسع في علم الاجتماع ، ويمكن مقارنته من عدة زوايا ، فالهوية بشكل عام تتعلق بفهم الناس وتصورهم عن أنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم ، ويتشكل هذا الفهم انطلاقا من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر

<sup>1</sup> فاطمة الزهراء سالم . مرجع سبق ذكره . ص 68.

<sup>2</sup> فاطمة الزهراء سالم . مرجع سبق ذكره . ص 69 . 70 .

المعنى والدلالة ، ومن مصادر الهوية هذه : الجنوسة والجنسية والمنطلقات الإثنية والطبقة الاجتماعية .....، وتتحدد الذاتية الاجتماعية، من خلال فاعليتها داخل البناء الاجتماعي الاقتصادي الذي تتواجد فيه، بحيث تؤثر الشخصية الاجتماعية في البناء الاقتصادي، إذ يمكن أن تكون قوة لاحمة تساعد على مزيد من استقرار البنية الاجتماعية، أو تتحول في ظروف خاصة لتصير قوة تفجير تعمل على البنية الاجتماعية<sup>1</sup>، إذ أن التقارب بين مفهوم الهوية الاجتماعية والأدوار الاجتماعية قد حدا بالعديد من الدراسات حول الأدوار إلى تسهيل دراسة الهوية ، حيث أن الهوية الاجتماعية تتمثل لدى ( Sabrin ) مثلا في تصور الذات المنبثق من المكانة التي يشغلها الفرد داخل البنية الاجتماعية .

فالدور كمظهر دينامي للمكانة يعطي بعدا تقييميا للفرد وللهوية الاجتماعية لأنه ينطلق من الوضعية التي يحتلها الفرد ، أي ينطلق من نمط سلوكي يتشكل في ضوء التوقعات والمتطلبات المرتبطة بالدور ، وعلى هذا الأساس يكون للهوية الاجتماعية ثلاثة أبعاد :

- المكانة أو الوضعية التي يحتلها الفرد داخل البنية الاجتماعية .
- تقييم الأنشطة المرتبطة بهذه المكانة .
- تبني الفرد لهذا الفرد<sup>2</sup>.

وباكتساح العولمة ساحة الفكر العالمي تزايدت صيحات المجتمعات المحلية ، والجماعات الإثنية بالموازاة بفكرة الهوية ، وطفنت على السطح مختلف القوميات مطالبة باسم حقوق الإنسان بحقها في الوجود ، وبإحياء ثقافتها حتى لو كانت فرعية ومهمشة في مجتمعات كبيرة ، ولم يقتصر الأمر على الشعوب التي كانت تسعى إلى تشكيل دول قومية جديدة ، بل على المستوى العالمي العام ، وأصبحت العلاقة الجدلية بين العولمة والهوية موضوعا أساسيا في شتى المناسبات ، فيما بات التفكير في هوية حضارية تتماشى والقيم العالمية وتحفظ في ذات الآن بالقيم المحلية مطلب جل المفكرين والباحثين ، في ظل انسياق عامة الناس صوب السلوك الغربي الذي بدا بريقه ساحرا مغربا ... حيث سادت مختلف المجتمعات قيم جديدة تمثلت أساسا في الفردانية والمنفعة والاستهلاك على نطاق واسع ، الأمر الذي جعل قضايا الهوية محورا أساسيا في العديد من الدراسات السوسولوجية .

<sup>1</sup> فاطمة الزهراء سالم . مرجع سبق ذكره . ص 72 .

<sup>2</sup> محمد مسلم . الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغربي الثاني بفرنسا . دار قرطبة للنشر والتوزيع . الجزائر . 2009 .

فقد كان زعماء فرنسا ومتقفوها متخوفون من مدى قدرة الهوية الفرنسية على الصمود في وجه الاختراق الثقافي والإعلامي الأجنبي، على الرغم من الخلفية الثقافية الفرنسية العريقة التي تجر وراءها فكر الأنوار وأبجديات الحداثة الغربية من إرهابات الفكر الديكارتي إلى اشتغالات فلاسفة الاختلاف، كما أن كانتونات سويسرا وقوميتي بلجيكا وطانفتي أيرلندا ليست كلها أكثر من تعبير عن التشبث بالهوية في زمن العولمة، أما ألمانيا فإن أزيد من أربعين سنة من الفرقة الإسمنتية لم تلغ سعي الطرفين نحو هوية الأمة الألمانية في مشهد التوحيد، ولعله من قبيل المفارقة الإشارة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية، مترجمة أيديولوجيا العولمة في العالم، تعد من أكثر البلدان استشعاراً لهاجس الهوية<sup>1</sup>.

بينما تشكل الثقافة المادة الأساسية للهالة المحيطة بالهوية ، بكل مركباتها وسماتها ، حيث أن استبدال السمات الثقافية يتبعه حتما تغير في نمط الهوية .

## 2 - 1 - التحليل السوسيولوجي لمفهوم الهوية والهوية الثقافية:

يختلف مفهوم الهوية في الفكر العربي عنه في الفكر الغربي ، ليس في المعنى الإجرائي بل في المعنى الوظيفي للمصطلح ، أو بالأحرى في كيفية توظيف المصطلح وتكييفه حسب الحاجة ويظهر ذلك من خلال الآتي :

### أ - الهوية في الفكر العربي :

يشير البعض إلى أن مفهوم (الهوية) مفهوم غربي لم يعرفه الفكر العربي إلا حديثاً، فالبحث المتأني في المعاجم يشير إلى هذه الحقيقة، فالمصباح المنير، والقاموس المحيط، ولسان العرب تخلو من هذا المصطلح الحديث، إذ لا يعدو الشرح عن أن تكون الهوية مستقاة من الفعل هوى أي سقط من عل، وقد عرفه الجرجاني بوضوح أن الهوية هي " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق "، ومن خلال البحث في هذه المعاجم، لا نجد تعريفاً واضحاً عن الهوية، إلا في معاجم وقواميس العصر الحديث، وهذا ما يثبت وجهة النظر السابقة<sup>2</sup>.

ويمكن تفسير ذلك، أن الثقافة العربية الإسلامية في عصورها الزاهرة، لم تكن بحاجة إلى تعريف الهوية أو القومية أو الوطنية ، بل لم تكن بحاجة إلى طرح سؤال الهوية ذاته، فلماذا تطرح سؤالاً لتأكيد الذات وهي صاحبة الفتوحات والنهضة والمخزون الحضاري من التراث

<sup>1</sup> محمد فاضل رضوان . نحن والعولمة مأزق مفهوم ومحنة هوية . http://www.educdz.com/montada/.2008/04/02

<sup>2</sup> فاطمة الزهراء سالم . مرجع سبق ذكره ص 73 .

الذي شيدته على مر العصور؟<sup>1</sup>، بيد أنها شعرت بالحاجة لتأكيد الذات لشعورها بالإحراج إزاء الوضعيات المؤسفة التي آلت إليها ، فبين الاستعمار والانتداب والوصاية والتحكم بالمصير و... وجدت الأمة نفسها في حاجة لتأكيد هوية نقية ، بعدما أصبحت وأصبح تاريخها وماضيها المجيد محل جدل .

ومع ذلك نجد تعريفا وحيدا عرفته الثقافة العربية الإسلامية ، وهو التعريف المنطقي لها ، إذ فهمها الفارابي على أنها "من الموجودات وليس من جملة المقولات ، فهي من العوارض اللازمة ، وليست من اللواحق التي تكون بعد الماهية " ، كما حدد هوية الشيء بأنها "عينيته ووحدته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له كل واحد " وقولنا إنه " هو " إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك " <sup>2</sup>. كما أن ابن رشد قد عرف أيضا الهوية في هذا الإطار المنطقي ، والذي على ما يبدو نقل عن اليونانية ، بكونها " تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود ، وهي مشتقة من "الهو" ، كما تشتق الإنسانية من الإنسان ، وإنما فعل ذلك بعض المترجمين ، لأنهم رأوا أنها أقل تغليظا من اسم الوجود إذا كان شكله شكل اسم مشتق " <sup>3</sup>.

وقد بدا الاختلاف إزاء الهوية واضحا في التراث العربي الإسلامي من خلال المؤتمر الذي عقد في القاهرة عام 1984 بعنوان " الهوية والتراث " حيث خرج المؤتمرين بزخم متنوع من التعاريف للهوية ، حيث اعتبرها فريق بأنها : " الإدراك الحضاري المتميز للمجتمع الذي يتبلور في الشعور بالانتماء ، وفي التعبير عن هذا الشعور سياسيا " ، بينما رأى فريق آخر " أن الهوية تجسيد للسمات النفسية والاجتماعية والحضارية " ورأى فريق ثالث بأن الهوية " هي السمات التي ترتبط بالفرد نتيجة لانتمائه للمجتمع " في حين رأى فريق رابع بأن الهوية " السمات المميزة لدولة وطنية ، والتي تعبر عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي لتاريخ المجتمع " واختلف المؤتمرين حول استخدام مصطلح الهوية بمعنى الشخصية أو الطابع الوطني أو الطابع الاجتماعي أو الطابع الحضاري <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> فاطمة الزهراء سالم . مرجع سبق ذكره . ص 73 .

<sup>2</sup> مجموعة باحثين . العولمة والهوية الثقافية . إشراف : جابر عصفور . سلسلة أبحاث المؤتمرات (7) . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . مصر . ص 401 .

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق . نفس الصفحة .

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق . ص 402 .



ومنذ ما ينيف عن عشرين سنة ، وفي ظل استفحال التأثير الجارف للعولمة باتت الكتابات العربية تستخدم مصطلح الهوية بشكل كبير ، إما لصناعة هوية جديدة تتفق والعصر ، أو هوية تمجد الماضي أو هوية معبرة عن انتماء عرقي يسعى للبروز في خضم الإقصاء والتهميش أو ....

#### ب - الهوية في الفكر الغربي :

يعود مصطلح الهوية إلى عهد أفلاطون وأرسطو وتوما الأكويني مرورا بـ "كانط" ودافيد هيوم " و...والقائمة طويلة مما يدل على أهمية المصطلح في الفكر الغربي ، حيث يبدو إشكال الهوية غير منفصل عن إشكال الفردية ، فحتى يتماهى موجود أو عديد من الموجودات بآخرين ينبغي التمييز بينهم في كل شيء من الأشياء التي لا يكونونها ، وعلى العكس عندما ندرك موجودا فرديا ينبغي تصور هويته التاريخية\* ، ولذا يستحسن التعرف على الهوية في الفكر الغربي من خلال جملة من العناوين :

#### • الإنسان والمجتمع :

يتناول الفكر الغربي الهوية الثقافية من منظور كلي وجمعي ، حيث أن ذات الفرد تتحقق من خلال الجماعة، والحديث عن الهوية والهوية الثقافية يجب أن يأخذ الصيغة الاجتماعية لا الفلسفية أو الذاتية ، وذلك نظرا للطابع العلمي والمنهجي للفكر الغربي الذي يدعم الاتفاق لا الاختلاف حول الحقيقة العلمية من خلال مبادئ وخطوات منهج علمي واحد ، وهذا لا يتنافى مع القول بالنسبية ، فالنسبية من المنظور الغربي هي التنوع والاختلاف في إطار كلي متفق عليه مقبل .

لذا فالفلسفة الغربية تهدف إلى تكوين الإنسان الكلي ، وتكوين الهوية الاجتماعية ، وتدعم الفكر المؤسسي ، وتؤلف نظرية اجتماعية تسير على هداها ، ومن ثم تتضح هوية العالم الغربي دون التباس أو غموض ، فعلى سبيل المثال إذا تحدثنا عن قيم المجتمع الأوروبي نجد أن أول ما يتبادر إلى أذهاننا قيم العمل - الحرية - الديمقراطية الصدق والأمانة ، وتحمل المسؤولية

\* لمزيد من التفصيل انظر : مجموعة من الباحثين .العولمة والهوية الثقافية .

والتسامح وعمل الفريق ، فتلك القيم هي ما تشكل نظرية المجتمع الغربي التي يستند إليها في تشكيل هويته كي تكون هوية معروفة للعالم أجمع .

فالمصلحة العامة للمجتمع الأوروبي عادة تحكمها ممارسات أخلاقية وسلوكية عامة وشائعة بين الناس جميعا ، فالقانونون مثلا لا يعاقب الشخص الذي ارتكب جرم الزنا - رغم أن هذا الجرم هو من أكبر الكبائر في مجتمعات غير أوروبية - بنفس الحدة مع المتهرب من الضرائب ، على اعتبار أن المصلحة العامة هي من أهم الأمور التي يحافظ عليها المجتمع الأوروبي ، بصرف النظر عن ديانته أو عقيدته التي يؤمن بها ، إلى الحد الذي صار معه القانون الأخلاقي قانونا وضعيا يحاسب عليه المرء ويدان عند خرقه . ومن ثم تندمج هوية الشخص مع الهوية الاجتماعية ، وتتحول هوية الشخص ونظرته للحياة والكون بناء على نظرة المجتمع وإيديولوجيته التي يجسدها المجتمع في مختلف المواقف الاجتماعية ، ولهذا فإن الحديث عن هوية ذاتية أو هوية خاصة بالشخص وانفعالاته ومبادئه وقيمه يعد وهما وزيفا ، فلا حدود لتمييز الهوية الشخصية عن الهوية الاجتماعية .

ولذلك فإن نظرية العقد الاجتماعي ليست حبرا على ورق ، أو مجرد فكرة تتداولها الأوساط الفلسفية والسوسيولوجية ، بل إنها تجد لها تجسيدا قويا في الحياة الاجتماعية اليومية للإنسان الأوروبي . \*

وترتبط مسألة تحديد علاقة الثقافة بالشخصية ، بعملية التنشئة الاجتماعية للفرد ، والدور الثقافي للعائلة باعتبارها النواة الأولى لنقل الثقافة والطريقة التي يتم بها تعم الاتجاهات والقيم والمعاني ، ومن ثم لا يمكن قياس معايير الفرد إلا على ضوء معايير الجماعة المرجعية للفرد ، كما أن نمط الشخصية ليس بعدا نفسيا خالصا ، وإنما بعدا نفسيا اجتماعيا يتعلق بالتكوين البيولوجي والسوسيولوجي للمرء ، ولذلك فإن الشخصية الإنسانية والعوامل المؤثرة في تكوينها قد احتلت مكانة هامة في الدراسات النفسية والاجتماعية ، نظرا لكونها تعبر عن الجوهر

\* وهذا ما أوضحه جان جاك روسو في نظريته العقد الاجتماعي ، إذ رأى أنه يجب الرجوع دائما إلى اتفاق أول ، " إذ قبل البحث عن الفعل الذي ينتخب به شعب ملكا له ، يكون من المستحسن أن نبحث الفعل الذي يكون به الشعب شعبا " .فالتعاقد شرط أساسي للقضاء على الفردية والاستبداد ، إذ لا بد من إيجاد شكل من الاتحاد يدافع ويحمي كل القوى المشتركة للقضاء على الفردية والاستبداد ، وهذا الأمر لا يقيد الشخص ، ولا يسلبه حريته ، بل يعظم دوره ، ويبرز مشروعاته في إطار خارج ذاته أو خارج نطاق الطبيعة القاسية في إطار اجتماعي أشمل وروابط وعلاقات اجتماعية تشكل ميثاقا اجتماعيا ، لا يقدر أحد على انتهاك حرمة أو شروطه ونواميسه .

الاجتماعي الحقيقي للإنسان ، وقد عرفها رالف لينتون بأنها : "المجموعة المتكاملة من صفات الفرد العقلية والنفسية ، أي المجموع الإجمالي لقدرات الفرد العقلية وإحساساته ومعتقداته وعاداته واستجاباته العاطفية المشروطة"<sup>1</sup> ، بينما عرفها -أي الشخصية -أفلوريد ليورت بأنها: "استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية ، وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية المحيطة به " ، وهكذا يعبر مفهوم الشخصية عن الوصف الاجتماعي للإنسان ، والذي يشمل الصفات التي تتكون عند الكائن البشري من خلال التفاعل مع المؤثرات البيئية ، والتعامل مع أفراد المجتمع بصفة عامة<sup>2</sup> ، الأمر الذي يعني أن الحديث عن شخصية إنسان ما لا تعني جوانبه النفسية فحسب بل سلوكه الاجتماعي الذي تشكل عبر تفاعله المستمر مع المجتمع بكل ما احتوى من قيم ومعايير و...

#### • الهوية والتوحد :

ينتج عن تحديد الهوية وأركانها من لغة وثقافة وتعليم وقيم ومبادئ ، توحد هذه الأركان ، بحيث يتوحد أفراد المجتمع مع قيم المجتمع أو الجماعة التي ينتمي إليها الفرد من أجل تحقيق مصالح مشتركة ، ومن هنا يمكن تعريف التوحد بأنه تعزيز انتماء الأفراد داخل الجماعة من أجل تحقيق غايات مشتركة ، وما يترتب على ذلك من سلوكيات تتسم بالتجانس والتوافق الاجتماعي ، وتحجيم أي صور من عدم التجانس وصعوبة التكيف مع الجماعة ، وتقييم عملية التوحد يأتي من الملاحظة والمتابعة المستمرة لسلوكيات الأفراد داخل الجماعة .

#### • الضمير الجمعي :

الضمير الجمعي ، أو ما يسمى الوجدان الجمعي هو مجموعة المعتقدات والعواطف المشتركة التي يحملها عدد من الأفراد ينتمون إلى جماعة أو منظمة معينة ، حيث يقول إميل دوركايم في كتابه تقسيم العمل أن لكل مجتمع عقلا جمعيا له القابلية على إعطاء صبغة معينة لتقاليد وعادات ومقاييس الأفراد ، وأن الفرد الواحد مهما بلغ من قوة أو ذكاء لا يستطيع التأثير على هذا العقل<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> رالف لينتون . دراسة الإنسان . ترجمة : عبد المالك الناشف . المكتبة العصرية . بيروت لبنان . 1964 . ص 606 .

<sup>2</sup> عيسى الشماس . مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) . دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق . سورية . 2004 .

<sup>3</sup> عبد الهادي الجوهري . قاموس علم الاجتماع . المكتب الجامعي الحديث . ط 3 . الأزاريطة . اسكندرية . 1998 . ص 134 .

والحديث عن الهوية الثقافية في المدخل الاجتماعي ، يستحضر في جل معالجاته الضمير الجمعي ، إذ أن عملية التوحد مع الجماعة والتماثل لا تتم إلا من خلال ضمير جمعي ، والواقع أن فكرة الضمير الجمعي قد برزت مع جان جاك روسو عند حديثه عن العقد الاجتماعي ، وبلغت فكرة الضمير الجمعي تمامها مع إميل دوركايم ، حيث تحدث عن المصطلح صراحة ، من أجل تكوين جماعة مرجعية تصلح أحوال المجتمع وتديره من خلال ما أسماه بالإرادة الشعبية ، ورأى أن انتقاء تلك الإرادة يفسح الطريق لحكم النخبة وما يحدثونه من هيمنة إيديولوجية وسياسية .

ولعل أهم ما أفرزته التكنولوجيا الحديثة هو التعامل مع الإنسان والعلاقات الإنسانية كأرقام أو مجرد حروف ، ولذا انبرى علماء الاجتماع ومن بينهم هابرماس في سبيل تقويض العقل السجالي الذي شأ الإنسان ، وجعل مهمته العقلية في استيعاب التكنولوجيا ، وكيفية التعامل معها ، فكانت الدعوة إلى إقامة العقلانية التواصلية التي تنشئ عقلا موضوعيا جمعيا يستند إلى إرادة جمعية كراب الصدع الذي نجم عن التقنية المادية ، وما أحدثته من خرق للتنشئة الخلقية والاجتماعية ، حيث ينشأ العقل الجمعي عن الضمير الجمعي ، ذلك أن وحدة العقيدة واللغة تؤلف فكرا واحدا وقرارا واحدا يعبر عن إرادة جمعية تستهدف الصالح العام ، والخير الكلي للجماعة صانعة القرار ، وغني عن البيان أن العقل الجمعي ليس عقلا نخبويًا يسلط الضوء على الصفوة دون المجموع ، وإنما هو عقل موضوعي يتصف بالنزاهة والشورى ، ويستند إلى مبدأ عدم التناقض في الحكم ، ولا يفرق بين قوي وضعيف إلا بالحق .

ومن هنا يمكن القول بأن العقل الجمعي هو صورة الضمير الجمعي في الواقع ، وهو إرادة الضمير الجمعي منطوقة ومعبر عنها في صور ذهنية أو خبرات إنسانية أو أفعال اجتماعية<sup>1</sup>.

## 2 - 2 - التعددية الثقافية والفعل الاجتماعي :

يؤمن الفكر الغربي بأكثر من ثقافة ، فيرى أن التعددية الثقافية شرط أساسي لقيام الحضارة الإنسانية ، والتقدم والتنمية رهن بتعدد الثقافات والهويات ، إذ لا توجد ثقافة واحدة بل

بيد أن هذه الأفكار الجمعية كانت عرضة للنقد أو التحدي من قبل أعضاء المذهب الأنجلوسكسوني الذين اعتقدوا بأهمية الأفكار الفردية في بناء الكل الاجتماعي وصياغة قلبه النهائي .  
<sup>1</sup> فاطمة الزهراء سالم . مرجع سبق ذكره . ص 35.

ثمة ثقافات متعددة ، بحيث لا يختص الفعل الاجتماعي بمجتمع بعينه، بل هو نتاج وحصيلة جملة من الثقافات التي تفاعلت مع بعضها البعض ، فالطابع العملي مثلاً للمجتمع الأمريكي أو الانجليزي لم ينشأ من الثقافة الأم للمجتمع الأمريكي أو الانجليزي ، بل هو محصلة الاحتكاك المباشر بالثقافات الأوروبية والشرقية الأخرى التي شكلت النسيج الثقافي للمجتمع الأمريكي أو المجتمع الانجليزي ، وبالتالي لا توجد ثقافة مدنية بريطانية أو ألمانية أو فرنسية أو إيطالية ، والاختلافات بين البلدان تكون في الدرجة وليس في النوع ، أي أنها اختلافات في بضع درجات مئوية .

### 3 - المدخل النفسي :

قلما وجد مفهوم من المفاهيم النفسية لاقى من الانتشار في لغة الحياة اليومية أكثر من مفهوم "الهوية" أو "أزمة الهوية" إلى جانب "مركب النقص" لآدلر<sup>1</sup>. إذا كان المدخل الاجتماعي يهتم بدراسة الذات الإنسانية في علاقتها بالأنساق الاجتماعية داخل المجتمع ، وشكل ونمط العلاقات الاجتماعية الكائنة بين البشر ، فإن المدخل النفسي يهتم بتشكيل الذات ، وبث الثوابت والمبادئ الأخلاقية والدينية من خلال علاقة الأنا بذاتها ، وقدر ونوعية المصالحة مع الذات ، ودرجة الصحة النفسية التي يتمتع بها المرء ، من أجل تشكيل هويته الذاتية التي ترقيه للعيش في جماعة والتفاعل و التعايش في مجتمع إنساني عاقل وفعال ، لذلك يتم تحديد مفهوم الهوية من المدخل النفسي على ضوء الأبعاد الآتية\*:

<sup>1</sup> بيتر كونسن . البحث عن الهوية "الهوية وتشتتها في حياة ايريك ايريكسون وأعماله" . ترجمة : سامر جميل رضوان . دار الكتاب الجامعي . العين . الإمارات العربية المتحدة . 2010 .

\* الأنا : هو أحد الجوانب اللاشعورية من النفس، يتكون من الهو وينمو مع الفرد متأثراً بالعالم الخارجي والواقعي ويسعى للتحكم في المطالب الغريزية للهو مراعيًا الواقع والقوانين الاجتماعية، فيقرر ما إذا كان سيسمح لهذه المطالب بالإشباع أو بتأجيل إشباعها إلى أن تحين ظروف وأوقات تكون أكثر ملاءمةً لذلك، أو قد يقمعها بصورة نهائية. فهو يراعي الواقع ويمثل الإدراك والحكمة والتعلم الاجتماعي.

الأنا الأعلى هو : القسم الثالث من الشخصية، ينمو تحت تأثير الواقع ويمكن النظر إليه على أنه سلطة تشريعية تنفيذية أو هو الضمير أو المعايير الخلقية التي يحصلها الطفل عن طريق تعامله مع والديه ومدرسيه والمجتمع الذي يعيش فيه والأنا الأعلى ينزع إلى المثالي لا إلى الواقعي، يتجه نحو الكمال لا إلى اللذة. ويوجه الأنا نحو كف الرغبات الغريزية للهو وخاصة الرغبات الجنسية والعدوانية، كما يوجهه نحو الأهداف الأخلاقية بدلاً من الأهداف الواقعية.

الهو: يتكون الهو حسب فرويد من شقين: الذكريات والأفكار المكبوتة من جهة، والغرائز والدوافع البيولوجية من جهة أخرى. ويتصف الهو بمجموعة من الخصائص، من أهمها ما يلي:

## 3 - 1 - تشكيل الأنا :

يستخدم الأنا عادة لتحديد متغير وسيط ، ثم إن الخطاب حول التخلي عن الأنا يتداول اليوم ، وهو تخلّ عن الموضوع في نفس الوقت ، فالإنسان في الفترة الراهنة ( يمر بعملية اختفاء ) ، والخطورة في أن هذا الخطاب يأخذ الصفة العلمية ، على الرغم من أنه خطاب أيديولوجي يواكب متطلبات الحداثة وما بعد الحداثة في الافتتان بحيوانية الإنسان مثل مشروع القرده العليا ، وقانون نورمبرج ونظرية بريموليفي ، وهذا الخطاب الحداثي نتاج ثلاث ثورات تشكل منظومة فكرية قضت على إنسانية الإنسان ، وهذه الثورة الاقتصادية التي ترتبط على نطاق واسع بانهيار الشيوعية وفقدان الديمقراطية ، والثورة الثانية وهي الثورة الرقمية التي نجد صعوبة في استئناسها أو نجعلها إنسانية ، والثورة الأخيرة وهي الثورة الجينية التي تشكك مرة أخرى في مفاهيم معينة أخرى مثل قدرتنا على التدخل في تكوين الجنس البشري ذاته ، وهو ما يسميه (بيير ليجندر ) مبدأ تسلسل الأنساب ، وعلاقتنا بتعريف الكائن الحي ذاته ، وغياب الفاعل الإنساني ، ناتج عن أنه ينفعل مع هذه الثورات بشكل جزئي ، وليس بشكل منظومي ، فكل واحد منا يتعامل مع جانب واحد فقط ، من هذه الثورة الكونية فعلى سبيل المثال من الصعوبة إصدار أحكام أخلاقية دون دراسة شاملة وكافية لمجمل الظروف والأحداث التي دعت إلى فعل أي عمل لا أخلاقي أو مشين ، وبالتالي عند الدراسة الكافية يتطلب الأمر معاقبة الآخرين بجوار المذنب ( المتهم الأساسي ) .

وإذا سلمنا بما تدعو إليه الثورات الثلاث كخطاب أيديولوجي فهو يعني أن العالم يتجه نحو التجرد من الإنسانية ، إنها مسألة صعبة وغاية في التعقيد تتطلب فهما وعمقا وتحديدا للأولويات ، في أن تتشكل الذات الإنسانية ويقاس مقدار عطائها بمثيلاتها من الذوات الإنسانية ، وليس بالآلة أو التكنولوجيا الجديدة ، لأن الغلبة ستكون للأخيرة بالطبع ، ولكن دور اللجان الأخلاقية هو القضاء على حصار الإنسان المعاصر ، وإطلاق طاقاته الإبداعية واحترام الخصوصية الذاتية ، وإعلان تسامي الجسد البشري عن أي تجارب أو إخفاقات جينية ، ومن هنا تتشكل الأنا

---

يتحكم في الهو مبدأ اللذة، فهو يسعى للتخلص من التوتر بأية طريقة، لا يميز الهو بين الخيال والحقيقة ، إن الهو هو

المصدر الأساسي للطاقة النفسية، كما أنه مستودع للغرائز ، يفقر الهو إلى التنظيم، كما أنه لا يتأثر بمرور الزمن، وغير متصل بالعالم الخارجي، إن الهو لا تحكمه قوانين العقل والمنطق، كما أنه لا يعترف بالقيم والأخلاق، وهو الجزء الغامض من الشخصية ولا يمكن اكتشافه إلا عن طريق الأحلام والأعراض العصابية وقلبات اللسان وزلات القلم.

من جديد ، من خلال حضور دائم للذات أمام نفسها وتصبح الأنا قويا يلخص الشرط الإنساني ، ولا يجهل أن العالم مملوء بذوات أخرى يتعين التآلف معها .

### 3 - 2 - تكوين الضمير الداخلي :

متى تتشكل الأنا ، ينشأ مع الأنا ما يسمى بالأنا الأعلى أو الضمير ، وهو بمثابة السلطة الداخلية للإنسان ، أو الصوت الداخلي ، وماهية الضمير أو الشعور الخلقى تكمن في انعكاس الشعور على نفسه ، حيث يقوم بفحص حالاته الشعورية ووزن أفعاله من أجل استحسنائها أو استهجانها ، وقبولها أو رفضها وامتداحها أو ذمها .

ويفترض الضمير مسبقا قبول العقل الباطن لسلطة الدعوى الأخلاقية التي يكون المرء موضوعا للتصرف طبقا لها ، الأمر الذي يجعل الاعتبارات الأخلاقية بالضرورة سوف تقوم بالدفاعية بناء على رغبات المرء مثلا في القيام بالأعمال الخيرية والصائبة لاعتبارات الواجب والإلزام والضرورة ، ويمارس الضمير بطبعه الإلزامي إلزاما خلقيا على المرء يجعله يقول : "أنا لا ينبغي أن أفعل كذا وكذا" ، أو "أنا عليّ إلزام خلقي أن أفعل كذا وكذا" ، أو "مثل هذا الفعل هو صحيح أخلاقيا" ، والواقع أن هناك أنظمة أخلاقية تختلف عن بعضها حسب ما يجب أن نفعله ، فقد يقول أحد الأشخاص: " يجب طاعة الله والامتثال لمشيئته " ، ويقول آخر: " يجب أن نستهدف في حياتنا أقصى حدود المتعة البشرية " ، وثالث يقول: " يجب أن نبحت عن إدراك الذات أو المجد أو نصر البلاد " ، على الرغم من أن كل هؤلاء الأشخاص يعطون إجابات مختلفة لما يجب فعله ، إلا أنهم جميعهم يرتبطون بنفس المعنى في كلمة "يجب" ، حيث يرتبطون بكلمة "يجب" بنفس المعنى ، وإذا لم يكن الأمر كذلك فإن اختلافهم يكون فقط في الكلمات ، ويكون له القليل من الأهمية العملية ، وهذا المعنى المشترك المتضمن في الاختلافات الأخلاقية ( عدم الاتفاقات ) هو ما يشكل طبيعة الضمير .

وطبيعة الضمير تختلف حسب طبيعة تناول الفكري له، فقد تناول الكثير من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والتربية الضمير بمفاهيم مختلفة ووظائف مختلفة أيضا ، أما الضمير بالمعنى السيكولوجي ، فهو يعني الوعي بالذات والإحساس بالوخز عندما ترتكب الأنا الرذائل ، ويتحكم فيها مبدأ اللذة حسب نظرية " سيغموند فرويد" ، وبالتالي ينشأ الفلق والصراع نتيجة لهذا الإحساس بوخز وتأنيب الضمير ، ومن ثم العدول والتصحيح الذاتي لما ارتكبه المرء من موبقات ، وما يفرضه الأنا الأعلى من نظام في داخل الشخصية ، كبنية مستقلة عن السياق الاجتماعي المحيط .

أما "جون ديوي" فيرى أن للخلق الحسن الذي يكون منشأ للضمير ثلاثة ملامح بارزة : وهي القوة والإدراك السليم وسرعة التأثر واللباقة ، أي أن الصفات النزوعية والفكرية والعاطفية للنفس تساهم جميعا في إتمام الخلق ، إلا أنه يؤكد على أن الفرد كمجرد فرد ليس هو صانع المطلب النهائي للعمل الأخلاقي ، أو هو الذي يقرر الغرض النهائي ، أو هو الذي زودنا بالمعايير النهائية للاستحقاق ، إن الذي يقرر هذه الأشياء إنما هو نظام حياة أوسع يندرج هو في إطارها ، إلا أنه عندما نصل إلى التساؤل عن كيفية مواجهة الفرد للمطالب الأخلاقية ، وكيف يلزمه أن يقوم هو نفسه بتحقيق القيم ، فإن المسألة هنا تصبح من اختصاص الفرد على اعتبار أنه فاعل ، ومن ثم وجب علينا في هذه الحالة أن نجيب بلغة علم النفس .

وقد تأثر السلوكيون بالمذهب البرجماتي لـ "جون ديوي" ووجهة نظره في الفرد والمجتمع ، وصوروا الوعي الداخلي للإنسان بما يحدث عنه من سلوك ، ودور البيئة عامل أساس في تشكيل الوعي الداخلي للإنسان ، فالملاحظة الموضوعية لسلوك الإنسان لا الاستبطان الداخلي كما يرى فرويد هي أساس تشكيل الوعي عند الإنسان ، وبالتالي يمكن على الدوام وصف سلوك الكائنات البشرية بواسطة تعبير المثير والاستجابة ، ويقصد بالمثير "كل شيء من أشياء البيئة العامة وكل تغيير من تغيرات الأنسجة يرتبط بالوضع الفسيولوجي للحيوان كالتغيير الذي ينشأ نتيجة حرمان الحيوان من النشاط الجنسي أو من الطعام" ، ويقصد بالاستجابة "كل ما يفعله الحيوان كالاقتراب من الضوء أو الابتعاد عنه أو النشاطات الأشد تنظيما مثل وضع الخطط وتحرير الكتب" ... وبالتالي فالسلوكيون يرون أننا لسنا بحاجة إلى الوعي أو الصور الذهنية أو الحالات العقلية لتفسير أي سلوك إنساني .

وقد نشأ الوعي الداخلي عند الجشطالتيين الذين يمثلون نظرية الصيغة أو الجشطالت من خلال نمو الخبرة المباشرة ، ومن خلال نمو الخبرة المباشرة ، ومن خلال التفاعل الأساسي بين الذات والموضوع ، وهي مقولة جدلية القصد منها هو أن الكل ليس جمعا للأجزاء التي يحتويها هذا الكل ، بل هو يمتلك خصائص ذاتية تؤثر في هذه الأجزاء ، بهذا المعنى فإن الجزء في كل هو شيء يختلف عن هذا الجزء منعزلا أو مندمجا في كل آخر ، وذلك بفضل الخصائص التي يكتسبها من موقعه ومن وظيفته في كل حالة من الحالات ، فالصيغة أو الجشطالت هي شيء آخر ، أو هي شيء يزيد على حاصل جمع أجزائها .

### 3 - 3 - الوعي واغتراب الذات :

يرتبط الوعي بالتحضر والإبداع ، أما الاغتراب فيرتبط باللاوعي والوهم ، وبالتالي تدمير الحضارة ، وهذا ما أسسه فرويد باسم "التحليل النفسي" ، أو ما يمكن أن يقال عنه "علم



اللاوعي " الذي يسيطر على الوعي من خلال الضغط والردع وحرمان الغرائز ، وهذا من جهة نظر النسق الفرويدي ظاهرة حضارية .

ويعرف الوعي بأنه جملة المشاعر ولحظات الإدراك واليقظة ، ويكون الشخص واعيا إذا كان يشعر أو يدرك ، أما عن الوعي بالذات فلا يوجد مركز للوعي بالذات ، والشيء المحتمل أن هذا النشاط يرتبط ارتباطا "وثيقا" بالطبيعة المتلاحمة للاتصالات بين النظام الشبكي و اللحاء ، عندما يصل هذا البناء الكلي إلى درجة كافة من التعقيد عندئذ فقط يمكن للوعي بازدياد تعقيد الجهاز العصبي ، وعند الكائنات الأكثر تعقيدا -الإنسان والشمبانزي - يستطيع اللحاء أن يحمل فكرتين في وقت واحد تقريبا ، الفكرة المعطاة ، والفكرة عن تلك الفكرة.

وتغترب الذات عن ذاتها في حالة اللاوعي ، إذ يشعر الفرد بانفصاله عن ذاته ، وقد تناول "إريك فروم" موضوع الاغتراب من زاوية (تكوين الشخصية ) ، وهو يرى أن الاغتراب نمط من التجربة ، يرى الفرد نفسه فيها كما لو كانت غريبة عنه ، ويفتقد المغزى الذاتي والجوهري للعمل الذي يؤديه ، وهذا يكون أكثر في المجتمع الصناعي المتحضر عن المجتمع التقليدي.

ويرتبط الاغتراب بمصطلح العزلة ، وهو أكثر ما يستعمل في وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري في المجتمع ، ويرى كثير من الباحثين أن ذلك يعد نوع من الانفصال عن المجتمع وثقافته ، ولعل أفضل أسلوب يوضح طبيعة هذا المعنى للاغتراب هو أن ينظر إليه من زاوية قيمة الجزاء أو الإرضاء ، فالأشخاص الذين يحيون حياة عزلة واغتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها فراد المجتمع ، ويبرز هذا الصنف في عدد من المؤشرات ، منها عدم مشاركة الأفراد المغتربين لبقية الناس في مجتمعهم فيما يثير اهتمامهم من أنشطة وبرامج تلفزيونية ومناسبات عامة ، وبالتالي يمكن تفسير الاغتراب بمعاني كثيرة مختلفة ، فهو الانفصال عن الذات ، وهو انعدام القدرة والسلطة وانعدام المغزى ، وفقدان المعيارية ( اللامعيارية ) ، وهذا الاصطلاح الأخير هو ما عرف عند دور كايم باسم "الأنوميا" ، أو تحلل المعايير ، فهو يعتقد أن سعادة الإنسان لا يمكن تخفيضها بصورة مرضية ما لم تكن حاجاته متناسبة أو متوازنة مع الوسائل التي يملكها لإشباعها ، فإذا كانت الحاجات تتطلب أكثر مما يستطيع أن ينال ، أو أنه تشبع بطريقة مناقضة لما يحقق رضاه فإنه يشعر بألم وخيبة .

وهكذا فإن اغتراب الذات يعني ذلك الذي لا يمتلك ذاته ، وقد عبر الفكر اليوناني القديم عن الاغتراب بحالة الجذب ، حيث يسلم الإنسان جسمه للشعائر وما بها من ألغاز ، وهو الشخص الذي لا قبيلة له ، ولا قانون ولا قلب .

وقد صور عالم النفس "كولبرج" فكرة الوعي والاعتراب بقدرة الوعي على التكيف والمواعمة ، إذ يرى أن مرحلة النضج والاستقلال عند الراشدين هي تلك المرحلة التي يكون التفكير فيها واعيا ، ومن ثم يحدث التمثل والمواعمة ، من خلال ما ينشئه الفرد من عقد اجتماعي يقوم على المنفعة المتبادلة بين الأفراد والالتزام بالقانون الوضعي ، أما في حالة صعوبة التكيف ، فقد تنشأ حالة من اغتراب الذات ، ويكون الشخص ساخطا على الجماعة ، ولا ينفذ أوامرها ، ولا يدرك ما هو الصواب ، ومن ثم تتطوي الفرد وينعزل عن أدوار الجماعة دون أن يكون فاعلا فيه .

### 3 - 4 - الهوية التحرر والإبداع :

عندما ينشأ الوعي في الذات ، وتعي الذات بذاتها تستقل الإرادة الذاتية وتحرر ، وترفع قدراتها الذاتية إلى مستوى الاقتدار الذاتي ، وهو اقتدار أرقى وأعلى في اتجاه حكمة الاختيار ، ونزاهة الفعل ، وإبداع الأداء ، والتحرر روح الإبداع ، فالإبداع تجاوز أي تحرر خالص من خلال كفاءة تدبير الطاقة النفسية وتوجيهها وتنظيمها، وتدريب الذاتية على الترحاب والتدفق والتلقائية والتجدد والتنوع ، وتنمية نزعة المجاوزة ، والتوازن والثقة في القدرة الذاتية على الإبداع .

والهوية تتحدد وتتشكل متى كانت الإرادة متحررة ، والعالم التكنولوجي اليوم يطالب بالجودة ، حيث أثرت ثورة الجودة تأثيرا كبيرا على المستوى الاجتماعي ، فقد منحت الأفراد فرصة المشاركة بشكل أفضل في فريق العمل ، والعمل من أجل خلق معرفة جديدة ، وتتطلب ثقافة الجودة مقاييس جديدة للإبداع ، وهي قواعد غير مكتوبة ولكنها تتسم بالطابع العملي، أهمها : التدريب البارع والتفكير والأداء الجيد، ودعم قدرة الأفراد على اتخاذ خطوات مؤثرة ، والأخذ بمنهج إعادة الاكتشاف ، والتفكير والتنفيذ يندمجان معا في جميع المستويات ، وخلق حوار ، دمج وجهات النظر المختلفة ونماذج عقلية مشتركة ، وتقوية الالتزام الداخلي (الضمير)، والتفكير المنظم، واتخاذ قرارات وخلق مواقف للتحكم في الأحداث المحلية .

على هذا النحو لا يمكن إغفال هذه النقاط الرئيسية ، وغيرها الكثير عند تشكيل هوية الذات والجماعة في مجتمع المعرفة والتقنية، والذي أصبح الدور الرئيس فيه لمن يمتلك المعرفة والتقنية والقدرة على إنتاجها واستخدامها بشكل يخدم المجتمع والفرد على السواء<sup>1</sup> .

وهنا لابد من الإشارة إلى الاختلاف بين علماء النفس بشأن الصلة بين هوية الفرد وهوية الجماعة ، إذ يعتقد "إريكسون" أن " فرويد" قد أهمل في إطار نظريته حول الأنا أهمية العوامل الاجتماعية ، لأنه إذا كان للهوية وجه سيكولوجي داخلي ، فإنه لمن المؤكد بأن هناك وجهاً آخر اجتماعي خارجي بالضرورة ، ومن هنا فمن المؤكد وفي كافة مستويات الحياة ، أن كلا من الهويتين ، الفردية والاجتماعية ، وينمو في إطار وحدة متكاملة وتساوق منظم .

وحسب سيد البحراني فإن هذا الفهم المناقض لفهم فرويد ، قاصراً هو الآخر لأنه في النهاية يفصل بين هوية الفرد وهوية الجماعة، وإن كان يلح على ضرورة تكاملهما وتساوقهما ، ولاشك أن هوية الفرد لابد في النهاية أن تكون متميزة في إطار الجماعة ، وإلا فقدت كونها هوية خاصة، غير أن تشكيل الهوية الفردية ، بتمييزها ليس سوى عملية اجتماعية تقوم فيها الجماعة بالدور الرئيسي ، دون إنكار بالطبع للعوامل الشخصية المتعلقة بالجوانب الإبداعية الخارقة ، وإن كانت هذه نفسها ، يمكن للجماعة أن تساهم ف تتميتها أو القضاء عليها أو تحويلها إلى طاقة هدم وتدمير<sup>2</sup> .

### 3 - 5 - تشكيل الذاتية الثقافية :

حين تتشكل الأنا ، ويتكون الضمير الداخلي، وتعي الذات مهامها، وتحرر الهوية في مجال ما من المجالات، حينئذ تتراكم الخبرات لدى الفرد، ويدرك السياق المجتمعي الذي يعيش فيه، والسياق العالمي الذي يدور من حوله وتتكون لديه رؤية عن العالم والوجود والطبيعة، ومن ثم تتشكل الذات الثقافية من جملة هذه الخبرات والعادات التي يكتسبها المرء .

ويدرك المرء ماهية الثقافة وأبعادها، بعد أن يكون مفهوماً عن الأنا، ويتحاور مع أناه العارفة حواراً موضوعياً، يدرك فيه بنيته الاجتماعية التي يجب أن تتشكل وتمتزج مع البنية الذاتية للمرء، ومن ثم مع توافق الأضداد الذات والجماعة، تتشكل الهوية الثقافية للكائن الإنساني في سياق اجتماعي متعارف عليه. وليس هناك تعارض بين الموضوعية والذاتية، والتعارض ينشأ من خلال ما يسمى بمقياس الصدق أو مصداقية المشاهدة والقياس، فالموضوعية هي قرينة

<sup>1</sup> فاطمة الزهراء سالم . مرجع سبق ذكره . ص 64.

<sup>2</sup> سيد البحراني . العولمة والهوية الثقافية . إشراف : جابر عصفور . سلسلة أبحاث المؤتمرات (7) . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . مصر . ص 432 .

الصدق، أما الذاتية فدرجة المصدقية تعتمد فيها على الأداءات التي تقوم بها الذات، وهي ما نسميه بالسلوك الظاهري وليس الداخلي .

وقد استطاع علماء النفس المعاصرون ابتكار أساليب بحثية نوعية من شأنها أن تزيد من توافر الموضوعية والمصدقية فيما يصلون إليه من نتائج، أو التوجه إلى استخدام أساليب إحصائية جديدة لاكتشاف أنها أكثر ملاءمة من الأساليب السائدة لتحليل أنواع بعينها من بيانات البحوث النفسية أو المعملية ، قد أقام علماء النفس مؤسسات لضمان الموضوعية في دراساتهم عن الذاتية، فأقاموا الجمعيات البريطانية، والجمعية المصرية للدراسات النفسية، والعالمية مثل المجلس الدولي لعلماء النفس ICP ، يعرضون فيها إنجازاتهم ويناقشهم زملاء التخصص في مدى مصداقية هذه الإنجازات . كما أنشأوا شبكة لتوزيع المعلومات البحثية تتألف الآن من الدوريات التي تغطي معظم فروع التخصص الدقيقة، وتعتمد هذه الدوريات على طواقم من المحكمين فيما تقرره من قبول أو رفض ما يرسل إليها برجاء النشر . هناك أيضا مؤسسات التعليم والبحث، ونظم المكافآت للمتفوقين بإنتاجهم من العلماء .

بهذا المعنى أمكن لعلماء النفس دراسة الذات الإنسانية دراسة موضوعية بمناهج بحثية جديدة وبطريقة عملية ، وتلاشت النظرة التي ترى أن دراسة الشخصية الإنسانية أمر صعب على العلماء ، وهو يسير على الفنانين ، لذلك بدأت دراسات جادة وجديرة بالاهتمام من قبل علماء النفس المعاصرين على الذاتية والهوية الإنسانية بطريقة موضوعية .

#### 4 - المدخل الأنثروبولوجي :

يشير مفهوم الهوية في الأصل إلى الهوية الفردية ، ويعني إدراك الفرد نفسيا لذاته ، ولكن هذا المفهوم أخذ يتسع تدريجيا داخل العلوم الاجتماعية ، بحيث أصبح يستخدم للتعبير عن الهوية الاجتماعية ، والهوية الثقافية ، والهوية العرقية (السلالية أو الإثنية ) ، وهي مصطلحات تشير إلى توحيد الذات مع وضع اجتماعي معين ، أو مع تراث ثقافي معين ، أو مع جماعة سلالية ، ويمكن الحديث أيضا عن هوية الجماعة ، بمعنى التوحد أو الإدراك الذاتي المشترك بين جماعة من الناس .

بيد أن استخدام مفهوم الهوية لم يكن محل اتفاق بين الباحثين المعاصرين ، والسبب في يكمن في ما تختص به الهوية في الثبات والاستمرار ، سواء عندما يتعلق الأمر بهوية الفرد أو هوية الجماعة ، ولذلك فإن الباحثين ذوي الرؤية العلمية والتوجهات التقدمية يرون أن الأصوب

في هذه المسألة والأبعد عن الشطط هو محاولة اكتشاف آليات تكوين الهوية ، أو آليات هذا التوحد مع وضع اجتماعي أو تراث ثقافي أو جماعة معينة ، وليس البحث عن هوية ثابتة .

إن الدارسين والساساة في كثير من بلاد العالم ، وبصفة خاصة في عالمنا العربي ، لا يعرفون من الهوية إلا ثباتها، ولا يخاطبون فينا إلا هوية واحدة أزلية لا تتغير ، والشطط في هذه الرؤية يتردد بنا إلى نوع من النزعة اللاتاريخية ( التي عفا عنها الزمن ) ، والتي تنتقي من حقائق التاريخ شذرات وتفاصيل تجمعها جنبا إلى جنب ، وتكون منها صورة تخالف في كثير من تفاصيلها ، قوانين العم وقواعد المنطق ، والأهم من ذلك أنها تخالف أصول وحقائق الاجتماع الإنساني، فتلك العناصر الأقدم لم تثبت في ذواتنا على حالها ، وإنما تلتها مراحل تاريخية لاحقة - وكل مرحلة لها من الميزات ما يجعلها تختلف عن سابقتها ولاحقاتها - ، فبعد الدولة النوميديّة مثلا ( التي سبقتها مراحل أخرى عديدة بعضها نعرفه وأكثرها نجهله كل الجهل ) ، تتابعت مراحل أخرى كثيرة ، متعارضة ومتناقضة ، وأدى فعل الزمن إلى اختفاء بعضها ، وبقاء البعض الآخر من عناصرها متخفيا تحت عباءة المرحلة التي تلتها ، وفئة ثالثة اكتسبت مدلولاً معاكساً لمدلولها السابق ، وهكذا ، ... المهم أن شيئا لم يبق على حاله ، وأن هذا التفاعل بين المراحل التاريخية من ناحية ، وبين القوى الاجتماعية أو الشرائح البشرية الحاملة لها في كل مرحلة ينتج هوية متغيرة متجددة ، نسيء إليها لو ثبتناها ، ونعتدي على قواعد المنطق وقوانين الاجتماع الإنساني لو حاولنا أن نبعث بعض مكوناتها ، هكذا بحالتها بعد هذا الكمون الطويل ، لكي نرد إليها الحياة في عالمنا المعاصر .

#### 4 - 1 - إسهامات الدراسات الأنثروبولوجية في إثراء الهوية الثقافية<sup>1</sup>:

وفي إطار هذا التحول، ظهرت عشرات من الدراسات الحقلية تغطي مجتمعات في شتى أنحاء العالم، وساعدت على إبراز عدة حقائق أهمها:

- تمثل الثقافات التي كانت توصف بأنها "بدائية" كيانات من العلاقات والنظم والأنساق لا تقل تعقيدا عن الكيانات الثقافية التي توصف بأنها "حديثة"، ولكن الاختلاف يكون في الصيغ التي تتألف بها مكونات كل ثقافة فيما بينها، وما يقال عن الثقافات يقال كذلك عن اللغات؛ فليست هناك لغة متقدمة وأخرى متخلفة، وإنما العبرة بمدى تلبية اللغة للحاجات الثقافية للناطقين بها.

<sup>1</sup>أزمة الهوية الثقافية في عصر العولمة: رؤية أنثروبولوجية ..مندی طلبة سيدي بلعباس لكل الجزائريين والعرب . 2012/04/04 .  
<http://tolabe-22.yoo7.com/t185-topic#287>

- تدعم مبدأ "النسبية الثقافية" على ضوء الحقيقة السابقة، وقضى على مقولة السلم الحضاري من الأدنى إلى الأعلى، وظهرت نظريات أخرى عن الدوائر والمناطق الثقافية توزع بينها ثقافات العالم على أساس حضور أو غياب سمات معينة، وكان لهذه النظريات بدورها عيوبها التي اكتشفتها التطورات اللاحقة للأنثروبولوجيا.

- ظهرت بجلاء العلاقة الوثيقة بين الثقافات وبين البيئات الطبيعية التي توجد فيها، واعتبر النسق الإيكولوجي أساسيا ضمن منظومة الأنساق في الثقافة أو البناء الاجتماعي، ولم يعد المفهوم الأنثروبولوجي للبيئة قاصرا على المعالم الجغرافية، وإنما تعبيراً عن علاقة تفاعل بين الثقافة والمكان الذي توجد في إطاره.

- صحب هذا الاهتمام بالبعد الجغرافي للمجتمع أو الثقافة اهتمام بالبعد التاريخي، وظهرت أساليب مختلفة للبحث تعوض عدم وجود تاريخ مكتوب لبعض المجتمعات، وزاد الحرص على جمع المادة الفلكلورية التي تكشف عما يمكن اعتباره تراثاً لمجتمع البحث، ونشطت الدراسات المتصلة بالتغير الاجتماعي والثقافي، وتأثيرات التحديث والاحتكاك بالمجتمعات الأخرى. - ظهرت في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، مجموعة من الدراسات، في إطار مدرسة الثقافة والشخصية، تركز على الهويات الثقافية ليس فقط للمجتمعات البسيطة ذات الأعداد المحدودة من السكان، بل أيضاً لمجتمعات صناعية ذات كثافات سكانية عالية كاليابان وروسيا وأمريكا وإنجلترا، وشاع اصطلاح "الطابع القومي" أو "الشخصية القومية"، وانتقل بعد ذلك من محيط الدراسة الأنثروبولوجية إلى العلوم الإنسانية الأخرى.

ويلاحظ في معظم الاتجاهات التي تبلورت بعد الحرب استمرار هذا التركيز على الهوية الثقافية للمجتمعات الذي بدأه الاتجاه السيكولوجي، وبرزت عدة اتجاهات مهمة في هذا الشأن نشير إليها فيما يلي:

- مع نشاط حركات الاستقلال بين دول العالم الثالث، وما تبعها من نشاطات متصلة بالتنمية والتحديث، برز دور بعض الأنثروبولوجيين الذين تبنا قضايا هذه الدول، ووجهوا

الأنظار إلى ضرورة اهتمام مخططي مشروعات التنمية بوضع الخصائص الثقافية للمجتمعات المحلية التي تنفذ فيها موضع الاعتبار، وإلا فإن النتائج لن تحقق ما هو متوقع منها، وأطلقوا على دعوتهم عبارة "التنمية من القاعدة وليست فقط من القمة"، واستجاب البنك الدولي لهذه الدعوة وحرص على إثراك عدد من الأنثروبولوجيين ضمن فرق العمل في مشروعات التنمية التي كان ينفذها.

- أكد الاتجاه المعرفي على أهمية دراسة الهوية الثقافية للمجتمع من زاوية تختلف عن الزوايا المعهودة، وهي محاولة اتخاذ اللغة المحلية مدخلا للنفاذ إلى مكونات البناء المعرفي الكامن في عقول الأفراد المنتمين إليه؛ فالفهم السليم لثقافة أي مجتمع ينبغي أن يتم على أساس كونها نسقا معرفيا متميزا، وأن أفرادها يتشربون عناصر هذا النسق خلال نشأتهم، فيصبح لهم طابع خاص، سواء في كيفية اكتسابهم لخبراتهم عن العالم المادي والاجتماعي المحيط بهم، أو في كيفية تفسيرهم للوقائع والأحداث التي تمر بهم، واتخاذهم التصرفات المناسبة تجاهها، أو في تشكيل نسقهم القيمي الذي يحكم سلوكهم في شتى المواقف، ومن ثم ظهرت اصطلاحات تعبر عن هذه المعاني مثل "الخرائط المعرفية"، أي الترجمة الثقافية لمعالم البيئة المادية والاجتماعية، والتي ترشد الفرد في تعامله معها طوال اليوم، ومثل "الأساليب المعرفية"، وهي الطرق التي تحمل معنى الثبات في أداء أفراد مجتمع ما لأنشطتهم المعرفية، وحل المشكلات خلال تعاملهم مع العالم الخارجي.

- وكما عالج الاتجاه السيكولوجي الهوية الثقافية للمجتمعات من حيث الخصائص النفسية والسلوكية والتنشئة الاجتماعية، وكما عالجها الاتجاه المعرفي من حيث بنائها العقلي وخصائصها اللغوية، فإن الاتجاه الإيكولوجي اهتم بعلاقتها بالوسط البيئي، وربط بين خصائص الثقافة، ونوعية البيئة المحيطة بها، والسمات الشخصية.

## ثانيا : ماهية الهوية

## 1 - مفهوم الهوية :

تشير معاجم اللغة العربية: " المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" لصاحبه أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، وكذا " شماميط القاموس المحيط والقاموس الوسيط لما ذهب من كلام العرب " لصاحبه الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي و " لسان العرب" لابن منظور إلى خلوها من مصطلح الهوية ، إذ لا يعدو الشرح أن تكون الهوية مستقاة من الفعل "هوى" ، أي سقط من عل أو أن يكون معناها البئر البعيدة ، وقد عرفه الجرجاني بقوله أن الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق . وهذا يدل على أن مصطلح الهوية - من حيث الصياغة - غربي المنشأ ، والضرورة ألحت على السؤال عنه في منطقتنا العربية الإسلامية ، نظرا لما يمر به مجتمعنا المعاصر من أزمة هوية .

ولعل التعريف الذي أدلت به الثقافة العربية الإسلامية هو أن الهوية هي كنه الشيء وذاتيته ، فهوية الشيء تعني عينيته وتعني أيضا وحدة الذات بالنسبة للإنسان ، وهوية الشيء تعني ثوابته التي تتجدد وتتغير وتفسح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها ، طالما بقيت الذات على قيد الحياة ، إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره ، وتتجدد فاعليتها ومكانتها دون أن تتغير وتطمس معالمها<sup>1</sup> .

لقد تعرض جميل صليبا في "المعجم الفلسفي" لمفهوم الهوية كمصطلح عربي يقابله في الفرنسية Identité وفي الانجليزية Identity وفي اللاتينية Identitas ، وضمن ذلك بعضا مما يميز هذا المصطلح من خلال ما يلي :

- اسم الهوية ليس عربيا في أصله ، وإنما اضطر إليه بعض المترجمين ، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره ، وحرف هو في قولهم " زيد هو حيوان أو إنسان " .

- اسم الهوية مرادف لاسم الوحدة والوجود ، ولكن اسم "الهوية التي تدل على ذات الشيء غير اسم الهوية التي تدل على الصادق ، وكذلك اسم الموجود الذي يدل على ذات الشيء غير الموجود الذي يدل على الصادق " .

<sup>1</sup> فاطمة الزهراء سالم . مرجع سبق ذكره . ص ص 28 . 29 .



وفي هذا السياق قال الفارابي: "هوية الشيء، وعينيته، وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له، كل واحد، وقولنا أنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"

- وللهوية عند القدماء عدة معان، وهي التشخص، والشخص نفسه والوجود الخارجي، قالوا ما به الشيء هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتا، وباعتبار تشخصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية.

وقالوا: "الأمر المتعلق من حيث أنه معقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازها على الأغيار يسمى هوية، ومن حيث حمل اللوازم عليه يسمى ذاتا"

- الأحق باسم الهوية من كان وجود ذاته من نفسها، وهو المسمى بواجب الوجود والمستلزم للقدم والبقاء.

- الهوية الجزئية: اصطلاح يطلق على قسم من العناصر التي يتألف منها الكل المشخص ماديا أو نفسيا<sup>1</sup>.

بمعنى أن مفهوم الهوية يحمل مضامين أخرى عليه وإن ارتبطت بمعناه الثقافي، جعلته يمتد ويؤكد على اكتشاف أمرين مهمين:  
الأول هو: عناصر التميز للجماعة عن الآخرين، وهي عوامل الثبات فيها.  
أم الثاني فهو: تصورات الجماعة للآخرين وعناصر الاندماج معهم، وفق موقع الذات الذي يحدده العنصر الأول، وهي فعل الثبات في التاريخ وممكناته.

### مفهوم الهوية:

**لغة:** من ناحية الدلالة اللغوية هي كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها. والهوية بهذا المعنى هي اسم الكيان أو الوجود على حاله، أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي، بناء على مقومات ومواصفات وخصائص معينة تمكن من إدراك صاحب الهوية بعينه دون اشتباه مع أمثاله من الأشياء، والمسألة في هذه القضية تتعلق بنوعية تلك الصفات والمقومات والخصائص<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> جميل صليبا . المعجم الفلسفي - بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية - . دار الكتاب اللبناني . دار الكتاب المصري . ج 2 . بيروت لبنان . 1979 . ص ص 529.531.

<sup>2</sup> محمد بوراكي . القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الاستقلال : دراسة انثروبولوجية لبحث نمط الهوية في مخيال تراث الأدب الشعبي . أطروحة دكتوراه . إشراف : عبد الغني مغربي . قسم علم الاجتماعي . كلية العلوم الانسانية والاجتماعية . جامعة الجزائر . 2002-2003 . ص 86

أحمد بن نعمان . الهوية الوطنية . دار الأمة . الجزائر . 1995 . ص 13 .

## 2 - مفاهيم متنوعة للهوية :

ويمكن تعريف الهوية بأنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتما إلى تلك الجماعة ، وهي شفرة تتجمع عناصرها العرقية على مدار تاريخ الجماعة (التاريخ) من خلال تراثها الإبداعي (الثقافة ) وطابع حياتها (الواقع الاجتماعي ) بالإضافة إلى الشفرة .

• ويعرفها محي الدين صابر بكونها : "الاسم السياسي للشخصية التاريخية ، أو الشخصية الثقافية أو الكيان الحضاري ، التي ابتدعتها المجموعة التي تنتمي إليها ، من اللغة والدين والقيم الجمالية والأخلاقية ، وأنماط العلاقات الاجتماعية ، والمهارات التقنية ، وفلسفة الحياة والموت .

• بينما يقدم محمد عابد الجابري مساهمة معمقة في فهمه للهوية ، حيث يرى فيها : "كيان يصير ، يتطور ، وليست معطى جاهزا ونهائيا ، هي تصير وتتطور إما في اتجاه الانكماش ، وإما في اتجاه الانتشار ، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم ، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما .

وينظر إلى الهوية من خلال ارتباطه بمفهوم آخر ، وهو القومية ، هذا المفهوم الذي ظهر وانتشر مع الدعوات القومية في القرن التاسع عشر .

• وفي معرض حديثه عن إشكالية الهوية ، يطرح تركي الحمد إشكالية الهوية من زاوية مغايرة ، فهو يراها إشكالية ذهنية بحتة ، ونوعا من آليات الدفاع الذاتي المستفزة في حالات الإحباط والفشل بغرض إعطاء توازن داخلي للذات المهزومة ، حتى لو كان ذلك على حساب المعطى الواقعي غير المقذور التغلب عليه ، أو غير المؤدي إلى الإشباع أو الرضا المأمول ، ولكنها كما تطرح تشكل حقيقة موضوعية<sup>1</sup> .

بيد أن الاتفاق مع هذا الطرح يبدو من الصعوبة بمكان ، فالهوية معطى موضوعي له عناصر ومقومات ، وهي إحساس بكيانات ذاتيات تتصاعد من الأسرة إلى الإنسانية ، وبالعكس

• **الانتماء** : والانتماء مفهوم نفسي ، اجتماعي ، فلسفي ، وهو نتاج العملية الجدلية التبادلية بين الفرد والمجتمع أو الجماعة التي يفضلها المنتمي ، والانتماء يدعم الهوية باعتبارها الإدراك الداخلي الذاتي للفرد ، محددة بعوامل خارجية يدعمها المجتمع ، والانتماء هو الشعور بهذه العوامل ، ويترجم من خلال أفعال وسلوك تنسم بالولاء لجماعة الانتماء أو المجتمع .

مفهوم نفسي ذو بعد اجتماعي ، وبافتقاده يشعر المرء بالعزلة والغربة ، ويعتريه القلق والضيق وتنتابه المشكلات النفسية والاجتماعية التي لها تأثيرها على وحدة المجتمع وتماسكه ، وتتعدد الاستخدامات المرادفة لكلمة "الانتماء" ، وتستخدم أحيانا بمعنى الهوية ، وأحيانا أخرى مرادفه لكلمة الولاء ، وأحيانا ثالثه الانتساب ، وأحيانا رابعة تستخدم بمعنى التوحد والاندماج . وغيرها .

<sup>1</sup> تركي الحمد . هوية بلا هوية : نحن والعولمة . مجلد : العولمة والهوية الثقافية . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . مصر . 1998 . ص 274 .

في أحوال معينة ، فالإنسان ينتمي بحكم كونه عضواً في مجتمع إلى أشياء " تكوينات -هويات" عديدة هي مكونات شبكة العلاقات التي يدخل فيها ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، فهو ينتمي إلى أسرة معينة ، وإلى أشياء كثيرة .

- ويعرفها المفكر الفرنسي أليكس ميكشيللي : "إنها منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية التي تتطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تتطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها " .
- كما يعرفها علي أسعد وطفة بأنها كيان يجمع بين انتماءات متكاملة وهوية المجتمع تمنح أفرادها مشاعر الأمن والاستقرار ، وفي الوقت الذي يكون فيه المجتمع متعددًا بانتماءات وفئات وجماعات عرقية أو دينية أو سياسية أو اجتماعية<sup>1</sup>.

### 3 - طبيعة الهوية الاجتماعية

الهوية الاجتماعية هي تصورنا حول من نحن ومن الآخرون ، وكذلك تصور الآخرين حول أنفسهم والآخرين ، فالهوية هي أمر قابل للنقاش ومن أوسع الأبواب على تنوعها ، لأنها تأتي كنتيجة طبيعية عن التفاعل الإنساني المستمر ، وخلال هذا التفاعل تحدث مقارنات بين الناس ، الأمر الذي يؤسس للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بينهم والآخرين ، فهم يشتركون في هوية متميزة عن هوية الآخرين ، الأمر الذي ينم عن اعتقاد داخلي بهذا الاختلاف.

يرى ريجارد جنكينز أن الهوية الاجتماعية هي حول المعاني ، وهذه المعاني تتشكل اجتماعياً ، وليست تعبيراً عن الاختلافات الضرورية بين الناس.

هناك بعض الجوانب التي تتكون منها الهوية في إطار ما يسمى بـ "الأنا" مقابل "الآخر" ، يحيلنا الأمر إلى التعرف عن هذا الأنا كونها الصورة التي نكونها عن ذاتنا أو عن الآخرين ، آخذين في الاعتبار جملة من السمات النفسية ، حيث ميز وليم جيمس "الأنا moi" كموضوع للمعرفة التي تتكون من :

الأنا الاجتماعية ، الأنا الإمبريكة ، الأنا (je) العارفة

<sup>1</sup> أليكس ميكشيللي . الهوية . ترجمة علي أسعد وطفة . دار الوسيم . دمشق . سورية . 1993 .

تشتمل "الأنا" الإمبريقية على كل ما يمكن أن يعزیه الإنسان لنفسه من أشياء (الأنا المادية) ، كالجسد ، والقدرات النفسية والثياب والزوجة والأطفال والأسلاف ، والأصدقاء والأعمال والأموال ...، وتولد هذه الأشياء المملوكة انفعالات ومشاعر توجد في أصل المعرفة القيمة ، وتؤدي إلى ردود أفعال دفاعية .

بينما تعود ماهية "الأنا" الاجتماعية إلى جملة من الاعتبارات الحاصلة بالقياس إلى مختلف الفئات المعرفية ، إذ يملك الإنسان وجوها عديدة للأنا الاجتماعي تتعدد بتعدد آراء الآخرين ، ومع ذلك يتصدر الوجوه الأنوية وجه له مقام السيادة ، ويتمثل ذلك في الصورة التي يحددها الشخص الأهم في حياة الفرد ، فالإحساس بالقيمة الأنوية يوجد في أصل مختلف المشاعر مثل : الحب ، خيبة الأمل ، الغرور ...

وينطوي كل من "الأنا" الأمبريقي و"الأنا" الاجتماعي على جانبيين هما : "الأنا" الحالي الفوري المحدد ، و"الأنا" المضمحل البعيد غير المحدد وقد يكون أكثر أو أقل مثالية ، وهو يتدخل ليوجه السلوك وينظمه .

أما "الأنا" العارفة "sujet" فهي من يصف الحالات السيكولوجية مثل : الشعور بالفرح أو الغنى أو الفقر....، وينظر إلى هذه الحالات السيكولوجية على أنها وضعيات استنتاجية وليس على أنها وضعيات تجريبية حقيقية .

وبناء على ذلك تأخذ "الأنا" الواعية "الأنا" المادية كموضوع لها ، وينطوي "الأنا" المادي على الإحساس بالوحدة الوظيفية والجسدية ، فيما يبدو كمصدر للنشاط والحركة والعقلنة التي تسجل حضورها الدائم .

إن تجاوز "الأنا" العارفة لمحدودية الزمن ولصيغته الوقتية يعطي الأنا المادية الإحساس بالديمومة .

أما هيربرت ميد فيصنف بين ثلاثة مستويات للأنا ، حيث :

ينطوي المستوى الأول "moi" على مجموعة أدوار الآخرين التي تم تمثيلها من قبل الفرد ، ويعد ذلك "الأنا" الوسيلة التي ينعكس فيها المجتمع في داخل كل فرد منا، والتي يمارس عبرها رقابته على أفعالنا .

بينما يتضمن "الأنا" الثاني "je" ، وعلى خلاف الأول كل ما هو شخصي في سلوكنا ، وينطوي على عنصري العفوية والإبداع ، وهذه "الأنا" هي التي تستجيب إلى متطلبات الوضعية الاجتماعية بالصيغة التي تنعكس فيها "الأنا" الأولى le moi .

هذا ويعكس "الأنا" الثالث "le soi" إمكانية وعي الذات ، وذلك لأنها نتاج للتفاعل الديالكتيكي بين "الأنا" الأول "le moi" و"الأنا" الثاني "je" ، فهو بالتالي مشبع بالمعايير الاجتماعية ، وله نواة مشتركة بين أعضاء المجتمع نفسه ، وذلك لأنه يتشكل في سياق التفاعل الاجتماعي ويعمل على توجيه السلوك الاجتماعي وتنظيمه ، ويأتي وعي "الأنا" من خلال الخيارات التي يخصصها لنفسه وبشكل مباشر ، وذلك عندما يضع نفسه في مكان الآخرين وينظر إلى الأشياء من منظارهم ، ولا سيما هؤلاء الذين ينتمون إلى جماعة انتمائه .

ويستطيع ذلك "الأنا" "le soi" أن يتنبأ ويستبق ردود أفعال الآخرين ، وهو يفكر في نتائج الأفعال التي يؤديها الجانب الفاعل ويتدخل من أجل تغيير نسق الأفعال وتوجيهها ، ويعني ذلك كله أن وعي "الأنا" في هذا المستوى ينطلق من القدرة على إدراك مواقف الآخر تجاه "الأنا" والإحساس بها .

ينطلق إدراك "الأنا" (الذات) حسب هربرت ميد أساسا من عملية تحول الفرد نفسه إلى موضوع لأناه وذلك بمقتضى العلاقات القائمة بين أفراد آخرين .

وذلك يعني أن إدراك الذات هو نتاج للعلاقة بين "الأنا" المادية "moi" و"الأنا" العارفة "je" ، وفي إطار هذا الجدل فإن "الأنا" المادية هي الوحيدة التي تمثل بشكل مباشر في مرآة الوعي ، بينما ليس هو حال "الأنا" العارفة إذ لا تسجل حضورها إلا عندما يطلب منها الاستجابة لمقتضيات "الأنا" المادي<sup>1</sup> .

#### 4 - خصائص الهوية :

إذا كانت الهوية تعبر عن تساوي وتمائل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاته، أو تساوي موضوعات عديدة ، فالموضوعان أ و ب يكونان متطابقين من حيث الهوية إذا - فقط إذا- كانت كل الصفات (والعلاقات) التي تميز أ مميزة أيضا للموضوع ب ، والعكس ، ولأن الواقع المادي يعتريه التغير باستمرار فإنه لا يمكن وجود موضوعات تنطبق هويتها بصورة مطلقة على ذاتها، حتى في صفاتها الجوهرية والأساسية ، وكون الهوية متعينة وليست مجردة ، فهي تحتوي على تمايزات كامنة ، وتناقضات يتم حلها خلال عملية التطور التي ترجع إلى شروط معينة ، والتميز المسبق للأشياء يعين بسهولة تعيين هويتها ، ومن ناحية أخرى فإن الموضوعات المختلفة غالبا ما تحتاج إلى تحديد هويتها ( بهدف تصنيفها مثلا) ، وهذا يعني أن

<sup>1</sup> أليكس ميكشلي. مرجع سبق ذكره .

الهوية ترتبط ارتباطا لا يمكن فصمه بالتمييز ، كما أنها نسبية ، وكل هوية للأشياء هوية مؤقتة وانتقالية ، بينما تطورها وتغيرها مطلقان<sup>1</sup>.

ويمكن التعبير مع سبق حول خصائص الهوية في النقاط الآتية :

- أنها هوية مكتسبة موروثية يصنعها تاريخ الأمة ، وثقافتها ، وما تمر به من تجارب وخبرات ، وهي المعبرة عن ذاتها الجماعية ، أو الرمز الذي يجتمع عليه كل أفرادها : انتماء واعتزازا ، تعلقا وانتسابا ، ويشكل المساس بها مساسا بكيان الماضي للأمة كلها ، لأنه يعد تشكيكا في ماضيها وطعنا على حاضرها ، ويأسا من مستقبلها ، فهي وإن كانت من صنع الماضي إلا أنها موجودة في حاضرها ، مما يجعل منها دافعا وحافزا للبحث عن المستقبل الأفضل .

- الهوية موجودة في الضمير الجمعي للأمة ، وملك لها ، إلا أنها قابلة للتطور والتفاعل مع الهويات الأخرى .

-الهوية عملية اعتقاد وإرادة ، ذلك أن الاعتقاد والإرادة وليس الإلزام هما ما يميز الهوية ، فالهوية ليست القانون ، ولا يجب أن تكون مساوية له ، فالإسلام مثلا - وهو أحد المركبات الأساسية للهوية في كل الأقطار العربية - قد يتعارض مع القانون - جزئيا أو كليا- فالالتزام بتعاليم الإسلام لا تتبع هنا من إلزامية القانون ، بل من اعتقاد الشعوب<sup>2</sup>.

- الهوية عملية أيديولوجية ، حيث تصطف وتؤدلج من قبل نخبة سياسية معينة ، وذلك بانتقاء عناصر معينة لتثبيتها ، ثم تحدد الهوية الأصلية من خلالها وتضفي عليها هالة من القداسة والسمو<sup>3</sup>.

- الهوية تقوم على مبدأ الوحدة والتنوع الذي يشكل عامل إثراء وإخصاب لها ، ويمكن تصنيف الأفراد بحسب ما اكتسبوه من ثقافات إلى قوالب متعددة تتميز عن بعضها البعض من خلال خصائص مشتركة لكل قالب ثقافي معين بحيث تتشكل هذه الخصائص المميزة هوية هذا القالب وعلى مستوى المجتمعات .

- الهوية عملية تميز واختلاف كونها تنفرد بجملة خصائص تجعل صاحبها مغايرا لغيره ، فمهما تشابه الناس ، واشتركوا في الخصائص الحضارية والثقافية التي تميز الإنسان نوعيا عن غيره من الكائنات ، فإنهم لا يعبرون عن أنفسهم إلا من خلال أشكال فردية شديدة الخصوصية .

<sup>1</sup> م. روزنتال و ب. يودين. الموسوعة الفلسفية. ترجمة سمير كرم. دار الطليعة للطباعة والنشر. ط4. بيروت. لبنان. 1981. ص ص 564 . 565

<sup>2</sup> محمد صالح الهرماسي . مرجع سبق ذكره . ص . 26 .

<sup>3</sup> نور الدين بومهرة . الجزائر والعولمة . منشورات جامعة منتوري . قسنطينة . 2001 . ص 212 .

- الهوية عملية تفاعل وتكامل ، حيث أنها تتشكل عبر تفاعل وتكامل مجموعة من الرقائق التي تتراكم عبر الزمن ، وهذا التفاعل والتكامل بين المكونات هو ما من شأنه خلق التوازن داخل الهوية ، وتغيبب أسباب الصراع والنفي ، الأمر الذي يسهم في الاتفاق العام حولها ، سواء من طرف الجماعة أو الأفراد المكونين لهذه الجماعة .

- الهوية عملية ديناميكية ، كونها تتكون من مجموعة من العناصر ، فهي بالضرورة متغيرة ، في ذات الوقت الذي تتميز فيه بالثبات ، فهي كالكائن البشري الذي يولد ويشب ويشيخ ، ومع المراحل العمرية المختلفة تتغير ملامحه وتصرفاته وذوقه وكل عناصر شخصيته ، لكنه يبقى هو هو <sup>1</sup>.

كما توجد خصائص أخرى تميز الهوية الصحية مثل :

- فهم الذات والاستمرارية للذات عبر الزمان والمكان .
- للهوية اتجاه وأهداف بالنسبة لحياة الفرد من خلال القيم والأهداف المتحققة .
- الذات المتكاملة وتتصف بالإحساس بالكلية .
- الذات التي تحدد تكون مقيمة من الآخرين الهامين <sup>2</sup> .

بينما يشير ريجارد جنكينز إلى أن الهوية جزء مكمل للحياة الاجتماعية ، وهي تتشكل فقط عبر التمييز بين هويات مختلف الجماعات والتي يمكن ربطها بأناس آخرين ، والإطلاع على مختلف الهويات يعطي إشارة عن نوع الفرد الذي تتعامل معه ، ومن ثم كيفية الارتباط به ، إن ما لدينا من فهم حول مختلف الهويات ربما يكون محدودا أو خاطئا ، ولكنه جزء حيوي من الحياة الاجتماعية كونه يجعل التفاعل ممكنا ، ويصل جنكينز في الأخير إلى أنه لن يكون هناك مجتمع بلا هوية اجتماعية <sup>3</sup>.

## 5 - حالات الهوية :

يختلف الأفراد من حيث الهوية ، ويبدو ذلك خلال العمليات المعرفية الاجتماعية المستخدمة في صنع القرار ، ومعالجة المشكلات والتعامل مع قضايا الهوية ، والفرد في عملية التحرك إلى الحالات الأعلى ، قد يبرز بعض الخصائص لحالتين وحتى ثلاث حالات في نفس الوقت ، وتلك الحركة قد تكون نتيجة نضج النفس الاجتماعية ، وحالات الهوية هي نواتج كل

<sup>1</sup> نور الدين بومهرة . مرجع سبق ذكره . ص . 212 .

<sup>2</sup> محمد شريف عبد الرحمان . العولمة والهوية " الهوية الثقافية لطلاب الجامعات الخاصة في ظل العولمة " . دار الهدى للنشر والتوزيع . المنيا مصر . 2008 . ص 59 .

<sup>3</sup> هارلمبس وهولبورن . سوشولوجيا الثقافة والهوية . ترجمة : حاتم حميد محسن . دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق . سورية . 2010 . ص 93 .

من عملية تكوين الهوية والخصائص البنائية للشخصية ، وحالات الهوية تؤثر في حياة الفرد بشكل بالغ :

#### أ - الهوية المشتتة :

هي الحالة النمائية الأقل تقدما ، يغيب فيها الالتزام لمجموعة من القيم والأهداف الداخلية الثابتة ويكون الاستكشاف في حالة الهوية المشتتة مفقودا أو ضحلا ، وهي تتصف بالفشل في تحقيق إحساس متكامل وثابت مع الذات ، وتوقف الفرد عن الكفاح في تحديد ذاته .

#### ب - الهوية المبسترة :

تمثل مستوى عال من الالتزام ، ولا يوجد استكشاف ، أو يوجد استكشاف ولكنه قليل ، والأفراد ذوي الهوية المبسترة لا يوجد لديهم كفاح لتحقيق الهوية ، ويتقبلون تماما ، ويتبنون توقعات الآخرين ذوي الأهمية السيكولوجية لديهم كالأباء .

#### ج - الهوية المؤجلة :

الفرد في حالة الهوية المؤجلة يكافح ويناضل ليجد هويته ويحدد ذاته ، ولكنه إلى الآن لم يقم بأي التزام ، والفرد ذو الهوية المؤجلة يعايش تجارب متعددة ويحاول القيام بأدوار مختلفة ومعتقدات متنوعة وسلوكيات متباينة .

#### د - الهوية المحققة :

وهي حالة الهوية المفضلة ، والفرد في هذه الحالة قد اجتاز بنجاح أزمة الهوية ، إنها تمثل الإقرار بالاستقلال الذاتي للهوية ، وإدماج مجموعة من الالتزامات المتبناة أثناء فترة الاستكشاف ( الهوية المؤجلة )<sup>1</sup>.

### 6 - مستويات الهوية :

يدور الحديث بخصوص الهوية عادة حول ثلاث مستويات : ثقافية ، اجتماعية ، فردية<sup>2</sup> هناك من يرى أن للهوية الوطنية مستويات ثلاثة : هوية على مستوى الفرد ، هوية على مستوى الجماعة ، وأخرى على المستوى الوطني ، وليس بالضرورة أن تتميز هذه المستويات بحالة من الثبات ، بل هي متغيرة ، متأثرة في ذلك بالظروف والصراعات والمصالح .

يميز علماء الاجتماع في العادة عن نوعين من الهوية وهما : الهوية الاجتماعية والهوية الفردية (أو الهوية الشخصية) ، ويمكن التمييز بين هذين النوعين عن طريق التحليل غير أنهما مترابطان بشكل وثيق ، ويمكن النظر إليهما من خلال علامات ومؤشرات على ماهية هذا

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق . ص ص 59 . 61 .  
<sup>2</sup> أليكس ميكشلي . مرجع سبق ذكره . ص 25 .



الشخص أو ذاك ، وفي نفس الوقت هذه المؤشرات تحدد موضع الشخص بين أفراد آخرين يشاركونه الخصائص نفسها ، وتعدد الهويات الاجتماعية يعكس أبعادا عديدة في حياة الناس ، وقد تكون التعددية في الهويات مصدرا محتملا للصراع بين الناس ، غير أن الأفراد في العادة ينظمون معاني حياتهم وتجاربهم حول هوية محورية أساسية تتميز بالاستمرارية النسبية عبر الزمان والمكان<sup>1</sup> .

بينما يرى محمد عابد الجابري بأن للهوية الوطنية مستويات ثلاثة : هوية على مستوى الفرد ، هوية على مستوى الجماعة ، وأخرى على المستوى الوطني ، وليس بالضرورة أن تتميز هذه المستويات بحالة من الثبات ، بل هي متغيرة ، متأثرة في ذلك بالظروف والصراعات والمصالح<sup>2</sup> .. ، وهناك من ينتزع عن الهوية سمتها الاجتماعية الثقافية ، فيراها هوية سياسية لها علاقة بالمواطنة ، حيث الافتراض بأن الهوية تقوم على أساس ثقافي ، مبني على فكرة التجانس الاجتماعي ، هو افتراض غير مبرر .

وهناك من يرى بأن الحداثة مسؤولة عن الربط بين الهوية الثقافية والهوية السياسية ، الأمر الذي أدى إلى صراعات اجتماعية في داخل مجتمعاتنا ، وهذا الربط لا يكون حقيقيا إلا عندما تعبر الهوية السياسية على الهوية الثقافية ، التي ينظر إليها على أنها فعل مرتبط بالماضي والمستقبل ، بينما الهوية السياسية فعل يقوم في الغالب على معطيات الحاضر .

ويؤكد الجابري أن الهوية الثقافية لا تكتمل ، ولا تبرز خصوصيتها الحضارية ، ولا تغدو هوية ممثلة قادرة على نشدان العالمية ، على الأخذ والعطاء ، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر :

الوطن: بوصفه "الأرض والأموات"، أو الجغرافية والتاريخ وقد أصبحا كيانا روحيا واحدا، يعمر قلب كل مواطن. الجغرافيا وقد أصبحت معطى تاريخيا. والتاريخ وقد صار موقعا جغرافيا.

الأمة: بوصفها النسب الروحي الذي تتسجه الثقافة المشتركة: وقوامها ذاكرة تاريخية وطموحات تعبر عنها الإرادة الجماعية التي يصنعها حب الوطن، أعني الوفاء لـ "الأرض والأموات"، للتاريخ الذي ينبج، والأرض التي تستقبل وتحتضن.

<sup>1</sup> أنتوني جينز . علم الاجتماع ص90 .  
<sup>2</sup> محمد عابد الجابري . العولمة والهوية الثقافية : عشر أطروحات . من كتاب العرب والعولمة . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت لبنان . 1998 . ص 298 .

الدولة: بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، والجهاز الساهر على سلامتهما ووحدتهما وحماية مصالحهما، وتمثيلهما إزاء الدول الأخرى، في زمن السلم كما في زمن الحرب. ولا بد من التمييز هنا بين "الدولة" التي هي كيان مشخص ومجرد في الوقت نفسه، كيان يجسد وحدة الوطن والأمة، من جهة، وبين الحكومة أو النظام السياسي الذي يمارس السلطة ويتحدث باسمها من جهة أخرى. وواضح أننا نقصد هنا المعنى الأول.

وإذن، فكل مس بالوطن أو بالأمة أو بالدولة هو مس بالهوية الثقافية، والعكس صحيح أيضا: كل مس بالهوية الثقافية هو في الوقت نفسه مس بالوطن والأمة وتجسيدهما التاريخي: الدولة<sup>1</sup>.

### ثالثا : وظائف الهوية :

ولأن الهويات الاجتماعية تتضمن عادة أبعادا اجتماعية ، فهي تعطي مؤشرات على أن الأفراد متشابهون مثلهم مثل غيرهم من الناس ، والهويات المشتركة تستطيع أن تشكل قاعدة مهمة للحركات الاجتماعية ، كالحركات النسوية ، والحركات العمالية وحركات مناهضة العولمة ، الحركات الدينية والحركات العرقية ، ...وفي مثل هذه الحالات تتخذ هذه الحركات من عناصر الهوية مرتكزات لها ، ومصدرا قويا يدعم توجهاتها وأنشطتها<sup>2</sup> .

- ضمان الاستمرارية التاريخية للأمة ، ويزداد الشعور بالأمة والهوية والانتماء عادة في ظروف الاحتلال والخطر الخارجي ومختلف الأزمات التي تعصف بالأمم عادة وبشكل لا يستثنى أحدا ، حينها لا يجد أفراد المجتمع سبيلا سوى الالتفاف حول مقومات الهوية الواحدة لإعادة اللحمة والتصدي للخطر الخارجي<sup>3</sup> .

ووحدة الهوية تنمو بمشكلة التاريخ ، حيث أننا إذا سلمنا بأن الهوية والانتماء لا تتكون وتترسخ بقرار ولا تحذف أو تعدل بقرار ، وإنما هي نتاج صيرورة تاريخية تتولد عنها خبرات مشتركة يتبناها أفراد المجتمع ، وتضمن استمرارية الأمة وخصوصياتها التي تتطور بالتحديث من داخلها ، وليس من خارجها بالحذف والإضافة ، حسب نزوات الأشخاص وحاجاتهم الظرفية وكأنها عمليات حسابية تتغير بالجمع والطرح والقسمة ، ...<sup>4</sup>

<sup>1</sup> محمد عابد الجابري، فكر ونقد، العدد السادس من موقع الجابري الإلكتروني.

<sup>2</sup> انتوني جينز . علم الاجتماع . مرجع سبق ذكره . ص 91 .

<sup>3</sup> محمد العربي ولد خليفة . المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية . ديوان المطبوعات الجامعية . ومنشورات ثالة الجزائر . 2003 . ص 178 .

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق . ص 293 .

- تحقيق درجة عالية من التجانس والانسجام بين أفراد المجتمع ، والتعايش والإثراء المتبادل بين ثقافته الفرعية ، حيث تنهل كلها من جذع مشترك واحد هو المرجعية المشتركة .
- تشكل الهوية دور الجنسية بالنسبة للفرد والمجتمع ، فهي تعتبر آلية من آليات التماسك الاجتماعي بين مختلف الإثنيات والاتجاهات و...
- كما تضمن الهوية الحد الأدنى من التماثل السلوكي بين أفراد المجتمع الواحد ، حيث أن الممارسات الاجتماعية التي لا تتماشى مع هوية المجتمع ، تستهجن عادة ، ويتجلى التماثل السلوكي خاصة في طرق التعبير عن الحزن والفرح والاحتفالات وطقوس العبادة وغيرها من المواقف التي تشكل الحياة اليومية .
- وبناء على التجانس والانسجام والتماثل السلوكي ، تضمن الهوية نوعا من التماسك الاجتماعي ، حتى بوجود الثقافات الفرعية ، ذات الخصوصيات الثقافية التي تؤدي إلى ظهور التمايز والتغاير والتفاوت داخل نطاق المجتمع الواحد ، وهنا يظهر دور النخبة جليا في احتواء الاختلاف ، وتضييق مساحات الاختلاف والتنافر .
- وبما تملك الهوية من أفكار قومية ، فهي تزود أفراد المجتمع بوجهة نظر مشتركة ، يستطيعون من خلالها تقييم المجتمعات الأخرى .
- وبعبارة أخرى تتمثل الهوية دور إكسبير المناعة ودرع الوحدة ، وعماد التماسك الاجتماعي في كل الأوقات الحرجة وغيرها.

#### رابعا : أبعاد (مركبات ) الهوية

إن القول بهوية مركب كيميائي إنما تعني وتتحدد بالعناصر الأولية المكونة له ، وبالعلاقات الأساسية التي تقوم بين هذه العناصر ، وبالبنية التنظيمية الخاصة بالمركب ، وبالاستناد إلى بعض خصائصه الأساسية ، وانطلاقا مما يطرأ على هذا المركب من تغيرات ، وذلك عندما يوجد في وضعية أو وسط متباين مع وسطه الطبيعي .

وبهذا يتضح أن الهوية هي عناصر التركيب في علاقتها (أي بنيتها ) الداخلية التي تعطي للكائن خصائصه الأساسية ، والتي تتصل بالوسط الخارجي طبيعيا كان أو غير طبيعي ، ومنه يتضح أن الهوية ليست كيانا ثابتا ومطلقا ، وإنما هو متغير . وعناصر الهوية الإنسانية فردية كانت أو جماعية لا تنحصر في العناصر المادية وحدها بل تتعداها إلى مجموعة أخرى من العناصر وهي كما يلي :

- أ - العناصر المادية والفيزيائية ، وتشتمل على الحيازات والقدرات (الاقتصادية والعقلية ) ، التنظيمات المادية ، الانتماءات الفيزيائية والسمات المورفولوجية .
- ب - العناصر التاريخية وتتضمن الأصول التاريخية (مثل الأسلاف ، الولادة ، الاسم ، المبدعين ، الاتحاد ، القرابة ، الخرافات الخاصة بالتكوين ، ...) الأحداث التاريخية المهمة ، الآثار التاريخية (العقائد والعادات والتقاليد ، ... ) .
- ج - العناصر الثقافية والنفسية ، وتتضمن النظام الثقافي ، مثل العقائد والأديان والرموز الثقافية والأيدولوجيا ونظام القيم الثقافية ، وأشكال التعبير الأدبي والفني ، ثم العناصر العقلية (مثل النظرة إلى العالم ، نقاط التقاطع الثقافية ، الاتجاهات والمعايير الجمعية ، ... الخ) ثم النظام المعرفي ويتضمن السمات النفسية الخاصة ، اتجاهات نظام القيم .
- د - العناصر النفسية الاجتماعية ، وتتضمن الأسس الاجتماعية (مثل الاسم والسن والجنس والمهنة والسلطة والدور الاجتماعي والأنشطة والانتماءات ثم القدرات الخاصة بالمستقبل ، مثل القدرة والإمكانات والإثارة الإستراتيجية والتكيف ونمط السلوك ) .
- وهذه العناصر الأربعة مجتمعة تشكل هوية الفرد والجماعة ، ولا مناص من جمعها معا، حيث أن الوعي بوجود هذه العناصر أو غيابها كلها أو بعضها شرط جوهري لوجود هذا الفرد أو هذه الجماعة ، حتى وإن كان من الصعب على الفرد أن يعي كافة هذه العناصر لأنه يمتلكها ويعيشها على نحو تلقائي ، رغم أن هذا الوعي يعد شرطاً لهوية الجماعة<sup>1</sup> .
- بيد أن الأخذ بالسمات المتجانسة والسمات الخاصة في تعريف موضوع ما ، يبدو ضرورياً ، لأن ذلك يسمح بتوضيح التمايز بين مختلف حاملي الهويات ، ويمكن من تحديد أكثر العناصر التي تجسد الشراكة بين مختلف أفراد المجتمع ، وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى الخلاف القائم بين علماء النفس حول الصلة بين هوية الفرد وهوية الجماعة ، حيث يعتقد إريكسون أن فرويد قد أهمل في إطار نظريته حول "الأنا" أهمية العوامل الاجتماعية ، لأنه إذا كان للهوية وجه سيكولوجي داخلي ، فإنه حتماً هناك وجه آخر اجتماعي يشارك في صناعة الوجه الداخلي ، ويسمح له بالظهور من خلاله ليتعرف عليه الآخرون ، ومن هنا فمن المؤكد - وفي كافة مستويات الحياة - ن أن كلا من الهويتين الفردية والاجتماعية ينمو في إطار وحدة متكاملة وتساوق منظم<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> سيد البحراوي . أزمة الهوية ... أزمة المواطنة .. مجموعة من الباحثين . كتاب العولمة والهوية الثقافية .  
<sup>2</sup> نفس المرجع السابق . ص 232 .

وقد تنوعت وتعددت وتباينت مركبات الهوية بتعدد كتابها والمفكرين بشأنها ،وتباين مواطن البحث عنها ، وقد أفضت القراءات العديدة حول مسألة الهوية إلى حصر مركباتها في العناصر الآتية :

### 1 - الدين :

جاء في قاموس علم الاجتماع بأن الأديان هي أنساق للمعتقدات والممارسات ، بينما تشكل التنظيمات الجانب الأخلاقي للسلوك ، والمعتقدات الدينية هي تفسيرات أو تأويلات للخبرة المباشرة بالرجوع إلى البناء المطلق للعالم ، وإلى القوة فوق الطبيعية التي تسيطر على الكون ومظاهره ، والسلوك الديني سلوك مقدس وطقوس تفرض على الشخص ممارسات مقننة تحدد علاقة الشخص بالقوة العليا ، والتنظيم الديني يشير إلى عضوية الأفراد المؤمنين في مجتمع معين ، وهو يفرض عليهم مهام دينية خاصة <sup>1</sup>.

فالدين موجود لدى كل المجتمعات المعروفة اليوم ، رغم تعدد العقائد والممارسات الدينية وتنوعها من ثقافة لأخرى ، وتتطوي جميع الديانات على منظومة من الرموز التي تستوجب الاحترام والإجلال ، وترتبط بسلسلة من الشعائر الطقوسية التي تشترك فيها جماعة المؤمنين .

وقد كانت ومازالت الأديان الموحدة الأكثر تأثيرا في التاريخ البشري كالإسلام واليهودية والمسيحية ، وينتشر مفهوم الآلهة المتعددة في ديانات أخرى ، ولا تدعو بعض الديانات مثل الكنفوشية إلى الإيمان بآله واحد أو عدة آلهة أو بأية قوة خارقة للطبيعة ، بل تشدد على الجوانب الأخلاقية في السلوك البشري <sup>2</sup>.

ليس من السهل إعطاء تعريف واف للدين بشكل يرضي الناس جميعا على اختلاف ملهم ونحلهم ، نظرا لتعدد الأديان وتنوعها واختلافها في كل الجوانب تقريبا ، وربما تتفق التعاريف حول وظيفة الدين وأهميته في حياة البشر إلا أنها تختلف في تعريف كل دين على حدة وفي أصل الدين ، فمن المفكرين من يرى الدين رسالة سماوية مرسله من الله إلى عباده في الأرض ، بينما يرى آخرون بأن الدين ظاهرة اجتماعية ابتدعها الإنسان لتلبية بعض احتياجاته .

● فالمسلمون مثلا يعتقدون جازمين - ركن من أركان الإيمان - بأن الإسلام هو دين الله في الأرض ، وأن الإنسان هو خليفة الله على الأرض لتجسيد تعاليم هذا الدين في الأخلاق والسلوك والمعاملات والعبادات....استنادا إلى العقيدة الإسلامية في ضوء ما يسمى الفقه

<sup>1</sup> محمد عاطف غيث . قاموس علم الاجتماع . ص 382 .

<sup>2</sup> أنتوني جينز . علم الاجتماع . ص ص 594 . 595 .

الإسلامي ، وهم لا يرون ديننا آخر في الوجود غير الدين الإسلامي مصداقا لقوله تعالى : "إن الدين عند الله الإسلام " .

بينما ينظر القرآن الكريم للدين بأنه برنامج حياة ومنهج لتقويم وبناء وتركية النفس، حيث تعبر الآية عن ذلك : " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون" الروم آية 30 ، وتعبر الآية " هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دین الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون" الصف آية 9 والقول بالهوية الإسلامية فإن ذلك يعني الانتماء للدين الإسلامي ، القائم على العقيدة التي تترجم بشكل واضح ودال على الانتماء لها والولاء لكل ما يرمز إليها ، حيث الالتزام بمقتضياتها . فالعقيدة الإسلامية التوحيدية هي أهم الثوابت في هوية المسلم وشخصيته ، وهي أشرف وأعلى وأسمى هوية يمكن أن يتصف بها إنسان ، فهي انتماء إلى أكمل دين ، وأشرف كتاب نزل على أشرف رسول -بشهادة علماء العالم - إلى أشرف أمة ، بأشرف لغة ، في أشرف بقاع الأرض ، بأشرف شريعة وأقوم هدي .

وفي القرآن الكريم مدح وتعظيم لهذه الهوية ، قال تعالى : {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} سورة فصلت 33، وقال سبحانه: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} سورة النساء 125، وقال عز وجل: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } سورة المائدة 3، وقال تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} سورة البقرة 138، وقال جل جلاله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } سورة البقرة 143، وقال عز وجل في شرف هذه الهوية : {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} سورة آل عمران 110، ثم ذكر حيثيات هذه الخيرية : { تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } سورة آل عمران 110.

• كما يعرف الدين بأنه المعتقدات والممارسات والقيم الفلسفية المتصلة بتحديد ما هو مقدس ، وبفهم الحياة ، والتخلص من مشكلات الوجود الإنساني ، ولذلك يعتبر الدين طريقا نظاميا أو تقليديا نحو النجاة أو الخلاص ، فيما تعتبر التقاليد الدينية نتيجة محاولة الإنسان الدائبة الاستئثار بأفكاره الفلسفية والروحية وادخارها بحيث تكون متاحة أمام الفرد كلما واجه الحياة

بتعقيداتها ومشكلاتها وتوتراتها ، وعليه فالدين ظاهرة اجتماعية ( في نفس الوقت الذي يعتبر فيه ظاهرة سيكولوجية ) طالما أنه يركز بالضرورة على الجماعة عند تطوير الفكرة الدينية وفي تعليم المعارف الدينية والعمل على استمرارها<sup>1</sup>.

وقد اهتمت المقاربات السوسيولوجية بقضايا الدين اهتماما كبيرا ، وتأثرت قضايا الدين بآراء ثلاثة مفكرين سوسيولوجيين هم : كارل ماركس وإميل دوركايم وماكس فيبر ، إذ اعتقد هؤلاء الثلاثة أن الدين نشأ كمتطلب مهم في النشأة الاجتماعية و دوره كأحد التركيبات المهمة في الحياة الاجتماعية ، وهو يمثل واقعا موهوما ومضللا ، رغم أن له تأثيرا بالغ الأثر في حياة المجتمعات ، واعتقد هؤلاء أن العالم "الأخر" الذي يصوره الدين هو ، آخر الأمر ، عالمنا الواقعي الراهن مجسدا في الرموز الدينية .

ويحتوي الدين في رأي كارل ماركس ، على عنصر أيديولوجي ، لأنه يبرر أوضاع التفاوت المجتمعي في مجالات الثروة والسلطة ، بينما يؤكد ماكس فيبر على أهمية الدور الذي يقوم به الدين في إحداث التغيير الاجتماعي ، ولا سيما في تنمية النظام الرأسمالي في الغرب ، أما إميل دوركايم فيرى أن الدين يؤدي دورا وظيفيا مهما في تعزيز التماسك والتضامن الاجتماعيين ، وبخاصة في تشديده على ضرورة التقاء الجماعة بصورة دورية لتأكيد العقائد والقيم التي يشتركون فيها<sup>2</sup> ، حيث قال بأن الناس في كل المجتمعات يميزون بين المقدس والمحرم ، وعرف الدين بأنه نسق متحد من المعتقدات والممارسات المتصلة بالأشياء المقدسة ، أي الأشياء الممنوعة عن الناس والبعيدة عنهم ، وهذه المعتقدات والممارسات هي التي توحد كل الذين يتمسكون بها وتجمعهم معا في مجتمع محلي واحد ، ويؤكد دور كايم في نظريته الجوانب الاجتماعية في الدين ، فيرى أن وظيفة الطقوس الدينية هي تأكيد السمو الأخلاقي للمجتمع على أعضائه الأفراد ، وبذلك يتدعم تضامن المجتمع ، وإن رب العشيرة لن يكون شيئا سوى العشيرة نفسها<sup>3</sup>.

أما جيمس فريزر فيذهب إلى أن الدين ظهر بديلا للسحر في تفسير الظواهر الطبيعية وإعطاء القدرة للإنسان في السيطرة على الطبيعة .

<sup>1</sup> محمد عاطف غيث . قاموس علم الاجتماع . مرجع سبق ذكره . ص 382 .

<sup>2</sup> أنتوني جينز . علم الاجتماع . مرجع سبق ذكره . ص 595 .

<sup>3</sup> عبد الهادي الجوهري . قاموس علم الاجتماع . ص 164 .

## دور الدين في تشكيل الهوية

- للدين أثر في تشكيل المفاهيم والقيم الفكرية للممارسات المادية و المعنوية للمجتمع ، فالعلاقة بين الدين و السلوك الاجتماعي علاقة تبادل معرفي و تواصل دائم لسد الفراغ في احتياجات المجتمع المادية و المعنوية خصوصا ما يستجد منها .
- يعمل الدين على طرح القيم التي تعمل على تحديد الهيئة التي تشكل بها الحركة الاجتماعية في الحياة ، و تعمل هذه القيم من خلال ضخها في طقوس شعائر لإشاعة المفاهيم الأخلاقية .
- يحدد للفرد هويته و انتماءه للجماعة و قبوله للقيم و المعتقدات حول الطبيعة البشرية .

## 2 - اللغة :

و من أهم العناصر الثقافية التي لها أعظم الأثر في تشكل الهوية المجتمع المحلي ، التعريف اللغوي: يرى الكثيرون أن اللغة أصلها يوناني ، و هي مشتقة من كلمة لوقوس ، وتعني اللسان ، و هناك من يرى أنها مشتقة من كلمة لغو بمعنى الحديث ، أي أنها مشتقة من لغا يلغو: إذا تكلم ، فمعناها الكلام ، فهذا تعريفها في اللغة. أما في الاصطلاح فعرفت بتعريفات عديدة، أشهرها ما ذكره أبو الفتح ابن جني في كتابه "الخصائص" حيث قال: "حد اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وهذا التعريف الذي تناقله علماء العربية على اختلاف تخصصاتهم - يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة ، حيث ترى تلك التعريفات أن اللغة:

أ - أصوات منطوقة.

ب - وأن وظيفتها التعبير عن الأغراض.

ج- وأنها تعيش بين قوم يتفاهمون بها.

د - وأن لكل قوم لغة.

فهذه - تقريبا - هي الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرفها، وإن كانت بعض التعريفات الحديثة للغة تتوسع، فتدخل في اللغة كل وسيلة تفاهم، ولا تقتصر على الأصوات، فتجعل فيها الإشارات، وتعبيرات الوجه، ودقات الطبول وغيرها ، فإن الأشهر هو حصر اللغة في الأصوات المنطوقة ، لأن غيرها من الوسائل محدودة، وقليلة القيمة.

وعرفها ابن الحاجب بأنها: "كل لفظ وضع لمعنى".



ويراها بعض المحدثين: "أنها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تُخزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتعلم بين أبناء جمع معين". ويراها آخر بأنها: "معنى موضوع في صوت"<sup>1</sup>.

أما إذا عدنا للحديث باللغة السوسولوجية فإننا نجد أن الكلام سلوك يميز كل فرد عن غيره من بني البشر ، حتى أنه يستخدم كبصمة ، واللسان هو نموذج للغة معينة ، كأن نقول هذا لسان عربي وهذا لسان فرنسي و... أما اللغة فهي ظاهرة اجتماعية ، وفي السياق يشير محمد عاطف غيث إلى أن " اللغة هي صورة السلوك الإنساني الشاملة التي تنطوي على الاتصال الرمزي من خلال نسق النماذج الصوتية المنطق عليه ثقافيا ، والذي يحمل معان مقننة ، وتعتبر اللغة جزءا من التراث الثقافي ومعبرة عنه في نفس الوقت ، هذا وتتحول الأصوات التلقائية في اللغة إلى رموز ثقافية قادرة على توصيل الأفكار ، والرغبات والمعاني والخبرات ، والتقاليد من جيل إلى جيل ، واللغة نتاج اجتماعي ، تمثل التجارب المترابطة والراهنة ، والعواطف والمعاني التي يمكن نقلها داخل ثقافة معينة ، بالإضافة إلى أهميتها في الإدراك الاجتماعي والتفكير ومعرفة الذات ومعرفة الآخرين ، ولذلك فهي ضرورية للوجود الاجتماعي"<sup>2</sup>.

إن اللغة تكمن في قلب الثقافة ، وكلما انقص من قيمة الثقافة، انعكس ذلك على قيمة اللغة<sup>3</sup> ، فالمغاربة المهاجرون إلى أوروبا مثلا والذين يستعملون لغتهم الأصلية هم عرضة أكثر من غيرهم للعنصرية ، أو حتى أي سلوك يدل على ثقافتهم الأصلية ، فهم عادة يقابلون بتجريح من المجتمع المستقبل ، وأحيانا بالعدوان ، ولذلك فهم يخفون ، أو يطمسون معالم ثقافتهم القديمة داخل أنفسهم خوفا من الأذى .

## 2 - 1 - أهم السمات العامة للغة :

- اعتمادها على أصوات واضحة تحدد بها مخارج الألفاظ .
- صياغة الكلمات في جمل تستند إلى قواعد و تركيبات واضحة .
- عدد الكلمات في لغة دليل المستوى الثقافي للمنتمين لها فاللغات ذات الغزارة في المصطلحات هي من سمات المجتمعات ذات العلاقة الاجتماعية المعقدة والمستوى العلمي والفني الذي تتمتع به تلك الثقافة والعكس صحيح .

<sup>1</sup> <http://www.toislam.net/contactus.asp2008/08/10>

<sup>2</sup> محمد عاطف غيث . قاموس علم الاجتماع . مرجع سبق ذكره . ص 266 .

<sup>3</sup> Anderzian, Sossie .Les Algériens en France .Génèse et devenir d'une immigration. Publisud.1985 .p336.

## 2 - 2 - دور اللغة الاجتماعي في صياغة هوية الجماعة

- تعد اللغة بالإضافة إلى دورها المهم كأداة تخاطب و نقل للمعرفة من الأوعية المهمة في تحديد و تشكل الهوية .
- هي المخزون الحضاري و الفكري للأمة لما تعبر عنه من تراكم معرفي للأجيال المتعاقبة اللغة رابطة اجتماعية و فكرية بها تشد الجماعة الإنسانية المشتركة إلى بعضها و تتعاضد وتتوحد .
- هي الميزان التي به تقيس الهوية قدرتها على الثبات و التحول أمام المستجدات والتطور، حيث أن اللغة الجامدة أداة تستعصي قدرتها على أدوات الحداثة والتطور الفكري والثقافي واللغة المرنة المنفتحة مع قدرتها على التماسك والتمسك بأصالتها هي معيار للهوية الثقافية المنطلقة .

## 2 - 3 - دور اللغة في التنميط والتعصب للهوية :

تؤكد معظم الدراسات التي تبحث في مسألة اللغة ، بأن العالم مصنوع بشكل ما من اللغة ، حيث يؤكد العالم الأنثروبولوجي ميسيا لاندو : " تكمن الثورة في الدراسات اللغوية في القرن العشرين في الإقرار بأن اللغة ليست مجرد وسيلة لتوصيل الأفكار إلى العالم ، بل أداة لجعل العالم موجودا في المقام الأول ليس الواقع ببساطة "معاشا" أو "معكوسا" في اللغة ، بل هو بالفعل محدث بواسطة اللغة " .

وإذا كان الفرد في المجتمع يكتسب موقعه وسلطته من مدى قدرته على تكوين الرموز وبراعته اللغوية ونسبة تأثيره بقيم الجماعة ، حيث يكون لطلاقة التعبير وأنواع الجمل التي يفتح بها الحديث دور في تكريس قيمته الاجتماعية ، فإن ذلك كله يعود إلى نظام الرموز الاتصالية واللغة على وجه الخصوص لها دوران أساسيان متضادان كشفت عنهما العلوم الحديثة التي تعني بماهية هذه الوسائل ووظائفها وآثارها .

الدور الأساسي الأول إيجابي ، ويتمثل في ربط تطور الوعي البشري بتنمية عقل الإنسان التي ساهمت فيها قدراته الفريدة اللغوية والرمزية ، واستخدامه للأدوات وقدرته على تخزين المعلومات بتسلسل تعاقبي كالأغاني والمعرفة الفنية والكتب وأجهزة الكمبيوتر ، وأنه لم ينتج عن ذلك خلق الحضارة فقط بل التاريخ أيضا ، أما من الجانب البيولوجي فإن الجزء الأكبر من دماغ الإنسان يتولى العمليات اللغوية المعقدة وتخزين المعلومات وإمكان استرجاعها ، وهو في نفس الوقت مرتبط بالأجهزة الآلية التي تتحكم بالنشاطات كالنطق والكتابة .

الدور الأساسي الثاني سلبي ، ويتمثل في كونها تخلق نسقا خاصا يتحكم في العقل البشري ، ويتولى دفة القيادة نحو جهات غير متصورة أو متنبأ بها من مناحي التغيير ، فهي تصبح عقلا داخل العقل ، وتشكل منظومة من القيم والمبادئ التي تختلف عن منظومة الفرد ومنظومة المجتمع اللتين أصبحتا تكونان أسس التعامل المتفق عليه ضمن أطر العادات والمنطق الجمعي .

هذه السمات تجعل هذا النسق يمثل خرقا لرحم التي احتضنته وخروجا عن القواعد التي كونته ، عقل يشكل منظومة فردية للغة ورموز الذات الاتصالية ، فتتمرد عليه ، وبيئة تشكل منظومة جمعية للغة ورموز الهوية الاتصالية ، فتخنفها وتقضيها<sup>1</sup> .

### 3 - الأصل الإثني :

يعتبر مصطلحا العرق والإثنية من أكثر المفاهيم تداخلا ، حيث يفهمان في كثير من الأحيان بنفس المعنى ، ففيما يوحي استخدام مصطلح العرق بدلالات ومعانٍ عنصرية قائمة على أصول بيولوجية ثابتة ، فالإثنية تشير إلى مجمل الممارسات الثقافية والنظرة التي تمارسها أو تعتقها جماعة من الناس ، ويتميزون بها عن الجماعات الأخرى في المجتمع<sup>2</sup>، بينما يضم التعريف الواسع للإثنيات كل المجموعات التي ينظر إليها الآخرون أنها متميزة أو التي تنظر لنفسها على أنها كذلك بالنظر لتقاسمها ثقافة مشتركة أو انتماء قوميا أو خصائص عرقية متميزة ، هذا التعريف الواسع يسمح بإدراج أية مجموعة تستوفي إحدى الشروط الثلاثة ، لكن النقد الذي قد يوجه إليه هو أنه يستند إلى معايير فضفاضة<sup>3</sup>، إذ أنه لدى الاستناد إلى المعيار الثقافي فإن الحياة على النمط الغربي المنتشرة في طول العالم وعرضه لا تؤهل جميع المنخرطين في هذا النمط لتشكيل مجموعة إثنية واحدة، والشيء ذاته بالنسبة لمن ينتسبون إلى موطن واحد، فلو كان هذا المعيار صحيحا لما قامت حروب "انفصالية" Separatist أو "وحدوية" Irredentist في العديد من دول العالم ، أما المعيار العرقي فهو لا يسمح بتحديد مجموعة إثنية لأن هناك ثلاثة أعراق رئيسية في العالم هم: القوقازيين البيض، والأفارقة الزنوج، إضافة إلى الآسيويين. وكل عرق تتفرع عنه مجموعات مختلفة تتمايز فيما بينها من حيث ملامح الوجه والخصائص الجسدية، فضلا عن الاختلافات الدينية واللغوية التي تجعل من الجمع بينها في بوتقة واحدة غير

<sup>1</sup> فالج بن شبيب العجمي . دور اللغة في التنميط والتعصب للهوية . محاضرة أقيمت في ندوة "اللغة والهوية " جامعة الملك سعود . المملكة العربية السعودية . 05 ديسمبر 2006 .

<sup>2</sup> أنتوني جينز . علم الاجتماع . ص 312 .

<sup>3</sup> عادل زقاغ . القضية الأمازيغية : إيتولوجيا الأزمة . مجموعة من الباحثين . التحولات السياسية في الجزائر ، منظور سوسيواقتصادي . تحرير : صالح زياتي . دار فانة . الجزائر . 2011 . ص ص 124-125 .

واقعي. ولا يجب أن نغفل أيضا في هذا الصدد عامل التزاوج بين أفراد أعراق مختلفة بما يجعل الحديث عن النقاء العرقي لأية مجموعة طرحا غير دقيق.

هناك تعريف آخر يقدمه جون ستاك John Stack يضع ستة معايير لتحديد الهوية

الإثنية وهي:

1. العرق: ملامح الوجه والخصائص الجسمانية، طول القامة ولون الشعر والعينين ...
2. القرابة: افتراض وجود رابطة أو الانتماء لسلالة واحدة (وعادة ما يكون هذا الافتراض مجرد ادعاء غير واقعي).
3. الدين: وهو بمثابة اسمنت للتماسك بين أفراد أية مجموعة وضمانة لولائهم.
4. اللغة: بصفنتها محركا للتواصل ورمزا للهوية.
5. العادات: أي وجود نمط حياة متشابه في مجالات الحياة المختلفة.
6. الإقليم: بمعنى انتماء أعضاء المجموعة لمنطقة جغرافية معينة.

ومع ذلك فإن هذه الخصائص الموضوعية غير كافية لبلورة هوية إثنية تدخل في الخارطة الإدراكية لأفرادها بحيث تصيغ رؤيتهم للأنا وللآخر، فهذا المعطى الذاتي تتحكم فيه بالأساس مؤثرات خارجية أو داخلية أو مزيج من الإثنين، والذي يعتبره Stack مهما جدا في عملية الأثنية<sup>1</sup>.

بينما يرى أنتوني جيننز بأن أبرز السمات التي تمايز بين مختلف الجماعات الإثنية اللغة أو التاريخ أو السلالة (سواء كانت حقيقية أو متخيلة) ، والدين وأساليب اللباس والزينة ، والفوارق الإثنية الجارية في الحياة الاجتماعية ما هي إلا ظاهرة اجتماعية خالصة تتشكل بفعل التنشئة الاجتماعية ، حيث يتعلم الصغار ويتمثلون أساليب الحياة والمعايير والمعتقدات الشائعة والسائدة في جماعاتهم ومجتمعاتهم<sup>2</sup> .

### دور الإثنية في تشكيل الهوية

<sup>1</sup> عادل زقاغ . نفس المرجع السابق . ص 126 .  
<sup>2</sup> أنتوني جيننز . علم الاجتماع . مرجع سبق ذكره . ص 312

تحتل الإثنية مكانة مركزية في تكوين الهويات الفردية والجماعية ، لأنها تمثل عنصر الاستمرارية مع الماضي ، ويتعزز ذلك من خلال ممارسة التقاليد الثقافية في المجتمع<sup>1</sup>.

#### 4 - أبعاد أخرى:

إضافة إلى الدين واللغة والأصل العرقي أو الإثني فإن هناك أبعادا أخرى يمكن أن تشكل أركاننا ثابتة لدى بعض الجماعات كالمجال الجغرافي والعلم الوطني والنشيد الوطني والتاريخ المشترك ... لذلك فإن لكل جماعة أو مجتمع أو أمة أبعاد تميزه عن غيره من الأمم ، رغم أن الفصل بين البعد وغيره من الأبعاد هو من الصعوبة بمكان ، فالحديث عن بعد ثقافي لهوية المجتمع ينسحب حتما على اللغة والفولكلور والعادات والتقاليد والدين و...

فالثقافة تشمل كل المعايير والغايات وأشكال الممارسات والنظم التي يؤمن بها الإنسان في توجيه السلوك أو تبرير هذا السلوك كما تضم الثقافة جزئيات هذا السلوك نفسه وعناصره المختلفة بمستوياته ومجالاته المتباينة لهذا تمتزج داخل الثقافة كافة القوى و المنجزات الفكرية والدين والعادات والفنون والمنظمات الاجتماعية - من مستوى الأسرة و حتى الأمة- وكذلك الأدوار والأبنية ، وعادة يتجسد هذا الجانب من الثقافة ويستدعيها المجتمع لحل مختلف قضاياها أو التعبير عما يخالجه من أفراح وأحزان بما يميزه عن غيره في صورة ما يسمى بالقيم أو الأعراف أو الفن أو الفولكلور\* ، كما تتدرج تحتها بالشكل نفسه و إلى المدى نفسه مستويات التكنولوجيا المستخدمة في الثقافة و القدرة على التنظيم الاقتصادي و العمل العسكري ، كما يتمتع بها الإنسان في شتى مراحل تطوره و على اختلاف مستويات تقدمه.

إلى جانب ذلك فالثقافة مثل اللغة تمثل مجموعة من القواعد والمعايير التي يأخذ بها مجتمع ما ، ولهذا فقد اعتبرها المشتغلون بالدراسات الأنثروبولوجية ضمن منظومة ثلاثية تشمل الجنس و اللغة وتمثل أهم المقومات التي تحدد هوية المجتمعات الإنسانية .

وإذا كان الإنسان لم يعرف الثقافة إلا عندما عرف كيف يشير إلى الأشياء ، وإذا كان وجود الأنماط الثقافية قد ارتبط بظهور العلامات أو الرموز التي تكون نظام اللغة ، فإن العلاقة

<sup>1</sup> أنتوني جينز . علم الاجتماع . مرجع سبق ذكره . ص 312 .

\* يستمد العلم الوطني والنشيد الوطني وجودهما من واقع المجتمع في صيغة رمزية .

\* القيم : تشمل كل الموضوعات والظروف والمبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة وقد تكون القيم إيجابية أو سلبية وهي تعمل على تزويد المجتمع بمعنى الحياة والهدف الذي يجمعهم كما تمثل القيم العليا في أي جماعة الهدف الذي يسعى إليه جميع أعضائها للوصول إليها كما أنها مبررا هاما للوجود و يمكن التمييز بين الثقافات في ضوء القيم .

أما العرف فهو الطرق العامة المشتركة التي ينظر إليها على أنها الأكثر صدقا و سلامة من العادات الشعبية ، و من وظائف العرف أنه يحدد الصواب و الخطأ و يعين ما يمكن وصفه بأنه خلقي أو غير خلقي .

الفن: من أهم القيم الثقافية التي به تعبر الشعوب من خلالها عن الجمال ، فالأعمال الفنية هي نماذج للتعبير وفهم الجمال التي أدركتها عواطف الفنان و أحاسيسه ، و هي أعلى وأرقى المفاهيم التي تعبر عن الذات والإدراك ومستوى الحضارة .

الفولكلور الشعبي: من Foils (شعب) ما يترسب في عادات العامة من تقاليد تراثية كالرقص والغناء والموسيقى وقصص وأمثال وخرافات وألعاب ومحاجيات (فوازير)..... الخ .

الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا تعني شيئا أكثر من أن اللغة أساسا ثقافيا ، و أنها بهذا المفهوم نظام يلتزم به أفراد المجتمع ، كما أنها نوع من السلوك الاجتماعي مثل أي ظاهرة اجتماعية أخرى تتكون ضمن إطار ثقافة ما<sup>1</sup>.

وقد توصل ليفي ستروس في دراسة عن الأنثروبولوجيا البنوية نشرها سنة 1958 إلى جملة من النتائج من أهمها :

- إن هناك علاقة وطيدة ومعقدة بين اللغة والثقافة .
- يمكن النظر للغة باعتبارها منتوجا ثقافيا .
- إن اللغة هي الشرط الأول لنشأة الثقافة .
- تتوقف التنشئة والتطبيع ، أي نقل الموروث الثقافي ، على اللغة فلا يمكن أن يكتسب الشخص آليات السلوك والتوافق إذا كان في جماعة لا تتخاطب بلغة مثل حالة الصم - البكم العاجزين عن ترميز الجمل والمفردات وتحويلها إلى إشارات كما هو الشأن في المعوقين حسيا .
- لكل ثقافة بنية مماثلة تماما للغة ، ويتبين من هذه النتيجة التي استخلصها ستروس المصاعب التي يعانيها المترجمون الذين ينقلون النثر والشعر من لغة إلى أخرى مهما كان تمكنهم من اللغة التي ينقلون منها وينقلون إليها<sup>2</sup>.

### خامسا : أنواع الهويات الثقافية

تشكل الهوية ركنا هاما في أي نظام ثقافي ، لكن نوع الهوية يختلف من مجتمع لآخر حسب وضعية الجماعة الاجتماعية ، فمن المجتمعات من لا تحتكم إلى دين سماوي ، ومنها من يعيش تحت الاحتلال ، ومنها من يقع تحت نظام امبراطوري ومنها ....

#### 1 - الهوية الطوطمية :

تطلق كلمة طوطم التي تنتسب إليها العقيدة الطوطمية على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه عشيرة ما رمزا لها ، ولقبا لجميع أفرادها وتعتقد أنها تُولف معه وحدة اجتماعية ، وتنزله وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس ، فإذا كان الذئب مثلا طوطما لعشيرة ما ، فمعنى

<sup>1</sup>كريم زكي حسام الدين . اللغة و الثقافة دراسة انثروولوجوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية . دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع . القاهرة . 2001 . ص 11 .

<sup>2</sup> محمد العربي ولد خليفة . المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية . ديوان المطبوعات الجامعية . ومنشورات تالة الجزائر . 2003 . ص ص 128 - 129 .

ذلك أن هذه العشيرة تتخذ هذا الحيوان رمزا لها يميزها عما عداها من العشائر ، ولقبا يحملها جميع أفرادها للدلالة على انتمائهم إليه، وتعتقد أنها وفصيلة الذئب من طبيعة واحدة ، أي أنه يتألف من أفرادها ومن أفراد هذه الفصيلة الحيوانية ويشكلون وحدة اجتماعية ، أو ما يشبه الأسرة الواحدة، وتنزل هذا الحيوان وما يرمز إليه منزلة التقديس ، وتقوم جميع عقائدها وطقوسها الدينية على أساس من هذا التقديس.

ويمكن التمييز بين ثلاثة أصناف من الطوطم على الأقل :

1 - طوطم القبيلة الذي تشترك فيه القبيلة بأجمعها ، والذي ينتقل بالوراثة من جيل إلى جيل .  
2 - الطوطم الجنساني الذي ينتمي إليه جميع الذكور أو جميع الإناث في القبيلة مع استبعاد الجنس الآخر .

3 - الطوطم الشخصي الذي يخص شخصا مفردا ولا ينتقل إلى خلفه.

والواقع أن الصنفين الأخيرين ليس لهما من الأهمية ما لطوطم القبيلة ، لأنهما أقل تعبيراً عن كنه الطوطم ، حيث أن طوطم القبيلة أو العشيرة هو موضوع تبجيل من قبل مجموعة من الرجال والنساء الذين يتسمون باسمه ، وحسب فرويد فإنهم يعتبرون أنفسهم سليلين أقرباء بالدم لسلف مشترك ، فهم يؤمنون جميعا بنفس الطوطم ، مما يجعلهم مرتبطين ارتباطا وثيقا من خلال واجبات مشتركة متبادلة ، حيث أن نظام الطوطمية يحل لدى بعض الشعوب البدائية في أستراليا وأمريكا وإفريقيا محل الدين ، ويقدم أساسا للتنظيم الاجتماعي، إذ تجسده صلات الاحترام المتبادل و الرحمة المتبادلة بين الإنسان وطوطمه ، وفي جانبه الاجتماعي يقوم على التزامات أفراد العشيرة تجاه بعضهم وتجاه القبائل الأخرى ، وفي التاريخ اللاحق للطوطمية تبدو على الجانبين نزعة نحو الافتراق غالبا ما يبقى النظام الاجتماعي بعد زوال النظام الديني ، وبالعكس تبقى رواسب من الطوطمية في ديانة تلك البلدان التي اختفى فيها النظام الاجتماعي القائم على الطوطمية.

وفي وصفه للطوطمية كنظام يبرز جيمس فريزر أن أفراد القبيلة يتسمون بطوطمهم ، كم يعتقدون عادة أنهم ينحدرون منه ، وفي حال كون الطوطم ليس حيوانا يمتنعون عن أي استخدام آخر له ، ولا يشكل حظر قتل الطوطم وأكله التابو\* الوحيد المرتبط به ، بل يحظر أحيانا لمسه ، وحتى النظر إليه ، وفي عديد من الحالات لا يجوز أن يذكر الطوطم باسمه الصحيح ، ويؤدي انتهاك هذه الأوامر التابوتية الحامية للطوطم إلى عقاب تلقائي يتجلى في أمراض شديدة أو

\* مأخوذة من المفردة الفرنسية tabou وتعني الأمور المحرمة والمحظورة .

الموت ، وهناك قبائل كثيرة تستخدم صور الحيوانات رايات لها ، وتنقشها على أسلحتها ، بل ويرسم الرجال صوراً لهذه الحيوانات على أجسادهم أو يوشمون بها جلدهم .  
ولهذا فإن الطوطمية تبدو من خلال كل الدراسات الأنثروبولوجية نسفاً معقداً هو مزيج من عدد من النظم ذات الطابع الديني والاقتصادي والاجتماعي ، حيث يمتزج إزاءها الاعتقاد بوجود علاقة خاصة للإنسان ( أفراد عشيرة معينة ) وبعض الكائنات الأخرى ، وبوجه خاص أنواع معينة من الحيوان والنبات وإلى حد أقل بعض القوى الطبيعية ، وتأخذ هذه العلاقة في الأغلب شكل الاعتقاد بانحدار أفراد عشيرة معينة بالذات من حيوان معين بالذات أيضاً ، والواقع أن الانضواء تحت لواء الطوطم يفرض جملة من القيود والالتزامات والتحريمات والممارسات ، أهمها تحريم الزواج بين أفراد العشيرة التي تنتسب إلى ذلك الطوطم ، لأنهم يعتبرون جميعاً إخوة وأخوات ، وبذلك فإن الزواج بينهم يعتبر نوعاً من زنا المحارم ، مما يترتب عليه أن يتزوج أفراد العشيرة الطوطمية من خارج عشيرتهم ، وبذلك يسود الزواج الخارجي أو الاغترابي في المجتمعات الطوطمية .

وهذا النظام الطوطمي لم يقتصر فقط على المجتمعات القديمة بل ما تزال رواسبه تسود ثقافات الشعوب المعاصرة ، نلاحظ ذلك في أعلام وشعارات (كشجرة الأرز في علم لبنان ، والنسر على علم مصر ، ...) وكذا العملات النقدية لبعض الدول ، كسنابل القمح وصورة الصقر والكبش وغيره منقوشاً على قطع النقود المتداولة في الجزائر .  
فكل هذه الرموز الطوطمية بقدر ما هي تعبير عن الثروة الاقتصادية لكل دولة فهي أيضاً تعبير عن القيم الثقافية والخصوصية والهوية لكل مجتمع<sup>1</sup> .

## 2 - الهوية الإمبراطورية :

الإمبراطورية هي نوع من الحكم الذي يسيطر على عدد من الشعوب والأقاليم كالإمبراطورية الرومانية قديماً ، والإمبراطورية البريطانية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، وهي دولة كبيرة المساحة كثيرة العدد ، عظيمة القوة تشتمل على أمم وشعوب من أجناس وثقافات مختلفة ، وتتكون عادة بالغزو والفتح .

والإمبراطورية عادة تكونها الهويات الثقافية والقومية والوطنية ، لمختلف شعوب العالم ، فمثلاً الإمبراطورية الرومانية كان تحت حكمها شعوباً كثيرة ، كشمال إفريقيا ، وقد ساهموا في

<sup>1</sup> محمد بوراكي . مرجع سبق ذكره . ص 132 . 135 .



بناء حضارتها ، مثلها في ذلك الإمبراطورية الإسلامية التي انضوت تحتها شعوب كثيرة ، وأمم مختلفة بفضل الفتوحات الإسلامية<sup>1</sup> .

### 3 - الهوية القومية :

إن كلمة قومية مأخوذة من " القوم " وتعني الأمة ، وللقومية صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن واللغة والتاريخ .

وتشكل القومية مرحلة متقدمة على القبيلة والمدينة-الدولة لأنها تضم شريحة أكبر من الناس يشاركون في حياة سياسية واقتصادية وثقافية واحدة ، هذه المشاركة والأخوة القومية تقيمان علاقة تعاون تقوم على التبادل والتكامل .

بينما تعبر الهوية القومية عن مجموع التصورات المتماثلة ، التي تتمثل عادة في إيديولوجيا ومصالح واحدة ، ومن دون هذه الأخيرة لا يستطيع المجتمع أن يحقق هذا التفاعل كوحدة .

وترتبط الهوية القومية بالهوية الثقافية ، وذلك لأن الهوية القومية ذات سمات ثقافية بالأساس . وإذا سلمنا بأن مصطلح القومية يعني تلك الروابط الموضوعية والروحية والشعورية ، والتي تجعل جماعة ما تختلف عن غيرها ، وأن الثقافة هي محصلة النشاط المعنوي والمادي للمجتمع ، فسوف نستخلص : أن الهوية القومية متحققة في التاريخ ، ومعطى يكاد يكون جاهزا ، في حين أن الهوية الثقافية تغلب عليها الصيرورة والتطور والتفاعل سلبا وإيجابا مع غيرها من الهويات الثقافية<sup>2</sup> .

وفي هذا الصدد جاء في "حدود الهوية القومية" بأن مفهوم الهوية القومية نسبية تاريخية يحققها شعب ما عن طريق تفاعله ، أو علاقته الجدلية مع التاريخ ، ولا يرثها من جوهر متأصل فيه ، إنها استجابة تتحول مع تحول أوضاعنا الاجتماعية التاريخية ...، إنها ليست ردا طبيعيا<sup>3</sup> .

ويمكن القول بأن أكثرية أفراد قومية معينة أو قسم كبير منهم ، يتشابهون نفسيا وفكريا واجتماعيا ، إلى درجة تسمح عند الإشارة إليهم ، بالحديث عن هوية قومية عامة ، ترجع إلى تجربة متماثلة في التاريخ<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق . ص 138.

<sup>2</sup> محمد صالح الهرماسي . مرجع سبق ذكره . ص 23 .

<sup>3</sup> نديم البيطار . حدود الهوية القومية . نقد عام . موقع الحوار المثمن.

<sup>4</sup> محمد بوراكي . مرجع سبق ذكره . ص 141 .

## 4 - الهوية الوطنية :

إذا كانت الهوية القومية تتعلق بالأمة ، فإن الهوية الوطنية تتعلق بالدولة ، والتي تعني إيجاد التطابق أو التوافق ، أو التوازي بين الكتلة الاجتماعية ديموغرافيا ورفعتها الجغرافية التي تمارس عليها نتائج الاجتماعي ، وتعبّر من خلالها عن نفسها عبر نمطها الثقافي الخاص بها ، أما القومية فهي السمات (للأنا) للبشر في عملية الناتج التاريخي عن (الغير) بما يحدد في الأناسة كعناصر تخص الكتلة البشرية<sup>1</sup>.

والهوية الوطنية ، نسبة إلى الوطن أو الأمة التي ينتسب إليها شعب متميز بخصائص هويته ، وهوية أية أمة من الأمم هي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها ، والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى<sup>2</sup>.

## 5 - الهوية العولمية :

تقترح العولمة هوية جديدة ، هي الهوية العولمية ، التي تتضمن نقيضين هما : العولمة التي تعمل على محو الهويات ، والهوية التي تقف في وجه الغزو العولمي ، وإذا كانت الهوية تعني التميز عن الغير ، حيث يتميز الفرد عن غيره من الأفراد ، والأمة عن غيرها من الأمم ، والثقافة عن غيرها من الثقافات ، فإن العولمة تعني إلغاء التمايز والتغاير<sup>3</sup>.

بيد أن الواقع الذي يربط العولمة بهويات الأمم والشعوب ينبئ بأمر آخر ، كون التطورات التكنولوجية والمعلوماتية والاتصالية الهائلة التي تحققت في هذا العصر ، تتيح إمكانية أكبر أمام الثقافات المحلية للاغتناء والانفتاح على العالم والتفاعل فيما بينها ، وهو ما يعطي بعدا جديدا للهوية هو البعد العالمي ، وربما أمكن بهذا المعنى الحديث عن هوية عالمية تتفاعل فيها هويات وثقافات الأمم والشعوب ، دون أن تذوب في أنموذج واحد<sup>4</sup>.

واستنادا إلى ما سبق ، يشير البعض إلى إمكانية ولادة " الإنسان العالمي " ذو الهوية الجديدة ، كما يتحدث آخرون عن " عولمة الأنا " التي تحيل الهوية إلى أسطورة في عالم يستطيع فيه أي إنسان وعبر الشبكات الإلكترونية ، أن يصبح سائحا جوالا عبر الأمكنة دون أن يبرح

<sup>1</sup> محمد صالح الهرماسي . مرجع سبق ذكره . ص 21.

<sup>2</sup> أحمد بن نعمان . الهوية الوطنية . دار الأمة . الجزائر . 1995 ص 23 .

<sup>3</sup> محمد صالح الهرماسي . مرجع سبق ذكره . ص 24.

<sup>4</sup> محمد صالح الهرماسي . مرجع سبق ذكره . ص 23 .

مكانه ، فالعولمة تحرق اليوم جدران " الهويات المغلقة" وتجعل الحديث عن الإنسان العالمي أمرا ممكنا جدا<sup>1</sup>.

ويتميز الإنسان العالمي ، بإيمانه بأن الأنسنة هي الميزة المشتركة التي تربط الناس بعضهم ببعض ، كونها تتخطى كل الحواجز السياسية والعرقية ، والثقافية التي تحول دون تأخيهم وتعاونهم ، ومع اتساع الأفق الفكري للإنسان بزيادة التواصل وتعدد بدائل ومصادر المعرفة ، أخذ الإنسان يرى أن العراقل الموجودة لتضامن وتعاون الجماعات البشرية إنما هي حواجز مصطنعة يجب إزالتها .

### سادسا : آليات تشكل الهوية

من الأمور البديهية عند علماء الاجتماع أن الهويات الاجتماعية تصنع وتشكل بواسطة الناس أنفسهم ، وأنها أمر مكتسب ، ويجتهد في الحصول عليها ، وأن الهوية تنتج ويعاد إنتاجها من خلال التفاعل الاجتماعي .

وبقدر ما أمر الهوية الاجتماعية بديها ، بقدر ما لم يؤخذ بجدية كافية من قبل علماء الاجتماع ، فهناك القليل من الدراسات التي اهتمت بالأدوار والنشاطات التي يقوم بها الناس لتحقيق الهوية الاجتماعية وبنائها والمحافظة عليها<sup>2</sup>.

يمثل تشكل الهوية محورا هاما لنمو الشخصية ، إذ يرتبط تشكل الهوية بمعنى تصور الفرد لوجوده وكيونته من خلال تبني المبادئ والالتزام بالأدوار المناسبة على المستوى الذاتي والاجتماعي في الآن ذاته ،

ولأن الهوية سواء على المستوى الشخصي الفردي أو الثقافي أو الاجتماعي هي نظام من الفعل وعمليات التكيف مع الوسط الذي يحيط بالفرد ، فهي تبدأ في التشكل منذ الإحساس بالوجود والانتماء والاختلاف عن الآخر والإحساس بالقيمة والاستقلال وتقدير الذات .

وإذا كانت الهويات الاجتماعية دليلا على التشابه بين الأفراد ، فإن الهوية الفردية ( أو الهوية الشخصية) تضع الحدود المميزة لنا بوصفنا أفرادا ، وتشير الهوية الذاتية إلى عملية التنمية الذاتية التي نرسم من خلالها ملامح مميزة لأنفسنا ولعلاقتنا بالعالم من حولنا عبر التفاعل الرمزي بين الذات والمجتمع ، في ظل بيئة ثقافية واجتماعية مميزة ، ويظل العامل والخيار الفرديين يقومان بدور مركزي مهم في هذا المجال<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد بوراكي . مرجع سبق ذكره . ص 148 .  
<sup>2</sup> غسان منير حمزة و علي أحمد الطراح . الهويات الوطنية والمجتمع العالمي والإعلام . دراسات في إجراءات تشكل الهوية في ظل الهيمنة الإعلامية العالمية . دار النهضة العربية . بيروت . لبنان . 2002 . ص 67 .  
<sup>3</sup> أنتوني جيننز . علم الاجتماع . مرجع سبق ذكره . ص 91 .

## 1- التوحد:

ينطوي مفهوم التوحد على دالتين أساسيتين هما : يشير إلى فعل التعرف ، وذلك يعني تحديد شيء ما بالاستناد إلى بعض المؤشرات والدلالات ، وذلك من أجل تصنيفه في إطار فئة من المعارف المحددة ، كما يشير إلى فعل التوحد مع شخص آخر أو شيء ما ، ويعني ذلك تمثل الفرد لعدد من سمات فرد آخر أو خاصة من خواصه، بعبارة أخرى ينطوي التوحد عمليتين نفسييتين هما : تحديد الآخر ، والتوحد مع الآخر ويجري تحديد الآخر على أساس ثقافي أو جماعي أو فردي ، حيث تتداخل هذه المستويات وتعمل مجتمعة في آن واحد في أغلب الأحيان ، ذلك لأننا ننتمي إلى وسط اجتماعي يحتكم إلى ثقافة معينة ، إلى جانب أننا ننتمي إلى جماعة معينة ، وكذا علاقات شخصية تربطنا بمجموعة من الأفراد الآخرين ، والتركيز على أحد هذه الأسس مرهون بالوضعية الاجتماعية التي يوجد فيها الفاعل الاجتماعي ، إذ تتم عملية تحديد الآخر بشكل آلي لا شعوري ، وإدراك الآخر يعني تصنيفه في فئات ثقافية دالة تحدد مركزه الاجتماعي ودوره ، لكن عندما تكون العلاقة شخصية فذلك يعني تصنيف الآخر انطلاقاً من الصيغة السيكولوجية الكامنة في داخلنا ، وتعد هذه العمليات صالحة عندما يتعلق الأمر بموقف جماعة من الجماعات الأخرى ، فكل مجتمع ، وكل جماعة وكل فرد له سجل خاص بنماذج الهوية ، مما يسمح له بمعرفة الآخرين وتحديدهم ، كما لكل مرحلة تاريخية أو عمرية لمجتمع ما أو لفرد شخصيات نموذجية خيالية تساعد على إدراك الآخر<sup>1</sup>.

وفي هذا الشأن يرى أنتوني جيندز أننا إذا تتبعنا التغيرات في مفهوم الهوية الذاتية في المجتمعات التقليدية والحديثة ، لرأينا ابتعاداً عن العوامل الثابتة الموروثة التي كانت في السابق توجه تكوين الهوية ، حيث كانت هوية المرء في الماضي تتأثر بصورة أساسية بانتمائه إلى جماعات اجتماعية عريضة ، أو ترتبط بعوامل ذات صلة بالطبقة أو الجنسية ، بيد أنها اليوم غدت أقل استقراراً وتعددت فيها الجوانب والأبعاد ، حيث أن كثافة العلاقات الثانوية على حساب العلاقات الأولية ، ونمط الحياة الحضرية ، وكذا تفكك التشكيلات الاجتماعية السابقة على اختلافها ، قد ساهم في التقليل من آثار القواعد والتقاليد الموروثة<sup>2</sup>.

فالطفل يوظف واقعياً أنظمتها المعرفية الفطرية في تحديده للآخرين وفي التعرف إليهم ، فهو يشعر بالأمن كلما اقترب منه شخص مألوف ، بينما يعتريه الخوف كلما اقترب منه الغرباء

<sup>1</sup> أليكس ميكشلي . مرجع سبق ذكره .

<sup>2</sup> أنتوني جيندز . علم الاجتماع . مرجع سبق ذكره . ص 91 .

، ويسعى التدريب الاجتماعي إلى تخزين معلومات مرجعية تساعد الفرد على معرفة الآخرين وتحديد هويتهم بصورة عفوية سريعة ، ويمكن الحديث عن قدرة خاصة لتعيين الآخر ومعرفته ، وهي قدرة تتطور وتصبح أكثر تعقيدا كلما تكاملت مختلف العناصر الخاصة المكونة للهوية . فجهل الآخر وعدم الثقة فيه يترابطان ، ويشكلان مصدرا لارتكاسات عقلية تحليلية ، ويسعى هذا الجهد العقلي إزاء الآخر إلى خفض درجة ورفع سوية الثقة والانتقال بالمجهول إلى دائرة المعلوم ، وبالتالي فإن تجربة جديدة توظف في خدمة التجارب المعرفية الحقة.

ومن أجل الانتقال بالشيء من حالته المجهولة إلى حالته المعلومه يقوم الفرد بتوظيف عمليات عقلية إضافية من شأنها إطلاق أحكام على الآخر ، والبحث عن المؤشرات التي تساعد في تعريفه وتحديده .

وتشير التجارب الخاصة بتعيين الآخر أن عملية التعرف تحدث بمساعدة نماذج إدراكية معقدة تتميز بخاصية الفورية والشمولية ، وذلك بحدود تتجاوز فيه العون الذي تقدمه الإشارات المنعزلة.

ويملك أهل الخبرة والنضج الاجتماعي قدرة متميزة في التعرف على الآخرين بدرجة عالية من الدقة ، لأنهم ينطلقون من معايير أكثر شمولية وتكاملا ، كما أن التجربة الاجتماعية تتدخل هنا ، وخاصة نوع المهنة التي يؤديها الشخص ، لأن المهنة قد تتطلب اتصالا واسعا مع الآخرين ، وذلك يعزز عند ممارستها القدرة على تحديد المؤشرات الدالة على الانتماء الاجتماعي للأفراد المعنيين .

كما أن الموقف يأخذ مرتبة الأولوية في عملية التحديد ، بينما تأخذ نظرة الشخص مهمة تحديد الأبعاد العليا والدنيا للشخص ، وأخيرا تأتي طريقة الحديث وطريقة اللباس فيما بعد لتحديد وضعية الآخر في سياق الأدوار الاجتماعية المحددة .

إذن يمكن القول أن التعرف على الآخر ينطلق من نماذج الهوية الثقافية والجماعية والشخصية التي توجد مسجلة في بيانات مرجعية تكونت عبر التجارب المتواترة للفرد ، وإذا كانت هذه المخططات المرجعية تستطيع أن تكشف عن حقيقة الآخر فإنها تتدخل أيضا لترسم حدود سلوكنا الاجتماعي ، فالفرد يسعى إلى تحقيق التوافق مع الموقف عفويا وذلك وفقا لصورة الهوية الذاتية أي بما يعتقد أنه يجب أن يفعل ، وهذا يعني أن الرموز الاجتماعية مشتركة وأن الحياة الاجتماعية بالغة السهولة .

## 2 - تقمص الآخر

التقمص عملية نفسية يتمثل الفرد بواسطتها جانبا أو خاصة أو سمة من جوانب الآخر أو خواصه أو سماته ، وقد يأخذ التقمص صيغة التوحد الكلي أو الجزئي مع الآخر ، فالشخصية تتكون وتتباين في سياق سلسلة من عمليات التوحد والتقمص .

وتعد عملية التقمص صيرورة سيكولوجية أساسية لتشكيل الشخصية ونموها ، ويعتقد علماء النفس أن الفترة الحساسة لتحديد نموذج التوحد الأول للطفل يكون بين الخامسة والسادسة من العمر ، حيث في هذه المرحلة وبوجود شروط نفسية وتربوية محيطة يتم رسم حدود عملية توحيده وتقمصه ، وهي التي تحدد في المرحلة اللاحقة وبشكل نهائي مواقف الفرد إزاء مجموعة من المسائل الأساسية : من السلطة والحب والتعبير عن الذات .

وتشرف هذه المرحلة على نهايتها مع بداية مرحلة أزمة ما قبل البلوغ ، أي حوالي الحادية عشرة أو الثانية عشرة من العمر ، حيث يتأصل الإحساس بالذات في هذه المرحلة ، فالمراهق في هذه المرحلة يسعى إلى تحقيق ذاته ، ويخضع إمكانياته للتجربة الواقعية ، وهنا تبدأ مرحلة أخرى من التقمصات الجديدة ولا سيما في نهاية مرحلة المراهقة أو خلالها .

ويمكن للشروط السيكولوجية التي تحيط بالفرد أو ما يمكن أن نطلق عليه "المناخ السيكولوجي" وخاصة الإخفاقات العاطفية التي يعاني منها أن تحدد الشخصية في كل مرحلة من مراحل تطورها ، حيث يمكن لبعض الراشدين أن يعيش تقمصات طفولية وذلك لأن نضجه العاطفي قد توقف في مرحلة معينة .

وإذا كانت عمليات التوحد الطفولي أساسية في بناء الشخصية الراشدة ، فهي ليست العمليات الوحيدة الممكنة لبناء الشخصية ، إذ توجد نماذج توحد متجددة تستمر طيلة حياة الفرد ، حيث في كل مرحلة وفي كل عمر وفي كل وضعية يتبنى الفرد نماذج توحيدية تقمصية جزئية أو كلية\* .

ويعد الاتزان من السمات الأساسية التي تشير إلى نضج الهوية وتكاملها ، وهي سمة تشير أيضا إلى قدرة المرء على التعبير عن نفسه وتأكيد ذاته دون صعوبة تذكر .

كما أن بناء هوية الجماعة يمكن أن يقوم على أساس عملية التوحد مع جماعة مرجعية أخرى ، وذلك ينسحب على مستوى البناءات والتقمصات الثقافية ، حيث تشكل الجماعة المرجعية جماعة نموذجية تتطوي على المعايير والقيم والآراء ونماذج للسلوك المرغوب ، ويمكن لهذه الجماعة أن تكون جماعة خيالية أو واقعية أو تاريخية أو أسطورية .

\* بعض الأفراد وعلى مدى حياتهم المهنية ، يتقمصون سمة من سمات أحد أصدقائهم أو يجعل من هوية ذلك الصديق نموذجا مثاليا أو نموذجا مرغوبا ، ويحاول أن يتطابق مع شخصه ويتقمصه كليا .

ويقودنا الأمر إلى الحديث عن التقمص الثقافي

### 3 - التقمص الثقافي :

عادة يجد الفرد نماذجه التوحيدية في المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه ، سواء انتمت تلك النماذج للماضي (كالتوحد مع شخصيات تاريخية ) أو الحاضر ، ويعتبر هذا التوحد توحدًا فرديًا ، بيد أن الفرد سرعان ما يتفقد معايير وقيم وسلوك جماعة أخرى ، فيسعى بذلك إلى تحقيق التكامل معها ، ويتخذ من نظامها الثقافي نموذج المرجعي ، ونفس الأمر ينسحب على الجماعات في مختلف التجمعات البشرية ، حيث يتقمص أعضاء جماعة ما نموذجًا ثقافيًا مشتركًا ، يضمن للجماعة وحدتها الرمزية ، وتتطلب الرقابة التي تنظمها جماعة ما ، من أجل تحقيق التوافق بين أفراد الجماعة والنظام الثقافي السائد في الجماعة ، من الفرد أن يؤدي نشاطاته وأفعاله تحت رقابة الآخر ، هو آخر عام لا متعين ، ويتم هذا التوحد خلال مرحلة التنشئة الاجتماعية بكاملها .

كما تتشكل الهوية وتأخذ هيئة بالاستناد إلى الماضي ، ويشكل ذلك الماضي بحد ذاته تاريخ الجماعة أو المجتمع ، وبذلك يؤكد المجتمع هويته في عملية التكامل الزمني ، وبالتالي فإن وعي الذات يشتمل على وعي الماضي .

إذن تتكون هوية الجماعة عبر عملية تمثل مستمرة لتاريخها ، وبالتالي فإن عملية التحويل الثقافي واستحضار الماضي الجمعي وتجارب النجاح والفشل للجماعة ، وسلوك أبطالها النموذجيين عوامل تسهم في عملية بناء الهوية الثقافية للجماعة ، فالتاريخ يسهم عبر الأسطورة والرواية\* والأعمال الفنية والطقوس في خلق هوية الجماعة وصياغتها كما هو الحال بالنسبة للنمط التربوي السائد الخاص بالأجيال المتلاحقة .

### 4 - الإحساس بالهوية

يأتي الإحساس بالهوية من مختلف عمليات التفاعل والتكامل وقيم التقمص والتوحد ، ويمكن لهذا الإحساس أن يتفرع إلى جملة من الإحساسات التي ترتكز على استمرارية عمليات التقييم وعلى عمليات التكامل التوحيدي ، ومنها :

\* ويزخر التاريخ الجزائري بنماذج يمكن أن تتكرر إذا تربي الناشئة على خصالها والاعتزاز بها ، فسيارة ماسينيسا مؤسس الدولة النوميديّة الحافلة بتفانيه في العمل ، حتى أنه كان ينزل إلى الحقول ليعمل بيديه رغم تجاوزه سن الثمانين ورغم ما كان يحيط به من العبيد والخدم ، والإباء عزة النفس اللتين تحلت بهما الكاهنة ، والصمود في وجه الاستعمار الذي ميز الأمير عبد القادر ، وكذا فصاحة الشيخ البشير الإبراهيمي ومفدي زكرياء وجرأة بلقاسم نايت بلقاسم ورقة محمد اسياخم و..... هذه نماذج بصمت على سجل المآثر الجزائرية ، ويجب أن تلقن هذه البصمات للأجيال .

### • الإحساس بالكينونة المادية :

يتمثل الإحساس بالكينونة المادية لجماعة ما أو ثقافة ما في الوعي المادي المشترك للأعضاء بالعناصر المادية لوجود الجماعة أو الثقافة ، ويتمثل ذلك في معرفة الأرض ومعرفة السكان ، ومعرفة مدى القوة والإمكانات ، ومعرفة الحيازات المادية الأخرى .

بينما يكون الإحساس بالهوية المادية لدى الجماعات المتجاورة أو المتحركة ، بالانطلاق من إدراك لحضور أعضاء آخرين ، ومن خلال شروط مادية فيزيائية ، وهي الشروط التي توجه القدرات المادية الكائنة في إطار الجماعة ، ويبدو هذا النوع من الإحساس واضحا داخل جماعات الأحزاب السياسية ، حيث يتحول إلى قوة فكرية تتحدث باسم الجماعة ، فكل فردي إطار الحزب يشعر بالقوة ، لأنه يتوحد مع قوة الحزب ويتمثلها .

فالإحساس بالهوية المادية يكون ذا قيمة كبيرة في الجماعات التي تعطي للفرد إحساسا بوجود أشباه له داخل الجماعة، حيث يتبادل الفرد مع بقية الأعضاء نفس الإحساس المنبثق أساسا من نفس السمات المشتركة بين الجميع ، وهو الأمر الذي يسمح للفرد باكتشاف السمات المشتركة الخاصة بالهوية الجماعية ، حيث يصبح متاحا له تقدير أوجه الشبه والاختلاف بينه وبين أعضاء الجماعة الآخرين .

### • الإحساس بالانتماء :

يأتي الإحساس بالانتماء كنتاج لعمليات التكامل الاجتماعي ولعملية تمثل القيم الاجتماعية السائدة في إطار الجماعة ، وذلك لأن الكائن الإنساني يعيش في وسط اجتماعي يغمره بمعايير ونماذج السلوكية . ولا يمكن للإحساس بالانتماء أن يوجد بعيدا عن دائرة المشاعر المكونة للإحساس بالهوية ، إذ أنه يرتبط مثلا بالإحساس بالقيمة والإحساس بالثقة بالنفس ، بينما يشكل التضامن الإنساني مكونا أساسيا من مكونات الروح الجماعية .

وروح الجماعة مهما كان شكلها ، سواء روح العشيرة أو روح العائلة أو روح الفريق أو روح العصاة أو... هي قبل كل شيء إحساس بالانتماء إلى المعايير والأهداف وتنطوي على التلاحم والتماسك والصدق والثقة بالجماعة والاعتزاز بالانتماء إليها ، وتقدير الروابط الاجتماعية القائمة فيها ، وتتغرز روح الجماعة أكثر فأكثر بالمشاركة الانفعالية للأفراد في مختلف الطقوس بشكل جماعي ، حيث تتحول هذه الاجتماعات إلى مصدر للعلاقات العاطفية الجماعية ، الأمر الذي من شأنه تحقيق الوحدة العاطفية لأفراد الجماعة الذين يرتفعون من أجل تحقيق هذه الوحدة فوق التناقضات الصغيرة والتعارضات التي تظهر بينهم .



### • الإحساس بالاستمرارية :

يتمثل هذا الشعور في إحساس الفرد بوحدته الزمنية ، وإحساسه بوحدة مراحل حياته المختلفة ، فالتباينات الزمنية لهويته موجودة ، لكن لا يوجد هناك أي إحساس بقطيعة وجودية .  
فإحساس الفرد بالاستمرارية الزمنية ينطوي في جانب كبير منه على أساس استمرارية الوجود المادي الجسدي ، حيث لا يشعر الفرد بالتغيرات النوعية الحاصلة فيه والتي تؤدي ربما إلى تغير في شكله وحجمه، وينطلق ذلك الإحساس أيضا من عملية إعادة اكتشاف الحالات الواعية المتعاقبة والتي تجعل الفرد يدرك استمرارية هويته وتواصلها عبر الزمن .  
كما يستند الإحساس بالاستمرارية الزمنية أيضا على الذاكرة ، وعلى الخصوص النشاط النفسي المستمر الذي يربط بين آمال الفرد ويكامل بينها ، وذلك بتوسط النظام العرفي .  
كما أن الإحساس بالهوية الجمعية ينطلق عادة من ذكريات تتصل بالتجارب الانفعالية والوجدانية المشتركة ، وما يحدث في إطار الجماعة يرتبط بأحداثها الماضية ، حتى الجماعات الكبيرة الواسعة (التي لا توجد فيها علاقات اجتماعية مباشرة كالعلاقة وجها لوجه) يمكن لهويتها أن تولد ، لأن أفرادها يدركون تاريخهم الجماعي المشترك ، الأمر الذي يسمح لهم بالمشاركة في مختلف النشاطات والفعاليات بدون تحفظ ، وهو الأمر الذي من شأنه تعزيز بنية الهوية الاجتماعية .

فالباحث في الثقافة الجزائرية بوصفها استمرارية للزمن ، يجد تاريخا مميزا جمع شمل كل الجزائريين بلا استثناء ، كثورة التحرير الجزائرية التي شارك في إنجازها جميع الجزائريين ، وقطف ثمار الاعتزاز بثمارها جميع الجزائريين أيضا ، مما يوحي بهوية جزائرية صرفة لا تقبل المجادلة ولا تقبل المراهنة على أي مركب من مركباتها ، ونفس الأمر ينطبق على الجزائريين في عهد الستينات وسينطبق على الجزائريين بعد قرون ، إذ ما دام الفرد جزائريا فإن الانتماء للمآثر الجزائرية يظل حقا مشروعاً له ، فجزائر القرن الواحد والعشرين ليست جزائر المائتين قبل الميلاد لكنها تمثل امتدادا لها ، ويجد الجزائريون في كل المراحل المتعاقبة والوضعيات التاريخية ما ينعش الذاكرة ويشكل مصدر الإلهام الثقافي ، ولذلك فإنه مهما تغيرت الأزمان فإن الهوية تبقى هوية جزائرية .

### • الإحساس بالتباين :

يمثل ذلك الإحساس منطلقا لأحاسيس التفرد والوحدة ، فالشخص الذي يمتلك هوية شخصية لا يستطيع أن يفكر بطريقة مطابقة تماما للآخرين ، فهو آخر (غيرية) ، حيث لا يمكن

للمحاكاة أو للتقارب بين الأفراد أن يكونا مطلقين ، وعندما يحدث ذلك فهو فقدان للهوية لصالح هوية أخرى.

فالإحساس بالاختلاف يعد أساسيا من أجل وعي الهوية ونموها ، فالرضيع لا يستطيع أن يجد هويته ، وذلك لنقص في قدرته على التمايز ، فهو يبدأ بتعلم الأدوار الاجتماعية ، لكنه مع مرور الزمن لا يكفي بتمثل أدوار الآخرين فحسب ، بل يتعلم كيف يؤديها بطريقته الخاصة والمختلفة ، وهو يدرك الاختلاف القائم بين الأدوار التي يحاكيها وأدائه الخاص لهذه الأدوار ، وهو بذلك يؤدي تجربة تمكنه من الإحساس بهويته الشخصية ، فهو كائن واحد على الرغم من تعدد الأدوار التي يؤديها .

ويؤدي الإحساس بالتباين الفردية إلى بناء الهوية الجماعية ، من خلال إدراك أفراد ما لانتماءاتهم على نحو مختلف ، ثم تأتي مرحلة أخرى يزداد فيها إدراكهم بدقة ما يميزهم عن غيرهم ، الأمر الذي يسمح لهم برسم توجهات توافق تلك الانتماءات ، مما يمهد لتشكيل هوية جماعية . بينما إذا كان ذلك الإدراك المتباين صعبا أو غير ممكن فإن ذلك يفسح المجال لأزمة الهوية الجماعية .

## 9 - الإحساس بالقيمة :

توجه الأنا "le moi" " فعالياتها من أجل أن تعرف ويعترف بها ، ويتحقق وعي الهوية الفردية ذاتيا ، وذلك بشكل غير مباشر عندما يتاح للفرد أن يتمثل وجهات نظر الآخرين الذين ينتمون إلى الجماعة نفسها ، وهم هؤلاء الذين تعلم أن يحاكيهم ، وهو بذلك يحكم على نفسه من خلال النظرة التي يتوقعها من الآخرين .

- حيث أن كل فرد يسعى إلى أن يكون ذا قيمة أمام أعين الآخرين ، وبالتالي فإن هذه القيمة تكمن في أحكام الآخرين .

- أن الإحساس بالكينونة والوجود يكون من خلال تملك القيمة التي يمنحها الآخر بأحكامه ، وهي أحكام دالة وجديرة بالاعتبار .

- أن يكون المرء كائنا ما من أجل الآخر عملية تترجم الرغبة في تملك الهوية على نحو قطعي .

وقد ارتبط الإحساس بالقيمة والذي يوجد في علاقة عميقة مع الإحساس بالثقة بالجهد المركزي للإحساس بالوجود\* ، ..... لذلك فإن الهوية في علاقتها مع الإحساس بالوجود تمثل شبكة من المحركات الدينامية التي تنطلق من مستوى الطموح ودرجته .

### • الإحساس بالاستقلال :

ينطوي الإحساس بالهوية الشخصية على الإحساس بالاستقلال كوجه آخر للإحساس بالانتماء ، حيث لا يستطيع الإنسان تأكيد هويته الفردية إلا إذا استطاع وفي الوقت نفسه أن ينطلق من الإحساس بالانتماء إلى جماعة يتجانس مع أفرادها ، ومن الإحساس بالاستقلال ، وذلك بالقياس إلى الهيمنة الجماعية - الضمير الجمعي عند دوركايم - .

ويشكل جدل الاستقلال (الذوبان والرفض) إحدى المسائل الأساسية للإنسان المعاصر ، إذ أن مشكلة الهوية هي في جانب منها مسألة القيمة التي يأخذها الفرد بالقياس إلى الآخرين ، والتي تحمل معنى ودلالة ، حيث يجب على الفرد أن يحاكي الآخرين وأن يقف في الوقت نفسه على مسافة منهم ، وذلك من شأنه أن يطرح على الإنسانية المعضلة الأساسية والتي تتمثل في البحث عن المسافة الجيدة التي يجب على الفرد أن يأخذها في موضوع محاكاته .

إن الإحساس بالاستقلال يعطي الفرد إمكانية التفكير واتخاذ القرار وإجراء المبادرات الشخصية ، إذ أن تأكيد الذات يساعد على قياس مدى نضج الهوية عند الفرد ، والفعل المستقل الخاص بالهوية المتكاملة هو فعل تمرد على المنيرات الخاصة بالتبعية<sup>1</sup> .

ولأن الأفراد قد أصبحوا أكثر حراكا من الوجهتين الاجتماعية والجغرافية ، فإن ذلك قد أدى إلى تحرير الناس من الجماعات كثيفة الترابط والمتجانسة نسبيا ، والتي كانت أنظمتها القيمية والسلوكية تتحدر وتتسلسل بصورة ثابتة من جيل إلى جيل ، الأمر الذي أسفر عن إفساح المجال لبروز مصادر أخرى للمعنى لتلعب دورا في رسم تصورات الناس عن هوياتهم ، بكل حرية<sup>2</sup> .

إن وجود هوية جماعية ما مرهون بعملية هدم روابط التبعية التي تربط هذه الجماعة بالجماعات الأخرى الموجودة في المحيط الاجتماعي .

\* إذ يشارك إحساس تقدير الذات في تحديد مستوى الطموح أو تحديد المواقف الأساسية تجاه ما يمكن أن يحققه الفرد مستقبلا وذلك على المستوى الشخصي ، ومن هذا المستوى ، مستوى الطموح تنبعث طاقة التوجه ، أو الموقف اللاشعوري الدائم الذي يعمل على ربط الاهتمامات وتحقيق تكاملها ووحدتها ، ويعني ذلك القوة الدينامية الإرادية الناجمة عن العمليات المعرفية .

<sup>1</sup> أليكس ميكشلي . مرجع سبق ذكره .

<sup>2</sup> أنتوني جينز . علم الاجتماع . مرجع سبق ذكره . ص 91 .

### • الإحساس بالثقة :

يعتبر الإحساس بالثقة منطلقاً لما يسمى "الإحساس الاجتماعي" أو القدرة على المشاركة في الحياة الاجتماعية ، ويتكون الإحساس بالثقة بالنفس في سياق العلاقة مع الآخر ، أي من منطلق الثقة في الآخر ، كما ويرتبط وبدرجة كبيرة بمدى قدرة الفرد على المشاركة ومدى إحساسه بالانتماء .

وتؤثر اتجاهات الوالدين الإيجابية ومواقفهم في بناء إحساس الثقة بالنفس عند الطفل، والتي تعطي اعتبارات إيجابية لما يؤديه الطفل وما يقوم به ، وبذلك فإن موقف الوسيط العائلي يشكل منطلقاً آخر لبناء الشعور بالثقة بالنفس .

وينسحب ذلك على الجماعات والثقافات ، حيث يتكون الشعور بالثقة انطلاقاً من العلاقات الإيجابية مع الجماعات الأخرى ، فالهوية ترتكز إذن على مبدأ الإحساس بالثقة والذي ينطلق من الشعور بالأمن الوجودي ، ومن هذا المنطلق يساعد الشعور بالثقة واقعياً في تأكيد السيرورة الطبيعية للعمليات المعرفية وللتكامل بين القيم وعمليات التقييم والقدرة على إصدار الأحكام بناء على التكامل الحاصل .

### • الإحساس بالوجود والجهد المركزي :

على أساس الإحساس بالثقة بالنفس يرتكز مفهوم الجهد المركزي للإحساس بالوجود ، مما يعني إمكانية إعطاء معنى للأفعال التي يؤديها الفرد .

ولكي يكون الفرد طبيعياً يجب أن يرسم لنفسه هدفاً محدداً ، وأن يحدد نسق طموحاته المستقبلية وأمانه ، وليس ضرورياً أن تأخذ الأهداف المرسومة صيغة محددة ، بل يكفي أن تنطلق من إحساس بالجهد المركزي .

فالضغط النفسي يؤدي تحت تأثير الصدمات الانفعالية إلى الانهيار عند الفرد ، حيث "لا يعرف بعد ذلك أين هو" ، ويأخذ بعض الوقت ليجد معنى لحياته .

فالهويات الفردية منها والجماعية تستهلك طاقاتها في عملية التواصل مع محور من القيم الذي يحدد لها الغاية من وجودها ، فالعقيدة الأيديولوجية أو الدينية تسلط الضوء على معنى الحياة ، فالمناضل يشعر بالنشوة عندما يطبق عقيدته ويمارسها .

ويتطلب الجهد المركزي رؤية للمستقبل ، كما يتطلب إمكانيات التعبير عن الأهداف الحيوية وتحقيقها ، هذا ويميز أريكسون بين الجهد اللاشعوري الذي يقارب بين الفرد ونماذجه

المثالية ، والإحساس بالهوية الذي يعني بالنسبة له وعيا بالهوية ، فالهوية إذن كما تبدو له هي الإحساس بالجهد المركزي الذي يسعى إلى تحقيق هذا الهدف أو ذلك .

ويمكن للجهد المركزي أن يتجلى في صيغة مشروع محدد للهوية ، وهو نوع من الغائية اللاواعية التي تسعى للتحقيق والتي توجه قرارات الفرد وسلوكه.

وفيما يسعى السوسيوولوجيون إلى تحديد المعايير الخاصة المعدة لتنفيذ ذلك المشروع الخاص بالهوية (الأصل الاجتماعي ، نمط الدراسة ، الشهادات العلمية الحاصلة ) ، يعمل علماء النفس على تحديد الطريقة التي تسهم فيها العوامل النفسية في تحديد هذا المشروع الخاص بالهوية (السنوات الأولى من العمر ، الخبرات المتنوعة ، ...).

### خلاصة الفصل :

بحث هذا الفصل أساسا عن الهوية في مضامين التراث المعرفي الإنساني ، حيث يحيلنا الحديث عن الهوية إلى التفكير - بشكل آلي في كثير من الأحيان - في المسائل المرتبط بالأصالة والمعاصرة والحادثة والأصولية و...، وكذا التفكير في مسألة الإبادة العرقية المبنية أساسا على هويات الشعوب ، كما يحيلنا الأمر إلى التفكير مباشرة كنه الهوية وما يرتبط بها من المسائل المتعلقة بالأنا والهو والأنا الأعلى ،

كما بحث الفصل في أهم المداخل التي تعنى عادة بالهوية كمجال لدراساتها ، ليفضي به الأمر إلى الوقوف على خصائص الهوية التي ترتبط بها عادة مختلف الوظائف والحالات الهوياتية ، لكن أهم ما وقف عليه الفصل هو الخطوط الرفيعة بين الهوية في الفكر العربي والهوية في الفكر الغربي ، حيث :

- بناء على ما سبق يبدو أن مفهوم الهوية في الفكر الغربي شديد الارتباط بمفهوم الفرد والشخصية ، والهوية هنا لا تفهم إلا بحضور الغيرية ، بكل ما تحمله الغيرية من قيم الحادثة مثل التنوع والاختلاف والتعددية وقبول الآخر المخالف<sup>1</sup>.
- التركيز على الهوية في سياقها الغربي ينصب على العنصر المعنوي وهو العنصر الفاعل في حياة الإنسان ، والهوية ليست وجودا بمعزل عن التاريخ ، أو وجود مطلق ، بل وجود في الزمن يستوعب التغير الحادث عبر الزمن ، وفي هذا السياق الهوية عملية معاشة دائمة تتم في الواقع بين العقل والطبيعة .

1 مجموعة باحثين. العولمة والهوية الثقافية. مرجع سبق ذكره . ص405.

- بينما في الفكر العربي الإسلامي أصبح الأنا المعبر عن الهوية حبيسا للهو ، أي لهوية الأجداد ، كما يحلو للأفراد تخيلهم في التراث .
- يحدد سليم اللغماني الاختلاف البنيوي بين الهوية عند الغرب والعرب في :  
أولا ، إن للتراث لدى الغرب جذورا مهدت لهويته المتماهية في الحداثة ، ولدينا يعتبر التراث هو الجذور والجذوع والهوية في الوقت نفسه .
- ثانيا ، يتميز التراث لدى الغرب بتنوع مصادره واختلاف اتجاهاته ، بينما عند العرب المسلمين يظل التراث والهوية واحدة ووحيدة ، فهي انتقائية مقتصرة على الهوية "العربية الإسلامية" متجاهلة ما قبلها وما بعدها<sup>1</sup> .
- سؤال الهوية في الفكر الغربي قد تجلت معالم إجاباته واتخذ الصيغة الاجتماعية والنسقية المنظمة ، بينما سؤال الهوية في الفكر العربي ما زال سؤالا ذاتيا يتعلق بالهوية الذاتية ، ولعل المرجع في ذلك هو أن الأمة العربية الإسلامية كانت شحيحة في إنتاجها العلمي والمعرفي منذ أكثر من قرنين من الزمان ، فهي إما إعادة إنتاج للثقافة أو مستوردة لثقافات ونظريات جاهزة لم تتنكر أو تبدع في نشأتها ، وبالتالي أصبحت البيئة العربية الإسلامية بيئة مستهلكة للثقافة والتكنولوجيا ، ومن ثم فقدت هويتها مع استيعابها الكامل لمنجزات الغرب المتقدم عنها بآلاف السنين ، وعلى هذا الأساس يمكن تصور أن الاستجابة لسؤال الهوية في المجتمع العربي الإسلامي لازال يعد أمرا بعيد المنال لدى البعض ، خاصة مع زيادة الاضطرابات الدولية ، والانفتاح الحضاري بين الدول ، وغياب الفعل الاجتماعي الحضاري بين الشعوب العربية الإسلامية ، وغيبة النظام الواعي القادر على استنهاض همة المتقنين ، وقادة الرأي والفعل في وطننا ، لكي يدلوا بدلهم في هذه القضية المصيرية ، بعيدا عن حديث العموميات والوصايا الأبوية التي سادت في خطابنا التتموي من قبيل ضرورة تنمية القدرات الذاتية ، وسد الفجوات الحضارية وامتصاص الصدمات المستقبلية.

<sup>1</sup> مجموعة من الباحثين. العولمة والهوية الثقافية. مرجع سبق ذكره. ص 406 .

# الفصل الرابع

## آليات عولمة البنى التحتية للمجتمع المحلي

أولا :جدلية العلاقة بين العولمة وهوية المجتمع المحلي من منظور الصراع

1 - البناء الاجتماعي التحتي

2 - البناء الاجتماعي الفوقي

ثانيا :آليات الرأسمالية في تشكيل النسق العولمي

ثالثا : آليات الرأسمالية في عولمة البنى التحتية للمجتمعات المحلية

1 - مراحل عولمة البنى التحتية للمجتمع المحلي

2 - الأسس التي تقوم عليها عملية العولمة

3- مسوقات عولمة الصناعة

رابعا : نتائج عولمة البنى التحتية في المجتمعات المحلية

النتيجة الأولى: صناعة الفقر والبطالة

النتيجة الثانية : انحسار سيادة الدولة

## تمهيد

إذا كانت العولمة نظاما وضعه البشر مرنا متكيفا.... فإن وجهها الأساسي البارز هو الاقتصاد\* ، وعولمة اقتصاديات الأمم لا يتم من خلال مرحلة واحدة أو مجرد عملية بل بمراحل متعددة وإجراءات معقدة يتداخل فيها الاقتصاد والسياسة والثقافة وغيرها من جوانب المجتمع ، وعمليات يصعب حصرها والوقوف على شكل واحد لها أو لون .

ويلقي هذا الجزء من الدراسة الضوء\* على ممارسات العولمة تجاه المجتمعات المحلية ، إذ بمختلف أدواتها وأساليبها وطرائقها في تعليم العالم فنون الاستهلاك والتبذير ، وكذا الخنوع للحصول على مقابل يمارسون من خلاله التبذير في أقصى صورته ، إذ ستقف الدراسة عند سبعينيات القرن المنصرم ، حيث تزامن إغلاق المصانع الملوثة للبيئة في البلدان الغنية مع فتح مؤسسات صناعية تأخذ العمال بأجور منخفضة وشروط صحية سيئة وراء الحدود الخارجية ، دون النظر في ظروف هؤلاء العمال ، وفي ذات الأثناء يبرز دور الجندر "النوع الاجتماعي" كأحد الرهانات التي يعول عليها النسق العولمي في كثير من مواقع تواجد الشركات متعددة الجنسيات ، التي تسعى غالبا وراء الشابات العازبات لأنهن الأمل إلى العمل ساعات طويلة في ظروف رديئة دون تدمير أو دون التفكير في تشكيل تنظيمات ، وهن في أمس الحاجة إلى دخل ، ومدرجات أنه يمكن أن يستعاض عنهن بالملايين من الأخرى الباحثات عن عمل ، لقد عولمت تلك النسوة في الأغلب مثل أي شيء يمكن الاستغناء عنه من قبل أصحاب المصانع... إنه أدب العولمة في تقسيم العمل<sup>1</sup> ، حيث هذا النوع من الممارسة ينتشر في كل أنحاء العالم ، حتى في الجزائر لاحت البطالة المقنعة بوجه مختلف لم يشهده المجتمع الجزائري قبلا ، حيث تعمل البنات في المحلات التجارية والمؤسسات الصغيرة يوما بأكمله مقابل أجر لا يسد الرمق ، حتى حاملات الشهادات الجامعية اضطررن إلى المشاركة في مثل هذه الممارسة .

\* في هذا المقام يمكن النظر إلى الاقتصاد على أنه : العلم الذي يبحث في كيفية إدارة واستغلال الموارد الاقتصادية النادرة لإنتاج أمثل ما يمكن إنتاجه من السلع والخدمات لإشباع الحاجات الإنسانية من متطلباتها المادية التي تتسم بالوفرة والتنوع في ظل إطار معين من القيم والتقاليد والتطلعات الحضارية للمجتمع ، كما يبحث في الطريقة التي توزع بها هذا الناتج الاقتصادي بين المشتركين في العملية الإنتاجية بصورة مباشرة ( وغير المشتركين بصورة غير مباشرة ) في ظل الإطار الحضاري نفسه .

\* المقصود من الجزء من الدراسة هو الفصلين المتتاليين الرابع والخامس ، حيث كان من الأجدر ضمهما في فصل واحد بيد أن الضرورة المنهجية التي تقضي بتوازن الفصول من حيث عدد الصفحات فرض هذا التقسيم .  
<sup>1</sup> تيمونز روبرتس . من الحداثة إلى العولمة ترجمة " سمر الشيشكلي . ج 2 . سلسلة عالم المعرفة . عدد 310 . المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب . الكويت . ص 116 .



## أولا :جدلية العلاقة بين العولمة وهوية المجتمع المحلي من منظور الصراع

تعكس العلاقة الجدلية بين العولمة وهوية المجتمعات المحلية جانبا رحبا ملؤه السطوة والسيطرة والغطرسة ، بل والاكنتساح الجارف بلا هوادة ، يقابله الاستلاب والاعتراب والتبعية على مختلف المستويات ، لذلك تنطلق هذا الدراسة من حقيقة مفادها أن للعولمة بالغ السطوة على هويات الأمم والشعوب ، ويأتي هذا الجزء استجابة لضرورة توضيح مختلف الآليات التي تمارس بها العولمة هذه السطوة حتى تتمكن الدراسة من صياغة آليات للمواجهة انطلاقا من مختلف مواقع القوة التي تركز عليها العولمة في صناعة الفجوة بين العالم المتقدم والعالم النامي ، والسبيل في ذلك يتطلب استعارة الرؤى الماركسية حول القاعدة الاقتصادية والبناء الفوقي ، حيث ، وفي سعيها الحثيث إلى الوقوف على مختلف المقاربات النظرية للعولمة خلصت الدراسة إلى أن أهم من فسر العولمة ووضح رؤاها وآلياتها هم أنصار المذهب الماركسي .

وينبني الجدل في التوجه الماركسي على الصراع منذ ظهور الشغل وتقسيمه بين أفراد البشر، و المقابلة بين البنى الفوقية والبنى التحتية، بيد أن الأولوية تعطى دائما لما هو مادي واقتصادي وواقعي.

### 1 - البناء الاجتماعي التحتي :

يطلق على البناء الاجتماعي التحتي القاعدة المادية للمجتمع ، وهذه القاعدة تتكون من العوامل الاقتصادية المعاشة التي يعتمد عليها المجتمع والإنسان في حياتهما اليومية التفصيلية ، والمقصود بالعوامل الاقتصادية والمعاشية كافة المستلزمات المادية التي يعتمدها الإنسان في تسهيل أمور حياته ، والسلع والخدمات الأساسية التي يحتاجها في حياته اليومية والتي من شأنها أن تشبع حاجاته الأساسية كالسكن والغذاء والملابس والكهرباء والتدفئة والتبريد والنقل والمواصلات والخدمات المصرفية والتأمينية والمقاهي والمطاعم ...أما العوامل الاقتصادية والمادية التي تشكل البناء أو القاعدة التحتية فهي البنى الارتكازية التي يعتمد عليها المجتمع في خلق المستلزمات الأساسية التي يحتاجها الأفراد والجماعات في سبيل أداء وظائفهم والاستمرار في الفاعلية والنشاط والتقدم ، وتتجسد هذه العوامل في الموارد الطبيعية التي يمتلكها المجتمع أو الثروات الاقتصادية التي بحوزته مع البنى المادية التي يعتمد عليها في عملية الإنتاج والتوزيع والاستهلاك كرؤوس الأموال والمؤسسات الإنتاجية ، والمكائن الثقيلة ووسائل النقل

والمواصلات والمصارف وشركات التأمين وطرق النقل البري والبحري والجوي والسلع الإنتاجية والاستهلاكية...<sup>1</sup>

## 2 - البناء الاجتماعي الفوقي :

يسمى البناء الاجتماعي الفوقي الوعي الاجتماعي أو الخصائص الروحية والمثالية التي يتسم بها المجتمع ، والتي تتجسد في الأفكار والمعتقدات والمثل والقيم والمعايير ، والفلسفة والدين والعلم والسياسة والمنطق والأخلاق والمعرفة.<sup>2</sup>

وتضم البنية الفوقية حسب أنطونيو غرامشي مستويين أساسيين يطلق عليهما غرامشي المجتمع المدني والمجتمع السياسي<sup>3</sup> يمكننا تعيين طابقين اثنين في البنى الفوقية. الأول نسميه طابق المجتمع المدني أي جملة المؤسسات التي تسمى تداولاً مؤسسات خاصة، أما الثاني فطابق المجتمع السياسي أو الوظيفة القيادية التي تعبر عنها الدولة أو الحكومة القانونية.<sup>3</sup>

وإذ ميز كل من إنجلز وماركس بين هذين النوعين من البنى: البنية الفوقية التي يمثلها المثقفون أصحاب الإيديولوجية، والبنية التحتية التي تتمثل في الجانب المادي الذي يحدد وعي المثقفين ومنطلقاتهم الفكرية والاجتماعية ، مما يعني أن الثقافة نتاج الواقع المادي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، حيث يقول ماركس في مقدمة كتابه "مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي" بأن البشر يدخلون في "علاقات محدودة، ضرورية، مستقلة عن إرادتهم ، وهي علاقات إنتاج تناسب درجة محددة من تطور قواهم الإنتاجية المادية، وجملة علاقات الإنتاج هذه تكون البنية الاقتصادية للمجتمع، أي القاعدة الملموسة التي تتبنى عليها بنية فوقية قانونية وسياسية والتي تناسبها أشكال معينة من الوعي الاجتماعي ، إن نمط إنتاج الحياة المادية وكيف سيرورة الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية بصفة عامة، وليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، بل يحدد وجودهم الاجتماعي وعيهم، إن قوى المجتمع الإنتاجية المادية في مرحلة ما من تطورها تكون في تناقض مع علاقات الإنتاج الموجودة أو مع ما ليس إلا تعبيراً قانونياً عنها، أي علاقات الملكية التي تغيرت داخلها ( هذه القوى ) حتى تلك المرحلة، وبعد أن كانت هذه العلاقات أشكال تطوير للقوى الإنتاجية تصبح قيوداً لها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> إحسان محمد الحسن. موسوعة علم الاجتماع. الدار العربية للموسوعات. بيروت. لبنان. 1999. ص 134.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق. ص 135.

<sup>3</sup> [http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=forum&id\\_article=7610](http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=forum&id_article=7610) يوم 20/08/2010. جميل حمداوي. جدلية المثقف والسلطة. منتدى ديوان العرب

<sup>4</sup> [http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=forum&id\\_article=7610](http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=forum&id_article=7610) يوم 20/08/2010. جميل حمداوي. جدلية المثقف والسلطة. منتدى ديوان العرب

وإذا كان كارل ماركس يركز على العوامل المادية والاقتصادية في تحريك البنى الفوقية وتمثلاتها الثقافية، فإن ماكس فيبر يرجع ظهور الفكر الرأسمالي إلى الخلفيات الدينية والبروتستانتية، ومن ثم يدافع ماكس فيبر عن العوامل الروحية والدينية في تحريك المادية التاريخية، وهذه النظرية هي تماما نقيض نظرية ماركس.

من جهة أخرى يعتقد الفلاسفة والمفكرون التقليديون أمثال هيجل وفيخته ونيتشة والفارابي وابن خلدون وأبو حيان التوحيدي والغزالي ، بأن الأفكار والمعتقدات والأيدولوجيا هي التي ترسم المعالم الأساسية لاقتصاديات المجتمعات وتحدد خصائص هياكلها المادية والانتاجية وتؤثر في أنشطتها الاقتصادية الخاصة والعامة ، وان القوة المادية والمعطيات الطبيعية في المجتمع إنما تخضع من حيث استثمارها والتأثير في شكلها والاستفادة منها في خدمة المجتمع والإنسان لقوة الأفكار والمعتقدات والعلوم التي تسخر الموارد وتقننها<sup>1</sup>.

وإذ تتبنى الدراسة مقارنة الصراع لفهم آليات سيطرة العولمة على هوية المجتمع المحلي ، فلأن النسق العولمي بدأ ذا طابع اقتصادي مادي بحت ، بيد أن التأثير امتد من القاعدة الاقتصادية للمجتمعات المحلية ومن ثم إلى سيادة الدولة وصياغة ايدولوجيات المجتمعات ونظم التربية بناء على قوانين السوق ، التي صاغتها الشركات متعددة الجنسيات .

<sup>1</sup> إحصان محمد الحسن . مرجع سبق ذكره . ص135 .

## ثانيا :آليات الرأسمالية في تشكيل النسق العولمي

من الصعب الوقوف على هذه الآليات من خلال تصنيفها إلى مراحل ، أو تقسيمها إلى أنماط وأشكال أو عمليات اجتماعية متتالية ، فالنسق العولمي عملياته مختلفة حسب الموقف وحسب المجتمع المحلي المراد عولمته وحسب نمط المصلحة ، فأحيانا تتسم عملياته بطابع التعاون وأحيانا بطابع الصراع وأخرى بطابع التكامل وأحيانا أخرى بكل العمليات مجتمعة...وفي كل نوع من العمليات هدف واحد...لذلك كله ستعالج الدراسة آليات العولمة من منظور كلي ، محلي ودولي .

فإذا سلمنا وأخذنا بالطرح الذي يعتبر العولمة امتدادا للرأسمالية وجزءا منه ، فإن النسق العولمي قد تشكل في مجتمعه الأصلي أولا ثم انتقل خارج الأسوار ليسبغ نمطه على كل العالم ، بل ليتشكل في ضوء ظروف الآخرين ، وليثبت فيما بعد علاقة المركز بالمحيط ، حيث بدا منظر العولمة في كل مرحلة بوجه غير الذي كان عليه في ما سبق ، لأن التكيف مع الأوضاع كان دأب العولميين .... ودون أن يحيلنا الأمر إلى معاودة استنكار تاريخ العولمة من مختلف وجهات النظر ، ومختلف الآراء ، فظروف أوروبا في منتصف العشرينات لم تكن لتجد من يللم جراحها سوى الاقتصاد الرشيد للعودة إلى سابق العهد مع التفوق التقني وأشكال المعيشة وأنماط الحياة المترفة ، فأعطيت الحرية الكاملة لمختلف الممارسات الاقتصادية التي تعود بالنفع على الوطن ، ذلك لأن الحرية الاقتصادية مع الإنماء، تساعد الآخرين من خلال المصلحة الذاتية في إثبات ذواتهم كما في إفادة المجتمع بشكل عام من خلال المنافسة الحرة الشريفة، لأن الاقتصاد الحر يدعو المجتمع إلى إعطاء الشركات استقلالاً متزايدا من أجل إنجاز أعمالها بنجاح، خاصة في إنتاج وبيع السلع والخدمات ، ما يعود على المجتمع والفرد بإيجابيات عملية حسب نظرية آدم سميث "دعه يعمل، دعه يمر"، بمعنى أن تُترك قوى السوق في العرض والطلب .

لكن ضغوطا اقتصادية داخلية ومحلية في بعض الدول، فرضت على حكوماتها انتهاج سياسة اقتصادية ترمي إلى تشجيع الإنتاج لاسيما الصناعي منه وحمايته، خاصة مع تراجع في ميزان التبادل التجاري الدولي، أدى إلى كساد اقتصادي، فرض عليها اعتماد الذهب في عمليات الصرف التجارية لتأمين التوازن في ميزان مدفوعاتها، الأمر الذي أدى في العام 1929 إلى انهيار سوق الأسهم، لاسيما في بورصة نيويورك، حيث كانت القوة الاستهلاكية غير الكافية

والتوزيع غير العادل للثروات، أحد أهم أسباب انفجار تلك الأزمة الاقتصادية العالمية في ذلك العام، لتزيد البطالة تفاقما والهبوط الحاد في الأسعار والمداخيل تآزما وكساد المواسم حدة والنقمة الاجتماعية تعقيدا، مما حتم تدخل الحكومات من أجل إنقاذ رؤوس الأموال وأصحابها من الإفلاس، وهذا ما أنهى مقولة "سميث" المذكورة .

كان للاقتصاديين أثر بالغ في الإسهام والعمل على إيجاد حلول نظرية لتلك الأزمة كما أسلفنا، بدعوة الحكومات إلى التدخل لمعالجة حال الكساد وتضاؤل العائدات والمدخرات منعاً لوقف النمو، لتتكون النواة الأولى في العصر الحديث للعولمة وإرادة السيطرة الاقتصادية على العالم<sup>1</sup> والمتتبع للنظام الرأسمالي يجده قد مر بمراحل وتطورات ، كان الهدف عبر كل هذه المراحل ينصب حول تحقيق هدفين أساسيين يعدان من الثوابت التي لا تقبل التنازل ، وإن اختلفت طريقة وآليات الحفاظ على هذين الهدفين حسب الظروف والمتغيرات الداخلية والخارجية ، ويتمثل الهدف الأول في التجديد والتطوير والإبداع في داخل النظام الرأسمالي ذاته بهدف المحافظة عليه ، بتحقيق نمط نموذجي بالقوة الاقتصادية والعسكرية والحضارية والسياسية ، يتميز بها عن غيره من النظم التي يمكن أن تنافسه .

الهدف الثاني ويتمثل في دعم الهيمنة الخارجية من أجل تحقيق الهدف الأول أيضا ، ومن هنا ارتبط تراكم التقدم في النظام الرأسمالي ( المركز) بتراكم التخلف في الدول الأخرى التقليدية ( التوابع أو المحيطات )<sup>2</sup>.

والعولمة كونها مرحلة من مراحل النظام الرأسمالي ، فهي تسعى إلى تحقيق ذات الهدفين اللذين سجلا من قبل في أجندة النظام الرأسمالي ، مع فارق واحد هو أنه في النظام الرأسمالي ، الدول والأمم والتكتلات العسكرية هي من يحكم زمام الحوار بين مختلف المجتمعات ، بينما في حقبة العولمة ، مؤسسات العولمة هي القائد الأول والأخير ، وهي المقرر لمصير العديد من الدول .

ومع التطورات الحديثة خاصة في مجال التقنية والاتصالات والمعلومات وفي ظل اتجاهات العولمة ، تطورت آليات الهيمنة وتجلياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية ، حيث بدأ التعامل مع ثقافات قومية وأوضاع اجتماعية متميزة ، لذلك اتجهت آليات الهيمنة نحو تدويل الاقتصاد وتدويل رأس المال وقوة العمل والإنتاج وكذلك تدويل أنماط الاستهلاك بل وتدويل الثقافة ذاتها .

<sup>1</sup> عماد يونس .

<sup>2</sup> أحمد مجدي حجازي . إشكاليات الثقافة والمنتف في عصر العولمة . دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . مصر . 2008 . ص 26.

حيث تقودنا دراسة هذه الشركات من منظور تاريخي ، إلى العقلانية التي انتهجتها في سبيل الارتقاء إلى السلطة والنفوذ ، مع أنها لم تكن في البداية قد حددت أهدافا واضحة لإستراتيجية عالمية ، ولكنها ظهرت بالتدريج وانطلاقا من استراتيجياتها القائمة على التعامل مع اقتصادها المحلي ضمن أسواقها الوطنية ، ثم اتجهت هذه الشركات عالميا بادئ ذي بدء للاستفادة من عوامل الكلفة الرخيصة من أجل إنتاج رخيص ، أو ضمان تزويدها بمواد أولية رخيصة ، بهدف الحصول على مزية نسبية في سوقها الوطنية .

وكانت هذه الخطوة بداية المرحلة غير المقصودة نحو العولمة ، وقد أدت زيادة الضغوط المحلية ، أي في السوق الداخلية ، مع انخفاض السنوات التي تستغرقها دورة حياة المنتج وكثافة الأبحاث وكلفة تطوير المنتجات ، إلى السعي إلى أسواق وراء السوق الوطنية ، وبهذا يبدو أن الهدف الأول للتوجه نحو السوق الدولية هو ضمان السوق الداخلية ، والاهتمام بأذواق الزبائن ، ولم تكن خيارات مقررّة عن سابق تصور وتصميم .

بينما هناك سبب آخر ويعتبر وجيها ، لإتباع مؤسسات العولمة لإستراتيجية العولمة ، هو الحاجة لتعلم أفكار قد تفيد في المنافسة الدولية، لكن هذا الاتجاه كان في أوله تطويريا ، ثم مر بعدد من المراحل ، فالشركات متعددة الجنسيات مثلا بدأت بالدولية ثم متعددة الجنسيات ثم العالمية ، ثم عابرة القارات ، وفوق الأومية .

بنظرة سريعة إلى الأعمال الموكلة إلى هاتين المؤسستين ، إضافة إلى اتفاقية "الغات" يستطيع المرء أن يستنبط خفايا الأهداف المبيتة في سبيل العولمة وهي كما يلي :

### 1 - البنك الدولي للإنشاء والتعمير

أنشئ هذا البنك في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وتحديدًا في 27 ديسمبر 1945 ، بهدف مساعدة الدول الأعضاء لتخطي الصعوبات التي تواجهها على المستويات كافة في الداخل ، لكن أهم الأهداف من إنشاء هذا البنك هي :

أ - المساعدة على تعمير الدول الأعضاء ونموها ، من خلال تسيير استثمار رأس المال في أهداف إنتاجية.

ب - تشجيع نمو التجارة الدولية .

ج - تشجيع استثمار الأموال الدولية في الإنتاج .

د - منح القروض والمعونات الفنية للدول الأعضاء .

## 2 - صندوق النقد الدولي: International Monetary Fund

أنشئ هذا الصندوق بعد ثلاث سنوات على إنشاء البنك الدولي ، وذلك في 27 ديسمبر 1948 ، لتتوضح الخطط من أجل إلغاء كافة القيود من أمام التجارة الدولية و العملات الأجنبية ، ومقره في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية ، وأهم أهداف هذا الصندوق ما يلي :

أ - تشجيع التعاون النقدي وتطوير التجارة الدولية .

ب - تثبيت وتنسيق نظم التعاون والتبادل بين الأعضاء في الصندوق ومنع التنافس في تخفيض العملة .

ج - المساعدة في إلغاء القيود على العملات الأجنبية، وهي القيود التي تعطل التجارة الدولية ولتحقيق ذلك يقوم الصندوق بما يلي :

- \* بيع النقد الأجنبي للأعضاء للمساعدة على مواجهة صعوبات ميزان المدفوعات لديهم
- \* تقديم المشورة الفنية لحل المشكلات المالية مثل الحد من التضخم وفرض الضرائب
- \* رفع القيود التي تفرض على الاستيراد .

## 3- اتفاقية التعريف الجمركي(الغات) : General Agreement on Tariff's and Trade

وضعت هذه الاتفاقية في جنيف في سويسرا في جانفي 1948 من أجل تحسين القضايا التجارية الدولية إلى أفضل المستويات والتي صار اسمها فيما بعد منظمة التجارة الدولية ( w.t.o ) ، وأهم أهدافها :

- أ- وضع القواعد التجارية الدولية .
- ب- وضع دستور للسلوك في التجارة الدولية .
- ج- تخفيض التعريفات الجمركية عن طريق المفاوضات .
- د- مساعدة الدول النامية على تنشيط تجارتها بواسطة المركز التجاري الدولي الذي تم إنشاؤه سنة 1964 .

كان الدافع الأساسي من خلال هذه المؤسسات الثلاث العمل على مواجهة ما قد تتعرض له "دول العالم الغربي"، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، إضافة

إلى تعمير ما خربته هذه الحرب، والخروج من المشاكل الاجتماعية المتفاقمة والأزمات الاقتصادية المترامية، بفعل انصراف حكومات الدول المتحاربة، إلى توفير كل ما يخدم مستلزمات الحرب لتكون المعالجات لاسيما في المجال الاقتصادي من خلال دعم الهيكل الاقتصادي للرأسمالية وحمايته وتحقيق معدل معين من التطور الاقتصادي والعمل على نمو التجارة الدولية مع تشجيع الاستثمارات العالمية في مختلف المجالات، مما يساعد على إيجاد نمط التقسيم الدولي للعمل حفاظا على مصلحة الرأسمالية، فأسهمت بذلك فعليا إتفاقية "الغات" . استمر هذا التطور الإيجابي على المستويين الاقتصادي والمالي حتى عام 1970، ولم تتعد نسبة اليد العاملة في نشاط مندمج بنظام التبادل الدولي حدود 12% على المستوى العالمي، ما يعني بقاء حوالي 88% من قوة العمل العالمية تعمل للأسواق الداخلية، وقد بقيت غير مندمجة في دائرة المبادلات الدولية ليكون مستوى التبادل التجاري الدولي حاليا بعيدا عن صفة "العولمة" خاصة أن 33% من التجارة الدولية تتم بين فروع الشركات المتعددة الجنسية، على شكل تجارة داخلية فيما بينها، فيما كانت ظاهرة الاستثمار في الدول المتقدمة واضحة تماما، حيث لا توجد فرص العمالة فيها لدول العالم الثالث، فيما يلتقط أصحاب الكفاءات العالية والخبرات الرفيعة المنتقاة، إضافة إلى من يملكون الثروات والذين يهاجرون إليها .

إن دخول العالم في إطار المعادلة الثقافية كما تفرضها الرأسمالية الدولية ، يجعل العامل الاقتصادي مهما للعالمين الإعلامي والثقافي في حلبة صراع الهويات الحضارية ، أو بمعنى آخر أن توشيح الروابط بين المستوى الاقتصادي مع الصعيدين الثقافي و الإعلامي ، شكل رأس الحربة للخوض قدما في صراع الحضارات منت أجل تسييد ثقافة رأسمالية عالمية واحدة ، ومن ثم إنهاء الهوية والخصوصيات الوطنية، وتقبيد العلاقات الإنسانية ومراجعة سلم القيم والمعايير الوطنية ، واختزال الحدود الوطنية وإعادة إنتاج الجغرافيا من جديد <sup>1</sup>.

<sup>1</sup> شحاتة صيام . مرجع سبق ذكره . ص14.



## ثالثا : آليات الرأسمالية في عولمة البنى التحتية للمجتمعات المحلية

## 1 - مراحل عولمة البنى التحتية للمجتمع المحلي :

لقد أشار صموئيل هنتنغتون في مقالة عنوانها "القوة العظمى الوحيدة" في مجلة "الشؤون الخارجية" إلى المخطط الأمريكي تجاه العالم الآخر - المراد عولمته- الذي يخوله للإنفراد والاستقلالية بالقرار السياسي العالمي<sup>1</sup> ، حيث يتضمن المخطط كيفية إلحاق مجتمع محلي ما بحظيرة المجتمعات المعولمة وذلك وفق المراحل من ضمنها - حتى وإن اختلفت آليات العولمة من مجتمع لآخر :

\* - طرح مشروع العولمة ، باستعمال كل الوسائل والأساليب المتاحة التي تجعل الآخرين يتبنون النموذج الاستهلاكي الأمريكي على أساس كونه النموذج الأمثل والأفضل .

2 - استعمال منطق الإغراء والضغط وشراء الذمم وبسط النفوذ ومدارة القوى السياسية الفاعلة في مناطق النفوذ العالمية لخلق فضاءات ثقافية جديدة ، يتكيف متبنوها والناشطون في دواليبها مع المصالح الأمريكية وتستجيب لها بإيجابية متزايدة من حيث أنها تعطي لها فاعلية وصدى جغرافي -سياسي ينعكس حسب الأهداف المحددة وفق الغرض الاستراتيجي المتبنى والمصاغ من قبل هذه الإدارة على مستوى الداخل والخارج ، والذي سيعطي للحدود الجغرافية-الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية مداها وامتدادها ، وهذا يكون بالموازاة مع الانتشار العسكري والتجاري والاقتصادي ، المتنامي سنة بعد أخرى والماسك بزمام التحولات الاقتصادية العالمية ، باستغلال حالات الفراغ في البناءات الحضارية في كثير من المناطق العالمية.

\* - عامل مرحلة الإغراء والضغط وشراء الذمم (والذين يملكون ذمما قابلة للبيع هم أولئك الذين لا يهمهم في الحياة شيء سوى المادة ، وحياتهم الشخصية لا أكثر ، وعادة هؤلاء هم الذين تغيب لديهم أهمية الهوية بكل أشكالها : الفردية والجماعية والوطنية و...) يرتكز على خاصية أخرى في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية وهي بسط الهيمنة

<sup>1</sup> سعيد عيادي . آليات إعادة البناء الحضاري للإنسان والمجتمع . دار المعاصرة للنشر والتوزيع . الجزائر . 2009 . ص-ص 169 -170.

وتركيزها ضمن مناطق جيو-سياسية محددة في هذا العالم توفر لها شرط الديمومة والاستمرار ، وخلق مجالات اجتذاب وتحويل نحو الرصيد الثقافي الأمريكي .

\* - مرحلة الهيمنة ضمن هذا المنظور تقتضي الإزاحة والإبعاد وتعطيل طاقة الحيوية الإنتاجية للقوى التي تشكل منافسا متميزا ثقافيا ودينيا وسياسيا ، ومن هنا نتقرب الولايات المتحدة الأمريكية أكثر فأكثر من مناطق إنتاج المعرفة وتطويرها للتوصل إلى امتلاك مذاهب الاتجاهات الفكرية في هذه المراكز للاحتواء والقبول والتوجيه ولتبني النموذج الثقافي الأمريكي ، وهذا ينم في الحقيقة عن رغبة أمريكية في تجريد هذه القوى وسلب خصوصياتها الإنتاجية المبدعة في مختلف ميادين المعرفة .

\* - بعد ذلك تأتي مرحلة الإرغام والإكراه متعددة الأوجه ، حتى ولو أدت عملية الإكراه إلى خرق وانتهاك القانون الدولي ، فما لا يمكن أن تصل إليه أجهزة الاستخبارات في الظروف العادية يتحول إلى مطلب سياسي علني ، تستجلب نحوه القوى السياسية والعسكرية الحليفة للولايات المتحدة الأمريكية - برضا وموافقة أو بعدم رضا من هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن - للتمكن من تحقيقه بالقوة العسكرية الغاشمة عن طريق التدخلات العسكرية المباشرة أو التآمر بالانقلابات قهرا وجبرا ، وتتطوي سياسة الإرغام والإكراه الأمريكية على الصعيد العالمي على تحقيق التفوق المطلق من جهة ، وتكريس حالة الضغط على الطرف الآخر لإحداث حالة اللاتوازن على الصعيد العالمي والحفاظ عليها ، بين من يمتلك القوة ويمتلك قوة فرض القانون وبين من هو مرغم على أن يكون مجرد شيء ، وبالتالي سلب أحواض المعرفة الخارجة عنها من كل خصوصيات أو حظوظ المنافسة .

ومراحل عولمة الأسواق يسردها بوضوح أنصار العولمة ، وفي كل خطوة هناك مبرر للمضي قدما ، وهناك مزية وهناك فائدة ، وهناك سبب وجيه ، ... وهناك من المسوغات ما لا يحصى ولا يعد ، بينما لا يتعرض المعادون للعولمة إلا للإفrazات السلبية ، وقليلة هي كتاباتهم حول مزايا العولمة ،

لقد جرى الحديث عن آليات العولمة ، فهي في بعدها المادي الاقتصادي من طرف مؤيديها بأنها تعني دمج النشاطات المنظمة عبر الحدود الجغرافية ، وهي حرية تصور وتصميم وشراء وإنتاج وتوزيع وبيع منتجات وخدمات بشكل توفر من خلاله أقصى المنافع للشركة دون النظر إلى النتائج الناجمة عن التوحد الجغرافي للوحدات التنظيمية ، إذ لا يوجد أي افتراض بأن بعض الحدود التنظيمية لا يمكن تجاوزها ، كما لا يوجد افتراض باستحالة أو صعوبة إنتاج قطع كانت تنتج بمواطنها الأصلية ، وتطوير علاقات مميزة من أجل توزيع وبيع من خلال شركات موجودة في دول أخرى ، كان يبدو أنه لا علاقة لها ببعضها سابقا ، والاعتماد على شركات مشتركة مع شركاء دوليين لتطوير واستثمار تقنيات أحدث ، وهكذا فإن الشركة المعولمة غير مقيدة بما يتوفر ضمن الحدود الدولية ، فهي تبحث عن الموهبة ورأس المال والمصادر الأخرى اللازمة لنجاحها حيث توجد، ولهذا يأتي المفهوم المعبر عن العولمة كونها المقدر على التعامل مع العالم كسوق واحدة ، ولكن مع مفارقة التعامل من خلال تجار ينتمون إلى ثقافات مختلفة ، ولذا فإن نجاح العولمة يتطلب قاطرة إنسانية جديدة تدير الشركات ، بحيث يمكنها التعامل مع مفارقات مثل :

1 - اقتصاديات الحجم الكبير على المستوى العالمي مقابل الاهتمام المتزايد بتلبية المتطلبات المحلية .

2 - البنى الفكرية العالمية مقابل البنى الفكرية المحلية .

3 - السرعة والتنوع<sup>1</sup> .

وإذ كان الاقتصاد المعولم هو مرحلة جديدة في الاقتصاد الدولي فإنه من الواضح أنه بين الاقتصاد المعولم والاقتصاد المحلي فوارق يمكن قياسها ومقاربتها بالاقتصاد الدولي المفتوح ، حيث يمكن ملاحظة أن الاقتصاد الدولي المفتوح يشخص بكونه يقوم على تبادل حر ومنتوع ما بين اقتصاديات وطنية نسبيا ، حيث يعتمد الأداء التنافسي للشركات والقطاعات هناك على عمليات تحدث على المستوى الوطني ، وهذا النوع من الاقتصاد الدولي يعتبر نموذجا لما حدث في الفترة ما بين منتصف القرن 19 وحتى الحرب العالمية الثانية، والذي ساد معظم الدول المتقدمة، وبالمقارنة يصبح الاقتصاد المعولم يسيطر حين يصبح الاقتصاد الوطني خاضعا للعمليات والصفقات الدولية ، فكما مثل هذا الاعتماد المتبادل تبدل الاقتصاد المحلي وتحول تدريجيا إلى عالمي ، ولهذا النظام الاقتصادي نتائج أساسية هي :

<sup>1</sup> كيركيريد ، بول . العولمة والضغط الخارجية . ترجمة : رياض الأبرش . مكتبة العبيكان . الرياض . المملكة العربية السعودية . 2003 . ص 29

- أولى هذه النتائج مشكلة الإدارة وكيفية صياغة أنماط جديدة من سياسات عامة على المستوى الدولي والمحلي للتعامل مع قوى السوق المستقلة بشكل فعال.
- النتيجة الثانية هي أن النظام العالمي سيكون نظاما تسيطر فيه الشركات متعددة الجنسيات بعد تحولها إلى عابرة للقوميات ، فهذه الشركات تمثل رأسمالا لا ينتمي لدولة تقنية ، إذ ليس له هوية وطنية ولا إخلاص وطني ، ولا يهيمه سوى الربح حيثما استطاع الحصول على شروط مناسبة تؤمن مردودا مناسباً . وشركات كهذه تنتج وتسوق على المستوى العالمي بما تتطلبه الاستراتيجيات والفرص المتاحة للعمل .
- النتيجة الثالثة ستكون استمرار تقلص نفوذ السياسات الدولية وكذلك القوة التساومية الاقتصادية المحلية والوطنية لكل من النقابات وكل أشكال اليد العاملة المنظمة .
- النتيجة الرابعة لهذا النظام هي ذبول هيمنة الدول القومية كدور فاعل على الحياة الاقتصادية ، وظهور وكالات بديلة تسعى للحصول على زيادة في المشروعات مستمدة من المستهلكين والمواطنين عبر الحدود الوطنية مباشرة .

## 2 - الأسس التي تقوم عليها عملية العولمة :

لطالما تحدثت المؤلفات بمختلف توجهاتها الأيديولوجية عن العولمة كونها عملية أو عمليات اجتماعية ، تلك التي تتضمن تحولا في مجال نشاط الشركة ، من حيث علاقاتها الاجتماعية وصفقاتها التي تولد بالنتيجة تدفقات عابرة للقارات ، أو ما بين المناطق الجغرافية ، أو ما بين شبكات النشاط والتفاعل الناجمة عن ممارسة السلطة ، لكن هذه الصيغة تسمح بتمييز العولمة عن العلاقات الاجتماعية الكونية الأخرى لأنها ذات طابع إنساني محض كون العلاقات الاجتماعية هي أساسا العمليات الاجتماعية بمختلف أنماطها وأشكالها ، وتعتمد على العدالة في أغلب أوجهها ، مثل التأميم والتعاون الإقليمي والتعاون الدولي ، بينما العولمة مبنية على أسس هي :

- التوسع في الشبكات العالمية للارتباطات والعلاقات .
- كثافة التدفقات وتعدد مستويات النشاط ضمن هذه الشبكات .
- سرعة التدفقات العالمية للتجارة والتبادل والمعلومات .
- عظمة أثر هذه العمليات على مجتمعات بعينها .
- مدى توفر البنى التحتية ( وضعية قانونية ، قضائية ، رمزية ) لدعم العولمة .
- المدى الذي أصبحت الشبكات العالمية والعلاقات الدولية عنده منظمة ومؤسسة في عدد من المجالات الاجتماعية المختلفة .
- إلى أي مدى استطاعت العولمة تحويل الشركة من حيث التوزيع وممارسة السلطة إلى السعي لتكوين أنماط خاصة من التمييز الطبقي<sup>1</sup> .

والواقع أن العولمة وهي النسخة المطورة عن النظام الرأسمالي ، كانت ومازالت وستظل تنتهج نهج هذا النظام ، فهي الحريصة دوماً على تطوير أدواتها الإستراتيجية العالمية بشكل يتلاءم ومعطيات السوق العالمية ، وإيجاد موقع عالمي يتميز بكل المواصفات التي تضمن لها التسويق بأقل التكاليف وبالتالي الدوام والاستمرار ، هي عبارة عن سلسلة من القوى المحركة ، ذات الطابع الصناعي ، والتي تسمح لها بالروج في كل أنحاء العالم ، وهذه القوى لا يمكن أن يفصح عنها أو أن يصفها إلا ممثلو العولمة ، ومديروها ، ورجال أعمالها ، فهم الأجدر والأقدر على شرح مختلف الخطط والإستراتيجيات المتعلقة بالشروط الصناعية ، فصناع العولمة الصناعية وعن طريق إعادة تقييم منافع وكلفة العولمة ، وتفهم الطرق المختلفة التي تحدد كيفية استخدام إستراتيجيات عالمية كرافعات للنشاط الاقتصادي ، حيث يوجد هناك أنواع لهذه الرافعات المحفزة لنشاطات السوق من بينها :

- حوافز السوق مثل حاجات المستهلك ووجود قنوات عالمية .
- حوافز الكلف مثل اقتصاد الحجم الكبير وتوفر عوامل الإنتاج على المستوى العالمي .
- حوافز اقتصادية مثل سياسات التجارة التي تؤدي إلى تخفيف التدخل الاقتصادي .
- حوافز المنافسة نتيجة وجود منافسين على المستوى العالمي .

<sup>1</sup> بول كيركبرايد. مرجع سبق ذكره . ص 31 - 32 .

**3- مسوقات عولمة الصناعة :**

تتمثل مسوقات عولمة الصناعة فيما يلي :

**3-1- القوى المحركة للسوق ، وتشمل :**

الحاجات العامة للمستهلك.

أفضلية أحدث المنتجات .

المقدرة من المستوردات الموازية .

الزبائن العالميون .

القنوات العالمية.

خزنة الترويج الدعائي .

**3-2- القوى المؤثرة على الكلفة ، وتشمل :**

الكفاءات العالمية العاملة في جمع المصادر .

تكاليف لوجيستية دنيا .

التقنيات المتغيرة دوما .

**3-3- دور القوى الحكومية الاقتصادية ، وتتمثل في :**

سياسات الترويج العالمي.

دمج رأسمال الأسواق العالمية .

معايير فنية وبيئية مناسبة .

**3-4- القوى المحركة المنافسة ، وتتمثل في :**

المنافسون المعولمون .

تحول المزايا التنافسية<sup>1</sup>.

والواقع أن البنى التحتية للمجتمع المحلي تتحول ببطء نحو العولمة ، حيث كلما كانت الدولة ذات استقرار أمني وسياسي واقتصادي ، كلما سارت القطاعات الاقتصادية نحو العولمة بشيء من الصعوبة ، إذ وبنظرة متفحصة لديناميكية الداخلية للعولمة تبين أن هناك شركات لا محلية فقط ولا معولمة كلياً ، فكلما زادت الحوافز الصناعية الممنوحة للصناعة ، فإن القطاعات الصناعية تتحول ببطء من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي من خلال ديناميكياتها الذاتية ، وبهذا تتحدد سلسلة المراحل التي تجعل الصناعات تتحرك خلالها نحو التعولم ، ففي المرحلة الأولى يسعى المعولمون للحصول على المزايا النسبية والتنافسية بحكم كونهم الأوائل في هذا

<sup>1</sup>بول كيركبرايد. مرجع سبق ذكره. ص-ص. 33-35.

الاتجاه ، وفي المرحلة الثانية تتطور الصناعة لتصبح إيجابية أكثر تجاه اللاعبين الإقليميين ، أو على المستوى العالمي بينما شركات أخرى تبتدئ بالتعولم للحصول على المزايا التي حصلت عليها الشركات التي تعولمت سابقا ، أما في المرحلة الثالثة فإن الصناعة تتركز على مستويات ثلاث : العالمية والإقليمية والدولية حسب ردود الفعل العالمية ، ويصبح العمل على إعداد إستراتيجية عالمية للصناعة المعنية أكثر أهمية ، وأخيرا المرحلة الرابعة تصبح الصناعة مسيطرا عليها من قبل أربعة إلى عشرة من اللاعبين الدوليين ، وتنتقل المشكلة من قضية منتجات مادية وأسعار إلى أشياء معنوية غير ملموسة مثل العلامة الفارقة المسجلة.

وفي هذه الأثناء تصبح الإدارة السياسية هي الشركات متعددة الجنسيات ، هذه الشركات تكون استثماراتها خارج أسواقها المحلية ، ولها إدارة ناشطة تقوم على إدارة أصولها الموجودة في فراديس خارج السيطرة الوطنية لدولة ما من الناحية العملية أو الإستراتيجية ، والنتيجة التي تتم عنها كتابات الخبراء في شؤون العولمة أن هذه الشركات العالمية تسيطر على 40 % من الصناعة العالمية ومن الإنتاج العالمي ، و 25 % من التجارة العالمية والنتائج القومي المحلي<sup>1</sup> .

## رابعا : نتائج عولمة البنى التحتية في المجتمعات المحلية

### 1 - صناعة الفقر والبطالة :

يعتبر الفقر واحدا من معضلات البشر ، إذ بسببه قامت الثورات الاجتماعية والتغيرات الكبرى و الاضطرابات السياسية ، والإشكال العميق في ظاهرة الفقر هو أنه رغم التطور التكنولوجي الهائل الذي شهدته البشرية ، و رغم ارتفاع وتائر الإنتاج العالمي بشكل غير مسبوق ، و التطور الاقتصادي المذهل الذي أصاب حياة ملايين البشر ، إلا أن الفقر ما زال يشكل التحدي العالمي الأكبر الذي يواجه مختلف الأمم .

وقد ذهبت الموسوعة الحرة ويكيبيديا في صفحتها الخاصة بالفقر إلى أنه يمكن تعريف الدول الفقيرة بأنها تلك الدول التي تعاني من مستويات منخفضة من التعليم والرعاية الصحية، وتوافر المياه النقية صحيا للاستهلاك البشري والصرف الصحي و مستوى الغذاء الصحي كما

<sup>1</sup>بول كيركبرايد. مرجع سبق ذكره. ص-ص 35-36 .

أو نوعاً لكل أفراد المجتمع ويضاف إلى ذلك معاناتها من تدهور واستنزاف مستمر لمواردها الطبيعية، مع انخفاض مستوى دائرة الفقر.

عرف البنك الدولي الدول منخفضة الدخل أي الفقيرة بأنها تلك الدول التي ينخفض فيها دخل الفرد عن 600 دولار، وعددها 45 دولة معظمها في أفريقيا، منها 15 دولة يقل فيها متوسط دخل الفرد عن 300 دولار سنوياً. برنامج الإنماء للأمم المتحدة يضيف معايير أخرى تعبر مباشرة عن مستوى رفاهية الإنسان و نوعية الحياة "Livelihood" هذا الدليل وسع دائرة الفقر بمفهوم نوعية الحياة لتضم داخلها 70 دولة من دول العالم، أي هناك حوالي 45% من الفقراء يعيشون في مجتمعات غير منخفضة الدخل، أي هناك فقراء في بلاد الأغنياء، ويكتفي هنا بذكر أن 30 مليون فرد يعيشون تحت خط الفقر في الولايات المتحدة الأمريكية (15 % من السكان).

وخلال النصف الثاني من القرن العشرين كثر الحديث عن الفقر والفقراء في أدبيات الأمم المتحدة بالتوسع من الظاهرة الاجتماعية في المجتمع الواحد إلى الظاهرة العالمية بتصنيف البلدان إلى غنية وفقيرة وبتحديد مقاييس ومؤشرات للفقر في مستوى البلدان وكذلك الأفراد مع مراعاة النسبية، فالفقر في الصومال لا يُقاس بالمقاييس نفسها التي يقاس بها الفقير في أمريكا الشمالية.

### 1 - 1 - مفهوم الفقر

تنوعت المنطلقات النظرية لمن تعرضوا للفقر بالتعريف ، حيث يذهب روبرت مكنمارا إلى أن الفقر هو تلك الأحوال المعيشية التي تتكون نتيجة سوء التغذية والجهل والمرض وارتفاع وفيات الأطفال وقصر العمر الافتراضي، مما يجعلها أدنى من المستوى المعهود للحياة اللائقة ، في حين يرى مارك فريد أن الفقر باعتباره حالة واقعية وليست وحدة تصويرية، يمثل مجموعة من المشكلات غير المترابطة مثل تفشي البطالة، والبطالة المقنعة، واللامساواة في الرفاهية، والهجرة وتفاوت الخدمات في البيئة الحضرية ، وتدهور البيئة الريفية، أي أن الفقر يعد واقعا اجتماعيا يتطلب التفسير ، بينما ذهب بعض الباحثين إلى أن الفقراء هم الذين صنفهم المجتمع في عداد الفقراء، والذين صدرت من المجتمع ردود فعل معينة تجاههم، أي أن ظاهرة الفقر تمثل حالة يعترف بها المجتمع كحالة واقعية بها وضع معين، وأنه أحد ملامح البيئة الاجتماعية.



ومن وجهة نظر سوسيولوجية يُعرف الفقراء بأنهم من يحصلون من المجتمع على مساعدة اجتماعية ، فالفقر يجب أن ينظر إليه على أنه «حالة يعجز فيها الإنسان بسبب مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية عن تلبية حاجاته المادية والمعنوية في ظل نظام اجتماعي وثقافي محدد».

وقد انتهج الباحثون السوسيولوجيون مقاربتين لقضية الفقر ، وذلك عن طريق تطبيق مفهومي " الفقر المطلق " و "الفقر النسبي " ويرتبط مفهوم الفقر النسبي أساسا بفكرة العيش الكفاف أي الشروط الأساسية التي ينبغي توافرها ليظل المرء على قيد الحياة في وضع صحي معقول ، و تتضمن هذه الشروط الغذاء الكافي و المأوى و الكساء ، فإذا توافرت هذه فحسب يوصف المرء بأنه يعيش حالة من الفقر، و ينظر لمفهوم الفقر المطلق عادة باعتباره مفهوما إنسانيا شاملا لجميع البشر في كل زمان ومكان ، إن مقاييس العيش الكفاف و احتياجاته متماثلة لكل البشر من ذوي الفئة العمرية و الحالة الجسمانية المتشابهة.

وثمة صعوبات في تحديد مفهومي الفقر المطلق و الفقر النسبي على السواء ، ومن الأساليب الشائعة لقياس الفقر المطلق تعيين خط الفقر قياسا على كلفة السلع الأساسية الضرورية للعيش وإقامة الأود في المجتمع ، و الأفراد و الأسر التي يقل دخلها عن خط الفقر يُعتبرون فقراء ، غير أن استخدام معيار وحيد للفقر ربما ينطوي على بعض الاشكاليات ، لأن هذا التعريف لا يأخذ في الاعتبار درجات التفاوت والتنوع في الاحتياجات البشرية في أوساط المجتمع الواحد وبين مختلف المجتمعات ، إذ قد يكون العيش في بعض المناطق في بلد ما أعلى مما هو عليه في مناطق أخرى<sup>1</sup>.

وقد أجمعت كل التعاريف على أن الفقر هو الحرمان بكل أشكاله الفيسيولوجية والاجتماعية ، أما الأولى فتتمثل في انخفاض الدخل (أو انعدامه) والغذاء والملبس والسكن، ومن هنا فهي تشمل فقراء الدخل وفقراء الحاجات الأساسية، أما الحرمان الاجتماعي فهو مرتبط بالتباينات الهيكلية المختلفة كالائتمان، الأرض، البنى التحتية المختلفة، وحتى الأملاك العامة (المشتركة)، إضافة إلى عدم تمكن "الفقراء" من الاستفادة من الأصول الاجتماعية كالخدمات الصحية والتعليمية .

يمكن التمييز بين ثلاثة معاني للفقر وهي:

<sup>1</sup> أنتوني جندز . علم الاجتماع . ترجمة فايز الصياغ . المنظمة العربية للترجمة . ط4. بيروت لبنان. 2005 . ص ص 373 . 374 .

- **المعنى الأول:** «الفقر الاجتماعي» وهو لا يعني عدم المساواة الاقتصادية الناتجة عن نقص الدخل والممتلكات وانخفاض مستوى المعيشة وإنما يشمل أيضا عدم المساواة الاجتماعية والدونية الاعتمادية والشعور بالنقص والاستغلال، وهكذا يكون الفقر نسبيا لا يقاس بمستوى معين من الدخل أو حجم الملكية.

- **المعنى الثاني:** «العوز والحاجة» ويقصد به فئة من الناس غير القادرين على تأكيد وجودهم على المستوى التقليدي الذي يعتبر أدنى مستوى دون أي مساعدات خارجية في أي وقت من الأوقات فهو يحدد المستوى الأدنى الذي يؤدي بالإنسان إلى الهاوية كما يحدد نموذجا للعلاقات الاجتماعية التي تشير إلى من هم المحتاجين الذي يطلبون المساعدة ومن الذي يساعدهم وتميز المجتمعات بين أشكال ذوي الحاجة الذين يستحقون المساعدة.

- **المعنى الثالث:** «الفقر الأخلاقي» يحدد مكانه في نسق القيم في المجتمع أو في أحد جماعته الفرعية ويشير هذا المعنى إلى ما إذا كان الفقر مقبولا أخلاقيا وإلى المكانة التي يشغلها الفقير وتحول دون استمتاعه لذا فإن التعريف المناسب للفقر هو ذلك التعريف الذي يصف الفقراء وهذا الوصف يختلف من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى.

وأخيرا يمكن القول أن الفقر لا يعبر فقط عن عجز الإنسان عن إشباع حاجاته البيولوجية كما يقرر رجال الفكر الاقتصادي بل يعني كذلك عجز البناء الاجتماعي عن توفير مستلزمات الإنسان المادية والمعنوية وتأثير ذلك على عمليات الاندماج والعلاقات الاجتماعية وتكوين شخصية الفرد في المجتمع وتشكيل قيمته وثقافته بل تحديد دوره ووزنه السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

فالفقر يجب أن ينظر إليه على أنه «حالة يعجز فيها الإنسان بسبب مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية عن تلبية حاجاته المادية والمعنوية في ظل نظام اجتماعي وثقافي محدد».

ويحمل الفقر معاني مختلفة باختلاف رؤى الباحثين منها ما هو مادي أو اجتماعي أو ثقافي ولذلك فالفقر ظاهرة مركبة تجمع بين أبعادها ما هو موضوعي (كالدخل والملكية والمهنة



1-2 - قياس الفقر<sup>1</sup>

الفقر، بمفهومه العام المبسط، هو انخفاض مستوى المعيشة عن مستوى معين ضمن معايير اقتصادية واجتماعية، ولقد اعتمد في قياسه على أساليب متعددة، يمكن توضيحها على النحو التالي:

## 1-2-1- مؤشرات قياس مستوى المعيشة التي يمكن قياسها من خلال:

## أ . دخل الأسرة

يعبر هذا المؤشر عن قدرة الاسرة على الحصول على السلع والخدمات الاستهلاكية التي تعد المحور الأساسي لمستوى المعيشة. ومن الصعوبات التي تعترض هذا المؤشر تحديد الدخل الذي يمثل الحد الفاصل بين الأسر الفقيرة والأسر غير الفقيرة، وتباين الأسر من حيث حجمها وتركيبها وفقا للعمر والجنس، وتغير مستوى معيشة الأسرة التي قد لا يتطابق مع تغير مستوى دخلها، وصعوبة الحصول على بيانات دقيقة عن الدخل لعوامل اقتصادية واجتماعية.

## ب . الإنفاق الاستهلاكي الإجمالي للأسرة

استحدث هذا المؤشر لتلافي المشاكل الناجمة عن مؤشر دخل الأسرة ولكونه أكثر ارتباطا بمستوى معيشة الأسرة وإمكانية تقدير الإنفاق على نحو أدق من مسوحات الأسرة التي تجمع فيها بيانات الإنفاق والاستهلاك الفعلي لعينات الأسر.

## ج . متوسط إنفاق الوحدة الاستهلاكية

يعتبر هذا المؤشر استكمالاً لمؤشر الإنفاق الاستهلاكي الإجمالي للأسرة. وقد استحدث لمعالجة مشكلة تباين الأسر في أحجامها وتركيباتها. ويتم احتسابه من خلال قسمة الإنفاق الاستهلاكي الإجمالي للأسرة على ما يقابل حجمها من الوحدات الاستهلاكية، ويؤخذ على هذا المؤشر تفاوت إنفاق الوحدة الاستهلاكية من أسرة لأخرى تبعاً للموقع وما يتطلبه من زيادة أو خفض في إنفاق الوحدة، واختلاف الكيفية التي يتم حساب عدد الوحدات الاستهلاكية.

## د . نسبة الإنفاق على المواد الغذائية

يستخدم هذا المؤشر وفقا لوجهة النظر التي ترى، أنه كلما ارتفعت نسبة الإنفاق على المواد الغذائية انخفضت النسبة التي توجهها الأسرة من إنفاقها على السلع غير الضرورية. وبالتالي، فإنه مؤشر أو دلالة على انخفاض مستوى المعيشة للأسرة. يمتاز هذا المؤشر بأنه يتيح المقارنة بين مختلف الأسر حتى وان تباينت أحجامها أو وحدات العملة التي تتعامل معها.

## هـ . حصة الفرد من السرعات أو البروتين

يعتبر هذا المؤشر من المؤشرات التغذوية، الذي يمكن استخدامه للتمييز بين الفقراء وغير الفقراء وفقا لحاجة الفرد من السرعات الحرارية أو حاجته للبروتين، وباعتبار أن نقص التغذية هو أحد الأوجه الأساسية لمعاناة الفقراء.

خلاصة القول فيما يخص أسلوب مؤشرات قياس مستوى المعيشة أنها ركزت على النقاط التالية:

- أنها ( أي هذه المؤشرات ) تعبر فقط عن البعد الاستهلاكي للفقير من خلال ما تحصل عليه الأسرة من دخل أو استهلاك مباشر.
- أنها تهمل الدخل أو الاستهلاك الذي تحصل عليه بشكل غير مباشر ويساهم في مستوى معيشتها كالخدمات الصحية والتعليمية، والدعم الذي تتلقاه الأسرة كالدعم النقدي أو دعم المواد التموينية وغير ذلك.
- أنها لم تأخذ في الحسبان درجة الأمان والضمان الاجتماعي والضمان ضد الجريمة والبطالة والكوارث ومدى حرية التعبير والاختيار.

## 1-2-2 - أسلوب خط الفقر

يعتبر هذا الأسلوب الأوسع استخداما لقياس وتحليل الفقر، وهو يصلح لأغراض المقارنات الدولية والأسلوب المعتمد من البنك الدولي، تعتمد منهجيته على تقسيم المجتمع إلى فئتين: فقراء وغير فقراء وذلك بتحديد خط الفقر الذي يعرف بأنه إجمالي تكلفة السلع المطلوبة لسد الاحتياجات الاستهلاكية الأساسية.

يتطلب تطبيق هذا الأسلوب، بيانات مسوحات إنفاق ودخل الأسرة، ويعتبر الأسلوب الأنسب لأغراض وضع السياسات الاقتصادية المتعلقة بالدخول كسياسات العمالة والأجور والأسعار والضرائب والإعانات الاجتماعية.

ويتضمن أسلوب خط الفقر هذا منظومة مؤشرات الفقر والتي تشتمل على خطي الفقر المطلق والمدقع، نسبة الفقر، فجوة الفقر، وشدة الفقر، ومعامل جيني.

### 1-2-3 - منظومة مؤشرات الفقر

- **الفقر المطلق** يعرف بأنه الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان، عبر التصرف بدخله، الوصول إلى إشباع الحاجات الأساسية المتمثلة بالغذاء والسكن والملبس والتعليم والصحة والنقل. أما **خط الفقر المطلق**، يعرف بأنه إجمالي تكلفة السلع المطلوبة لسد هذه الاحتياجات سواء للفرد أو للأسرة، وفق نمط الحياة القائمة في المجتمع المعني وبحدوده الدنيا.

- **الفقر المدقع** يعرف بأنه الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان عبر التصرف بدخله، الوصول إلى إشباع الحاجة الغذائية المتمثلة بعدد معين من السعرات الحرارية التي تمكنه من مواصلة حياته عند حدود معينة. أما **خط الفقر المدقع** فيمثل كلفة تغطية الحاجات الغذائية سواء للفرد أو الأسرة، وفق النمط الغذائي السائد في المجتمع المعني وبحدود معينة.

- **نسبة الفقر** تعرف بأنها نسبة السكان تحت خط الفقر إلى إجمالي السكان، وهذه النسبة تقيس الأهمية النسبية للفقراء سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أم على مستوى الأسر.

- **فجوة الفقر** يقيس هذا المؤشر حجم الفجوة الإجمالية الموجودة بين دخول الفقراء وخط الفقر أو مقدار الدخل اللازم للخروج من حالة الفقر إلى مستوى خط الفقر المحدد.

- **شدة الفقر** يقيس هذا المؤشر التفاوت الموجود بين الفقراء، ويمكن حسابه باعتباره يساوي الوسط الحسابي لمجموع مربعات فجوات الفقر النسبية للفقراء كافة.

معامل جيني يستخدم هذا المعامل كمؤشر لقياس التفاوت في توزيع الدخل ما بين جميع السكان فقراء وغير فقراء.

## 1- 2- 3 - أسلوب الحاجات غير المشبعة

يعتمد هذا الأسلوب على الملاحظة المباشرة لواقع إشباع الحاجات الأساسية وذلك كبديل عن الاعتماد على القدرة الدخلية التي تؤهل الأسرة لإشباع تلك الحاجات كما في أسلوب الفقر. يمتاز هذا الأسلوب بأنه لا يعتمد على دخل الأسرة، وأن البيانات المطلوبة لتطبيقه أكثر توفراً ودقة مقارنة بأسلوب خط الفقر.

يتم تطبيق هذا الأسلوب باستخدام بيانات التعداد العام للسكان أو مسوحات الأسرة عموماً، وهو الأسلوب الأنسب لأغراض وضع السياسات الاجتماعية المتعلقة بتوفير خدمات الصحة والتعليم والإسكان وتوفير البنية التحتية المتصلة بالمياه والصرف الصحي.

## 1 - 3 - تفسير الفقر

عديدة هي النظريات التي تناولت الفقر بالدراسة والتحليل والتفسير، ويمكن تصنيف هذه الدراسات والتحليل في مجموعتين من النظريات، ترى الأولى أن الفقراء هم المسؤولون عن فقرهم، بينما تعتقد المجموعة الأخرى أن القوى الهيكلية والعوامل البنوية في المجتمع هي التي تنتج الفقر وتعيد إنتاجه، وتوصف هاتين المقاربتين بمقولتين هما: "لوم الضحية" و"لوم النظام".

وحسب اعتقاد المجموعة الأولى فإن الفقراء هم سبب ما هم فيه من خنوع واستضعاف، وهذا راجع إلى خصائص في شخصية الفقير نفسه، فهو إذ يعاني من العجز فذلك راجع إلى الافتقار للمهارات أو الضعف الجسماني والأخلاقي أو لهبوط الهمة أو تدني القدرات، مما لا يساعده على تحقيق النجاح في المجتمع، وقد يكتسب المرء تلك السمات عبر التنشئة الاجتماعية التي تلقاها وهو طفل، لأن ثقافة الفقر تنتقل عبر الأجيال، محملة بأن لا معنى للطموح أو التطلع إلى حياة أفضل، ويستعيز المرء بذلك بالتواكل والرضا بأوضاع الفقر والعوز وأن لا ضير من البقاء تابعاً للغير أو متسولاً على أبواب الآخرين.

أما النظرية الثانية المفسرة للفقر، فتؤكد على العمليات الاجتماعية العريضة التي تنتج الفقر و يتعذر على الأفراد تجاوزها أو التغلب عليها، إذ ترى أن قوى هيكلية قائمة في بنية

المجتمع مثل الطبقة والجنوسة والإثنية والمنزلة المهنية والتحصيل العلمي و... هي التي تشكل أسلوب توزيع الموارد، ولذلك فإن تخفيف الفقر لا يعتمد على تغيير توجهات الناس و نظرتهم إلى الحياة ، بل على وضع السياسات الهادفة إلى توزيع الدخل و الموارد بصورة أكثر إنصافا في المجتمع ، كما أن السياسات الإصلاحية المطلوبة هي التي تقوم بإجراءات عملية لدعم رعاية الأطفال ، وضمتن الحد الأدنى من الأجور ، وتأمين مستويات دخل مضمونة للعائلات .

وهنا يستطرد أنتوني جينز بأنه علينا ألا نتبنى الحجج التي تسوقها أي من هاتين المقاربتين ، أي الاتجاه الذي يميل إلى "فردنة" الفقر وإلقاء اللوم على الأفراد لسبب أو لآخر ، والاتجاه الثاني الذي يعزو الفقر إلى عوامل بنيوية راسخة في الوضع الاجتماعي العام ، غير أن علينا في جميع الأحوال أن نتحاشى النظر إلى أفراد المجتمع باعتبارهم أشخاصا يقبلون الأوضاع الاجتماعية التي يجدون أنفسهم فيها <sup>1</sup>.

بيد أن هناك طرحا آخر قاهرا للفقراء كأفراد وكأمم وهو الأنظمة الاقتصادية المفروضة من خارج الأمم ، كنظام العولمة الذي طفق يجتاح كل الأمم ويفرض مخططاته وأساليبه الاقتصادية وقيمه الأخلاقية على كل المجتمعات على حد سواء ، حيث تكون محصلة كل تعامل مع العولمة أنه كلما زادت الدول الغنية غنى زادت الأمم الفقيرة فقرا ، فالأثرياء هم من يصنع الفقر ، والأثرياء هم من ينسج بكل الخيوط كل الشبكات لاحتواء العالم وزجه في خانة الفقر لحساب فئة قليلة في العالم .

#### 1-4-4 - الخصائص الاقتصادية للعولمة وآليات صناعة الفقر

القطبية الشديدة التي أفرزتها الرأسمالية زادت من حدة التفاوت بين الأفراد من معدل 2:واحد عام 1800 ، إلى معدل 60:واحد في الوقت الراهن ، مع استفاة 20 % فقط من سكان الأرض من دول المراكز الغربية من هذا النظام <sup>2</sup>.

#### 1-4-1 - تحول مفاهيم الاقتصاد ورأس المال

وقد اقترنت العولمة بظواهر متعددة استجدت على الساحة العالمية أو ربما كانت موجودة من قبل، ولكن زادت من درجة ظهورها، وهذه الظواهر قد تكون اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو اتصالية أو غيرها، ولا شك أن أبرز هذه الظواهر هي الظواهر الاقتصادية التي أهمها:

<sup>1</sup> أنتوني جينز . علم الاجتماع . مرجع سبق ذكره . ص ص 384 . 385 .

<sup>2</sup> Samir Amin .Imperialism and Globalization . Monthly Review Foundation. INC June .2001.



أ - تحول الاقتصاد من الحالة العينية (الأنشطة التقليدية كتبادل السلع عينيًا بالبيع والشراء) إلى الاقتصاد الرمزي الذي يستخدم الرموز والنبضات الإلكترونية من خلال الحواسيب الإلكترونية والأجهزة الاتصالية، وما ينتج عن ذلك من زيادة حجم التجارة الإلكترونية والتبادل الإلكتروني للبيانات في قطاعات التجارة والنقل والمال والائتمان وغيرها.

ب - تحول رأس المال من وظائفه التقليدية كمخزن للقيمة ووسيط للتبادل إلى سلعة تباع وتشتري في الأسواق (تجارة النقود)؛ حيث يدور في أسواق العالم ما يزيد على 100 تريليون دولار (100 ألف مليار) يضمها ما يقرب من 800 صندوق استثمار، ويتم التعامل يوميًا في ما يقرب من 1500 مليار دولار - أي أكثر من مرتين ونصف قدر الناتج القومي العربي - دون رابط أو ضابط، وهو ما أدى إلى زيادة درجة الاضطراب والفوضى في الأسواق المالية، وأعطى لرأس المال قوة لفرض شروطه على الدول للحصول على أقصى ما يمكن من امتيازات له، وقد أدى هذا كله إلى زيادة التضخم نتيجة لزيادة قيمة النقود.

ج - تعمق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصاديات القومية، وتعمق المبادلات التجارية من خلال سرعة وسهولة تحرك السلع ورؤوس الأموال والمعلومات عبر الحدود مع النزعة إلى توحيد الأسواق المالية، خاصة مع إزالة كثير من الحواجز الجمركية والعقبات التي تعترض هذا الانسياب بعد إنشاء منظمة التجارة العالمية، التي بدأت نشاطها في بداية عام 1995م، وهو ما يشاهد الآن بعد توحد بورصة لندن وفرانكفورت اللتين تتعاملان في حوالي 4 آلاف مليار دولار، وكذلك توحد بورصات أوروبية أخرى، وهناك اتجاه متزايد نحو إنشاء سوق مالية عالمية موحدة تضم معظم أو جميع البورصات العالمية، وتعمل لمدة (24) ساعة ليتمكن المتاجرة في أسهم الشركات الدولية من أي مكان في العالم. وقد ترتب على إزالة الحواجز والعوائق بين الأسواق أن أصبحت المنافسة هي العامل الأقوى في تحديد نوع السلع التي تنتجها الدولة وبالتالي فإن كثيرًا من الدول قد تخلت عن إنتاج وتصدير بعض سلعها؛ لعدم قدرتها على المنافسة مثل صناعة النسيج في مصر التي انهارت أمام منافسة دول جنوب شرق آسيا، وأصبحت تلك الدول تحصل على حاجتها من دول أخرى لها ميزة تنافسية في إنتاج تلك السلع، وهو ما ينطبق أيضاً على رؤوس الأموال التي أصبحت مركزة في بعض الدول المنتجة والمصدرة للبترول، وعلى الدول التي تحتاج إلى تلك الأموال أن تحصل عليها من الدول المتقدمة.

**1-4-2 - دور أكبر للمنظمات العالمية**

أ - زيادة الانفتاح والتحرر في الأسواق واعتمادها على آليات العرض والطلب من خلال تطبيق سياسات الإصلاح أو التكيف الاقتصادي والخصوصية ، وإعادة هيكلة الكثير من الاقتصاديات الموجهة واقتصاديات الدول النامية لتتوافق مع متطلبات العولمة .

ب - زيادة دور وأهمية المنظمات العالمية في إدارة وتوجيه الأنشطة العالمية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومنظمة التجارة العالمية واليونسكو، ومنظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة وغيرها.

ج- التوجه نحو تشكيل العديد من التكتلات الإقليمية الاقتصادية والسياسية والثقافية مثل كتل الآسيان والاتحاد الأوروبي وغيرها، وزيادة الملحوظة في أعداد المنظمات غير الحكومية بعد أن بدأ دور الدولة في إدارة الاقتصاد في التناقص.

**1-4-3 - تفاقم المديونية وتزايد الشركات متعددة الجنسيات**

أ - استثناء ظاهرة الشركات المتعدية الجنسيات، مع سيطرتها على الاستثمار والإنتاج والتجارة الدولية والخبرة التكنولوجية مثل شركات IBM ، ومايكروسوفت وغيرها، خاصة بعد أن ساوت منظمة التجارة العالمية بين هذه الشركات والشركات الوطنية في المعاملة.

ب - تفاقم مشاكل المديونية العالمية وخاصة ديون العالم الثالث والدول الفقيرة مع عدم قدرتها على السداد، وما تزامن مع ذلك من زيادة حجم التحويلات العكسية من الدول الفقيرة إلى الدول المتقدمة، والمتمثلة في خدمة الديون وأرباح الشركات المتعددة الجنسيات وتكاليف نقل التكنولوجيا وأجور العمالة والخبرات الأجنبية، والذي قابله في نفس الوقت تقلص حجم المعونات والمساعدات والمنح الواردة من الدول المتقدمة إلى الدول النامية وعدم جدواها.

ج - ظهور تقسيم دولي جديد للعمل تتخلى فيه الدول المتقدمة للدول النامية عن بعض الصناعات التحويلية (هي الصناعات التي تعتمد على تحويل المادة الخام إلى سلع مصنعة يمكن الاستفادة منها، كصناعات الصلب والبتروكيماويات والتسليح وغيرها) التي لا تحقق لها ميزة نسبية، مثل الصناعات كثيفة الاستخدام للطاقة وكثيفة العمل والملوثة للبيئة، وذات هامش الربح المنخفض، مثل صناعات الصلب والبتروكيماويات والتسليح، بينما ركزت الدول المتقدمة على الصناعات عالية التقنية كصناعة الحاسبات والبرامج وأجهزة الاتصالات والصناعات الإلكترونية، ذات الربحية العالية والعمالة الأقل.

## 1-4-4 - تبديد الفوائض بدلاً من تعبئتها

أ - تغير شكل وطبيعة التنمية، فبعد أن كانت التنمية تعتمد أساساً على تعبئة الفوائض والتمويل الذاتي (الادخار)، تحولت إلى تنمية تعتمد على الاستثمارات الخارجية والشركات المتعدية الجنسيات، وأصبحت التنمية هي تنمية تبديد الفوائض والمدخرات (الاستهلاك) كنتاج أساليب الاستهلاك الترفيهي المتزايدة، تحت ضغط الآلة الإعلانية الجبارة، التي أدت إلى عجز مزمّن في موازين المدفوعات وتفاقم أزمة الديون في العالم الثالث، وتركيز التنمية على الجانب الاقتصادي فقط، أي تحولها إلى تنمية وحيدة الاتجاه تهمل الاتجاه الاجتماعي والثقافي، مع اعتماد نظام السوق ليكون أساساً للتنمية في مختلف بلاد العالم. حتى الطبقات عالية الدخل في الدول النامية التي من المفترض أن تكون نسبة ميلها الاستهلاكي (نسبة الإنفاق على الاستهلاك من الدخل الكلي) قليلة وأصبحت تلك الفئات من الفئات المسرفة التي تبدد دخولها على الاستهلاك الترفيهي وبالتالي فإن ميلها الاستهلاكي أصبح مرتفعاً، وقد ساعد على ذلك قدرة الاقتصاديات المتقدمة على إنتاج سلع جديدة والتنوع في السلع القديمة مثل ابتكار طرازات جديدة من السيارات والسلع المعمرة وغيرها.

ب - تراجع نصيب المادة الأولية في الوحدة من المنتج في العصر الحديث بسبب تطور الإنتاج وهو ما يسمى بالتحلل من المادة (Dematerialization)، وإحلال الطاقة الذهنية والعلمية (الفكر) محل جزء من المادة الأولية، مما أدى إلى تراجع الأهمية النسبية للنشاط الصناعي في الهيكل الإنتاجي في الدول المتقدمة الصناعية وتساعد الأهمية النسبية لقطاع الخدمات، وقد زادت الأهمية النسبية لنشاط الخدمات داخل النشاط الصناعي ذاته بحيث أصبحت تمثل أكثر من 60% من الناتج الصناعي، لتتامي الصناعات عالية التقنية، وظهور مجموعة جديدة من السلع غير الملموسة كالأفكار والتصميمات والمشتقات المالية استقطبت المهارات العالية، وما ترتب على ذلك من زيادة عملية التفاوت في الأجور، وبالتالي توزيع الدخل القومي توزيعاً غير عادل، سواء على مستوى أفراد الدولة الواحدة أو بين الدول.

## 1-4-5 - زيادة الفوارق بين الطبقات والبطالة

أ - تعمق الثنائية الاجتماعية في مجتمعات العالم الثالث، فبعد أن كانت الفوارق مادية، أصبحت هذه الفوارق مادية وتكنولوجية بسبب استحواد الطبقات مرتفعة الدخل على الإنجازات التكنولوجية عالية القيمة التي يصعب على الفقراء اقتنائها، كالإنترنت والتليفون المحمول والحاسبات الإلكترونية وغيرها، ويؤدي هذا في المستقبل إلى زيادة وترسيخ التخلف في

الطبقات الفقيرة وصعوبة تقليل الفوارق بين الطبقات العالية الدخل والفقيرة في المجتمع مما يهدد الاستقرار الاجتماعي.

ب - زيادة وانتشار البطالة في المجتمعات وخاصة في الدول النامية بسبب الاتجاه إلى استخدام الأساليب كثيفة رأس المال، التي تعتمد على استخدام عدد أقل من القوى العاملة، وذلك بسبب الحاجة إلى تخفيض تكاليف الإنتاج وزيادة مستوى الجودة؛ فلا مكان للمنافسة في السوق العالمية الموحدة بعد إنشاء منظمة التجارة العالمية.

ج - إحلال مفاهيم جديدة محل القديمة كسيادة مفهوم الميزة التنافسية competitive advantage وحلوله محل الميزة النسبية Comparative Advantage بعد توحيد الأسواق الدولية وسقوط الحواجز بينها، وكذلك سقوط مفهوم التساقت الذي تبناه البنك الدولي وصندوق النقد الدولي لمدة طويلة، حيث إن الطبقات العالية الدخل في الدول النامية هي طبقات مسرفة لا تدخر ولا تستثمر وتبذل فوائضها في مصارف استهلاكية لا يستفيد منها المجتمع، وهو ما أدى إلى تناقص معدلات النمو في هذه الدول بسبب نقص الاستثمارات وزيادة عجز الموازين التجارية وموازن المدفوعات.

وتعني الميزة التنافسية للدولة قدرتها على إنتاج سلع وتصديرها لتنافس في الأسواق العالمية دون أن تتوفر لها المزايا التي تساعد على إنتاج هذه السلع مثل الظروف الطبيعية والمناخية والمواد الأولية وذلك نتيجة تفوقها التكنولوجي؛ حيث يمكن لها استيراد المواد الأولية من الخارج وتصنيعها بدرجة عالية من الجودة. وبتكلفة أقل لتنافس في السوق العالمي مثلما يحدث في اليابان وسنغافورة ودول جنوب شرق آسيا، وقد ساعد على ذلك تناقص قيمة المادة في السلع وزيادة القيمة الفكرية والذهنية نتيجة استخدام الحاسبات وأجهزة الاتصالات. أما الميزة النسبية فهي تعني توفر مزايا للدولة تساعد على إنتاج سلع معينة كالظروف الطبيعية والمناخية والمواد الأولية أو القوى العاملة الرخيصة، إلا أن هذه المزايا قد لا تساعد على المنافسة في الأسواق العالمية، ربما لانخفاض الجودة أو لارتفاع التكلفة بسبب غياب التكنولوجيا.

د- اتجاه منظمات الأعمال والشركات إلى الاندماج؛ لتكوين كيانات إنتاجية وتصنيعية هائلة الغرض منها توفير العمالة وتقليل تكاليف الإنتاج والحصول على مزايا جديدة كفتح أسواق جديدة أو التوسع في الأسواق الحالية، وهو ما نشاهده الآن من اندماجات الشركات الكبرى مع بعضها؛ حيث دخلنا فيما يسمى بعصر "الديناميات الإنتاجية" الهائلة والأمثلة

على ذلك كثيرة في مجالات البترول والتكنولوجيا والمعلومات والمصارف، وينتج عن ذلك بالتأكيد تطوير كبير في علم الإدارة والرقابة والسيطرة للتوصل إلى مهارات إدارية وتنظيمية وصيغ جديدة من الأشكال التنظيمية التي تناسب هذه الكيانات الكبيرة<sup>1</sup>.

وخلاصة القول فإن مرحلة العولمة انفردت بخصائص اقتصادية لم يسبق لها نظير من حيث تدخلها المباشر في الحياة الاجتماعية للأمم وتأثيرها المباشر في مختلف القرارات السياسية، مع فرض نماذج للسلوك بالموازاة مع نماذج السلع والخدمات المعروضة، وبدت خصائصها الاقتصادية المتمثلة في التحكم المطلق في رؤوس الأموال من طرف فئة قليلة من شأنه تعميق الهوة بين من يتحكم في الأموال وبين من يرغب في الاستفادة منها ( عبر الاستدانة و الاقتراض ) ، وبتوسع الهوة تزداد حدة الفقر و التحكم بمصائر الأمم ، بل وصناعة مختلف أشكال الفقر ، وفق تصورات الطرف الأقوى في المعادلة .

كما أن هذه المنظمات العالمية وخلال توجيهها للأنشطة العالمية تسعى إلى توجيه إرادات الشعوب والأمم بما يخدم مصالحها أولاً وأخيراً ، والانضمام إليها قد يقتضي تنازلاً عن مركبات أساسية داخل تلك الأمم ، بما قد يفضي إلى اتخاذ قرارات سياسية معينة ، أو انتهاج أنظمة لا تتعارض والمفاهيم الأساسية لتلك المنظمات العالمية ، كفرض الصندوق الدولي لشروطه التعسفية على مستدينيه ، والتحكم بشؤونه المالية الداخلية كسعر المواد و أجور العمال وغيرها .

إلى جانب ذلك فإن تدني أسعار المواد الأولية للبلدان الفقيرة من شأنه ضرب اقتصادها ، خاصة إن كانت تعتمد أساساً على هذه المواد دون استحداث لتكنولوجيا تحتمل تلك المواد الأولية ، وتمتص اليد العاملة ، و تنتج ما تنافس به هذه البلدان نظيراتها في العالم .

كل هذا من شأنه استحداث مشكلات اجتماعية كالبطالة وزيادة الفوارق الاجتماعية التي تعدم استقرار البلدان بالتدريج ، و تستحدث ثغرات الجوع و العوز في المجتمعات التي لا تقوى على المجابهة وتعتمد أساساً على الارتباط الدائم بصندوق النقد الدولي وما شابهه ، عبر القروض و الامتثال للشروط مقابل تلك القروض .

<sup>1</sup> <http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/namaa-41/morajaat.asp> 05 / 04 / 2008

بعبارة أخرى يمكن القول بأنه على المستوى الاقتصادي هناك عولمة أو كوكبة للسلع ، ولكن هناك عملية موازية لإعادة إنتاج الفقر والثروة وهو ما يترتب عليه تضاعف الحرمان في مناطق كثيرة في العالم ، وعلى المستوى الاجتماعي فإن العولمة بتأثير تنميط أشكال الثروة و المكانة ، ولكن هناك فوارق طبقية متوسطة و متناهية ليس بين الشعوب فحسب ، و لكن داخلها أيضا ، وعلى المستوى الاتصالي ، أدت ثورة التكنولوجيا المعاصرة إلى جعل العالم قرية ( اتصالية) صغيرة ، ولكن التفاهم بين الشعوب لم يتعزز ، بل كشف هذه القرية بأشكال التعصب العرقي و الديني و الثقافي ، و بالاتجاهات التي تدعو إلى النفي المتبادل ، و على المستوى السياسي يتحدث البعض عن نظام عالمي جديد ، ولكن الحروب الأهلية تتعاظم و العنف مازال منفلتا ، ووهن قوة الدفع نحو السلام العالمي الحقيقي يجعل هذا النظام الجديد حيزا للظلم و الطغيان و العنف الهيكلي<sup>1</sup> .

في ظل هذا كله ، لا يمكن أن تكون الكوكبة الاقتصادية عملية تامة أو إيجابية ، بل هي عملية أقصى ما تصبو إليه هو تكريس الثروة و الفقر على السواء ، لكن لن يكون نصيب الفقراء سوى فقرا أكبر ، و نصيب الأغنياء ثروة طائلة .

### النتيجة الثانية : انحسار سيادة الدولة

لا شك أن العولمة تبدو اقتصادية ، أو هي اقتصادية الوسائل والأساليب ، ولكنها تأخذ بعدا سياسيا وعسكريا وإعلاميا ، من حين لآخر حسب حاجة الثالوث الرأسمالي العالمي (الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا واليابان ) في مختلف أنحاء المعمورة . ولعل انحسار الدولة يعني ببساطة فرضا لتغيرات قاسية على المجتمعات المحلية بواسطة قوى جبارة من الأعلى<sup>2</sup> .

ورغم أن معايير ميثاق العولمة يوحي بغير ذلك ، إذ أن هذه المعايير قد صيغت بشكل متعمد لتأكيد حقيقة أن العلاقات الدولية المعاصرة أوسع بكثير من عالم "سيادة القوة" الميكيفالي المحدد بإطار ضيق ، الأمر الذي يطرح علامة استفهام بخصوص سياسة العالم ، حيث أن هذه

<sup>1</sup> محي محمد مسعد . ظاهرة العولمة الأوهام والحقائق . مكتبة الإشعاع للطباعة و النشر و التوزيع . الاسكندرية . 1999 . ص ص 78 . 79 .

<sup>2</sup> Stephen Castles . Globalization and Migration , Somme Pressing Contraditions. International Social Science Journal . U.S.A . Black Well Publishers .1998 . p185 .

المعايير التي صاغتها منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE) في حوار هلسنكي تتمثل فيما يلي :

- سيادة المتكافئة ، احترام الحقوق الكامنة في السيادة .
- الإحجام عن التهديد بالقوة أو استخدامها .
- عدم جواز انتهاك الحدود .
- ضمان وحدة الدول .
- التسوية السلمية للنزاعات .
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية .
- احترام حقوق الإنسان .
- المساواة بين الشعوب في الحقوق وتقرير المصير .
- التعاون بين الدول .
- التنفيذ الصادق والمخلص للالتزامات الواردة في القانون الدولي .

وهذه المبادئ والمعايير ، ولا سيما أكثرها أهمية ، هي معايير ومبادئ إجرائية لأنها تضع طرائق ووسائل لتسيير العلاقات الدولية تفرض قيوداً على الأفعال والنشاطات ، إنها معايير ليبرالية- دستورية نموذجية لعالم سياسي قائم على مبدأ الدول المستقلة ، مبدأ الحرية الدولية<sup>1</sup>.

بيد أن السيادة التي يريدها الثالوث الرأسمالي هي تلك التي تؤمن حدوداً حرة ومفتوحة لانتقال سلعته وأفكاره ، وذلك باستخدام الوسائل الإعلامية الجبارة والتقدم التكنولوجي ، والمؤسسات المالية الدولية ، والشركات متعددة الجنسيات ، وكذا الضغوط السياسية والحملات العسكرية ، لكي يحل مفهوم "النظام العالمي الجديد" محل مفهوم "الدولة والحدود الوطنية" ، وذلك كي تعطى الأولوية المطلقة لحرية السوق ، والمشروع الخاص ، مع تسخير متطلبات سياسية واجتماعية مثل مصطلحي ( الديمقراطية وحقوق الإنسان وتحرير المرأة ) في خدمة

<sup>1</sup> روبرت جاكسون . ميثاق العولمة : سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول . تعريب : فاضل جتكر . مكتبة العبيكان . المملكة العربية السعودية . 2003 . ص ص 48-49 .

ذلك أي كاستخدام هذه المصطلحات بمرونة كبيرة لتبرير التدخل في شؤون الدول القائمة في أطراف النظام الرأسمالي العالمي<sup>1</sup>.

بعبارة أخرى العولمة نظام يتخطى المعايير والمواثيق ويقفز فوق حدود الدولة والوطن والأمة ، فمن أهم ميزاتها الخصوصية ، أي نزع الملكية من الدولة ونقلها إلى القطاع الخاص المرتبط بقوة بنسق العولمة ، وهو الأمر الذي يجعل هذه الممتلكات في خدمة نسق العولمة وأهدافه ومتطلباته ، وبهذه الصورة تتحول الدولة إلى جهاز تابع لهذه القوى سواء المحلية ذات الاستثمارات الجديدة أو القوى الخارجية المتحكمة بزمام العولمة ، وإزاء ذلك يصعب التمييز فيما بعد بين ما هو شأن داخلي وبين ما هو شأن خارجي ، ورغم أن التنظيم الدولي يركز على قاعدة مفادها " لا يجوز التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة "، بيد أن هذه الفكرة بدأت بالتراجع تدريجياً تحت تأثير التفاعل المتزايد بين الدول ، سواء بشكل رسمي أو غير رسمي ، ونتيجة لتنامي الاعتماد الدولي المتبادل ، بحيث لم يعد ينظر للحدود الإقليمية على أنها حاجز أو عائق يحول بين التفاعلات الدولية .

من جهة أخرى فإن العولمة واكبت التحول الذي طرأ على النسق العالمي ، من صورة النسق ثنائي القطب إلى أحادي القطب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، ويدور في فلكها مجموعة الدول الصناعية الكبرى والتي تشكل عالم الشمال ، بينما يمثل عالم الجنوب الدول ذات الفقر الاقتصادي والضعف الاستراتيجي ، ومن ثم افتقارها إلى أهم أداتين من أدوات التأثير الدولي في عالمنا المعاصر ، بحيث باتت هذه الدول تمثل تبعاً لذلك مجرد مسرح للتنافس فيما بين القوى الكبرى ، وتتمثل أهم انعكاسات العولمة على الدول فيما يلي :

- تراجع مبدأ السيادة الوطنية للدول .
- تراجع قوة الدولة القومية وتضاؤل دورها .
- بروز مفهوم الحكم كبديل للحكومة .
- تزايد الاتجاه نحو التكتل الدولي بين دول الشمال ، مع تزايد حدة التفتت بين دول الجنوب<sup>1</sup>.

3. نعيم ابراهيم الظاهر . إدارة العولمة وأنواعها . عالم الكتب الحديث .إربد .الأردن . 2010 . ص 110 .



## 1 - مسوغات التدخل في الشؤون الداخلية للدول (خرق السيادة الوطنية للدول)

في غياب السيادة الوطنية ، تعيد الدولة عادة حساباتها ألف مرة قبل أن تصدر أي قرار ، حتى وإن كان ذلك متعلقاً بأفرادها الذين يقعون تحت وصايتها المباشرة ، وهذا الإجراء تخضع له كل طبقات المجتمع ومراكزه الاجتماعية ، وحتى الطبقات الحاكمة في الدولة الواحدة أصبحت تحت ضغط شديد لاحترام حقوق البشر، وإلا فإن سيادة الطبقات الحاكمة ذاتها ستكون في مهيب الريح، إذ أن انتشار وسائل الاتصال والبيث الإلكتروني جعل كل دولة واقعة تحت «مجهر المراقبة» من جانب مليارات البشر على سطح الأرض، وفي هذا السياق أورد الكاتب ولتر رستون في كتابه «أقول السيادة»: «لم يوجد في الأمم شبكة عالمية، لكن العالم كله يعرف اليوم قوة هذه الشبكة، وقد عرف المحتجون في براغ في 1988 قوة هذه الشبكة جيداً وهم ينشدون موجهين كلامهم إلى شرطة الشعب: العالم يراكم. وقد رأهم العالم حقاً»<sup>2</sup> .

ومن الجدير بالذكر أن «أقول السيادة» ليس مطلباً محموداً في الأصل، لأن نشأة الدول إنما جاءت لحماية الفرد من الفوضى والاعتداء، وتم منح «السيادة» للدولة ورجالها لحماية هذا الهدف، وهذا ما يشير إليه الفيلسوف باروخ سبينوزا في القرن السابع عشر بقوله: «ليست الغاية النهائية للدولة هي السيطرة على البشر ولا كبح جماحهم بالخوف، بل هي بالأحرى تحرير كل إنسان من الخوف حتى يعيش ويتصرف بأمن تام دون أن يؤذي نفسه أو جاره.. إن غاية الدولة هي الحرية حقاً». ولكن حينما تتم مصادرة الدولة من قبل الحاكم وتصبح سيادة الدولة جزءاً لا يتجزأ من سيادة الحاكم، فإن ظاهرة «أقول السيادة» تشرع في القوم إما من الداخل أو من الخارج، علماً بأن هذه الحالة من «أقول السيادة» تحدث في حالة انتشار المعلومات بشأن أوضاع العدالة في الدولة<sup>3</sup>.

وحسب أحد معارضي العولمة ، فإن قراءة متأنية لحركة التاريخ المعاصر الأسير في يد صناع العولمة ، يدل على أن النظام العالمي الجديد قد حصن نفسه بمنظمات ظلت تلعب دوراً

<sup>1</sup> نعيم إبراهيم الظاهر . مرجع سبق ذكره . ص ص 114 - 115 .

<sup>2</sup> ولتر رستون . أقول السيادة . كيف تحول ثورة المعلومات عالماً . دار النشر للنشر والتوزيع عمان الأردن . 1994 .

<sup>3</sup> أمين أحمد بهباني . الأفق المبين "أقول السيادة" . القبس "جريدة كويتية يومية سياسية مستقلة" . العدد 13032 . الاثنين 07 سبتمبر 2009 ، 17 رمضان 1430 . الكويت .

(تشريعياً) بروتوكولياً فيما عدا بعض الدول الفلتات التي لم يسامحها عليها ، فمن مجلس الأمن وصندوق النقد الدولي والمصرف الدولي ومنظمة حقوق الإنسان ومشروع الإغاثة الذي يجوع الشعوب ثم يسارع لإنقاذها ليلقي لها حفنة من الأرز أو الدقيق ، ...وقس على ذلك مع مختلف مؤسسات العولمة التي أوكل إليها - بتفاوت- تنفيذ سياسات استلاب الشعوب ، وهي توزع شهادات التقدير كجائزة نوبل ، ولا تنسى أحيانا منحها لبعض مفكري العالم الثالث ، لكن على شرط أن لا يكون حاملوها أعداء أيديولوجيين يهددون خطاب العولمة<sup>1</sup>.

وتحت طائلة المسوغات تخترق سيادة الأمم ، خاصة في عالم الجنوب ، تحت أي ذريعة ، ومنها مايلي :

### 1 - 1 - حقوق الإنسان :

كانت حقوق الإنسان أولى الذرائع لانتهاك سيادة الدولة ، أو ما سمي بمبدأ التدخل الإنساني ، وقد قادت الأمم المتحدة هجمة لتعديل مفهوم سيادة الدولة على نحو يفتح الطريق أمام التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة تتهم بانتهاك حقوق الإنسان أو ممارسة سياسة تمييزية ضد أي جماعة إثنية داخلها .

وبناء عليه فإن القوى الدولية لم تدخر جهداً في التعلل بقرارات الأمم المتحدة ، للتدخل في شؤون الدول خدمة لمصالحها ، كما فتح ذلك الباب واسعاً للصراعات المحلية من قبل الجماعات العرقية واللغوية والدينية والسياسية - داخل الأمم مخترقة السيادة - لإثبات الذات ونيل الحقوق وإبراز الهوية .

### 1 - 2 - المحافظة على النظام العالمي :

عادة تمتلك الدولة حقين أساسيين هما : الحق بالعمل بقوانينها الوطنية ، وكذا أن تكون في مأمن من التدخل الخارجي ، لكن يبدو أن هذين الحقين المقدسين قد أصبح لهما شروط من منظور المساءلة الدولية ، حيث مسها تدويل السيادة الذي يقتضي توسيعاً لأبعادها الخارجية ، فالقاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الدولي ، هي الاعتراف المتبادل بين دول لها سيادة ،

<sup>1</sup> عبد الله عثمان عبد الله . أيديولوجية العولمة "من عولمة السوق إلى تسويق العولمة" . دار الكتاب الجديد المتحدة . بيروت . لبنان . 2003 . ص10.

لكن الأمر أدى إلى وضع شروط لممارسة الدولة حقوق السيادة ، أهمها ألا يتسبب ذلك في إحداث اضطراب في النظام العالمي ، وفي الكثير من الحالات مارس مجلس الأمن السلطات المخولة له متجاوزا الحقوق التقليدية للسيادة والإجراء العسكري الذي اتخذته حلف الناتو تجاه كوسوفو أكد الواقع الجديد ، بحيث من الممكن أن تقوم دولة ما بهذا العمل عندما لا تقوم الأمم المتحدة ومجلس الأمن باتخاذ الإجراءات الكافية ، ويعتبر وضع كوسوفو وتيمور الشرقية تحت السلطة الكاملة لإدارة دولية انتقالية بتكليف من الأمم المتحدة من أكبر العلامات وضوحا على وجود صورة للسيادة الدولية ، لذلك فإن شرط الاعتراف بسلطة الدولة العليا لم يعد يرجع فقط إلى الشعب<sup>1</sup>.

وهكذا وفي ظل المعطيات الجديدة للنظام الدولي تم ترويض مفهوم السيادة المطلقة بحيث أقدمت الدولة - مضطرة- على إفراغ السيادة من مضمونها الذي ينضح بامتيازات السلطة المطلقة، ومن بعض الحقوق السيادية استجابة لمصالحها الجديدة في ظل متطلبات الصالح العام الدولي، وهو ما أعطى مفهوم السيادة مضمونا جديداً قائماً على نشاط وظيفي لصالح الهيئة الاجتماعية الدولية إلى جانب المصالح الوطنية<sup>2</sup>.

### 1-3- حماية دولة من عدوان دولة أخرى :

الغرض من ترتيبات السيادة كان دائما الحد من الحروب ، أي حماية النظام الذي تعتمد عليه جماعة الدول ، ورغم أن ذلك لم يمنع قيام الحروب ، إلا أنه وفر إطارا مهما لتشجيع الاستقرار داخل النظام العالمي ، ولذلك كانت القاعدة الأساسية التي قام عليها المجتمع الدولي هي عدم السماح لأي دولة بالاعتداء على حدود دولة أخرى ، بيد أن هذا الأمر تغير بحلول عقد التسعينيات ، وأصبح من الممكن تجاوز حقوق عدم التدخل وسيادة القانون الوطني من أجل مصلحة الأمن والسلام الدوليين ، وبناء على ذلك مرر مجلس الأمن في العديد من المشاكل كثيرا من القرارات التي تعبر عن مساحة كبيرة من الإجراءات غير العادية لمعالجة تلك المشاكل ، هذه الإجراءات غطت ثلاثة مجالات : تدخل عسكري- سياسي ، العدالة وأسلوب الحكم ، وغيرت في طبيعة المزايا التي تتمتع بها الدولة من خلال مبدأ السيادة .

بعبارة أخرى فإن مفهوم التهديد للسلام والأمن الدوليين ، وباعتبار أن الدول هي التي تكون المجتمع الدولي ، أعاد مجلس الأمن صياغة المبدأ الحاكم الذي يحمي الدول والنظام الدولي الذي يعتمدون عليه ، المبدأ القديم والمؤسس على مفهوم السيادة كان حماية الدولة ضد

<sup>1</sup> نعيم ابراهيم الظاهر .مرجع سبق ذكره . ص119 .

<sup>2</sup> عدنان نعمة . السيادة في ضوء التنظيم الدولي المعاصر ، بيروت، 1978، ص ص-10-12.

التدخل في شؤونها الداخلية والحفاظ على النظام والاستقرار باتخاذ إجراءات لوقف العدوان الخارجي المسلح ضد الدول ، الآن ، تغير الحال وتغيرت الاحتياجات ، وأصبح التحدي الذي يواجهه السلام والأمن هو حماية النظام الدولي الذي تعتمد عليه الدول من الفوضى وعدم الاستقرار نتيجة لما قد يحدث من أحداث داخل بعض الدول الأخرى ، فالأولوية هي منع الاضطرابات الداخلية في الدول من أن تنتقل عدواها إلى الجسد الدولي ، فتؤثر على غالبية الدول التي تعتمد عليه <sup>1</sup>.

بعبارة أخرى تتطلب الاتجاهات الفكرية الكونية الشاملة التفكير التخيلي ، الابتكار والتركيز على المعلومات ، الاستثمارات الضخمة ، والتغيير التنظيمي لكي تستطيع إدارة المنظمة أن تستجيب بفعالية إلى التحديات والفرص الكونية المنبثقة ، في الأسواق الكونية القائمة الآن ، بينما أنماط الاستهلاك وتوقعات المستهلك ، والأنماط الشاملة لسلوك المستهلك قد أصبحت متناسقة بصورة متزايدة ، فإن أوضاع خاصة في الثقافة والبنية التحتية للأسواق الوطنية لكل بلد تستمر في فرض مشكلات إدارية مختلفة .....<sup>2</sup>

وقد أدى البث القوي والمعتم لطريقة الحياة الأمريكية في الزوايا الأكثر بعدا من الكرة الأرضية ، بفضل ثورة الأقمار الصناعية ، إلى تفسخ الثقافات التقليدية من كل جانب ، وحث على حدوث تبدلات اجتماعية مست الأفراد والجماعات في بلدان العالم الثالث . فبتشويشها لصلابة ثقافات الأسلاف المتحجرة بفعل تكرار الموروث الأبائي ، أخلت المكان لفضاء خيالي جديد يمكن أن ينتشر فيه نوع من الجدل بين الفطري والمكتسب ، الشبيه والمغاير ، القديم والجديد ، التي ستنبثق عنها في الأخير الحداث في أفضل الحالات <sup>3</sup>، وهو ما سيأتي في الجزء القادم .

### خلاصة الفصل :

حاول هذا الفصل قراءة آليات النظام الرأسمالي في سبيل عولمة البنى التحتية للمجتمعات المحلية من منظور ماركسي بحت ، والغرض من استخدام هذا المدخل يكمن في كون عولمة المجتمعات بدأ فعلا بعالم الاقتصاد والمادة ، ثم تحول بمرور الزمن إلى عولمة المجالات الثقافية ، والأيدولوجيا ومختلف الاتجاهات الفكرية والعقيدية ، ليخلص بذلك إلى نتيجة مفادها أن العولمة لا تجلب إلا الفقر والبطالة ، في غياب سيادة الدولة .

<sup>1</sup> نعيم ابراهيم ظاهر . مرجع سبق ذكره . ص ص 123 - 124 .  
<sup>2</sup> سي بي راو . العولمة ( الكونية) وأبعادها الإدارية . ترجمة: عبد الحكيم أحمد الخزامي . دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة . 2002 . ص 5 .  
<sup>3</sup> ناهد طلاس العجة . مرجع سبق ذكره . ص 256 .

# الفصل الخامس

## آليات عولمة البنى الفوقية للمجتمع المحلي

أولا : خصائص الهوية في ضوء الثقافة

ثانيا : الثقافة والهوية الثقافية

1 - الثقافة والتثاقف

2 - عوامل التغير الثقافي

ثالثا : سمات ثقافة العولمة

رابعا : آليات عولمة البنى الفوقية

1 - اختراق التمرکز العرقي

2 - التثاقف العولمي

3 - اللاتضمنين الثقافي أو عولمة التجربة المحلية

4 - عولمة الضمير الجمعي العالمي

5 - التعولم الهوياتي

5-1 - الاستلاب الهوياتي

5-2 - الاغتراب الهوياتي

5-3 - المحاكاة والتمثيل

خامسا : نتائج تأثير العولمة في البنى الفوقية للمجتمع المحلي

## تمهيد

وإذا كان الاقتصاد هو بوابة تخلل البنى التحتية للمجتمعات ، فإن وسائل الاتصال قد شملت كل مراحل العولمة ، إذ أنها رافقت رجال الاقتصاد ورجال المال والأعمال ورجال الثقافة ورجال التربية ورجال الفن...حتى صار العصر الذي نحياه يسمى بعصر الاتصالات . فقد زج بالإنسانية في عصرالاتصالات الشاملة ،عصر الطرق الفسيحة التي تسلكها المعلومات ، وهكذا هدمت هذه الوسائل المسافات ، وأسهمت بالتالي إسهما كبيرا في محاولة صياغة مجتمعات الغد وثقافتها وفق نمط يكاد يكون أكثر تشابها<sup>1</sup> .

إن صناعة البنى الفوقية هو بمثابة التحدي الذي على الأمم تجاوزه بأي ثمن كان ، لأنه التحدي الأصعب ، إن البنى الفوقية هي أهم بكثير من البنى التحتية وهي صناعة لها حسب العديد من الاتجاهات الفكرية ، - باستثناء المنظور الماركسي - لأنها غير قابلة للشراء والاستيراد أو للاستهلاك الرخيص.. إنها باختصار: صناعة للقوى البشرية الفاعلة بكل حركاتها بما تمتلكه من خبرات وثقافة وتكوينات وتجارب وذهنيات وأفكار وخطط وإبداعات ومنتجات في كل ميادين الحياة وحقولها.. لقد مرت المجتمعات البشرية المتقدمة (وحتى المتحركة اليوم) بتجارب مريرة وصعبة وهي تتنافس في صناعة كل من بنيتها، وخصوصا الفوقية فيها ولم تزل حتى اليوم تعمل على جذب الأذكاء في العالم واستقطابهم على عكس مجتمعاتنا في معظم بلادنا التي كانت وستبقى طاردة للعقول والأذكاء والقوى الفوقية! ومن أنكى التفسيرات الرائجة أن الاستعمار وراء كل هذا وذاك وغاب عنهم بأن كل الخلل هو ذلك الذي تصنعه أيدينا عبر مختلف أجهزة الأمة .

## أولا : خصائص الهوية في ضوء الثقافة :

ومثلما كانت صناعة البنى الفوقية صعبة ومعقدة ، ورهان الأمم في الممانعة ضد الاستعمار والغزو بكل أشكاله فإن اختراقها هو اختراق الحصن الأخير الذي إذا سقط في أيدي الغزاة ، سقطت بموجبه الأمة .

<sup>1</sup> Jonthan L, Parapak. Global communications and cultural identity challegenes and opportunities .report Global communications Asia 1998 .p3.

يتطلب الوصول إلى كيفية عولمة الهوية ، الوقوف أولاً على علاقة الهوية بالثقافة ، حيث أن الهويات عادة تتشكل عبر الثقافات الرئيسية والثقافات الفئوية التي ينتمي لها الأفراد أو التي يشاركون فيها .

بيد أن القول بأن الهوية إفراز من الثقافات ليس بهذه البساطة ، إذ أن ستيفن فروش يقول في هذا الصدد "النظرية الحديثة لعلم النفس وعلم الاجتماع تؤكد أن هوية الفرد هي في الحقيقة متعددة المصادر ، حيث أنها تتكون عبر التجربة وتترسخ برموز لغوية ، والأفراد حين يطورون هوياتهم إنما ينجذبون إلى المعطيات الثقافية الموجودة في الشبكة الاجتماعية المباشرة لهم وتلك الموجودة في المجتمع ككل " وعليه فإن بناء الهوية إنما يؤثر عليه بشكل كبير جميع التباينات والأمزجة السائدة في البيئة الثقافية والاجتماعية المحيطة<sup>1</sup> .

إذن فالهوية صناعة ثقافية ، وهي لا تتشكل دفعة واحدة ، ولكنها عمل تراكمي ، يخضع لعملية الحذف والإضافة ، ومن هنا يأتي دور النخب الاجتماعية في مراجعة الهوية وإعادة إنتاجها .

ويتفق أغلب الباحثين الذين يخوضون في قضايا الهوية بأنها قابلة للتطور والتحول ، وحتى بعض مكوناتها الثابتة ، كالدين واللغة ، تخضع لنوع من التغيير في الفهم والتفسير ، ولكن في الغالب لا تمس الأصول ، لأن المسائل المتعلقة بالعقيدة يصعب الاقتراب منها<sup>2</sup> . وفي الوقت الذي ترى فيه بعض الأوساط الأكاديمية أن الهوية فعل إرادة واختيار ، أكثر منه تبعية وامتنال ، بحيث أن للإنسان القدرة على تحديد هويته وتطويرها ، ينبه الجابري إلى أن الاختراق الثقافي يستهدف أول ما يستهدف الإدراك ، واختطافه وتوجيهه ، وبالتالي سلب الوعي ، والهيمنة على الهوية الثقافية الفردية والجماعية ، وبالسيطرة على الإدراك ، يتم إخضاع النفوس أعني تعطيل فاعلية العقل ، وتكييف المنطق والتشويش على نظام القيم ، وتوجيه الخيال وتنميط الذوق وقولبة السلوك ، والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع ، معارف إخبارية تشكل في مجموعها ما يمكن أن نطلق عليه "ثقافة الاختراق"<sup>3</sup> .

ويأتي الاختراق الثقافي عند الاحتكاك بين ثقافتين غير متكافئتين ، حيث تفقد الثقافة الأدنى القدرة على الاستمرار ، وتصاب بحالة من التفكك ، وفي هذه الحالة ليس هناك معنى

<sup>1</sup> هارلميس وهولبورن . سوشيلوجيا الثقافة والهوية . ص ص 14-15 .  
<sup>2</sup> محمد حسن البرغثي . الثقافة العربية والعولمة . دراسة سوسيلوجية لأراء المثقفين العرب . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . 2007 . ص 121 .

<sup>3</sup> محمد عابد الجابري . العولمة والهوية الثقافية . عشر أطروحات . من كتاب العرب والعولمة . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . لبنان . 1998

للتبادل الثقافي ، فالعولمة تستهدف تعميم نموذج ثقافة المركز ، وإحلالها محل الثقافات الأخرى ، ويتم ذلك من خلال عمل مخطط ، وتحت شعار المثاقفة ، حيث تتلاشى الهويات الثقافية الخاصة وتذوب في هوية كبرى هي هوية المركز<sup>1</sup> .

والواقع أن الثقافة الأمريكية قد أحدثت حالة من الانبهار لدى الثقافات الأخرى ، من خلال عمق معاناة هذه الثقافات وجمودها ، وما تطرحه الثقافة الأمريكية من شعارات ، ولكن هذا الإعجاب لم يدخل مرحلة التأثير العميق ، للإيقاع السريع ، والمتغيرات المتلاحقة التي تميز هذه الثقافة ، وفقدانها المصادقية في علاقتها مع الثقافات الأخرى ، حيث الاستعلائية الظاهرة في الخطاب الثقافي الأمريكي ، والإقصائية للأخر وإغفاله<sup>2</sup> .

### ثانيا : الثقافة والهوية الثقافية

تعرف الثقافة بأنها تكوين مفاهيمي مركب ، يدل على ما اكتسبه الإنسان العاقل تراكميا من أساليب سلوك مادية ومعنوية متطورة باستمرار ، ويستخدمها في اتصاله بالواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه ، وتضم أساليب السلوك هذه سمات نفسية وعناصر أدائية متعددة يمكن تصنيفها حسب متعلقات الذات الإنسانية والكفاية الاقتصادية والعلاقات الإنسانية والمسؤولية المدنية والتعامل مع المعلومات .

ويعرفها الجابري بأنها ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتغيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ بجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها بهويتها الحضارية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء، وهي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم وعن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت، والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده وما ينبغي أن يعمل ، نتيجة لذلك يرى أن الثقافات ستبقى متعددة متنوعة وتعمل كل منها بصورة تلقائية على الحفاظ على مقوماتها الخاصة<sup>3</sup> .

نلاحظ مما سبق أن هناك تشابهاً في مكونات الثقافة ، وذلك من حيث المسميات ، رغم أنها تختلف من حيث المصدر الذي تشتق منه، فهي قد تنسب إلى دين أو مذهب أو طائفة أو علم من العلوم، فيقال: ثقافة إسلامية أو ثقافة غربية أو ثقافة ديمقراطية أو ثقافة علمية أو اجتماعية.

<sup>1</sup> محمد حسن البرغثي . مرجع سبق ذكره . ص 123 .

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق . ص 124 .

<sup>3</sup> محمد عابد الجابري . ، العولمة والهوية الثقافية ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية 20 ديسمبر 1997 . بعنوان العرب والعولمة . الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . لبنان . ص ص 297 – 298 .



ويعتبر الفرد مثقفا حين يتوفر لديه قسط من الأفكار والمعارف اللغوية والعلمية والفنية والقانونية والأخلاقية ، والمهارات الأدائية الأساسية ، والعادات والتقاليد المرغوبة مجتمعيًا ، والاتجاهات العامة المقولة والمنبثقة من القيم الدينية والأيدولوجية التي يؤمن بها ، وأية قدرات أخرى يكتسبها الفرد باعتباره عضوا فاعلا في المجتمع . كل ذلك بالقدر الذي يمكنه من التفكير بنفسه وبالغير ، ومن احترام ذاته واحترام الآخرين ، ومن مواجهة متطلبات حياته اليومية ومسائل العالم المتغير بكفاءة واقتدار ، فضلا عن سعيه الدؤوب لدعم الشخصية الوطنية المتمسكة بتراثها والمتفتحة على العالم بشكل يسمح بالتلاؤم المتوازن مع الحضارة الإنسانية والتفاعل معها والفعل فيها ، وكذلك العمل على تنمية القدرات الإبداعية لديه ولدى جميع الآخرين في مجتمعه ، كل حسب قدراته ومجالاته ، مع العمل المتواصل للحد من عوائق الرتبة والاعتبارات الفئوية على أنواعها ومنها الفروق الاقتصادية والاجتماعية والعرقية .

وفي هذا السياق فقد حدد كامبل ( campbell ) عام 1963 عددا من المفاهيم التي تشكل عناصر هامة للخريطة الثقافية الفردية والجمعية ، وتتعلق كافة هذه المفاهيم من تفاعل أربعة عناصر هي : الذات والآخر ، وعناصر البيئة المادية ، وأنماط السلوك ، فمن تفاعل الذات بالآخر ينتج ما يسمى النماذج ، ومن تفاعلها بعناصر البيئة المادية ينتج ما يسمى بالمهمات ، ومن تفاعلها بأنماط السلوك ينتج ما يطلق عليه عادة المعايير والأدوار ووجهات النظر ، ومن تفاعل الآخر بأنماط السلوك تنتج المثل والآمال ، ومن تفاعل عناصر البيئة المادية بأنماط السلوك تنتج القيم .

وتصنف منظومة القيم ، وبالتالي عناصر الثقافة الفردية والجمعية ضمن خمس فئات أساسية كما يلي :

- 1 - **الطبيعة الإنسانية الفطرية والمتعلمة** : وتضم العقيدة ومفهوم الأسرة ، والطموحات والآمال ، والممارسات الصحية وكيفية مواجهة الأمراض واللباس والمظهر .
- 2 - **علاقة الإنسان بالظواهر الطبيعية** : وتشمل طريقة التعامل مع الظواهر الطبيعية ، ومفهومي العمل واللهو والمستوى التعليمي .
- 3 - **العلاقات الإنسانية** : وتعني العلاقة المتواترة مع الآخرين ، وطريقة مواجهة الخبرات الجديدة .
- 4 - **العلاقة مع الوقت** : ومن مظاهرها الدقة في المواعيد والتوزيع المتوازن للزمان والمكان .

5 - نمط النشاطات الإنسانية: بما في ذلك التقاليد والعادات المتبعة ، والأعياد والعطل الرسمية ، والكفاءة اللغوية ودرجة الحنو في التعامل مع الحيوانات الأليفة ، ومدى تذوق الفن والموسيقى . ويمكن تصنيف عناصر الهوية الثقافية ضمن عناصر ظاهرة وأخرى مضمرة ، أما الظاهرة فتشير إلى الدين واللغة ومنظومة القيم والمعايير الشعبية ، وأما المضمرة غير الظاهرة فتشير إلى مظاهر السلوك غير المقصود الناتج عن التعلم الاجتماعي في الحياة اليومية للفرد ، وتضم طريقة الكلام والسير وحركة الأطراف وتعبيرات الوجه وأسلوب التفكير وطريقة إظهار المشاعر للآخرين ، فضلا عن مفهوم الوقت وتقديره ، وطريقة التواصل مع الآخرين بما في ذلك مختلف مظاهر التعبير غير اللفظي .

ويكون لمجموعة من الناس هوية ثقافية محددة أو ما يسمى ثقافة جمعية مشتركة حين يتكلم أفرادها نفس اللغة ، ويؤمنون بنفس الدين والمعتقدات والأيدولوجيات ، ويتقاسمون نفس القيم ونماذج الأنشطة الاجتماعية . وبهذا فإن الثقافة هي ما يقتضي القبول به لدى تبني نظام تعليمي يساير ظروف وأهداف الطلبة في مستويات ثقافية متباينة، فمفهوم النظام التعليمي هو أصلا ابتكار ثقافي موجه لتهيئة أبناء الطبقة الوسطى ليصبحوا قادرين على المشاركة الفاعلة في الثقافة الجمعية التي يعيشون ضمن إطارها ، وبالتالي فإن كل من يلتحق من أبناء الثقافات الأخرى بنظام تعليمي معين في مجتمع محدد ، بما في ذلك أبناء الطبقة الاجتماعية الدنيا في المجتمع نفسه ، ويعتبر متخلفا ثقافيا بالقدر الذي تختلف فيه ثقافته الأصلية عن ثقافة الطبقة الوسطى في ذلك المجتمع .

ولما كان من أهداف أي نظام تعليمي تثقيف الأفراد ، فلا بد من التركيز على نمط التعليم ثنائي اللغة -ثنائي الثقافة ، ومثال ذلك الخطوة الأولى لنشر التمدين في أوساط الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية كانت متمثلة في تعليم اللغة الإنجليزية كعنصر أساسي لازم لتعديل القيم والعادات والأخلاق الموروثة . وتلك هي الركيزة الفلسفية التي تقف وراء أنشطة بعض المؤسسات الدولية كالمجلس الثقافي البريطاني ومعهد جوتة الألماني والمركز الثقافي الفرنسي ، وذلك هو السبب الرئيسي لرفض تعليم لغات أخرى غير الإنجليزية ضمن نظام التعليم الرسمي في الولايات المتحدة ، بدعوى أنه يعصف بالوحدة الوطنية بين المواطنين من مختلف الأصول والمنابت فيها<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> مجموعة من الباحثين . العولمة والهوية . عصام نجيب . الدور الثقافي للجامعة بين خصوصية الحداثة وتنافسية العولمة - جامعة فيلادلفيا نموذجاً - أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون . تحرير ومراجعة : صالح أبو أصعب وآخرون . ط2 . دار مجدلاوي للنشر والتوزيع . عمان الأردن . 2002 . ص ص 222 - 224 .

## 1 - الثقافة والتثاقف :

ما يميز المجتمعات البشرية عن الحيوانية ، هو الثقافة التي تطبع الإنسان ومآثره ، فهذه الثقافة توحد الجماعة ، وتضفي على محيطها طابعا مخصوصا ، إنها تستند إلى ماض تاريخي ، وتسبغ على العلاقات المجتمعية مضمونها ، وإذا كانت تحدد الإنسان إلى حد ما ، فإن الإنسان يحددها أيضا باختراعاته وتكيفاته . وقد أشارت العديد من المؤلفات الأنثروبولوجية إلى أن الثقافة ظاهرة جامعة من حيث أنها مكتسب من المكتسبات البشرية ، وظاهرة فريدة من حيث تعبيراتها المخصوصة ، وهي في الوقت ذاته ثابتة ودينامية ، إذ أنها تحتفظ بتعديلات دائمة ، وذلك بمساهمة بعض الثقافات الخارجية وكذا زوال بعض العادات من مركباتها المترامية ، إلى جانب ذلك فهي تحدد سلوكياتنا ، لكنها تحدها أحيانا كثيرة بصورة لا واعية (ارتكاسات ، تصرفات آلية ، أصول اللياقة والآداب ، ... )<sup>1</sup>

ومن الناحية السوسولوجية يمكن القول بأنه يوجد ثقافت في أي مجتمع في حالة احتواء السيرورة الثقافية على ثقافات أجنبية مختلفة بجانب الثقافة المحلية ، أي أن التثاقف يعني النقاء ثقافتين أو عدة ثقافات في المجتمع التي يكون الفرد فيها غالبا هو الضحية ، نظرا لكونها تنتج في أغلب الأحيان ضعفا في الثقافة الأصلية ، وخلالها في العلاقات الاجتماعية للجماعات المحلية<sup>2</sup> ، الأمر الذي يوحي بأن تبعات التثاقف عادة تكون سلبية ، رغم أن مجتمعنا قد خبر ذلك وعكسه أيضا ، فقد خبر التثاقف الإيجابي مع الثقافة الإسلامية ، وخبرت التثاقف السلبي مع الثقافة الغربية .

وفيما يلي يمكن الوقوف على خصائص الثقافة بشيء من التفصيل :

1 - كونها ظاهرة جامعة فلأنها تتجلى عبر مختلف مجالات الحياة المجتمعية ، من أساليب تحصيل المعاش ، النظام ، الإنتاجية ، التقنيات والمؤسسات ، والتنظيم العائلي والسياسي ، وخاصة عبر المعتقدات وفلسفة الحياة والتعبير الفني ،... وكل ثقافة هي حصيلة لخبرة مخصصة ولماض مشترك وذاكرة جماعية .

2 - لكن الثقافة تظل دينامية رغم ثباتها واستقرارها ، فهي تتبدل عبر التاريخ ، في سياق التقدم التقني والتغير الاجتماعي ، وعلى نحو ما بين التطوريون بصورة نظامية مفرطة ، وهي تنتقل عبر المكان بسرعة تزداد مع تنامي وسائل الاتصال والمواصلات ، فينتقي كل مجتمع من

<sup>1</sup> جاك لومبار. مدخل إلى الاثنولوجيا . ترجمة: حسن قبيسي . المركز الثقافي العربي . بيروت . لبنان . 1997 . ص ص 147 - 151 .

<sup>2</sup> Abdelghani Megherbi. Culture et Personnalité Algérienne.de Massinissa à nos jours .O.P.U.Alger.1986.p26.

المجتمعات قسطا معيناً من المساهمات الثقافية الخارجية ، وفي هذا الإطار فقد درجت بعض الأوساط الأكاديمية خاصة ذات العلاقة بالدراسات الأنثروبولوجية على استخدام تعابير على شاكلة " الاستعارات الثقافية" و"التغيرات الثقافية" فضلا عن تعبير "التثاقف" ، رغم أن هذا المصطلح الأخير يشتمل على الظواهر الناجمة عن الاحتكاك المباشر والمتواصل بين جماعتين من الأفراد تنتميان إلى ثقافتين مختلفتين ، مع ما ينشأ عن ذلك من تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية لدى إحدى هاتين الجماعتين أو ليهما معا .

وهناك من الباحثين من دعا إلى ضرورة التمييز بين التثاقف (كونه يعبر عن تغير مجلوب من الخارج ) والتغير الثقافي (الذي قد يكون داخليا وخارجيا معا ، وإما داخليا أو خارجيا ) ، فضلا عن تمييز هذين الأمرين عن التمثل أو الاستيعاب الذي هو أقصى حالات التثاقف ، إذ يصل إلى حد تقليد النموذج والتشبه به ، فالتثاقف يجري عموما بين ثقافتين مختلفتين اختلافا جذريا ، بينما يحصل الانتشار بين مجتمعات كثيرا ما تكون متقاربة وذات ثقافات متشابهة ، وهو أقرب في الدلالة إلى الانتقال الثقافي منه إلى الدلالة على ثقافة قيد التشكل .

أما صيغ التثاقف وأشكاله فمتعددة ومتبدلة تبعا لتنوع العلاقات ولأبعاد الجماعات الذي يتم الاحتكاك بينها ، لتتفوق إحدى الجماعتين على الجماعة الأخرى تقنيا ومجتمعيا ، وتبعا لما إذا كان الاحتكاك المذكور إلزاميا أو طوعيا ، وتبعا لدرجة مقاومة الثقافة التي فرض عليها الاحتكاك .

ولكن حتى في ظل الضغط والتأثير الشديدين ، فإن الثقافة الأصلية تظل تقوم على الدوام بعملية "تصفية" أو "تنقية" للسماة الثقافية الخارجية التي تتلقاها ، مما يجعل عملية الانتقاء هذه تؤدي إلى إعادة تأويل معينة للعناصر المتلقاة ، ولذلك تعتبر إعادة التأويل هذه مفهوما أساسيا من مفاهيم دراسة التثاقف ، إذ أن العادة الواحدة أو السمة الثقافية المعينة نادرا ما تتقبل كما هي وبدون إدخال تحويل عليها ، فهي قد تعدل من حيث مضمونها ، وإما من حيث وظيفتها ، وإما من حيث الأمرين معا .

غير أن التثاقف الذي يتم بصورة فضة وقاسية قد يؤدي إلى ردود فعل من جانب المجتمع الذي يخضع له ، وتتخذ ردود الفعل هذه شكل التثاقف المضاد الذي قد يكون حركة نخبوية أو جمهورية تسعى إلى إعادة الاعتبار لبعض الثقافات التي أفقدتها عوامل التغيير أصالتها وفرادتها .

3 - كما تتصف الثقافة بأنها عليانية ، أي أنها تفرض نفسها علينا بصورة قد لا تكون واعية تماما ، فتطغى على المجتمع بنماذجها وقواعدها وعقوباتها ، لكنها تتصف في الوقت نفسه بأنها كامنة فينا ، إذ أن كل فرد منا إنما يتمثل الثقافة ويستوعبها بحيث تصبح جزءا من شخصيته فلا يعود يعي وطأتها الخارجية المفروضة عليه ، ومن هنا تتأتى صعوبة التمييز بين ما هو مكتسب لدينا وما هو فطري .

## 2 - عوامل التغير الثقافي :

تتظاهر العديد من العوامل لإحداث التغير الثقافي ، منها العوامل الأيكولوجية والطبيعية ، ومنها العوامل السكانية ، ومنها العوامل التكنولوجية ومنها العوامل الأيديولوجية ، ومنها العوامل الاقتصادية ، وحيث يركز ماكس فيبر على الدور الرائد للدين في عالم الاقتصاد من خلال حركة الإصلاح الديني في قيام الرأسمالية ، فإن كارل ماركس ينبري ليمجد المادة كونها الأساس في أي تغير ثقافي يحصل للمجتمع ، إذ أن النظرية الماركسية دأبت على تفسير ظواهر التغير في المجتمع إلى العوامل الاقتصادية ، حيث تعتبر هذه النظرية الإنسان ظاهرة من الظواهر الطبيعية ، وهو يخضع لقوانينها في الوسط الذي يعيش فيه ، بينما يشكل الإنسان في الفكر الماركسي قاعدة التحليل باعتباره عضوا عاملا في المجتمع ، والعمل هو الذي يعطي الإنسان حقيقته الواقعية انطلاقا من انتمائه إلى طبقة معينة .

بيد أن حقائق الواقع الاجتماعي للأمة يثبت أن للعوامل التكنولوجية الناجمة عن مختلف الاختراعات والابداعات التكنولوجية لثقافة ما محركا أساسيا في عملية التغير الاجتماعي ، فقد أدت الثورة الصناعية وما صاحبها من تقدم تكنولوجي إلى إحداث تغييرات جوهرية ومهمة في نمط المعيشة بوجه عام ، وفي النظم الاجتماعية على وجه الخصوص ، وفي هذا السياق فقد أكد وليم أوجبرن التغير في الجانب المادي من الثقافة يكون أسبق عن الجانب اللامادي ، حيث أن استعمال الأدوات الجديدة لا يقتصر على استخدامها وصيانتها ، لكنه يستتبع مجموعة من الممارسات والتعديلات تمس العادات والفسفات والقوانين ونظم الحكم ومجمل المؤسسات الاجتماعية ، وينشأ ما يسميه أوجبرن "الثقافة التكيفية" وتتمثل بالجانب اللامادي الذي يتكيف أو يتعدل حسب الظروف المادية<sup>1</sup> ، ففي ظل عولمة البنى التحتية للمجتمع المحلي ، يحصل عادة إفقار هذا الأخير من المصانع الحيوية والشركات الوطنية ، إذ أن عمليات الخصخصة التي

<sup>1</sup> عبد الغني عماد . سوسيولوجيا الثقافة . المفاهيم والاشكاليات من الحداثة إلى العولمة . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت لبنان . 2006 . ص 204-205 .

ظهرت بظهور العولمة قد أدت إلى سلب مختلف المؤسسات الحيوية من الدولة ووضعها في يد الأشخاص أو الأشخاص مع شراكة أجنبية ، الأمر الذي يحول دون رؤية الإنتاج الوطني النور في ظل المنافسة العالمية الحادة ، فالبقاء هنا للأقوى ، الأمر الذي حدا باقتصاديات المجتمعات النامية إلى الموت ، بيد أن الفراغ الذي يتركه الاقتصاد الوطني يعوض عادة باقتصاد آخر أعلى جودة وأرخص ثمنا ، لكنه مجهول الهوية وغي أغلب الأحيان مجهول المركبات ، ...ثم إن الاستخدام المادي لمثل هذه الوسائل والأدوات إنما يملي عادات يومية معينة وسلوكيات غير مألوفة ، وهكذا تمتد الممارسات المادية بالتدرج إلى تغيير الأفكار والفلسفات والأيدولوجيات و... بل ويتغير بذلك الوعي الاجتماعي والخصائص الروحية والمثالية التي يتميز بها المجتمع .

### ثالثا : سمات ثقافة العولمة :

بتعدد أبعاد العولمة ، تتعدد مظاهر كل بعد من هذه الأبعاد ، مما يؤول إلى تعدد سمات ثقافة العولمة ، ويمكن اختصار ثقافة العولمة في الخصائص المميزة لها ، ولا يسعنا المقام للوقوف على الإطار المرجعي لثقافة العولمة ، فقد كانت تستمد أسسها المرجعية من اللاهوت اليهودي المسيحي ، بينما أضحت من كل ما يحقق المنفعة الآنية ، دون مراعاة لمعايير المجتمع ، بيد أن ميزة هذه السمات يمكن البحث عنها في ثنايا الكتاب الطريف الذي ألفه "جورج ريتزر George Ritzer تحت عنوان " the McDonaldization of Society " \* حيث يتحدث الكتاب حول كيف يمكن للعالم أن يتمتع لدرجة يتحول فيها على صورة من صور محل ماكدونالد ، حيث بأسلوبه الطريف وملاحظاته الشيقة يبعث بلمحات ذكية تفعل فعلها في القارئ بلا شك وتدفعه حتماً للتفكير \* ، ماكدونالد هو مطعم لبيع الوجبات السريعة ، وهو منتشر بشكل كبير وفي عدد كبير من الدول ، حتى الصين ، إذ في سنة 2008 كانت مطاعم ماكدونالد 31000 مطعم منتشر عبر العالم وهي في ازدياد سريع .

بيت الصيد في مطاعم ماكدونالد هو "النمطية" ، إذ حين تصف واحدا يقع في قلب مدينة بسكرة فأنت تصف بالضبط مثيله الذي يقع في بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا أو الصين أو... ، إنه مطعم للوجبات السريعة ، ذو طاولات صغيرة وكراسي غير مريحة مما يعنى "لا تجلس بعد الأكل ، أو خذ الطعام ولا تأكل هنا" ، أما السندوتش فهو نفسه في كل المطاعم والبلدان ، إذ أن

\* ولأنه من الصعب ترجمة هذا العنوان استنادا إلى قواميس اللغة العربية ، لذلك سيسمى في هذه الدراسة "مكدنة المجتمع" ، والهدف من استعراضه في هذا المقام ليس إشهارا أو إعجابا بالكتاب وإنما لأن تصويره لآليات عولمة المجتمعات كانت دقيقة ومطابقة لمحلات ماكدونالد .  
\* لدرجة أنه طبع لأول مرة عام 2007 ، وقبل جولية 2008 كان الكتاب قد طبع منه 07 طبعات .

المحتويات المتمثلة في قطعة اللحم والجبن والخس... هي بنفس الوزن والشكل والتموضع في كل مطاعم ماكدونالد على امتداد العالم ، الرمز على واجهة المحل هو نفسه ، والزي الذي يرتديه العمال هو نفسه ، كما أن الخدمة ذاتية ، حيث لا يجلس الزبون وينتظر حضور الطعام إليه ، بل إنه ينتقل بنفسه ويحضر طعامه ، وبعد أن ينتهي يأخذ علب الكرتون التي كان بها الطعام ويرمي بها بنفسه أيضا ، "فهو هنا يقوم بدور الخادم"....

الأمر الأساسي الذي تتم عنه مطاعم ماكدونالد هي جوهر السمات الثقافية التي يرمي النسق العولمي إلى تجسيدها على امتداد العالم والتجمعات البشرية على اختلافها وتباينها الثقافي ، حيث يتجلى هذا الأمر الأساسي في أربعة أبعاد هي :

● **الكفاءة efficiency** : وتعني ببساطة المحافظة على هامش ربح أعلى ، ولا يتأتى ذلك إلا باختيار الوسيلة المثلى للوصول إلى نهاية معينة بسرعة ، وبأقل قدر من التكلفة والجهد ، رغم أن فكرة الكفاءة تخص مصالح الصناعة أو الأعمال ، إلا أنها هنا أيضا تحسب حجم الإنتاج بالنسبة للمستخدمات ، حيث أن الكراسي غير المريحة لا تتيح الارتباط بالزبون لفترة طويلة ، والخدمة الذاتية توفر عن المطعم أجرة عامل يقوم على خدمة الزبائن ،...إنها ببساطة عندما تضع قدرا معيناً من النقود ، كم سندوتشا ستصنع؟ وكم ستبيع ؟ وما هي الفائدة مقارنة بالنقود التي وضعتها ؟ .

● **الحسابية calculability** : ويتم بشأنها التركيز على الأشياء التي يمكن أن تحسب ، إذ أن الاتجاه العام يميل إلى الكمية وليس النوعية ، مما يعني أن الجودة مساوية لكميات كبيرة معينة عادة (وليس دائما) ، فكل شيء محسوب ، عدد الخطوات ، حجم الجبنة ، وزن اللحم ، وزن البطاطا... وحتى اللغة اليومية لماكدونالد تتخللها المصطلحات التي تتم عن الحساب ، -لا عن الذوق أو الكيفية أو المتعة- مثل "Big Mac" و "the Whopper" و "Big Gulp" ومواقف أخرى تتردد دائما مثل: "فقدان الوزن بسرعة" و "الفرن يسمح بقضاء وقت قصير في المطبخ"....

● **القدرة على التنبؤ Predictability**: تشير القدرة على التنبؤ إلى إمكانية تنظيم البيئة من حولنا ، بحيث لا تتعدى التحديات المفاجئة المتعددة وغير المتوقعة على أحاسيسنا وتصيبها بالارتباك ، فالعقلاء من الناس فقط هم في حاجة لمعرفة ما يمكن توقعه ، والأمر لا يتوقف فقط عند تذوق الطعام ، بل يتعداه إلى مختلف الشؤون الأخرى ، فالعاقل يتوقع مدى نجاح كتاب ما في الانتشار أو سياره ما بناء على شخصية المؤلف



أو .... ونفس الشيء للسيارة وهكذا...حتى المركز التجاري بناء على مختلف التوقعات السيئة وغير السيئة يخطط ويحصن مخازنه ويحميها من مفاجآت الطقس...إن القدرة على التنبؤ تمكننا من السيطرة على حياتنا .

- **السيطرة control** : وتعني سيطرة شركة مكدونالد على عمالها ومستهلكيها بشكل كلي ، بحيث أن واضعي القوانين يلتزمون بها أولا ، ثم العمال والمستهلكين ، إذ ليس للمستهلك أن يتجاذب أطراف الحديث مع العمال ، أو أن يطلب تغيير القوانين كنمط الخدمة مثلا ، أو وضع قطعة جبن زائدة في السندوتش ، أو تغيير حجم أي مكون آخر...فكل شيء خاضع للسيطرة .

رغم أن القارئ يدرك منذ الوهلة الأولى أن الحديث يدور حول مطاعم مكدونالد ، إلا أن الكاتب ناقش إضافة إلى الأبعاد الأربعة "الكفاءة ، الحسابية ، القدرة على التنبؤ، السيطرة " مسألة "النمطية" ، وتجاوز في حديثه المطاعم إلى مختلف جوانب الحياة ، إذ أنه يسرد أمثلة متعددة ويقول بأن هذه الظاهرة قد دخلت الجامعة والمستشفيات والتلفونات وكل أنواع الاتصال ، وكذا الطيران و...إنها نفس نمطية مكدونالد في محلات البقالة ، فالمستهلك أصبح يخضع لقواعد معينة ويتنبأ "Predictability" بما سيكون بعد كل سلوك يسلكه ، إذ حين يقصد المحل لا يسأل عما إذا كانت بضاعة ما موجودة أو غير موجودة ، إنه يتجه مباشرة إلى مكان تواجدها ليحدها بكمية معينة ووزن معين وسعر معين "efficiency" ، أي بكمية تمكنه من أخذها ودفع ثمنها في أسرع وقت ممكن .

الهاتف اليوم أصبح على درجة كبيرة من الكفاءة وبأقل التكاليف ، لكنه في الآن ذاته أصبح متحكما بحياتنا ، فحين تضغط أزرارا معينة لطلب شخص معين قد لا تتحدث مع الشخص المراد الحديث إليه ، بل يجيبك الجهاز بأن عليك ضغط زر كذا أو كذا فعل كذا أو كذا للوصول إلى الهدف...ببساطة ستجد نفسك مسيطرا عليك من الذين يقدمون لك الخدمة ، إنه إلغاء لشخصية الإنسان بشكل غير مباشر ، فبدلا من اللقاء المباشر بين الأفراد يتم الاتصال بواسطة رسالة قصيرة "SMS" ويتحول بموجبها الأفراد إلى مجرد رموز محفوظة في الجهاز .

إلى جانب ذلك فإن الطائرات اليوم هي بالفعل تحت سيطرة الكمبيوتر ، وإشراف الطيارين هو مجرد عملية ، واما قريب ستحذو الطائرات حذوها أيضا و... إن النجاح في مثل هذه الأمور يدفع إلى مزيد من الاستعاضة عن العنصر البشري في إدارة تكنولوجيا الإنسان .



أمام هذه الأمثلة يغيب الإنسان بالتدرج ، إذ العلاقات الشخصية في مختلف المحلات محكومة بأشياء موضوعية ، وقيمتها محسوبة بالضبط ، اختفاء الجانب الشخصي يعني اختفاء الحميمية - وهي تتغلغل في حياتنا كل يوم وبعمق أكبر وأكبر - ، وهنا يصل الكاتب إلى فصل سماه "اللاعقلانية العقلانية The Irrationality of Rationality" ، حيث يتساءل عما إذا كانت هذه الفوائد العديدة لعملية "المكدنة" من حيث التنوع والسرعة وإنجاز العديد من الأعمال في ظروف قياسية وبأقل جهد وبمنتهى الكفاءة وأكثر قدرة على التنبؤ و...هي عقلانية ، ويستطرد قائلاً بأنها عين اللاعقلانية ، حيث أن الأفراد في ترشيد النظم من شأنه أن ينكر الإنسانية الأساسية ، ويلغي بذلك العقل البشري سواء كان عاملاً أو زبونا ، صحيح أن العمل في المحلات يجعل الشركة تدفع قليلاً من المال ، لكنها تتفق مزيداً من الجهد في سبيل ذلك ، والطعام الذي نأكله في محلات ماكدونالد أقل تغذية ، لأنه محمل بالمتببات والمنكهات والدهون والملح والسكر ، الأمر الذي يساهم في إحداث مشكلات صحية في مجتمعنا ، وهو بالتأكيد ضد الإنسانية ، كما أن أطفالنا يكبرون على هذه النظم ويكتسبون بموجبها العادات والتقاليد السيئة\* ، إلى جانب ذلك فإن نظام التعبئة والتغليف المستخدمة في صناعة الوجبات السريعة يلوث البيئة ، ويفقد الأسرة حميمة الجلوس على طاولة واحدة لتناول الطعام والشعور خلال ذلك بمعاني الوحدة والتضامن .

باختصار شديد، العقلانية أن تعظم الجانب الآلي في الإنسان ، واللاعقلانية أن تلغي الجزء الحي في الإنسان ، وهذا ما ترمي إليه "مكدنة العالم" اليوم من تعظيم لجانب على حساب جانب آخر في الإنسان .

وفي هذا الشأن يعلق أ.د. علي أسعد وطفة قائلاً : ... وعندما نركز اهتمامنا اليوم حول ما يجري حولنا سنجد حضوراً صارخاً لنزعة لذوية شبقية متقدمة تلهبها دورة إعلامية مسعورة دافعة إلى قيم الاستهلاك والمتعة والسطوة ، وفي دائرة هذا الجنون الاستهلاكي والنزعة الرغبوية الشبقية يفقد كل نشاط أو فعل يعتمد على التأمل والتعقل والنظر والصبر والانتظار قيمته ودلالته ومعناه ، وهذا يعني أن كل النشاطات الإنسانية التي لا ترتبط بالاستهلاك واللذة والسرعة تصبح مدعاة للسخرية والازدراء والاحتقار ، وهذا الانحسار القيمي يشمل اليوم كل صيغ التربية التقليدية وكل معاني الثقافة التقليدية القائمة على معايير إنسانية سامية ومختلفة<sup>1</sup> . ويستطرد نفس الكاتب قائلاً : ويمكن لنا أن نسوق مثلاً يتعلق بمراهقي اليوم الذين اعتادوا أن يشاهدوا التلفزيون متنقلين من محطة لأخرى، يأكلون سريعاً، ويعيشون على ومض الإعلان،

\* أصبحت البطاطا المقلية الأكلة المفضلة لدى شرائح واسعة من مختلف المجتمعات ، رغم أنها مشبعة بالدهون وأقل تغذية .

<sup>1</sup> علي أسعد وطفة في نقد ثقافة ما بعد الحداثة . موقع : حركة مصر المدنية بتاريخ 2012/04/04 . <http://j.mp/H8lJv0>

ويتحركون وفقا لمبدأ المتعة واللذة، تحصيلهم الدراسي بطيء ومتراجع، إن لم يكن معدوما . وسيكون من الصعب على مراهق اليوم أن يركّز انتباهه لأنه قد اعتاد على نوع من الحياة التي تعتمد الإثارة السمعية البصرية المستمرة كما هو الحال في لعبة فيديو. وهو حتى في قاعة الصف يرغب في أن يفعل في القاعة ما يفعله منتقلا على شاشة التلفزيون أنه يريد الانتقال من محطة إلى أخرى، إنه يستهلك المعلومات بسرعة ويريد مزيدا من الاستهلاك وكأنه يشاهد محطات التلفزيونية المفضلة، وهو في ذلك يريد أن يكون سلبيا وغافيا وفي لحظة شرود مألوفة لديه . والتعليم بالنسبة إليه لا يختلف عن عملية استهلاك الكوكا كولا، والمدرسة ما هي بنظره غير آلة توزع المعرفة كما توزع الآلة علب الشيكولا والكوكو كولا . والفرق الوحيد بين الكوكا كولا والمعرفة أن الأولى تتميز بلذتها وقدرتها على الإمتاع والإنعاش أما الثانية أي المعرفة فإنها تمارس قهرا ومعاناة وإكراها . إن البحث عن المتعة الفورية التي ترتبط اليوم ارتباطا كبيرا بالجنس والحاجات الأولية وما تجره من متعة زائفة أصبح من الأمور المألوفة والعادية . هذه السمات الثقافية أصبحت صميمية في حياة الشباب وثقافة المراهقين .

#### رابعا : آليات عولمة البنى الفوقية

لم يعد متصورا فقط وجود ثقافة عالمية ، بل إن الأمر صار حقيقة ماثلة للعيان ، والمقصود بالثقافة العالمية هنا هو الثقافة الرأسمالية التي يروج لها على المستوى العالمي ، الأمر الذي حدا بالمفكرين إلى التساؤل إزاء البعد الثقافي للعولمة ، عما إذا كان ثقافة العولمة أم عولمة الثقافة ؟ ....

#### 1 - اختراق التمركز العرقي :

يشير مفهوم التمركز العرقي إلى اعتقاد الفرد الجازم بسمو ورفعة جماعته التي يعتبرها أساس كل الجماعات الموجودة في المجتمع ، إذ أنها تنصدر المكانة العالية وتحتل المركز الحساس ، لذا تقيم الجماعات والأشياء المحيطة بها بدرجة علاقتها به ، ويسمح التمركز حول العرق بتقسيم الناس إلى جماعات ومثل مختلفة<sup>1</sup> ، كما أنه يقوي التفكير والشعور عند الجماعات ، التفكير بدقائق الاختلافات بين الجماعة المحلية والواقعة خارج الحدود العرقية .

إن اختراق العولمة للتمركز العرقي يوحي باختراق المكان - مجال التواجد العرقي - فهذا الأخير الذي ظل على امتداد عمر التركيبة السياسية التقليدية، ممثلة في الدول الوطنية، مكاناً مغلقاً على مجموعة من الفاعلين الحاضرين في علاقات تقوم وجهاً لوجه قد أصبح مجالاً

<sup>1</sup> عبد الهادي الجوهري . مرجع سبق ذكره . ص 64 .

كونياً مفتوحاً لتفاعلات أبعد من نطاقه المحدد، يدخل فيها أفراد غير موجودين بالمكان، وأحداث لا تحدث في المكان ذاته. بهذا المعنى يكون التعايش بين العولمة والحدود السياسية أمراً محدوداً للغاية، ما دامت هذه الأخيرة تركز على الخصوصية، بينما تسعى العولمة إلى تجاوز هذه الخصوصية والانتقال إلى العمومية. الحدود مظهر من مظاهر السيادة، ومن أهم مقوماتها ومرتكزاتها، إنها تجسيد للسيادة على المكان، سواء أكان ملكاً خاصاً أم ملكاً جماعياً، أم أقيمت عليه دولة مستقلة تتمسك بحق سيادتها الكاملة ضمن حدوده المعترف بها دولياً، أما العولمة، فإنها تسعى إلى إلغاء السيادة على المكان أو إضعافها مستعينة بوسائلها وآلياتها من تخطي الحدود والقفز من فوقها والتعدي على خصوصيات المكان وسكانه، واختراقه، وغزو ثقافته شعبه وحضارته، وفرض ثقافة أخرى عليه، ما قد يضعف من انتمائه الوطني والقومي ويساهم في تفكيك عناصر هويته ومكوناتها، ليصبح شعباً بلا هوية تميزه عن غيره من الأمم والشعوب. إنه إذن أقرب إلى نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، ويدفع للتفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم اللاوطن واللامأمة، واللا دولة، أو يفرقهم في أتون الحرب الأهلية!

## 2 - الثقافة العولمية

وفي وقتنا الراهن وفي ظل الإمكانية الكبيرة على الاطلاع على العديد من الثقافات ، بل وممارسة وتقمص أشكال متعددة لسمة ثقافية واحدة في آن واحد ، فإن ثقافة جديدة تتشكل الآن وفق السياقات الدولية الآخذة بالتشكل، على أساس خصائص نظام العولمة ، رغم ما أثير حول الموضوع من قلق حول السيادة الثقافية للدولة القومية ، وكذا موضوع التنوع الثقافي ، بيد أن الثقافة الكونية ماضية في التشكل دون أن تعبأ بثقافة الدولة القومية ، ولا بالتنوع الثقافي ، ويبدو ذلك من خلال مايلي :

1 - الانتقال بالمجتمعات من التشكل على الأساس القومي إلى التجانس على الأساس الكوني ، وهو ما يؤدي بالتدريج إلى إضعاف الشعور بالانتماء القومي لصالح الانتماء الإنساني ، حيث يتم في هذه المرحلة -التي تقود فيها الرأسمالية العالمية - تعميم النموذج الأمريكي بكل ما يتميز به من قيم فردية وذاتية وتجاوز لوحدات العمل الجماعي الذي يعزز ثقافة اقتصاد السوق ويعمقها أكثر من خلال ما تفرضه من قيم أخلاقية جديدة ، حيث لا يهتم الفرد سوى بمصالحهم

<sup>1</sup> محمد فاضل رضوان . نحن والعولمة . مأزق مفهوم ومحنة هوية . 2008/04/02. <http://www.educdz.com/montada/>

الفردية الخاصة ، وحيث لا يعود بمقدورهم سوى اتخاذ المواقف والقرارات والقيام بالأفعال التي تنتهي بهم إلى مصالهم الفردية الضيقة .

بعبارة أخرى تعمل ثقافة وأيديولوجية العولمة الرأسمالية على تجريد السلوك الاجتماعي من أي طابع سياسي ، وكبح جماح أي عمل جماعي يستهدف التغيير الاجتماعي بتحويل مسار الأنشطة الاجتماعية إلى عادات البحث عن البقاء والاستهلاك الشخصي ، وكذلك فهذه العولمة السائدة تشمل على اختراق وإفساد وإعادة تشكيل المؤسسات الثقافية والهويات الجمعية والضمير العام<sup>1</sup> .

2 - تعميم الثقافة الليبرالية الغربية باعتبارها النموذج المتحقق الذي انتصر في الحرب الباردة ، ودخول المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بها إلى كل ركن ناء في كل مكان من العالم ، حيث انتشرت مفاهيم ومصطلحات مثل حقوق الإنسان والديمقراطية السياسية والجنس وحقوق الطفل وحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة ... ، وبدأت في التداول في معظم أنحاء العالم ، حتى الهامش المجتمعي العالمي .

3 - انتشار منظمات العمل الأهلي والمدني ، لتصبح قوة لوجيستية تقوم بتعميم مفاهيم ونشر ثقافة المجتمع المدني في كل المناطق النائية في محيط الهامش الكوني ، حيث لم يعد المركز الرأسمالي يكتفي بالتبعية الاقتصادية والسياسية للأنظمة الحاكمة في دول الهامش ، بل يقوم الآن بفتح هذه المجتمعات على مصراعيها أمام الثقافة الليبرالية .

4 - مع تعدد وتنوع الفضائيات المطللة من كل أنحاء العالم ، فإن وعيا بصريا على أساس كوني يتشكل الآن لدى عامة الناس ، في ظل عجز الأنظمة القومية التحكم والتأثير على مواطنيها إعلاميا بمعزل عن التأثيرات الخارجية ، إذ أضحي من السهل على أي فرد الوقوف على مختلف الروايات لنفس الحدث ، سواء كان حدثا داخليا أو خارجيا في ظرف ثوان معدودة، عبر تغيير القنوات لا أكثر ، هذا التعدد البشري حول هذه الباقة الالكترونية سمي بالقطيع الالكتروني ، حيث أصبح فعلا يتسم بسمات القطيع أمام قدرة المركز على التحكم في ميوله ومواقفه ، من خلال التدفق المعلوماتي الهائل القادم عبر الفضائيات ، وفي هذا الإطار يقول الحبيب الجحاني بأن تيار العولمة فرض نفسه عبر ثقافة الصورة على جميع الفئات مدشنا بذلك عصر ما بعد المكتوب ، ونفس الموضوع قاد محمد عابد الجابري إلى وصف العولمة بأنها ظاهرة تشمل

<sup>1</sup> بدر أحمد جراح . قضايا معاصرة في العولمة (التربية ، السياسة ، الاقتصاد ) . المعزز للنشر والتوزيع . عمان . الأردن . 2009 . ص 36 .

مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال ، أو هي تعني ما بعد الاستعمار ، وتهدف إلى توحيد الاستهلاك وخلق عادات استهلاكية على نطاق عالمي<sup>1</sup> .

5 - لعل ظهور الشبكة العنكبوتية كان أكثر وسيلة حدثت من سطوة الدولة القومية المفروضة عبر الحدود والحواجز السياسية ، وسهلت من إمكانية المجتمعات البشرية على التواصل ، رغم اختلافها إثنيا ولغويا و... ، حيث صار بمقدور الناس من خلال المحادثات البينية التي تتم بمعزل عن أية رقابة أو تدخل مركزي على التبادل الثقافي والتداول في كل الشؤون بلا استثناء ، وهو الأمر الذي يدعو إلى الاقتراب أكثر من الاندماج في مفهوم المواطنة الكوزموبوليتانية ( المواطنة العالمية ) .

6 - مع كسر الحدود والحواجز ، حتى تلك التي استعصت على الاكتشاف لقرون ، ومع الاختلاط المكثف والمتسارع للجماعات البشرية عبر كل المستويات ، كان لابد من لغة للتفاهم والتواصل بين الناس ، ولعل الإنجليزية ولأسباب عديدة هي لغة العولمة الكونية الآن ، وهي لغة المركز العالمي أصلا ، فبالإنجليزية يتم الحديث في المطارات ، وعبر الأنترنت و... ، حتى ، الإحصائيات تشير إلى أن ما نسبته 88 % مما يتم تداوله عبر شبكة الانترنت يتم باللغة الإنجليزية ، هذا ويجري حاليا العمل تحت مظلة الأمم المتحدة على مشروع اللغة الدولية (U.N.L) ، وهي لغة خاصة بالحاسوب تمكن شعوب العالم من التواصل عبر شبكة الانترنت .

ولغة العولمة الانجليزية هي لغة الثالثة بعد الانجليزية الأصلية ثم الأمريكية ، وفيها ركافة نحوية ، وهي تعتمد على تعميم مصطلحات تتوافق مع نسق الثقافة الإلكترونية الاختزالي والتي تتميز بالسرعة واختصار الوقت واستثماره ، وحيث ينعلم التأمل والتدقيق .

7 - بعد كل ما سبق من تعميم للثقافة الليبرالية الغربية والانتقال بالمجتمعات من التشكل على الأساس القومي إلى التجانس على الأساس الكوني ، وساعد في ذلك تعدد الفضائيات ومنافذ الانفتاح على العالم - على امتداد مسافته - تشكيل القطيع الإلكتروني الذي ساهمت في إنشائه أيضا - وبقوة - شبكة الانترنت ، وهو الأمر الذي دعا إلى الاقتراب أكثر فأكثر من مفهوم المواطنة الكوزموبوليتانية التي تسعى إلى احتواء كل الشعوب وإنطاقها بلغة واحدة هي لغة العولمة الكونية ، أمام كل هذا فإن اهتمام الشعوب والأمم تتطور بالتدريج نحو المشاكل والقضايا الكونية ، فإذا كان المركز العالمي يدخل أتباعه السياسيين في معاركه الكونية فإن عموم المواطنين بالمقابل يبدون اهتماما شعبيا كونيا بهذه المعارك في الجهة المقابلة ، ولعل

<sup>1</sup> بدر أحمد جراح . مرجع سبق ذكره . ص 38 .

تداعيات اجتماعات قم الدول الصناعية واتساع نطاق الاحتجاج الشعبي الكوني على حروب أمريكا في أفغانستان والعراق خير دليل على ذلك ، وهي التي تعزز من دور ومكانة المنظمات الأهلية المتشكلة أصلا على أساس تجاوز الحدود القومية " أطباء بلا حدود ، صحفيون بلا حدود ، ... " <sup>1</sup>.

وإذ يدعي البعض بأن ثقافة العولمة هي الثقافة العالمية ، وليست الغربية أو الأمريكية ، بيد أن دارسي ظاهرة العولمة لم يطمئنوا إطلاقا إلى مقولة الثقافة الكونية أو الثقافة العالمية بدل ثقافة العولمة؛ لأن الثقافة في جوهرها لصيقة بالمحلية وتعبير عن الهوية، وتجسيد لخصوصية التاريخ والتراث و اللغة والفكر والمعتقد، لكن الثقافة العالمية تدل على مجموعة من القيم والمعارف التي تؤمن بها شعوب العالم ويشتركون في تداولها ، فهل الجنس والإباحية والشذوذ والاختلاط مما تؤمن به شعوب العالم؟.

فثقافة العولمة إذن تقوم على الفكر المادي الذي يفصل بين الدين والحياة ، بينما العالمية طموح إلى الارتفاع بما هو خاص إلى مستوى عالمي وهي تفتح على ما هو عالمي وكوني، بعكس العولمة التي تحاول إيجاد أنماط عالمية ثابتة ، إن نشدان العالمية في المجال الثقافي كما في غيره من المجالات طموح مشروع ورغبة في الأخذ والعطاء وفي التعارف والحوار والتلاقي ، إنها طريق لجعل الإيثار يحل محل الأثرة.

وهي ثقافة مادية تولى جل اهتمامها للجانب المادي من الإنسان على حساب الجانب المعنوي الروحي وبالتالي فهي تؤدي إلى شقاء الفرد وعدم إشباع الجوانب الروحية الضرورية للإنسان .

وهي ثقافة الكسب السريع والإيقاع والتسليية الوقتية وإدخال السرور على النفس وتحقيق لذات الحس ، وتعتمد ثقافة العولمة إلى المفاهيم العقدية والسياسية والثقافية ، فتهمشها ثم تبذر محلها مفاهيم اقتصادية مادية استهلاكية استمتاعية ، إن ثقافة العولمة عندما تقوم بتفريغ العقائد والقيم السامية من نفوس الأفراد واستبدالها بقيم ومفاهيم العولمة تؤدي إلى فقدان الهوية الثقافية للأفراد وزوال أو اصر الترابط والتعاون بينهم مما يسهل معه السيطرة على الشعوب والأفراد.

وهي تمجد الاستهلاك والمبالغة في الصرف حيث وصل الحد إلى التبذير عند شعوب الغرب وإلى حد الحرمان عند شعوب الجنوب الفقيرة.

<sup>1</sup> بدر أحمد جراح . مرجع سبق ذكره . ص ص 38- 40 .

وثقافة العولمة تقدر الفردية، وتطلق العنان لنا في سباق محموم كما تشكل فيها الدولة دور الحارس لمصالح الأفراد والغلبة فيها للأقوى نفوذاً ، مالياً أو إعلامياً أو سياسياً وهذا مخالف للرؤية الإنسانية عامة.

وهي تعمل على توليد مناخات العنف ، ثم العمل على السيطرة والاختراق وتحقيق الأطماع ، وكل هذا لا يكون بغير القوة، لذلك نجد أن عماد العولمة " الأمركة " ثقافة حق القوة ، بينما الأصل أن تكون القاعدة المعتمدة هي قوة الحق، ومن هنا يتبين أن ادعاء العولمة بأن ثقافتها عالمية أو كونية ليس صحيحاً ، لأن هناك فرقا واضحا بين الثقافة العالمية وثقافة العولمة ، من حيث الرؤى والأهداف<sup>1</sup>.

### 3 - اللاتضمنين الثقافي أو عولمة التجربة المحلية

يصف أنتوني جيدنز اللاتضمنين بأنه اقتلاع العلاقات الاجتماعية من السياقات المحلية للتفاعل وإعادة تشكيلها في نطاقات غير محددة من الزمان-المكان . وتعد هذه فكرة مهمة لفهم الخبرة الثقافية للعولمة ، بينما يناقش جيدنز نوعين من "الآليات" التي تقتلع العلاقات الاجتماعية من انطمارها (تضمنينها) في النواحي المحلية : "العملات الرمزية" و"الأنظمة الخبيرة" ، حيث :

- تعد العملات الرمزية وسائط للتبادل ذات قيمة قياسية ، وبذلك يمكن تبادلها بيننا عبر مجموعة من السياقات ، ويشكل المال وسيلة لاقتلاع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية من التحديد الزماني-المكاني للنواحي المحلية المادية ، لأنه نظام مجرد لتبادل القيمة المعيارية ، حيث يسمح بتبادل العلاقات في ما وراء خصوصيات الموقع ، صحيح أنه كان موجودا في مجتمعات ما قبل الحداثة ، إلا أنه لم يكن على صورة العملات الرمزية المجردة ، الموجودة في الاقتصاديات المعاصرة ، إذا أنه أصبح مستقلا عن الوسيلة التي يمثل بها ، واتخذ شكل معلومات خالصة مخزنة في صورة أرقام على أوراق مطبوعة بالحاسوب .

- وتربط الأنظمة الخبيرة Expert systems هي الأخرى بين الزمان والمكان من خلال نشر أنماط من المعرفة التقنية التي تتمتع بصلاحيته مستقلة عن الممارسين والعملاء الذين يستخدمونها ، وهنا يتحقق الاقتلاع للعلاقات الاجتماعية\* من السياقات المحلية بواسطة التواسط المنتظم للحياة اليومية من خلال الخبرة الرسمية ، حيث يقول جيدنز : إن الأنشطة الروتينية مثل

<sup>1</sup> إيمان سعيد أحمد باهمام . دور المنهج الدراسي في النظام التربوي الاسلامي في مواجهة تحديات العصر . أطروحة مقدمة انيل شهادة الدكتوراه .إشراف :محمود كسناوي .جامعة أم القرى . كلية التربية بمكة المكرمة . المملكة العربية السعودية .السنة الجامعية 2008-2009 . ص ص 186 - 187 .

\* في الجزائر يتجلى اقتلاع العلاقات الاجتماعية من السياقات المحلية في مناسبات الأعياد ، حيث كانت الزيارات فيما خلا من الزمن واجبة بين الأقارب خلال العيدين "الأضحى والفطر" بينما تقتلع الممارسة بواسطة الرسائل الالكترونية القصيرة SMS ، ويصبح القريب وصلة الرحم مجرد رقم ورمز في عملية التواصل للمعايدة .



قيادة السيارة تتضمن علاقة متماسفة من "الثقة" في مجموعة من الأنظمة الخبيرة ، مثل تقنيات تصميم وتصنيع السيارات ، وأنظمة مراقبة المرور ...، ويمثل التفاعل الروتيني للأشخاص المعاصرين مع هذه الأنظمة الخبيرة "تمديدا" للعلاقات الاجتماعية ، حيث إننا نتصل بنظام مجرد يجسد المعرفة التقنية ، وليس بالعاملين المحددين الذين قد يكونون هم من قاموا بتصنيع سياراتنا ، والذين أجروا برمجة برنامج التدفق المروري المحوسب.

وبمرور الزمن أصبحت الأنظمة الخبيرة متغلغلة في حياتنا الاجتماعية بكل تفاصيلها ، من مأكّل وأوية ومسكن و... وهو الأمر الذي يفرغ الحياة اليومية من محتواها التقليدي . ولا يتوقف الأمر هنا فحسب ، بل إن العملات الرمزية والأنظمة الخبيرة قد سهلت وإلى حد بعيد من هجرات الأفراد نحو مواطن غير مواطنهم الأصلية ، الأمر الذي من شأنه إحداث اختلالات ديموغرافية ، ويبدو جيدنز في تسليمه بنظام التشريد هذا ، إذ يقول بأن الحداثة "تهجر" ، فإنه يشير إلى العملية التي يصبح بها المكان "تخلييا" تنفذ إليه صور الحضور الطيفي الخاصة بالتأثيرات البعيدة ، ذلك أن الحياة في المجتمع المحلي في العصر الحديث ، تتعرض للتحويل الجوهري انطلاقا من النواحي المحلية المحتواة ذاتيا في عصور ما قبل الحداثة ، حيث أصبح التجربة السائدة للحياة اليومية في العالم الحديث -العالمي متعلقة بتعرض عواملنا الحياتية التي تقع في سياق محلي للاختراق من قبل أحداث ، وعلاقات ، وعمليات بعيدة \*<sup>1</sup>.

#### 4 - عولمة الضمير الجمعي العالمي

يصنف الناس عادة وفق أبعاد متباينة ، منها البعد العرقي الذي يبنى عادة على لون البشرة وبعض الصفات الجسمية الأخرى ، ومنها البعد الطبقي الذي يعتمد الثروة المالية ومكان السكن ونوع العمل أساسا للتوزيع الاجتماعي ، ومنها البعد القومي والانتماء إلى جماعة لها تاريخ مشترك تفخر به ، ولأبناء كل صنف ثقافة خاصة مميزة ، بيد أنه ومن طبائع البشر التطلع دوما للأعلى ، حيث يجنح الكثير من الناس إلى تغيير المجتمعات التي يعيشون فيها ، بإحداث حراك اجتماعي يتم بموجبه تغيير الثقافة الأصلية بثقافة أخرى أكثر ملائمة ، وغالبا ما يوصم المنتقل لمجتمعات جديدة بصفات التنكر للثقافة الأصلية ، وخيانة التراث الثقافي ، وكل ذلك انعكاساته السلبية على المؤسسات التعليمية التي تأخذ على عاتقها مهمة إجراء التوافق الثقافي بين أفراد المجتمع الواحد .

\* للإشارة فإن صياغات جيدنز تبقى في المقام الأول ضمن مجال التحليل الثقافي وليس الاجتماعي ، وهو الأمر الذي لاقى العديد من الانتقادات. انظر رونالد روبرتسون . العولمة والنظرية الاجتماعية . ص 145 .  
<sup>1</sup> جون توميليسون . العولمة والثقافة . ترجمة : إيهاب عبد الرحيم محمد . سلسلة عالم المعرفة . عدد 354 . 2008 . الكويت . ص ص 78-84 .



وهذا التغيير الثقافي - أو بالأحرى التطور الثقافي - الفردي والجمعي يمر بخمس مراحل نفسية متسلسلة تصاعديا وفق درجة التقدم الحضاري ، وهذه المراحل تبدو كما يلي :

أولها وأدناها في سلم المستويات الثقافية مرحلة التمركز حول الذات ، حيث يتم فهم العالم من خلال الحاجات والرغبات والدوافع الفردية والجمعية ، إذ تقاس فائدة أي شيء بما ينعكس إيجابا على الفرد أو الجماعة ، ويبدو هذه الفكرة لدى بعض التنظيمات المؤسسة على أساس العرق أو الدين ، إذ يتعصب أفراد هذه التنظيمات ويعطون الولاء لهذين العنصرين ، كالأحزاب الدينية أو الأمازيغية التي تقيس عادة مختلف المراسيم والقرارات بناء على مصلحة الحزب أو التنظيم .

وثانيها مرحلة التمركز حول العرق أو القومية ، ويتم فيها الاهتمام بالأمور الوطنية والقومية ، وتتضاءل المصالح الفردية فيها إزاء القومية .

وثالثها مرحلة قبول الآخر وتحمله ، ويتم في هذه المرحلة إكراه الذات على قبول الآخر ، وبذل الجهد للتوافق معه وتحمله ، رغم ما يبديه من مخالفة للقيم الثقافية الذاتية.

ورابعها مرحلة التعالي على الآخر والنظر إليه نظرة دونية ، ويتم في هذه المرحلة اعتبار الذات أكثر قدرة وأعلى شأنًا من الآخر .

وخامسها مرحلة فهم الآخر واستيعابه ، وتتضمن تقدير حاجات الآخر وظروفه ورغباته ، وهذه المرحلة هي ما تصبو إليه الثقافة العالمية التي تنتظر للعالم كقوية واحدة تسكنها شعوب متحاببة تعمل وفق نظام اقتصادي وأمني متكامل ، دون أن يبغى أحد على الآخر .

بيد أن الصورة في الوقت الحاضر قد اختلفت كثيرا عما هو متصور أو مأمول ، حيث أن ثقافة العولمة تسعى إلى تشكيل ضمير جمعي معولم ، إذ أنها فرضت تحديا عظيما على الثقافات العالمية التي تحققت عبر مسيرة الشعوب والأمم التاريخية ، وكان يمكن أن تستمر من خلال التبادل الثقافي على أساس أن عولمة الثقافة تدخل من باب تفاعل المتعدد الثقافي الكوني ، وليس من باب تضاده وتصارعه وخاصة أن الثقافة تقترب من الحقل الإنساني لتجمع المجتمع البشري على عكس ما يفعله الاقتصاد والسياسة اللذان يفرقانه.

لكن حركة المعارضة الكونية المتضادة مع حركة العولمة تقوم بكل ما يلزم لردع الخروقات العولمية من خلال توظيف مخزونها وموروثها الثقافي في معركتها الكونية .

ولعل أهم مظاهر التدخل الثقافي وعولمة الثقافة هو أنه بدأ يتم توجيه المجتمعات شيئاً فشيئاً ، إن كان تلقائياً أو بفعل التخطيط من المركز ، حيث تتم الآن صياغة برامج إقليمية لمجموعات الأطراف ، أي تجاوز الحدود الثقافية بين المجموعات البشرية ، وبخاصة تلك المتعلقة بعامل اللغة والدين ، وتقرير اليونسكو حول ثقافة القرن الواحد والعشرين يؤكد أن التربية الأولية يجب أن تساعد الأطفال والراشدين على تفهم أفضل لثقافتهم الخاصة في نطاق مجتمعي أوسع ، مجتمع أممي يعبر فيه انفتاح الثقافات الخاصة بعضها على بعض ، وحوارها فيما بينها هما الوسيلة الوحيدة لازدهار كل منها .

وربما سيأتي اليوم الذي تتحول فيه اللغة الإنجليزية إلى لغة رسمية أو الأولى في كل مناطق العالم ، مع تحول اللغات القومية إلى لغات ثانية ، ويبدو هذا الأمر ممكناً مع بدء كثير من الدول والمجتمعات تعليم أبنائها الإنجليزية منذ الصف الأول الابتدائي .

#### 5 - التعولم الهوياتي :

بناء على ما سبق من الخطوات ، تتغلغل الرأسمالية مستخدمة كل أدواتها وأساليبها الناعمة والرادعة على السواء في اختراق التمرکزات الإثنية ، وتتخذ الهيمنة هنا شكل التثاقف أو التبادل الثقافي ، وسرعان ما تتفوق ثقافة العولمة على الثقافة المحلية باجتثاث الممارسات الاجتماعية التقليدية من جذورها وتبخيسها في نظر أصحابها ، وبالتدرج يتم صناعة ضمير جمعي تجاه الثقافة الجديدة ، وتتحوّل المجتمعات من التفكير المحلي إلى التفكير العالمي ، وتبحث لها عن موقع في محيط الدول الكبرى التي تمثل مركز العالم (مركز صناعة القرارات السياسية ، وصياغة أنظمة الاقتصاد ، ورسم مختلف الخطط للسيطرة على الموارد الطبيعية العالمية ) ، ويبدو التعولم الهوياتي في ثلاثة مظاهر أساسية هي :

#### 5- 1 - الاستلاب الهوياتي :

تتصدع الهوية في جوهرها ، نتيجة تعرضها لنظام من العمليات الخارجية التي تعمل على إحداث تغييرات عميقة في جوهرها كإقتلاع الممارسات الاجتماعية من جذورها وإبدالها بممارسات أخرى قد لا تناسب السمات الثقافية الأساسية للمجتمع ، حيث تجري عملية الاستلاب وفقاً لمبدأ غسل الدماغ ، ولمبدأ التطبيع القسري حيث يبدو ذلك من خلال المراحل الآتية (وإن كانت هذه المراحل ليست ثابتة ، بل تتنوع وتتفاوت من هوية لأخرى) :

## أ - الاستلاب والطبيعة الإنسانية:

تستلب الهوية عادة حين لا يجد الشخص في وسطه التربوي والثقافي ما يعزز إحساسه بوحدته الذاتية ، أو يؤكد هذه الذاتية ، وما يحصل للفرد يحصل للأمم أيضا ، فحين لا تجد الأمة أو الجماعة ما يعزز إحساسها بالذاتية الخاصة فهي تتطلع إلى أوساط غير وسطها الأصلي لإثبات الذات ، فبعض الوضعيات التي يجد فيها الأفراد أنفسهم - سواء كانت هذه الوضعيات مختارة من قبلهم أو أرغموا عليها - تسلب هويتهم بالإكراه ، مع أن الأفراد يتفاوتون في درجة هذا الاستلاب ، إلا أنهم يشعرون بالتغيرات الحاصلة لديهم ، فجلوس المرأة مثلا يوميا أمام شاشة التلفزيون لمتابعة مسلسلات ذات نمط معين ، يكسبها مرور الزمن سمات جديدة لم تكن بها سابقا ، فيما تتخلى عن سمات أخرى كانت تشكل جزءا من هويتها .

وفي إطار البحث عن وصف لعمل الأطفال في مناجم الفحم في القرن التاسع عشر ينظر كارل ماركس إلى شروط وجودهم بأنها شروط استلابية ، والملاحظات التي يشير إليها ماركس في هذا الصدد تأخذ وضعيات مختلفة :

- 1- غياب الأمن في إطار وضعية العمل حيث لا يوجد الأمن المادي الكافي بالنسبة للعامل .
- 2 - انعدام المسؤولية والاستقلالية عند العامل ، ويتمثل ذلك في المكانة الدونية التي يحتلها الإنسان في إطار عملية الإنتاج هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يلاحظ خلو طبيعة العمل نفسه في أغلب الأحيان من أية فائدة ممكنة .
- 3 - تؤدي وضعية العمل هذه إلى ازدياد الإنسان ومنعه من أي تقدير للذات ، حتى من خلال الصور الاجتماعية السلبية والتي تتوارد على خواطر العمال دون انقطاع ، في إطار هذه الشروط يفقد العامل هويته الحقيقية<sup>1</sup> .

وإذا كانت بعض الوضعيات حسب كارل ماركس تؤدي بالإنسان إلى تشويه هويته خاصة في وضع اللأمن والتبخيس ، فإن المحللين النفسانيين وبعض علماء الاجتماع يرون بأن هوية الإنسان ذات طابع شمولي ، وليست هوية عمل فقط ، لأنها تحدد إضافة إلى ذلك وفقا لمعيار الانتماء إلى جماعات مختلفة .

فالتربية الموجهة القائمة على أساس الانتماء الديني والقبلي واللغوي والتاريخي والمدعمة لأسس الهوية الفردية والجماعية على السواء إنما تحول دون تأثير الوضعيات مهما كان شكلها ونوعها في تشويه الهوية ، ولعل استلاب الإنسان المعاصر في الغرب يعود إلى التوجه الكلي نحو تحديد الهوية وفقا لمعايير الملكية المادية .

<sup>1</sup> أليكس ميكشلي . مرجع سبق ذكره . ص 17 .

## ب - الاستلاب والتطبيع القهري :

يتداخل مفهوم التطبيع في معناه العام مع مفهوم التنشئة الاجتماعية التي تعني جملة من العمليات التي تجعل الفرد يتعلم مختلف أنماط السلوك من المجتمع الذي يعيش بداخله ، بطريقة تسمح له بأن يكون مقبولا ومشاركا في مختلف النشاطات دونما صراعات مع الآخرين حول أشكال السلوك وأنماطه . بينما يعني التطبيع التغيرات التي تحدث للجماعة إثر الاحتكاك الثقافي مع جماعة أخرى أكثر قوة ، حيث تفقد هذه الجماعة بعضا من عناصرها الثقافية ، عندما يترافق ذلك مع فقدان بعض أنماط السلوك النموذجي والعادات والتقاليد المعهودة .

ويحدث التطبيع بشكل قسري تحت تأثير جماعة ضاغطة تهيمن على جماعة أخرى ، والوضعية الاستعمارية هي التعبير النموذجي لعملية التطبيع القسري ، حيث يمارس المستعمر مختلف أشكال الضغط والإكراه الفيزيائي والاقتصادي والنفسي ، مما يدفع بالمجتمع إلى التكيف مع هوية أخرى ، إضافة إلى أنه يدفع كل فرد إلى تبني هوية فردية أخرى ، وإلى تمثّل سلوك آخر وسمات شخصية أخرى ، إلى جانب ذلك بالتطبيع يتم إحداث تغيير في البنية الاجتماعية للجماعة ، وكذا نظامها المرجعي الثقافي ، أي القيام بأنماط سلوكية مجانسة لسلوك الجماعات الغازية ، وتؤدي عملية التطبيع القسري عادة إلى ولادة هوية منشطرة أو متشظية ، وحسب بواربيه J.Poirer فإن الثقافة الناشئة عن التطبيع القسري هي ثقافة متناقضة ومشوهة لأنها تنطلق من معيارين متناقضين هما: الثقافة الأهلية التي تمثل تراث الآباء والأجداد والثقافة الدخيلة التي تمثل المعاصرة ، وهذه الازدواجية الثقافية تطرح نفسها في كل المجالات التقنية والاقتصادية ، وفي إطار البيئة الاجتماعية ككل حتى في الحياة الدينية والفنية .

وفي ظل الحياة داخل ثقافة ممزقة ، يعي الأفراد حجم الإشكالية الثقافية ومضاعفاتها النفسية ، فيشعرون بالاستلاب في ظل السلوكيات المتناقضة واللغات الهجينة والديانات المختلفة

و...

## ج - الاقتلاع الثقافي :

يشير التطبيع القسري إلى تعرض ثقافة جماعة ما إلى عملية غزو تقوم بها جماعة أخرى ، ويتشاكل الاستلاب الذي يفرضه التطبيع القسري بالضرورة مع ظواهر الاقتلاع الثقافي ، ووعي حالة يجد فيها الفرد نفسه أو الجماعة أو المجتمع داخل غمار حياة أخرى أو ثقافة تختلف عن ثقافته الأصلية أو حياته المعهودة ، ومن هنا ينظر لهذا الإنسان بوصفه مهاجرا ثقافيا .

إن متطلبات الحياة المتعددة التي يفرضها التغير السريع في العالم المعاصر ، تؤدى تلبيتها بالفرد إلى تحمل إكراهات أساسية تفرض نفسها على الناس وتحدد لهم منطقتهم الحياتي (كأن يفرض التخصص الأكاديمي للفرد بأن يخاطب الآخرين بلغة غير لغته الأصلية ، وكأن تفرض بعض وضعيات العمل على الفرد ارتداء أزياء معينة لا تتناسب وهويته الأصلية و...) ، حيث تتطوي كل وضعية حياتية أو كل وضعية من وضعيات العمل على منطقتهم ضمنى مستتر ، وهي الوضعيات التي تفرض على الناس قسوة الحياة ومنطقها .

إن وجود التناقض بين منطق الحياة والنظام العقلي الخاص بالمقدمات الأولية الذي يؤطر تربية الأفراد داخل وسطهم المعنى ، إنما يصنع الضعف والضغط وردود الأفعال الدفاعية الخاصة بالهوية ، ويبدو ذلك جليا عندما يكون الفرد في إطار وسط آخر ليس له المنطق نفسه الخاص بالوسط الطبيعي الذي يعيش فيه الفرد .

ويكون هذا الأمر في حالتين : إما أن الوسط الطبيعي كان عرضة للتغير السريع ، الذي يسبق إدراك الأفراد له ، أو أن الفرد قد غير وسطه الطبيعي إلى وسط آخر .

#### د - الاستلاب والتبخيص الشخصي :

يرى جون بول سارتر أن وضع الآخرين تحت سلطة المراقبة والنظر قد يكون شكلا من أشكال الاستلاب ، مما يعني أن النظر إلى الآخرين قد يؤثر على حريتهم وقد يضايقهم ويكرههم على الانتباه ، فعندما تكون تحت تأثير نظر الآخر فهذا يعني أنك تقع تحت تأثير أحكامه ، وهذا التأثير قد يعطيك رؤية مشوهة عن ذاتك وهويتك ، وهنا تكمن دلالة سارتر في تحديده لمسألة الهوية ، إذ عندما ينظر الآخر إلي وعندما يتخذ موقفا مني يسهم في تحديد هويتي ويدفعني إلى السلوك بطريقة تستجيب إلى التحديد الذي وضعني في دوائره ، وهنا يمكن أن تكون العلاقة بالآخرين بطريقة ما استلابية .

بيد أن هذه الأطروحة وإن كانت على قدر من الحقيقة ، إلا أن أنظار الآخرين لا يمكن أن تحمل دائما خاصية الاستلاب ، إذ يمكن لنظرة الآخر أن تكون حارة ودافئة وودية ، وهي بذلك تعترف بالهوية وترسخها .

وكما هو الحال في نظرة الآخر ، فإن عمليات الاستلاب الحقيقة تتجذر في تقنيات خاصة تهدف إلى إحداث تغييرات عميقة داخل الأفراد والجماعات : تقنيات غسل الدماغ ، إعادة العمليات التربوية ، ويمكن لعمليات معاودة التربية أن تبدأ على سبيل المثال عبر عمليات

التعذيب والتبخيس ( العزل ، التفريغ ، القهر ، وإزالة صورة الذات ، ثم التعذيب الفيزيائي والأخلاقي ، وأخيرا عن طريق هدم الوحدة الذاتية وتعبئة الشخص في نظام عبودي ) .

### 5- 2 - الاغتراب الهوياتي :

الاجتراب من أكثر المفاهيم شيوعا في العلوم الإنسانية ، ومن أكثرها قدرة على وصف مظاهر البؤس الإنساني والقهر الاجتماعي عبر علاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع ، حيث وحسب هنري ليفيفر فالإنسان يؤثر في الطبيعة ويتأثر بها ، وهو عندما يغيرها ، فهو يتغير أيضا ، إذ أنه ينتج ويبعد أشياء متعددة ، وهذه الأشياء تلبي حاجاته ، ولكنها في نفس الوقت تولد حاجات جديدة دون انقطاع ، وهي في نفس الوقت تعمل على تعديل الحاجات القائمة ، في مجرى تحقيق الإنسان لذاته في عالم الأشياء ، وهذا الحضور الذاتي لا يعني ضياعا للإنسان واستلابا له ، بل يرمز إلى نمائه وازدهاره .

ويعتقد كارل ماركس أن الإنسان عندما يحس بالحرية يبدأ في تحقيق ذاته عبر النشاط الخلاق في إنتاج الأشياء باستعمال خياله ، بيد أن المشاكل تبدأ عندما يفقد الإنسان حريته بوجود الملكية الخاصة ، حيث يقوم بعض الناس بتجميع كمية كبيرة من الملكية الخاصة على حساب الآخرين بينما يبدأ من ليس لهم ملكية بفقدان حريتهم ، فهم يفتقدون إلى وسائل الإنتاج مثل المعدات والأراضي الضرورية لإنتاج ما يكفي من السلع لأجل البقاء المادي ، وبدلا من ذلك لا بد لهم من العمل لمصلحة من يمتلك وسائل الإنتاج ، فهم يفتقدون الحرية في تنظيم النشاط الإنتاجي أو العمل ، ويصبحون مجبرين على العمل لصالح الآخرين كي يتمكنوا من البقاء وبالتالي يصبحون غرباء<sup>1</sup> ، وهنا ينظر كارل ماركس إلى الاغتراب بوصفه العملية التي يتحول فيها الإنسان إلى حالة تشيؤ ، حيث يستبعد ويصبح بقوة عمله سلعة تباع في الأسواق ، فالعمل هو الذي يطور الإنسان ، وهو الذي يزوج به أيضا في أكفان العبودية وزنانات القهر ، وبعبارة أخرى العمل يخلق الإنسان ويطوره ، ولكنه يمتص في الوقت نفسه كل قواه ويستعبده .

في حين يعتبر إريك فروم أن الاغتراب نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان غربيا عن نفسه ، حيث يفقد دوره بوصفه غاية إنسانية للعالم ، حيث يتنازل المرء عن نفسه إزاء استسلامه لقيم المجتمع السائدة ، فالفرد يكف عن أن يصبح نفسه عندما يعتنق نوعا من الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية ولهذا فإنه يصبح تماما شأن الآخرين وكما يتوقعون منه أن يكون .

<sup>1</sup> هارلمبس وهولبورن . سوشيولوجيا الثقافة والهوية . ترجمة :حاتم حميد محسن . دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع .دمشق .سورية ص.26

ويمكن الوقوف على أبعاد الاغتراب من خلال جملة من السمات التي تعتري الفرد المغترب ، وتتمثل هذه الأبعاد في العجز واللامعنى ، واللامعيارية (فقدان المعايير ) ، واغتراب الذات والعزلة ، وفقدان الهدفية وواضح بأن الاغتراب يأتي نتيجة للفجوة العميقة بين المثل والواقع ، وثنائية الذات والموضوع ، والتناظر الحضاري ، والتناقض الجدلي بين الواقع والصيغات الأدائية للعقل ، والفشل في تحقيق توافق بين المواقف الواقعية والمواقف الممكنة ، والفجوة القائمة بين حاجات الإنسان الأساسية والتجاوب المحدود من طرف المجتمع<sup>1</sup>.

إن الإنسان كينونة جوهرها الروح والعقل ، وكل ما من شأنه أن يمس هذه الأبعاد الأساسية لجوهر الشخصية ، يدفع الشخصية إلى حالة من الاستلاب والاغتراب ، وتتبدى مظاهر الاغتراب في أشكال أحاسيس مفرطة بالدونية واللامبالاة ، والفقر والضعف والقصور والسلبية والانهازامية<sup>2</sup> ، وهي نفسها المظاهر التي تعتري الفرد العربي المسلم اليوم ، وتجعل منه مغتربا في بيته ، ومنهزما ومسلوب الإرادة وخائر العزيمة ، وقاصرا عن أداء أي عمل مفيد .

وبالعودة إلى الثقافة كونها ليست عقلا مجردا أو مجرد معرفة علمية فائقة ، بل هي طريقة في الحياة والوجود ، إنها كل ما أبدعه الإنسان عقليا وفكريا وذهنيا في مجال تفاعله مع الكون ، وتكمن دلالتها الجوهرية في عملية الارتقاء الإنساني نحو أساليب عقلانية في التكيف والسيطرة على المجال الحيوي لوجوده ، حيث يتخذ الإنسان من ملكة التفكير والتأمل والنظر منهجا في تكيفه مع الكون وتفاعله مع الوجود .

وبناء عليه ، وبالنظر إلى الثقافة الإنسانية بوصفها ثقافة غائبة ، يطرح السؤال : هل تستطيع هذه الثقافة الصمود في عصر العولمة ، حيث ثورة الاتصالات تنصدها ثقافة الصورة ، والثقافة الاستهلاكية المحضة ، إذ يفرض السوق ثقافة أداتية ، ترمز إلى نوع من التكيف الآني الاستهلاكي المرتبط بالرغبات والميول أو بأي صيغة من صيغ الحياة ، يعتمدها الإنسان أداتيا في عملية استمراره وتواصله .

<sup>1</sup> صلاح أحمد الجماعي . الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي . دار زهران للنشر والتوزيع . عمان .الأردن .2010 . ص ص 63 - 64 .

<sup>2</sup> علي أسعد وطفة . في الاغتراب الثقافي المعاصر . مجلة المعرفة . العدد 571 نيسان 2011 .



## 5 - 3 - المحاكاة والتمثيل:

كثيرا ما يشعر الأفراد المغتربون عن أنفسهم بعدم جدوى ما يقومون به ، فيضطرون إلى تغيير سلوكهم المألوف تحت وطأة القهر النفسي والروح الانهزامية التي تعتر بهم ، فيقلدون من يروه أرفع منهم مكانة وأحسن مظهرا و... فيقلدونه في المظهر والملبس والمأكل وأسلوب الحياة وطريقة التفكير لدرجة الذوبان فيه ، والقضاء على شخصياتهم بطريقة تبعدهم وتجردهم من مبادئهم ومعاييرهم الأخلاقية المتعارف عليها في المجتمع ، بمعنى ما يعرف لغة بالتقليد الأعمى الآلي المجرد من الوعي والشعور إلى حد بعيد ، والذي تتحكم فيه تلك الآليات الدفاعية اللاشعورية المتواجدة غالبا في العقل الباطن .

وهنا يبرز ما يمكن تسميته التمثيل الاجتماعي ، حيث تستغرق الجماعات المحلية في ثقافة العولمة ، عن طريق مختلف أشكال الاتصال والمشاركة ، ويترتب عن هذا الاستغراق هجر السمات الثقافية الأصلية وإحلالها بسمات ثقافة العولمة ، أما التغير الاجتماعي الذي يحدث فهو تدريجي ، وغالبا ما يقتصر في البداية على مواقف معينة كاحتفال المسلمين بأعياد الميلاد و... ثم يتمادى إلى أن يصبح كليا ، ويصعب وقتئذ تمييز الثقافة الخاصة عن ثقافة العولمة ، والغريب أن مختلف المجتمعات تضي تضاربات من قبلها لتدعم بها ثقافة العولمة ، إلى أن يصدق المفهوم الذي صاغه كل من بارك وبيرجس حينما ذهبوا إلى أن "التمثيل هو عملية تغلغل والتحام يكتسب الأفراد والجماعات من خلالها اتجاهات وعواطف وأفكار أفراد آخرين ، بحيث تستوعبهم الثقافة العامة نتيجة المشاركة في الخبرة والتاريخ"<sup>1</sup> .

بعبارة أخرى ، يمكن للإنسان الواقع تحت هيمنة العولمة ، حيث يتسلل الإعلام ببطء وهدوء إلى العقل ، فيكتسب مختلف السلوكات والممارسات عبر عملية الملاحظة ثم الإعجاب والتقليد ، لينتهي به الأمر إلى تعلم ما رأى ولاحظ وشاهد في غياب المنهيات - سواء كانت دينية أو قانونية أو اجتماعية - إلى المحاكاة والتمثيل\* والتجسيد الفعلي لما رأى ولاحظ وشاهد ، وبعد عملية التمثيل تظهر ملامح أخرى لعملية أخرى يسميها بيار بورديو "إعادة الإنتاج"<sup>\*\*</sup> ، أي إعادة النماذج والصور التي تعلمها الإنسان بشكل قسري ، في قالب هادئ وموضوعي ،

<sup>1</sup> محمد عاطف غيث . قاموس علم الاجتماع . ص 28 .

\* للإطلاع أكثر اقرأ نظرية التعلم لباندورا .

\*\* تميل البنيوية التقليدية في دراستها للمجتمعات التقليدية إلى الاعتقاد بأن ثبات البنى هو أمر مكتسب دون أن تتحمل مسؤولية التساؤل عن الشروط المولدة لعمليات التكرار هذه . فقد حاولت الماركسية تقديم إجابة إجمالية لمشكلة إعادة إنتاج نسق الطبقات عبر التحليل الاقتصادي وتضخيمه إلى أقصى حد باعتماد علاقة وحيدة هي مدى تملك رأس المال . ومن جهته حاول بورديو تحليل جميع أفعال إعادة الإنتاج من خلال دراسته للنسق المدرسي ووظيفته محاولا إدخال مفاهيم للتفسير مثل: العنف الرمزي ، الرأسمال الثقافي ، استراتيجيا إعادة الإنتاج .



حيث أن من يملك المعلومة يسيطر ويتحكم ، هذا الأمر كان عبر المراحل المختلفة التي مرت بها المجتمعات الإنسانية، ولذلك سمي بيار بوديو بالأب الروحي لحركات العولمة البديلة .

فاليوم أصبح معظم شباب العالم الثالث حريصا على امتلاك كل ما أبدعته أساليب تكنولوجيا الاتصال أولا بأول مستهلكا لها ، رغم عدم حاجتهم الفعلية أو الرشيدة إليها ، اللهم سوى الرغبة في هوس التقليد والمحاكاة ، ظنا منهم أن تلك المظاهر الاستهلاكية للثقافة تنقلهم في عيون الآخرين إلى مكانة اجتماعية أرفع في مصاف رجال الأعمال البارزين ، بوصفها رموزا للثقافة المادية للدعاء بانتقالهم من الطبقة الوسطى إلى طبقة الصفوة<sup>1</sup> .

والتحديث الذي طال هذه المجتمعات النامية ما هو إلا استيعاب ناقص لبعض عناصر الحضارة الغربية ، لأن هذه المجتمعات تفتقد للإبداع والابتكار من أصوله ، فلا موطن للحدثة إذن إلا في العقول النيرة التي ترى العلم سبيلا للتقدم والرفي .

### خامسا : نتائج تأثير العولمة في البنى الفوقية للمجتمع المحلي :

يعبر محمد عابد الجابري عن اعتداء العولمة على الهوية المحلية بالاختراق الثقافي ، حيث جاء في معرض حديثه عن قضايا الفكر المعاصر : " في الخمسينات والستينات وما قبلها ، وهي المرحلة التي تريد العولمة ودعاتها إقصاءها وإعدامها كانت الثقافة ثقافتين ، ثقافة استعمارية امبريالية ، وثقافة وطنية تحررية ، أما اليوم فالتصنيف الذي يريد تكريسه الواقعون تحت تأثير إيديولوجيا العولمة هو ذلك الذي يجعل الثقافة صنفين : ثقافة الانفتاح والتجديد ، وثقافة الانكماش والجمود ، ولو سموا الأشياء بأسمائها لقالوا : ثقافة التبعية والثقافة الوطنية " ، فالتجديد والتحديث هو سلاح دعاة العولمة لتبرير موقعهم في مواجهة دعاة الموقف القومي المنسجم مع الأصالة والتراث والإبداع .

ولعل الهدف الأول للاختراق الثقافي هو خلق حالة من التقبل لنمط الثقافة الأمريكية في وسط المجتمعات العربية الإسلامية ، وفي أوساط المتقنين على وجه الخصوص .

<sup>1</sup> مجموعة من الباحثين . الثقافات المحلية والعولمة ، دراسات مصرية إفريقية . تحرير : يمان يوسف البسطويسي . دار الثقافة الجديدة . القاهرة مصر . 2008 . ص 63 .

## النتيجة الأولى : الاعتداء على الهوية :

بإزالتها لمختلف الحواجز المادية ، فهي أيضا تزيل الحواجز الفكرية والعقيدية والفكرية ، حيث ما كان مقدسا في ثقافة محلية ما يصبح بموجب الانفتاح على العولمة أمرا عاديا أو متعرضا للسخرية من قبل أفرادها كما تعرض لذلك سابقا من قبل أنصار العولمة ، وتتحول القيم هي ذاتها التي تسود مختلف الشعوب والأمم ، ويتم هذا الأمر من خلال ربط العولمة للناس بعالم "اللاأمة" و"اللاوطن" و"اللا دولة" ، لأن ذلك يسهل عليها عمليات الاستلاب التي تقوم بها ، إن العولمة لا تستوطن بلدا ولا تركز إلى شعب أو أمة ، وإنما تستوطن الفضاء المعلوماتي الذي تصنعه شبكات الاتصال ، والذي يوجه الثقافة والسياسة والاقتصاد ، وعن طريق ذلك الفضاء تخلع الفرد من هويته وأسرته ، وتخلع الأسرة من مجتمعها ، والمجتمع من أمته الكبرى ، وتخلع الأمة من رباطاتها الإنسانية ، و الواضح أن هوية الإنسان الجزائري معرضة لمخاطر جمة بموجب ذلك ، وذلك لسببين أولهما : الفارق الكبير بين المسلمات الثقافية الجزائرية ، والمسلمات التي تحاول العولمة نشرها ، فكم هو الفرق شاسع بين ثقافة تضع الإسلام إطارا مرجعيا لها ، بكل ما فيه من عقيدة وشريعة ومعاملات وسلوكات وقيم وأخلاق و... ولغة لصيقة به ، وخصوصية تاريخية ليس لها نظير في التاريخ و... وبين ثقافة تضع المسيحية إطارا مرجعيا لها - ويا حبذا لو كانت مسيحية التسامح والحلم والدمائة ، إنها مسيحية السيادة على الآخر بالطاعة أو بالإكراه - ،... إن الاختلاف في الأطر المرجعية والمسلمات الثقافية والفكرية للمجتمعات كفيل بصناعة هوة ثقافية شاسعة بين الأمم .

وثانيهما : تباين موقف النخب الثقافية في المجتمع الجزائري من العولمة ، حيث يرى بعض المثقفين في العولمة فرصة للخلاص من التقاليد البالية والأيدولوجيات ذات الرؤى الشمولية المطلقة ، في حين يرى فيها آخرون خطرا كبيرا ، وهذا الأمر لم ينشأ بسبب العولمة ، وإنما بسبب الانفتاح غير الواعي على ثقافة الآخر ، مما أحدث غزوا ثقافيا للمجتمع الجزائري ، وخير دليل على ذلك اللغة المنطوقة في المجتمع ، لا هي لغة عربية صرفة ولا هي لغة أمازيغية أصيلة ولا هي لغة فرنسية نقية ، إنها مزيج من كل ذلك .

1- تزيين الفردية للناس ، وجعلهم يشعرون أن وجودهم محصور في فرديتهم ، وأن كل ما عداهم فهو أجنبي عنهم ، وإن كان ثمة من رابطة تربطهم ، فالرابطة المنطقية هي رابطة المصلحة التي يمكن أن تكون متبادلة بين كيانيين مختلفين ، وهذا مخالف للرؤية الإنسانية العامة، التي ترى أن سعادة الإنسان ونموه وارتقائه مستمدة من طبيعة علاقته بالمجتمع ، والعولمة إذ

تفعل ذلك فهي تهيب الناس لمزيد من العلاقات الثانوية على حساب العلاقات الأولية ، حيث تصبح الروابط الاجتماعية هشة ، وهو أسلوب قديم في حلة جديدة ، إذ من الثابت منذ القدم أن عزلة المرء المعنوية والعلائقية عن الناس توهم تماسكه الثقافي ، وتجعل إمكانية تغيير معتقداته ومسلّماته أقرب منالا<sup>1</sup>.

2 - الإغراء بالخيار الشخصي ، حيث يلقي في روع الناس أنهم سادة وقادرون على تقرير مصيرهم واختيار ما هو أصلح لهم ، والحقيقة التي أفرزتها العولمة تبين بأن الخيارات أمام الضعفاء والفقراء محدودة جدا - عكس ما توحى به العولمة - وجوهر الحرية كامن في القدرة على الاختيار ، ولا معنى للاختيار إذا لم تكن هناك بدائل وإمكانيات للرفض ، وهذا ما يواجه الفقراء كل يوم في سعيهم الدؤوب للبقاء .

3 - توهم العولمة الناس أن كل ما يقع من مشكلات هو أمر طبيعي ومنطقي ومحايد ، وليس نتيجة ضغط أعمى على الموارد والأسواق ، ونتيجة فرض هيمنة الأقوياء على الضعفاء ، وذلك من أجل الاستسلام للقوى الغاشمة ووأد أي حماية للانتصار لأي قضية ، أو المجادلة عن أي حق ، وكثيرا ما يتخذ المستفيدون من العولمة من السعي وراء المصالح ذريعة لتسوية هجمة القوى العاتية ، وإقناع الناس بأن ذلك لا يحتاج إلى شرعية قانونية أو ثقافية ، كما لا يحتاج إلى إذن من أحد ، وعليك أن تكون قويا بما فيه الكفاية حتى تحمي نفسك ، وهذا عين المنطق الذي يجري التعامل به في عالم العولمة<sup>2</sup>.

4 - لقد كان لتفكك الاتحاد السوفياتي ، وسقوط المعسكر الشرقي عظيم الأثر والفائدة على النظام الرأسمالي ، الأمر الذي دعا بالمفكرين والساسة الغربيين إلى إغراق العالم بالكتابات والدعايات والتحليلات التي تثبت أن الرأسمالية بما تستند إليه من الحرية الاقتصادية ، والاحتكام إلى قوى السوق وآليات العرض والطلب ، هي أفضل نظرية توصل إليها البشر في إدارة شؤون الاقتصاد ، وتنمية الثروات ، مع أن مفكري الغرب ومنظريه يعرفون المشكلات الهائلة التي سببتها الرأسمالية على بلدانهم وغيرها ، إلا أن الرغبة التي لا تقاوم في القيام بدور الوصي على الغير أحوجهم إلى توفير غطاء ثقافي مقنع ، وهو ما تقوم به أجهزة الدعاية والإعلان في الغرب .

5 - إن من أهم القواعد المتبعة في الاختراق الاقتصادي والثقافي للأمم السعي الحثيث نحو تهميش سلطة الدولة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، لأنها تحد من طموح ونفوذ وتمدد العولمة غير المحدود ، وتعكر صفو المستفيدين منها والمستغلين لفرصها في المجتمع ، عبر

<sup>1</sup> عبد الكريم بكار . مرجع سبق ذكره . ص 89 .

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق . ص 90 .

تأسيس أشكال من تكافؤ الفرص ، ومراقبة استثمار التفوق الذي حازه بعض الأفراد ، أو بعض الجهات على مختلف الأصعدة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وهذا ما لا يروق للعولمة. إن المستفيدين من الأزمات في الداخل والخارج يستغلون الأزمات الخائفة التي تعاني منها الشعوب النامية في التعليم والعمل والخدمات العامة ، في الضغط على الحكومات كي تنتازل عن وظائفها ومهامها لصالح القوى الحية التي هي قوى السوق ، ومعظم الدول في الشرق والغرب غير قادرة على مقاومة تلك الضغوط ، فالاستثمارات والمعونات الأجنبية ، والتي تمثل بارقة الأمل في تحريك عجلة التنمية ، لا تتدفق على أي بلد ما لم يتحول إلى "اقتصاد السوق".

وقد تم بموجب ذلك هدم الحواجز الجمركية بانتظام ، وتدفقت السلع الأجنبية تنافس السلع الوطنية ، بل وتخفيها من الوجود ، والمصانع الكبرى يتم بيعها والتخلص منها ، والخدمات العامة تتحول إلى القطاع الخاص<sup>1</sup> ، الذي يستأثر به عادة المستفيدون من العولمة ، وتصبح البلدان لا يتحكم بها أصحابها ، بل الشركات متعددة الجنسية وصندوق النقد الولي ومنظمة التجارة العالمية و... بمساعدة ثلة متحكمة في رؤوس الأموال داخل البلاد ، وتغيب إزاء ذلك قوانين الدولة ، و لا يتم تنفيذ أحكامها إلا على الضعفاء .

### النتيجة الثانية : مشاعية المعرفة

بكل أدواتها وأساليبها ، أتاحت العولمة خاصة الانترنت فرصا كبيرة جدا للاطلاع على المعارف القديمة والحديثة ، وهذه واحدة من أهم إيجابيات العولمة ، بيد أن الإشكال يقع في مجتمعاتنا لدى الذين لم ينالوا النضج الأخلاقي الكافي ، ولم يتشربوا القيم و المفاهيم التي تنير لهم سبيل استخدام الانترنت ، بسبب حداثة أعمارهم ، أو بسبب أسرهم التي قصرت في تنشئتهم بما يتفق والثقافة المحلية ويتلاءم وروح عصر العولمة ، وفيما أعتقد أن العولمة هي أعظم إبداع بشري ، يتيح للعالم صناعة العلاقات الاجتماعية دو كثير من العناء ، كيفما كان شكل هذه العلاقات ، لأنها ترتبط بتوجهاتنا وأخلاقنا والقيم التي ننتبناها ونروج لها ، إن الانترنت تتيح فرصة لاكتساب المعارف بما لا توفره الطرق القديمة من دمج للتربية والمعرفة .

فالأسر والمؤسسات التربوية الأخرى في الجزائر تقدم في الحقيقة منهجين :

منهجاً مكتوباً ، يتمثل في التعليمات والمواد المعرفية التي تطرح للمدارسة .

<sup>1</sup> عبد الكريم بكار . مرجع سبق ذكره . ص ص 92 - 94 .

ومن هنا مستترا غير مكتوب ، يتمثل في سلوك المربين والمعلمين وعلاقاتهم ، وما يشيرون خلال العملية التربوية من مفاهيم وأدبيات ورموز ، تتصل بعقيدة المجتمع وتاريخه النضالي وقيمه ومعاييره ، وانحرف هذا المنهج عن مقومات المجتمع من شأنه أن يصنع شرخا بين الأجيال من حيث قلة الاهتمام بالتراث واللحمة الوطنية والهموم المشتركة .

إن العولمة تتيح المعرفة من أوسع أبوابها وعلى أوسع نطاق ، لكن الإشكال يقع في كيفية انتقاء المعارف التي تتيحها العولمة .

### خلاصة الفصل :

بدأ هذا الفصل من حيث انتهى سابقه ، حيث يتكامل البناء الاجتماعي التحتي والبناء الاجتماعي الفوقي لتشكيل المجتمع حسب المنظور الماركسي ، واستبق الفصل آليات العولمة بالتعرف على العلاقة بين الهوية والثقافة ، وكذا سمات ثقافة العولمة والتي استمدت أساسا من كتاب " مكدنة المجتمع " لصاحبه جورج ريتزر ، ولأن الثقافات لا بد أن تتغير - وهذه حتمية- ، فإن التغير باتجاه العولمة ينطوي على العديد من المثالب التي تفضي بأفراد المجتمع إلى الاستلاب والاعتراب الهوياتي ، ثم إعادة إنتاج النمط الثقافي العولمي .

# الفصل السادس

## آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة

أولاً : الوعي بالهوية المحلية

ثانياً : آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة

1 - عناصر التفاعل مع الآخر

1 - 1 - الانعزال والتفوق

1 - 2 - آلية المواجهة بالعنف والمناهضة والصراع

1 - 3 - آلية الحوار الحضاري

2 - عناصر التناسق الداخلي

2 - 1 - التنمية المستدامة

2 - 1 - 1 - التنمية البشرية المستدامة

2 - 1 - 2 - التنمية الاقتصادية المستدامة

2 - 2 - تفعيل عناصر الهوية في المجتمع المحلي

2 - 2 - 1 - تجديد الدين

2 - 2 - 2 - تجديد اللغة

2 - 2 - 3 - تجديد الثقافة المحلية

2 - 2 - 3 - 1 - تغيير الذهنات

2 - 2 - 3 - 2 - اعتماد مبدأ التنوع الثقافي في المجتمع المحلي

2 - 2 - 3 - 3 - المشاركة في بناء الحضارة العالمية

ثالثاً : عوائق مواجهة الهوية المحلية للعولمة

1- عقبات الحوار بين الحضارات

2- عوائق التنمية المستدامة

3- معوقات بناء ثقافة عالمية

## تمهيد

التحديات هي مجموعة الممارسات والضغوط الظاهرة والمبطنة من قبل أمم ومجتمعات متطورة ضد أمم ومجتمعات أقل تطوراً بهدف إخضاعها أو الهيمنة الفكرية عليه بقصد استلاب هويتها الفكرية أو الحضارية والوصول إلى حالة تجد فيها هذه المجتمعات نفسها منقادة وتابعة لحضارة أو ثقافة الأمة الأقوى وإن اختلفت في العقيدة والتاريخ والسلوك ، كما يعني التحدي التزام الأمة أو المجتمع بمجموعة من الإجراءات ضد ظروف طارئة أو غريبة أوجدتها أمة أخرى ، ويلاحظ على هذا التعريف اقتصره على التحديات الخارجية الموجهة إلى الأمة من قبل جهات أو مجتمعات خارجية، وأنه يتناول الجانب السلبي من التحدي.

بعبارة أخرى ، التحديات : هي متغيرات فرضها النظام العالمي على أمة من الأمم في مختلف مجالات الحياة بوسائل عديدة مما يستلزم منه القيام بإجراءات معينة من حيث الاستغلال الأمثل لهذه المتغيرات بشكل يسهم في رقي المجتمع وتقدمه.

ومهما يكن التحدي فهو ليس مطلق القيمة ولا مطلق التأثير ، إنما يتفاوت حسب الأوضاع والأحوال التي يحدث فيها التحدي ، وبحسب الذين يواجهون التحدي ، والتحدي غير التعجيز ، إذ أن ما يطلب تغييره قد يفوق الطاقة القصوى ، فيتحول الشيء الذي يتحدى إلى شيء معجز ، مما يولد الانكسار واليأس والإحباط ، ... والسؤال المطروح هنا : هل تحديات العولمة هي من قبيل ما يعجز ويحبط أم من قبيل ما يحرض على الرقي والازدهار ؟

فبعض من العالم كان ومازال يتعامل مع العولمة كواقع تمت صناعته في الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أنها الخلاص من الكثير من المشكلات التي تعاني منها الأمم والشعوب ، ورغم ذلك فإن المؤتمرات التي عقدت لترويج هذا الفكر قامت ضدها منظمات غير حكومية تنادي برفض العولمة في صيغة تحد ، ولذلك انقسم العالم إلى قسمين أحدهما رافض لفكر العولمة والآخر متقبل لهذا الفكر ، والكل في ذلك متصادم مع الآخر ، والغريب أن هذا الانقسام بين التأييد والمعارضة كان على مستوى الدول الأوروبية فقط ، حيث أن دول العالم الثالث لم تقدم أي احتجاج تجاه قضايا العولمة<sup>1</sup>.

ولقد كانت وما زالت الهوية الثقافية هي ملاك البقاء ومصدر المقاومة في وجه كل غزو ثقافي أو حضاري يحاولان الاستقطاب أو فرض التبعية ، وإن الحق في التنوع الثقافي اليوم

<sup>1</sup> عثمان ، فاروق السيد . سيكولوجية العولمة . دار الأمين للنشر والتوزيع . القاهرة . مصر . 2006 . ص 95 .

قاعدة من قواعد القانون الدولي الذي تزيه القوانين الأممية وموائيقها ، وقد جاء في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي ما يلي :

- لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما والمحافظة عليهما .
- من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته .
- تشكل جميع الثقافات ، بما فيها من تنوع وخصب ، وبما بينها من تباين وتأثير متبادل جزءا من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعا<sup>1</sup> .

لذلك لا يجب أن ينظر المجتمع إلى هويته على أساس الخوف من الذوبان في الآخر ، وإنما بل على كيفية الوقوف في وجه التحديات ، وفرض الوجود الحقيقي أمام الصراع الذي يجب حوضه من موقع التأثير فيه<sup>2</sup> .

لكن قبل رسم خارطة المواجهة ، ينبغي أولا الوقوف وبعمرق على خبايا وأسرار العلاقة الجدلية بين الهوية المحلية والعولمة ، أي معرفة الذات ومعرفة الآخر ، ومدى وأشكال المسافة الفاصلة بين الطرفين ، وما تستوعبه تلك المسافة من تحديات ، لذلك فإن أي استراتيجية للمواجهة يجب أن تتضمن مراحل لا ينبغي حرق أي منها أو تجاوزها ، وهذه المراحل تبدو كما يلي :

### أولا : الوعي بالهوية المحلية :

الوعي هو مجموع العمليات العقلية المعقدة التي تشكل فهم الإنسان للعالم الموضوعي ولوجوده الشخصي ، وهو يشتمل على خصائص الإنسان النفسية (الانفعالات والضمير والإرادة ، ... ) ومكتسباته الروحية ومنطلقاته القيمية والاجتماعية ، ولكي يرتقي الإنسان إلى مستوى الوعي لا بد من تحقق المعرفة والفهم ، وهما نتيجة لنشاط الإنسان التاريخي والاجتماعي ، ولتطور اللغة باعتبارها التجسيد المادي للوعي ، ومن الطبيعي أن يختلف مستوى الوعي وشكله باختلاف الممارسة الاجتماعية ، وكمية المعلومات المكتسبة في مختلف فروع المعرفة<sup>3</sup> .

#### 1 - جدلية العلاقة بين الهوية المحلية والمعطيات الثقافية العالمية<sup>4</sup> :

لجدلية العلاقة بين الهوية الفردية والمعطى الثقافي سبعة أبعاد :

<sup>1</sup> صالح بلعيد . مرجع سبق ذكره . ص 137 .

<sup>2</sup> صالح بلعيد . مرجع سبق ذكره . ص 138 .

<sup>3</sup> محمد صالح الهرماسي . مرجع سبق ذكره . ص 101 .

<sup>4</sup> محمد العربي ولد خليفة . مرجع سبق ذكره . بتصرف .



1 - يجهد المجتمع لتأكيد الهوية المحلية بإتباع خط مستقيم يعبر عن الاستمرارية ، أي التموغ في الزمان والمكان من خلال إدراك المقطع التاريخي الذي يوجد والحيز الجغرافي بحدوده الذهنية والخرائطية أو بأحدهما على الأقل .

وعبارة خط مستقيم لا تعني نمطية التفكير والسلوك أو ميكانيكيته، بل تعني الحرص على الانتماء إلى مرجعية ثقافية تتجسد في دين مفضل ولغة مفضلة .

2 - يتطلب تأكيد الهوية القدرة على الاندماج والمحاكاة والتكيف مع الآخر وكذا تحقيق التجانس الداخلي ، أي ظهور شخصية اجتماعية ، ومدى قدرة تلك الشخصية على تنسيق السلوك العام للمجتمع في الزمان والمكان ، غير أن هناك فرقا بين مفهوم الشخصية الاجتماعية ومفهوم الهوية المحلية ، فالشخصية الاجتماعية تتضمن هوية المجتمع أثناء عمل الأفراد في كل المستويات العقلية والنفسية والرمزية والفكرية والاجتماعية ، في وضعية ثقافية يعبر فيها المجتمع باسم كل أفراد ، ويقراً بصماتهم المميزة باسم المجتمع ، أما الهوية المحلية فهي في علاقة مع الآخر ، وعن طريقها يتعرف المجتمع عن نفسه ، ويصنف الهويات الأخرى بناء على تلك العلاقة .

فمثلا ، وللحديث عن صناعة الزربية التقليدية في الجزائر ، يبرز تصميم كل زربية بصمات الجهة أو الجماعة الإثنية التي تنتمي إليها الزربية ، من خلال البعد المادي والرمزي والفكري و...، لكن كل ذلك يعكس أو يحسب لحساب الشخصية الجزائرية ، أما مقارنة هذا المنتج التقليدي مع غيره من المجتمعات ، فهو يبرز تميز الزربية - الهوية - المحلية مقابل هويات أخرى.

3 - لكي تستقر الهوية المحلية باعتبارها نسقا موحدا وذا ديمومة نسبية ينبغي تحقيقها في كل مرة بالانفصال والتميز عن الآخر وإثبات الاختلاف عنه ذهنيا ووجدانيا .

فبدون الابتعاد عن الآخر والاقتراب منه والمقارنة معه تتحلل الهوية المحلية ، أو لا توجد أصلا ، وبالتالي فإن الهوية المحلية هي جهد للذهاب نحو الآخر لاكتساب بطانة الذات ، وعودة من الآخر نحو الذات لإثبات وجودها المتميز .

إن الهوية المحلية هي المسافة التي يقطعها المجتمع بين محاولة التميز عن المجتمعات الأخرى ، واضطراره للتطابق معها ، إنها جهد دائم لتوحيد آليات الذات وانسجامها الداخلي تبطله ضرورات قوالب الثقافة العالمية التي يعايشها المجتمع ، ويتفاعل معها ، ذلك الإبطال نفسه هو الذي يدفع المجتمع لتجديد تميزه ورسم حدود هويته المحلية ، وتتواصل عملية الإثبات والإبطال والعودة إلى الإثبات مدى الحياة .

4 - تتمثل أولى مراتب الهوية المحلية في الانفصال عن الوسط المادي ، إذ أنها تشبه وإلى حد بعيد بدأ الرضيع في تمييز جسمه عن الموجودات الأخرى ، والشروع في رسم حدوده الجسمية في الأشهر الأولى ، وتحقيق وحدة كتلة الجسم ، والتحكم في مجاله الحسي الحركي ، غير أن الأمر يكون أكثر تعقيدا في المستويين العقلي والنفسي .

إنه بداخل الهوية المحلية تجري عملية مزدوجة ( وصل - فصل ) الأنا - هو أنا - الأنا مقابل الأنت ، ثم إن الأنا تتجه نحو الأنت والنحن لتبحث عما يميز الهوية المحلية ، وهذه العملية المزدوجة هي أساس عقلنة الوجود ، أي نقله إلى المستوى المعرفي ، وأثناء النقل تفصح الهوية المحلية عن مميزاتها .

ويعتبر الحوار فهما للذات من خلال الآخر ، وفهما للآخر من خلال الذات ، فالحوار حق مشاع للجميع ، وهو عنصر حيوي لحياة الأشخاص فضلا عن الأفكار ، وهو يقع أو ينجح حين يكون معزولا عن طغيان السلطة ، إذ يتم إزائه اكتشاف الآخر داخل الذات ، واكتشاف الذات في نظر الآخر ، أي التعرف على الأنا الموضوعية التي يراها الآخرون مقابل الأنا الذاتية التي نراها نحن<sup>1</sup> .

5 - من أبعاد الهوية المحلية البنية الواحدة والتواصل أي : أن يشبه المجتمع نفسه في كل الأحوال وباستمرار ، وتعمل الهوية المحلية على أن يدرك المجتمع أنه هو هو وليس غيره ، فإذا حدث انقطاع في الإدراك الواحد والمستمر اعتبر ذلك حالة مرضية مثل انشطار الشخصية عند الإنسان ، أو حالة الفصام التي تجعل الشخص يلبس هويات أخرى ، ويتوهم أن غيره هو ذاته .

6 - تتجذر الهوية المحلية وتكتسب حيوية وفاعلية عن طريق الخروج من المجال الرمزي إلى المجال العملي ، أي الفعل بالإنتاج الفكري أو المادي ، أو هما معا ، ومن الواضح أن الهوية لا تختلط بتلك الأداءات الفكرية والمادية ، وإنما فقط تعبير عنها ، لأنها من جهة توجهها وتحمل آثارها ، ومن جهة أخرى تدعمها وتثبت تفردا ، وتكون كذلك من عوامل تحولها .

7 - بينما يتمثل البعد الأخير في إثبات الذات ، حيث تكون الهوية في حد ذاتها قيمة كل القيم ، فيسعى المجتمع لإعلاء ذاته بإظهار أنه أكثر من كل المجتمعات التزاما بالقيم المقبولة من قبل أفرادها ، سواء في السلوكات الأساسية أو الجانبية ، ويظهر في سعي الهوية لتحقيق أعلى تكيف مع منظومة القيم السائدة عالميا ، إذ لا يخلو المجتمع المحلي من لحظات المقارنة بين ذاته والآخرين في الوضعيات التي تحمل شحنات معيارية للرفع من قيمة هويته في نظر نفسه ، ونقل القيمة الأعلى للآخرين ليأخذوها بعين الاعتبار<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> عمار جبدل . حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني . دار الحامد للنشر والتوزيع . الجزائر . 2003 . ص 37 .  
<sup>2</sup> محمد العيد ولد خليفة . بتصرف .

## 2 - فاعلية الهوية

تتمظهر فاعلية الهوية في كونها تتجاوز الأوهام إلى تحقيق الوجود في عالم الواقع ، لا في عالم الأوهام ، والسقوط في الفلكورية أو الثقافية التي قد تؤدي إما إلى التمجيد أو النرجسية الفارغة أو إلى التعصب والعنصرية ، وفي كلتا الحالتين ستكون النتيجة هي التقهقر الهويوي والتراجعية والتطرف فكريا وثقافة واجتماعا .

لذا فالهوية التي يجد المجتمع المحلي نفسه بحاجة إليها هي تلك تتصدى للإمبريالية في صبغتها الجديدة ، والتي تتعالى عن الثقافية الضيقة ، وتأخذ في تصويرها صبغة الانفتاح والحركة كي لا تؤدي في واقع الأمر إلى استبعاد الآخر .

وفي خضم الأحداث تتجلي فاعلية الهوية من خلال جملة من العناصر هي :

- تهافت فكرة الانعزال والتمجيد لأن الثوابت التي تفسر الهوية هي لذاتنا ولا في ذاتنا ، أي أنها تقبل تفتح الذات وتغييراتها وتحولاتها على صعيد الحياة والمعرفة ، بحيث أنها تواكب تطورات العلوم والتكنولوجية ، بل تجعل منها مقوما من مقوماتها الأساسية ، فلا بداع العلمي والتقني والثقافي والتحرر في العمل وبناء المستقبل ، كل ذلك حيوي في بناء الهوية والحفاظ عليها ، إذ لم نعد بحاجة لتمجيد ما صنع الأجداد ، بقدر ما نحن بحاجة إلى غربلة ما علق بترائنا من شوائب.

- إن من يرى أن الهوية تأصيل للكيان فقط ، قد ساهم عن وعي أو عن غير وعي في عزل الذات عن هويتها ، الأمر الذي يفضي به فيما بعد إلى التطرف والإقصاء ، لأن الذات لا تكون ذاتا حقيقية إلا بالنسبة إلى الغير ومع الغير ، لكن إذا كانت هذه الغيرية ذات طبيعة عدوانية ، فإن الذات عندئذ يجب أن تقف ندا لند حتى لا يتم تصفيتها بطريقة أو بأخرى .

- يكون إثبات هويتنا أيضا بتحديث كياننا وجعله قابلا للتأقلم مع إحداثيات العصور الحديثة والمعاصرة ، فالهوية لا توجد في الجذور التاريخية للكيان فقط ، بل وأيضا في كل ما ساهمت به في الحياة والمعارف على الصعيد الإنساني عامة ، إذ أن انتماء الفرد لا يكون لثقافته الأصلية فقط ، بل وأيضا للإنسانية وقيمها التي يجب أن تتمظهر في نمط تفكيره وعمله لأنها جزء من ذاته .

- ذات الفرد هي جزء من حضوره اليومي في الحياة والفكر ، وهي حاضره بأحزانه وأفراحه بقلقه وانشراحه ، بحياته وموته ، وكل ما من شأنه أن يدخل في تكوين هويته ، حتى لو لم يكن يعي ذلك جيدا<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> عبد الوهاب المسيري . فتحي التركيبي . الحداثة وما بعد الحداثة . دار الفكر بط. دمشق . سورية . 2008 . ص ص 203 - 207 .

## ثانيا : آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة :

نود أن نفرق أولا بين مواجهة الهيمنة والاختراق الثقافي وبين مجابهة العولمة كواقع عصري، فهذه المجابهة لم تعد أمرا ممكنا لا بالنسبة للدول الضعيفة ولا الدول القوية على حد سواء، في حين تحاول الثقافات المختلفة في شتى أنحاء العالم إيجاد آليات تواجهه من خلالها ما يهدد مقوماتها وخصوصياتها. وهذا حق مشروع لها، بل إنه سمة ملازمة لطبيعة أية ثقافة خلال عمليات التداخل والاحتكاك الثقافي. وتحفل دراسات العولمة بأمثلة عديدة على الآليات التي ظهرت ومازالت تظهر دفاعا عن الخصوصية الثقافية للمجتمعات، ونجد من بينها -إلى جانب الدول النامية- دولا كبرى كفرنسا واليابان والنرويج، ويأخذ الأمر طابعه الرمزي في معارضة الرئيس شيراك إقامة مطعم لشركة "ماكدونالد" في برج إيفل "ليظل فضاءه على الأقل منفردا بنمط العيش الفرنسي" <sup>1</sup>

لوضع مختلف الآليات والخطط الموجهة للدفاع عن الهوية ، لابد من توضيح أن ذلك يقتصر على الجانب الثقافي في الهوية ، إن مركبات الهوية يسعى كل من موقعه في الدفاع عن الكيان ككل ، ويبرز دور الجانب الثقافي للهوية أكثر من غيره في مواجهة تحديات العولمة وبناء الذات دونما هزات تززع أركان هذه الهوية ، وهنا تجد الثقافة ذاتها في مفترق الطرق : إما انتهاج موقف الانغلاق والتفوق على الذات ، إما موقف الانفتاح على الآخر وإما الصراع مع الآخر ، وهنا يقودنا الحديث إلى الأطروحة التاسعة لمحمد عابد الجابري الرامية إلى تجديد الثقافة لمواجهة تحديات العولمة فهناك موقفان سهلان، وهما السائدان: موقف الرفض المطلق وسلاحه الانغلاق الكلي وما يتبع ذلك من ردود فعل سلبية محاربة... وموقف القبول التام للعولمة وما تمارسه من اختراق ثقافي واستتباع حضاري، شعاره "الانفتاح على العصر" و"المراهنة على الحداثة".

لا مفر من تصنيف هذين الموقفين ضمن المواقف اللاتاريخية التي تواجه المشاكل، لا بعقل واثق بنفسه متمكن من قدراته، وإنما تستقبلها بعقل "مستقبل" لا يرى صاحبه مخرجا من

<sup>1</sup> أزمة الهوية الثقافية في عصر العولمة: رؤية أنثروبولوجية ..منتدى طلبة سيدي بلعباس لكل الجزائريين والعرب 2012/04/04. <http://tolabe-22.yoo7.com/t185-topic#287>

المشاكل إلا بالهروب منها، إما إلى الوراثة وإما إلى الأمام، كل سلاحه رؤية سحرية للعالم تقفز على الواقع إلى اللاواقع.

وبناء عليه فإن آليات المواجهة يتقاسمها سبيلان متكاملان ، ولا غنى لأي منهما عن الآخر ، الأول هو تحقيق التناسق الداخلي (يأتي تحقيق التناسق الداخلي بناء على المستجدات العالمية ، ولا يكون بناء على خصائص لا علاقة لها بالسياق الحضاري ، فإعداد الجند يتطلب دراية كاملة بما لدى الآخر من سلاح وعتاد ، وإرساء المؤسسات التربوية ينبغي أن يتم في ضوء ما توصل إليه العقل البشري من إبداع وابتكار في المجال المعرفي ، ...وقس على ذلك في كل مجالات الحياة بثتى أبعادها ) ، والثاني هو التفاعل مع الآخر (يتم الأمر أيضا في ضوء المعطيات القائمة المتعلقة بعلاقة الغالب بالمغلوب ، وحلقة من الأقوى ومن الأضعف). حيث يستجمع الأفراد ومختلف الحركات الاجتماعية كل المقدرات المادية والرمزية التي يطرحها الفعل اليومي ، وتدفع بها حركية التجديد الاجتماعي إلى ساحات فعل الأفراد والمجموعات ، بحيث يتحقق ذلك المزدوج للحركة ذاتها من جهة ، ولأفرادها وقاداتها من جهة أخرى ، منطلقات وأساليب وأهدافا<sup>1</sup>

## 1 - عناصر التفاعل مع الآخر

يتفاوت التفاعل مع الآخر بتفاوت النظرة إليه من قبل أفراد المجتمع ، فمن الناس من يرى الآخر خصما أو عدوا أينما حل وارتحل ، ومن الناس من يراه صديقا حتى لو كانت أنيابه تبدي بوضوح ما تخفي سريرته ، ومن الناس من ينظر إليه بمنظار العقل على أنه ند في الهوية ومنافس في الاقتصاد ومكمل في الفكر والإبداع وخصم في القيم والأخلاق و ... ولذلك تختلف آليات المواجهة من فرد لآخر ، رغم أن هناك منطق يفرضه العقل وحدود تميل إليها فطرة الإنسان في التفاعل مع الآخر .

### 1 - 1 - الانعزال والتفوق :

يطرح موضوع العزلة أو التفوق أو الانغلاق على الذات نفسه أمام تحديات العولمة وبقوة ، بيد أن النظر بعين المنطق ينبئ باستحالته في الوقت الراهن ، إذ لا مجال للانعزال إلا بالخروج من الكرة الأرضية ، لأن الانعزال يعني فصل الذات أو إبعادها بمنأى عن موقع الآخر ، ثم التفوق في مواجهة الآخر ، وهو أمر مستحيل لأنه لا يسمح بالاحتكاك الثقافي

<sup>1</sup> Alain Touraine .Sociologie de l'action . Seuil-points .Paris .1974 .p 376.

والتثاقف بشكل عام ، رغم أن العناصر الثقافية في طبيعتها ديناميية وليست ثابتة ، وهي بالانغلاق تمنع من التجدد والنماء والثراء ، إلى جانب ذلك ، لا يوجد شيء اسمه المحلية الخاصة ، أو ما يؤدي إلى هذا المعنى ، فالثقافة ليست سوى الأخذ والعطاء والمد والجزر والمبادلة ، والفكر لا يمكن توقعه وإلا اختنق ومات ، ولذلك لا يمكن الحديث عن ثقافة منعزلة نقية وصافية، تكفي بنفسها وتجدد نفسها ذاتيا دون الاحتكاك بالآخر أو الأخذ من ثقافات أخرى.

إن اختيار العزلة الثقافية كإستراتيجية للمجتمع للحفاظ على هويته أمر لا طائل من ورائه ، لأنه يبعد الثقافة عن المواجهة إلى حين ، وكثيرا ما يعترى المجتمع المنعزل مواجهات أعنف قد تأخذ شكل الحروب عندما تكون المواجهة مع الخارج ، أو شكل الثورات عندما تكون المواجهة مع الداخل .

كما أن الانغلاق على الذات كان يمكن أن يكون مقبولا في الماضي ، أما الآن فهو مستحيل حين أصبح العالم كله عبارة عن قرية الكترونية صغيرة .

وما ينطبق على الثقافة ينطبق على الهوية بالتأكيد ، حيث أن الانغلاق على الذات ليس الحل الأنسب لإشكال الهوية ، فهناك تساوي في شروط تأكيد الهوية وشروط الحدثة التي تتأسس على الحضور الدينامي والفاعل للذات ، وهذا الحضور الدينامي للذات يفسح مجالا واسعا للعقل والعقلنة ، وهو القاسم المشترك الذي لا يعترف بهوية أو بخصوصية منغلقة على ذاتها ، ومن هذا المنطلق فليس من المتصور أن يتحقق نوع من النمو الذاتي بالانغلاق على الذات وإنكار مجمل التفاعل الحضاري وبالارتكاز على القطيعة بين الثقافات عبر التاريخ .

بعبارة أخرى ، إن الانغلاق يفقر الهوية ، ويوقعها في آلية التكرار ، فالهوية ليست مرآة جامدة لنموذج معين صنعتها الأمة عن نفسها في ظروف تاريخية معينة ، وهي ليست كينونة جاهزة مكتملة ، بل صيرورة متصلة ومشروع مفتوح دائما على الجديد وعلى المستقبل ، وبناء على ذلك فالهوية ليست أفنوما مغلقا أو مشروعا مكتملا ناجزا ، بل هي كوجود حضاري مكان منفتح ، خاضع للصيرورة والتطور ، وفي هذا يؤكد ناجي علوش : "إن الهوية ليست سمة جامدة تظهر بشكل واحد في كل أطوار التاريخ ،...إنها محصلة تطور اجتماعي تاريخي "

ولا يختلف محمود أمين العالم كثيرا عما ذهب إليه علوش ، فالهوية ليست كينونة ثابتة مجردة مطلقة من وجهة نظره ، " إنها الأنا القومي الاجتماعي في صيرورتنا الاجتماعية والتاريخية...أي في صراعاتنا وتطلعاتنا... الهوية ليست قومية مغلقة جامدة نهائية... بل

مشروع مفتوح على كل إمكانيات موضوعية شتى ، مشروع متفاعل متداخل مع هويات أخرى ، مشروع متطور مع تطور الواقع والمعارف العلمية ."

ويعطي سعد الله ونوس الحديث عن الهوية بعدا آخر ، حيث يرى "إن الحديث في هذا العصر عن الاختلاف بين الشعوب وحضارته وقبول هذا الاختلاف ، ما هو في النهاية إلهة أوروبية للحفاظ على تفوقها وإبقاء الشعوب الأخرى في حالة مزرية ، إن أوروبا التي بدأت تشعر أن سيطرتها مهددة أخذت تلجأ إلى الحيل ، فهي تقول للشعوب المضطهدة : نحن نحبذ أن يكون لكل شعب وجود مستقل وهوية وحضارة مميزة ... فهل خطر ببال دعاة الخصوصية ورفض الحضارة الغربية فكرا وفلسفة وعلوما أنهم يسهلون للغرب نجاح حيله ؟<sup>1</sup> ...

إن نبذ الانغلاق تجاه الثقافات الأخرى كان ممكنا في أزمنة سابقة ، أما الآن فالأمر يختلف ، نظرا لتغير المعطيات على الساحة العالمية ، إذ قبل التفكير في الانغلاق على الذات تجاه الأمم الأخرى يجب التفكير أولا في الثروة الهائلة في مجال الاتصالات والتي جعلت من العالم قرية صغيرة ، تجوبها المعلومات شرقا وغربا في ظرف لا يتجاوز طرفة العين ، ويتشكل فيها القطيع الإلكتروني رغما عن الإغلاق المحكم .

وفي هذا المجال يطرح الجابري سؤالا : ما العمل إزاء هذه السلبيات والأخطار التي تطبع علاقة العولمة بالعرب على صعيد الهوية الثقافية؟

إن الانغلاق موقف سلبي غير فاعل ، ذلك لأن فعله "الموجه" ضد الاختراق الثقافي - أي محاربه له - لا ينال الاختراق ولا يمسه ولا يفعل فيه أي فعل ، بل فعله موجه كله إلى الذات قصد "تحصينها". والتحصين إنما يكون مفيدا عندما يكون المتحاربان على نسبة معقولة من تكافؤ القوى والقدرات، أما عندما يتعلق الأمر بظاهرة عالمية تدخل جميع البيوت وتعمل فعلها بالإغراء والعدوى والحاجة، ويفرضها أصحابها فرضا إما عن طريق الاستمالة ، أو برسم خطط على درجة عالية من الحبكة وفق تصور معين لتأمين تنفيذ إستراتيجية معينة ، فإن

<sup>1</sup> ماهر الضبع . العولمة والهوية الثقافية دراسة لموقف المثقف المصري . إشراف : شادية فناوي . أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع . جامعة عين شمس . كلية الآداب . قسم علم الاجتماع . القاهرة . مصر . 2002 . ص ص 61-63 .

الانغلاق في هذه الحالة ينقلب إلى موت بطيء ، قد تتخلله بطولات مدهشة ولكن صاحبه محكوم عليه بالإخفاق .

## 1 - 2 - آلية المواجهة بالعنف والمناهضة والصراع

بعد مرور عقد من الزمن على نشأة العولمة ظهر للبعض بأن هذا الخطاب الحافل بالوعود قاصر عن تحقيق أغراضه ، فالإحصائيات تتحدث عن تنامي الفقر والبطالة في العالم المتخلف، والعولمة إنما أفادت منها مجموعة الشركات العملاقة التي غزت الأسواق واحتكرتها، ولم يَـقو الرأسمال الضعيف على منافستها.

لقد نظر مخترعو نظام العولمة لهذا النظام بوصفه بالديمقراطي، التعددي، التنافسي، التحرري ، لكن تطبيقاته في الميدان أثبتت أنه خلاف ذلك ، إنه ليس ديمقراطيا لأنه من صنع أوليغاشية رأسمالية لم تستشر غيرها ولم يُعط لها بشأنه تفويض، وهو ليس تعدديا لأنه لا يطرح إلا خيارا أحاديا هو خيار نظام السوق والتبادل الحر وتحرك رأس المال بلا قيود، وهو ليس تحرريا ولا تنافسيا لأن الرأسمال الكبير يبسط سيادته على الرأسمال المتوسط والصغير.

وهو ما يجعل المنافسة تشبه مصارعة السمك الصغير للحيتان الكبرى في المحيط الصاخب، إذ كلما نما الرأسمال وتراكم وتجمع في أيدي المقاولات العملاقة تم احتكار السوق، وبسط الرأسمال الأقوى هيمنته على الاقتصاد العالمي وحوّل الأقلين مالا ومعهم جيوش المحرومين إلى طبقة مهمشة وفصيلة مسحوقة، بحكم سيادة طبقة كبار الأثرياء.

لقد شمل نظام العولمة جميع القطاعات والمجالات. وهو يمضي على طريقه يباشر عولمة الفكر والثقافة والإعلام، والعلم والبحث العلمي، والملكية الفكرية، والقضاء والقانون، ويراد أن تتعولم بهذا النظام الهُويات والخصوصيات ليصبح العالم بهذه الأحادية الفظيعة فاكهة فجة لا طعم ولا مذاق لها.

هذه الحصيلة العجفاء هي أقصى ما حققته العولمة لحد الآن. ولمناهضتها والتتديد بها تحركت في مواجهتها القواعد الشعبية عبر العالم وطوقت اجتماعاتها الدورية بمظاهرات صاخبة ابتدأت عند انعقاد اجتماع سياتل الدولي في شهر ديسمبر سنة 1999 ومشت فيها عشرات الآلاف الذين جاءوا من كل حذب وصوب لكشف سيئات العولمة، وأصبح معتادا أن لا ينعقد اجتماع دولي للمنظمات العالمية التي تمسك بقيادة العولمة إلا وتحج إلى مكان الاجتماع



القوات الشعبية المواطنة بمئات الآلاف لتصرخ في وجه قادة العالم، لا للعولمة، ولا...، العالم ليس سلعة، ولا لنظام يعد بالغننى ويشيع الفقر.

فحسب مناهضي العولمة "العالم ليس إلا سلعة"، والعالم غير قابل للتشبيء والتبضيع ، ولا للخضوع لإكراهات نظام السوق وتجريد الإنسان من الإنسانية ، ولقد تقدمت حركة مناهضة العولمة في السنوات الأخيرة خطوات شاسعة نحو التنظير لعولمة جديدة بديلة عن العولمة التي أخلفت وعودها، وتمارس حركة مناهضة العولمة بلورة العولمة الجديدة في مخطط علمي مضاد لمخطط العولمة المفروضة، منتقلة بذلك من مرحلة الانتقاد السلبي إلى مرحلة إبداع نظام جديد تريده أن يكون أكثر عدلا وإنصافا وإنسانية، نظام قطيعة مع العولمة الرأسمالية المتوحشة التي لا تهتم إلا بسيطرة الرأسمال الأقوى على الأسواق<sup>1</sup>.

إن حركة "مناهضة العولمة" تعرضت منذ نشوئها لعمليات تشويه مقصودة ساهم فيها الإعلام العالمي الذي باتت نظرية أنه إعلام موضوعي محايد يهيمه إيصال الحقيقة المجردة إلى المواطنين ، فهذا الإعلام العالمي تعود ملكيته، في النهاية، لشركات متعددة الجنسية ذات رأسمال ضخم قد يملك صحيفة وتلفزيوناً في بلد ما، وبئر نفط في بلد آخر، ويرشو نائباً في برلمان ما، ويدعم جمعية خيرية لتبييض صورته، ويُنظم مسابقة لأجمل فتاة ، باختصار هو إعلام يسخر إمكاناته لخدمة أشخاص معينين وهم أولئك الذين هم موضوعياً أعداء لحركات "مناهضة العولمة"<sup>2</sup>.

ولعل أبرز مظاهر تشويه صورة تلك الحركات نعتها باسم "حركات مناهضة العولمة" ذلك أن "مناهضة العولمة" تحمل في طياتها معاني كامنة مثل أن هذه الحركات هي ضد أن يكون العالم قرية كونية صغيرة وضد أن يصبح التلاقي بين مختلف الشعوب أكثر سهولة كما يُشيعُ مناصرو العولمة ، غير أن الحقيقة هي غير ذلك تماماً ، إن هذه الحركة هي في جوهرها حركة إنسانية تهدف في ما تهدف إلى عدم تهميش فئات واسعة من الناس لحساب فئات تملك كل شيء، وبالتالي فوصف تلك الحركة بأنها مناهضة للعولمة يهدف إلى دمج هذه الحركة بصفة أنها حركة سلبية، هامشية، يقوم بها فاشلون ومعقدون نفسياً أو كارهون للتقدم، ومن هنا فقد أطلق تعبير "العولمة من تحت"، على الحركة التي أظهرت نفسها في سيائل، أي عولمة عامة الناس مقابل عولمة الشركات المتعددة الجنسية، وقد حاولت وسائل الإعلام المعولمة أيضاً تشويه

<sup>1</sup> عبد الهادي بوطالب . من مناهضة العولمة إلى إيجاد مشروع بديل عنها . www.rai-akhar.com 24/12/2010

<sup>2</sup> سلمان عباس . حركات مناهضة العولمة . www.rai-akhar.com 24/12/2010

صورة هذه الحركة عبر تصوير تعبير "العولمة من تحت" بأنها جزء من حركة العولمة الحالية ولكن ببعض التعديلات البسيطة عن الحركة الأساسية التي تقودها الشركات المتعددة الجنسية، والحكومات وأصحاب النفوذ، والمؤسسات الاقتصادية الضخمة من مثل البنك الدولي وصندوق النقد العالمي، في حين أن الحقيقة أن متظاهري سيائل هم ضد كل تلك الرموز<sup>1</sup>.

### 1 - 2 - 1 - ظروف نشوء حركة مناهضة العولمة

لكن هل كان العالم بخير عندما نزل عشرات الألوف إلى شوارع مدينة سيائل في 30 تشرين الثاني 1999؟ صحيح أنه كان من المقرر أن يشهد ذلك المؤتمر اجتماعاً لمنظمة التجارة العالمية تعلن بعده أن خططها هي لخير العالم وتعلن ضمناً أن المسار الاقتصادي الذي سلكه العالم تحت راية الرأسمالية هو الذي أدى إلى الازدهار الاقتصادي الذي يعيش فيه عالمنا اليوم، لكن الحقيقة أنه وفي ذلك اليوم بالتحديد نسي أو تجاهل من عقدوا ذلك المؤتمر أن العالم ليس مزدهراً كما يدعون لأن نصف سكان الكرة الأرضية لا يعيشون عملياً إلا على أقل من دولارين في اليوم وأن هؤلاء الفقراء، يختلفون عن فقراء القرن التاسع عشر، لكونهم باتوا يعرفون أنهم فقراء بسبب ما تنقله لهم وسائل الإعلام من بذخ غيرهم من البشر، ذلك أن استهلاك أغنى 20 % من السكان في أعلى الدول دخلاً يبلغ 86 % من مجمل الاستهلاك الخاص، في حين أن أفقر 20 % من السكان لا يتجاوز استهلاكهم الـ 3.1 % (لمزيد من التفاصيل يُرجى مراجعة مجلة الرأي الآخر العدد السابق: الرابع). كما لم يع المجتمعون وهم عملياً يرمزون إلى سادة النظام العالمي الجديد، أن هناك في الدول الصناعية بالتحديد، أي من هم من أهل البيت، من لم يعد يرضى بأن يتم التغاضي عن المشاكل العالمية، كالفقر والمديونية العالمية، والمرض، والتخلف، والتدهور البيئي، واستهداف السلطات الوطنية، والبطالة، وهدر حقوق العمال، وعمالة الأطفال وغيرها من المشاكل التي يبرز تحتها عالمنا اليوم، وكل ذلك تحت يافطة العولمة. فهذه المجموعات من الناس التي نزلت إلى الشوارع في سيائل كانت تعلن أنها لم تعد تقبل باستمرار العلاجات ذاتها التي ولدت المشكلات العالمية التي تنن الإنسانية تحتها. تلك المجموعات لم تعد ترضى بوصفات البنك الدولي وصندوق النقد العالمي التي أثبتت فشلها إلا في زيادة ثروة الأغنياء على حساب الفقراء. فالوصفات الشهيرة التي تعالج بها المؤسسات المالية العالمية الضخمة كالبنك الدولي، ومنها وصفتان شهيرتان هما الخصخصة، وتشجيع الاستثمارات الخارجية وذلك بأدنى الضوابط، هذا إن وُجدت، تؤديان في المحصلة إلى عمليات دمج أو تواطؤ

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق .

بين الشركات الضخمة، مما يؤدي إلى إفقاد الآلاف فرص عملهم، و/أو إلى تركيز الثروات والموارد، التي يمكن أن تكون إستراتيجية لبلد ما، في أيدي قلة قليلة من أصحاب النفوذ والحظوة .

### 1- 2 - 2 - عولمة أسواق المال<sup>1</sup>

يكاد يكون من التبسيط الإدعاء أن مظاهرات سيائل كانت قادرة على منع العولمة، فتلك الظاهرة غير قابلة للتراجع، ولكن حركة سيائل أكدت أن العولمة بشكلها الحالي غير قابلة للديمومة، وما قد يؤكد هذا مقولة أن العالم النامي هو من سيستفيد من حركة العولمة قد تناقضها واحدة من أهم مظاهر العولمة ألا وهي عولمة أسواق المال، فمن أصل 1.5 تريليون دولار تتدفق يوميا عبر الحدود الدولية، فإن التدفقات المالية الخاصة إلى البلدان النامية وصلت إلى حدود 256 مليار دولار في العام 1997 أي أن كل ما وصل إلى بلدان العالم الثالث في عام بأكمله يقارب الـ 20 % من قيمة التحويلات اليومية، وهذا بالتأكيد رقم هزيل إذا أخذنا بالحسبان حاجات بلدان العالم الثالث إلى التنمية في عالم تزداد فيه الفروقات بين الغني والفقير باضطراد لا إنساني.

### 1 - 2 - 3 - خصائص هذه الحركة:

لهذه الحركة عدة خصائص ينبغي الوقوف عندها من أجل فهمها بطريقة أفضل، ومن تلك الخصائص ما يلي:

• إن الحركة لم تبدأ في سيائل 1999، بل في وقت سابق لذلك وكان قد مضى عدة

سنوات عليها قبل أن تعلن عن نفسها في العام 1999، حيث أن سيائل هي مجرد الإعلان الرسمي عن حركة نمت وتوسعت واختزنت غضبا كثيرا من عالم لا إنساني قبل سنوات كثيرة .

• هذه الحركة استفادت، تماما كما استفاد أولئك الذين اجتمعوا خلف الجدران المحصنة،

من ممثلي منظمة التجارة العالمية، من واحدة من مظاهر العولمة هي الإنترنت، للتواصل مع الشبكات المنتشرة في بقاع الدنيا المختلفة والتي تمثل الشرائح الهامشية في دولها، أي أن هذه الحركة تعاطت بمنطق عالمي مع مشكل عالمي .

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق .

• إن الحركة تلتزم بمناهضة العولمة كما هي عليه الآن، لكن البديل الذي تطمح إليه غير

محدد تماما بين مختلف الأطراف التي تشكل هذه الحركة ولكن هناك اتجاهات رئيسية ثلاثة تتجاذب هذه الحركة:

أ - التراجع عن هذه العولمة والعودة إلى الأنظمة الاقتصادية الوطنية السابقة لمرحلة العولمة، وربما في هذا رومانسية ما عادت قابلة للتحقق.

ب - القبول بالعولمة، ولكن مع إصلاح بعض النواحي السيئة فيها، وهذا الاتجاه يمثل اتجاها معتدلا في طرحه، وإن رأى فيه البعض أنه عمليا لا يمكن أن يؤدي إلى نتائج فعالة، وأن المنتصر في نهاية المطاف سيبقى أصحاب العولمة المتوحشة.

ج - القول بأن عالما آخر ممكن، أي أن العالم الحالي غير قابل للديمومة، بما فيه هذه العولمة، وبالتالي فهو يقول بعولمة بديلة، أي أن أصحاب هذا التوجه لا يرفضون فكرة أن يكون العالم أكثر ترابطاً، وأقل تقييداً وطنياً، ولكنهم يرفضون رفضاً قاطعاً ونهائياً أن يتم هذا الأمر على الطريقة التي يتم بها الآن أي من فوق، بل هم يدعون لعولمة تتناقض تماما مع ما يمارس الآن. وبالتالي فهم الأكثر جذرية، لأن طرح "ان عالما آخر هو ممكن"، يعني أن هذا العالم لم يعد ممكنا التعايش معه، ولا حتى الاستمرار فيه، وهم يستندون إلى وقائع حقيقية تثبت أن أي إصلاح من ضمن النظام الحالي لم يعد ممكنا.

• هذه الحركة وجهت احتجاجاتها إلى المؤسسات الرئيسية التي تقوم عليها العولمة من

فوق أو العولمة الحالية أي مؤسسات البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي، ولعل هذه أولى المرات في التاريخ التي تتوجه فيها الانتقادات وبهذه القسوة والحركية تجاه هذه المؤسسات التي تشكل أسس النظام الاقتصادي الحالي، هذه الحركة لم تقف عند حدود الدول، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك وتحدثت المؤسسات العابرة للحدود الوطنية، وسلطت الضوء على ممارسات هذه المؤسسات البالغة النفوذ، النفوذ الذي كانت تمارسه في الظلام تسهيلا لمهامها.

• ضمت الحركة في صفوفها مختلف الفئات المتضررة من العولمة الحالية، وبالتالي

فهي ضمت أطرافا واسعة الاتجاهات ومتنوعة إلى حدود التناقض أحيانا، وهي بالتالي ورثت كما ضخماً من المشاكل التي يمكن أن يحتويها تنوع حركة بمثل هذا الحجم، وبعض تلك

التناقضات لا يمكن إلا أن تكون ضخمة وجدية مثل المشاكل العرقية والدينية والسياسية .... بل إن تلك التناقضات قادرة على إنتاج مشاكلها الذاتية من ضمن أطرها الداخلية وهذه واحدة من التحديات الحقيقية التي تواجهها الحركة وهي إحدى الوسائل التي يلجأ إليها أرباب العولمة الحالية لضرب الحركة المناهضة لهم من الداخل.

● لم تكن لهذه الحركة، شأنها شأن الكثير من الحركات الاجتماعية، منهجية محددة أو

خطة واضحة المعالم تسير عليها فكثير من الأمور التي قامت بها هذه الحركة استندت إلى المنهج التجريبي في العمل والفكر، وربما كان في هذا عامل غنى للحركة، ذلك أنها أمنت لكل أعضائها وعلى مختلف المستويات الفرصة لرفد الحركة بالأفكار والممارسات التي تأتي من تنوع تجارب أعضائها، ولعل واحدة من نقاط قوة هذه الحركة أن قادتها يعتمدون على إقناع أعضاء الحركة وليس على التحكم بالموارد التي هي عادة ما تكون شحيحة.

● لا يمكن الإدعاء أن "الحركات المناهضة للعولمة" قد وصلت إلى القوة التي يمتلكها

أعداؤها من أنظمة سياسية، وشركات متعددة الجنسيات، ومؤسسات مالية ضخمة، وغيرها من الوسائل، إلا أنه لا يمكن إلا الإعجاب بقدرتها على تحقيق العديد من الانتصارات رغم عمر الحركة القصير، من مثل هزيمة الاتفاقية متعددة الاستثمار، ومنع إقرار بروتوكول العضويات المهندسة وراثيا.

إن هذه الحركة بدأت بدايات جيدة لكن هناك الكثير من العوائق التي ستؤخر نموها، ولكن علينا أن نقر بأن هذه الحركة هي الحركة العالمية الرئيسية منذ التحول الانكفائي للاقتصاد العالمي، وبالتالي فالتحديات التي تواجهها ليست سهلة على الإطلاق ولعل أهم التحديات يكمن في التحول من حركة اعتراض أو معارضة إلى حركة خيارات يقبلها الناس ويخوضون معها غمار المعارك الضخمة من مثل الحرب ضد الفقر و سيطرة الشركات المتعددة الجنسية<sup>1</sup>.

### 1 - 3 - آلية الحوار الحضاري

يعتبر موضوع حوار الحضارات من أهم الموضوعات التي أثارت جدلا واسعا بعد الحرب الباردة، إذ انقسم الباحثون والدارسون على مستوى العالم إلى فئتين، الأولى ترى أن

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق .

صراع الحضارات سيكون ميزة الحقبة التي تلت الحرب الباردة ، بينما يرى طرف آخر أن الحوار هو من سيكون ميزتها ، ولكل طرف مبرراته التي بنى عليها مواقفه وأطروحاته و شكل من خلالها نظرياته ، إذ يرى الطرف الأول أن العالم بعد انهيار الاتحاد السوفياتي أصبح يحتكم إلى قطب واحد تمثله قيم العولمة ، وأن كل الحضارات في العالم يحكمها الصدام و الصراع ، ولذلك لابد من رسم خطوط التحكم بآلياته لإعادة إنتاج الحضارات التي تقف ندا للحضارة الغربية ، إنتاجها إثنيا ولغويا و اقتصاديا و سياسيا و... وفقا لما يقتضيه نظام العولمة .

بينما يرى الفريق الآخر بأن الحضارات إنما عليها أن تتحاور في سبيل إيجاد صيغ للتعاون الاقتصادي و السياسي بمختلف طرق الحوار النزيه ، و بمختلف الوسائل المشروعة للتقريب بين مختلف الشعوب و الأمم، دونما إهمال لحقوق و هوية أي طرف من الأطراف المتحاوره .

### 1 - 3 - 1 - ماهية الحضارة :

اشتق مصطلح الحضارة من كلمة to civilize أو civis ، و يشير إلى اكتساب الطبقات الدنيا صفات الأدب الخلقي و الذوق من الطبقات العليا .  
ولو بحثنا عن تعريف الحضارة في اللغة العربية لوجدناه: الحضارة هي الإقامة في الحضر أي في المدن والقرى بخلاف البداوة وهي التنقل في البوادي. ويقول ابن منظور في لسان العرب: " الحضر خلاف البدو والحاضر خلاف البادي.. والحضارة الإقامة في الحضر ".  
وبشكل عام فكل من كتب في فلسفة الحضارة كان له منطلقٌ مغايرٌ لمنطلق غيره في تحديد وفهم الحضارة.

وللحضارة عند الكتاب المُحدثين معنيان أحدهما موضوعي مشَّخص، والأخر ذاتي مجرد.

أما المعنى الموضوعي فهو: إطلاق لفظ الحضارة على جملةٍ من مظاهر التقدم الأدبي ، والفني ، والعلمي ، والتقني ، التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة. فنقول: الحضارة الصينية ، والحضارة الإسلامية ، والحضارة الهلنستية ، والحضارة الأوروبية ، وهي بهذا المعنى متفاوتة فيما بينها ، ولكل حضارة نطاقها (Aire) وطبقاتها (Couches) ولغاتها (Languages) ، فنطاقها هو حدودها الجغرافية ، وطبقاتها هي آثارها المترامية بعضها فوق بعض في مجتمع واحد ، أو في عدة مجتمعات ولغاتها هي الأداة الصالحة للتعبير عن الأفكار السياسية والتاريخية والعلمية والفلسفية لتلك الحضارة.

وأما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرّد فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش ، أو تطلق على الصورة الغائبة التي نستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة، فإذا كان الفرد متصفاً بالأخلاق الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائبة قلنا إنه متحضر.

وكذلك الجماعات فإن تحضرها متفاوت بحسب قربها من هذه الصورة الغائبة أو بعدها عنها. ومع أن الصورة الغائبة للحضارات مختلفة باختلاف الزمان والمكان فإن اختلافها لا يمنع اشتراكها في عناصر واحدة. وتتألف هذه العناصر في زماننا من التقدم العلمي والتقدم التقني ، وانتشار أسباب الرفاه المادي ، وعقلانية التنظيم الاجتماعي ، والميل إلى القيم الروحية ، والفضائل الأخلاقية. فالكلام عن الحضارة بهذا المعنى لا يخلو من التقييم والتقدير ، أي من الحكم على الحضارات بنسبتها إلى المثل العليا وعلى اتجاهها إلى الاشتراك في عناصر متشابهة وبسرعة انتقال الأفكار والأشياء من إقليم حضاري إلى آخر<sup>1</sup>.

وقد ورد فيما كتب عبد المنعم حليلة : فالحضارة هي عبارة عن مجموع المفاهيم، والقيم، والتصورات، والعقائد، والقوانين، والمبادئ، والعادات التي تشكل سلوكاً معيناً ومحدداً عند الإنسان، وتحدد له طريقة معينة في الحكم، والعيش، والحياة، والتعامل مع الآخرين. وهي بهذا الشكل تصبح مرادفة لمجموع سلوكيات وأفعال اجتماعية كالأمانة، والوفاء بالعهد، والعدل، والشورى، والإيثار، والشكر، والجود، والشجاعة، والحياء، والأدب .. والقناعة، والتواضع، وأعمال الخير، ومفهوم الحرص على الوقت، وحسن استغلاله فيما ينفع .. والاقتصاد من غير تقتير ولا تبذير ولا إسراف .. والدقة في المواعيد .. والنظام والتنظيم .. والنظافة والحرص عليها، والرياضة الهادفة التي تُثمر جسداً سليماً وقوياً .. وحب الاطلاع والاستكشاف، والمطالعة والقراءة الراشدة الواعية، والحرص على العلم، والتعلم، والتعليم .. والعلم التجريبي التطبيقي .. وحب العمل والانتاج والاعتماد على النفس؛ فهذه كلها مفاهيم وقيم حضارية معتبرة .. تعطي وتفرز سلوكاً إيجابياً نافعاً ومتحضراً .. مؤداه إلى عمران الأرض بما ينفعها وينفع ساكنيها .. وكل مفهوم حضاري يكون ضده بالضرورة مفهوماً غير حضاري .. والعمل به مؤداه إلى سلوك سلبي مذموم غير متحضر .. ينعكس على الأرض وساكنيها بالضرر والفساد، والشر<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> www.aleppo\_culture.org 13 / 03/2008

<sup>2</sup> www.abubaseer.bizland.com/books/read/b22 . 14/03/2008

والحضارة بمعنى ما مرادفة للثقافة\*، إلا أن هذين اللفظين - الحضارة والثقافة - لا يدلان عند العلماء على معنى واحد، فبعضهم يُطلق لفظ الثقافة على تنمية العقل والذوق ،

وبعضهم يطلقه على نتيجة هذه التنمية، أي على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات. وكذلك لفظ الحضارة، فإن بعضهم يطلقها على اكتساب الأخلاق الحميدة، وبعضهم يطلقها على نتيجة هذا الاكتساب، أي على حالة من الرقي والتقدم في حياة المجتمع بكامله. وإذا كان بعض العلماء يطلق لفظ الثقافة على المظاهر المادية، ولفظ الحضارة على المظاهر العقلية والأدبية ، فإن بعضهم الآخر يذهب إلى عكس ذلك ، مع أن لفظ الثقافة يدل عند علماء الأنثروبولوجيا على مظاهر الحياة في كل مجتمع، متقدماً كان أو متخلفاً ، على حين أن لفظ الحضارة عندهم يدل على مظاهر هذه الحياة في المجتمعات المتقدمة وحدها. وخير وسيلة لتحديد معنى كل من هذين اللفظين ، هي إطلاق لفظ الثقافة على مظاهر التقدم العقلي وحده، وهي ذات طابع فردي ، وإطلاق لفظ الحضارة على مظاهر التقدم العقلي والمادي معاً ، وهي ذات طابع اجتماعي.

وفي رأي المؤرخ توينبي ، فإن العامل الذي تقوم عليه الحضارة قائم في التحدي، والإجابة على التحدي. ولربما قال توينبي ذلك لاعتبار أن الحضارة قد خلدت أكثر ما يكون في آثار الخلافات والصراعات وعمليات التغلب عليها وتجاوزها من قبل الإنسان. فرغم كل النزاعات توصلت الإنسانية إلى تحقيق توازن تجلت من خلاله أهم إنجازاتها الحضارية. و بإمكاننا القول أيضاً بأن الحضارة هي التقدم المادي والروحي للأفراد والجمهير على حد سواء.

وهناك من يقول بأن الحضارة مزدوجة الطبيعة فهي تحقق نفسها في سيادة العقل أولاً على قوى الطبيعة وثانياً على نوازع الإنسان<sup>1</sup>.

أما مالك بن نبي -الذي ارتبط اسمه بالحضارة - ، فله حديث عن الحضارة كونها الحاضنة للتقدم، والمحيط المناسب لإشاعة ثقافة العلم، حين تعطي الفكرة المبررات الدافعة للبد والعقل للاستفادة من الوقت.

\* الحضارة تعلم أما الثقافة فتتور ، تحتاج الأولى إلى تعلم ، أما الثانية فتحتاج إلى تأمل...التأمل جهد جواني للتعرف على الذات وعلى مكان الإنسان في العالم ، هو نشاط جد مختلف عن التعلم والتعليم وجمع المعلومات عن الحقائق وعلاقتها مع بعضها البعض ، يؤدي التأمل إلى الحكمة والكياسة والطمأنينة ، إلى نوع من التطهير الجواني ، إنه تكريس النفس للأسرار والاستغراق في الذات للوصول إلى الحقائق الدينية والأخلاقية والفنية ،... أما التعلم فيواجه الطبيعة لمعرفةا وتغيير ظروف الوجود ، يطبق العلم الملاحظة والتحليل والتقسيم والتجريب والاختبار ، بينما يعني التأمل بالفهم الخالص .انظر : علي عزت بيجوفيتش . الإسلام بين الشرق والغرب . ترجمة : محمد يوسف عدس . مؤسسة العلم الحديث . بيروت لبنان . 1994. ص ص 98- 99 .

<sup>1</sup> www. aleppo \_ culture .org 13 / 03/2008



وقد صاغ العوامل التي تشكل الحضارة بالمعادلة التالية:

**نتائج حضاري = إنسان + تراب + وقت**، ولكن هذه المعادلة لا تعطي ثمارها إلا بمفاعل أو مركب يدمج هذه العناصر ويعطيها غاية، وهذا المفاعل هو الدين أو ما أسماه الفكرة الدينية أو العنصر الأخلاقي، وسواء كان هذا الدين سماوياً حقاً كالإسلام أو عقيدة ومبدأ يبلغ عند أصحابه مبلغ الدين.

### 1 - 3 - 2 - مستويات التحليل الحضاري

حسب الموسوعة الحرة ويكيبيديا فإن البعض يذهب إلى اعتبار الحضارة أسلوباً معيشياً يعتاد عليه الفرد من تفاصيل صغيرة إلى تفاصيل أكبر يعيشها في مجتمعه ولا يقصد من هذا استخدامه أحدث وسائل المعيشة بل تعامله هو كإنسان مع الأشياء المادية والمعنوية التي تدور حوله وشعوره الإنساني تجاهها، ومن الممكن تعريف الحضارة على أنها الفنون و التقاليد و الميراث الثقافي و التاريخي و مقدار التقدم العلمي و التقني الذي تمتع به شعب معين في حقبة من التاريخ. إن الحضارة بمفهوم شامل تعني كل ما يميز أمة عن أمة من حيث العادات و التقاليد و أسلوب المعيشة و الملابس و التمسك بالقيم الدينية والأخلاقية و مقدرة الإنسان في كل حضارة على الإبداع في الفنون و الآداب و العلوم، وللتعرف على حضارات الشعوب تُدرس العناصر التالية:

- طرق العيش والظروف الطبيعية.
- الوضع الاقتصادي.
- العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع.
- أنظمة الحكم السائدة.
- الانجازات العلمية والثقافية والعمرانية.

ويتشابه مفهوم الحضارة مع عدد من المفاهيم الاجتماعية مثل الثقافة والمدنية والمجتمع والسلوك الإنساني والفعل الاجتماعي، إلا أن تلك المعطيات تتمايز على المستوى التحليلي، وبالرغم من أن الواقع الاجتماعي والحضاري يشكل وحدة متكاملة، إلا أن البحث النظري في تكوين ذلك الواقع أمر على غاية كبيرة من الأهمية، كما أن التفاعل دائم بين ما هو نظري تحليلي و بين ما هو عملي تطبيقي، وهذا التفاعل هو الذي يطور النظرية الاجتماعية من جهة،

ويعمق فهمنا للواقع الاجتماعي من جهة أخرى استنادا إلى منهجية توضح طبيعة العلاقة الجدلية بين الرموز الحضارية والواقع المادي ، وبين أسس الانتشار الحضاري ومساراته المختلفة<sup>1</sup>.

#### أ - مستوى المجتمعات الإنسانية :

ينتظم كل الناس عادة في جماعات ، وتشكل الجماعة البنية الأساسية للسكان الذين ينشطون عبر أدوار مختلفة لتحقيق الأهداف الأساسية للأفراد . ويختص كل بناء اجتماعي داخل الجماعة بوظيفة أو أكثر لتحقيق ما هو مناط بذلك البناء . وتتداخل تلك الوظائف مع وظائف أخرى لبنى اجتماعية مناسبة ، فتتكامل تلك الوظائف بشكل عام لتحقيق هدفين أساسيين على الأقل :

- الهدف الأول هو الانتماء وتشكيل الهوية الاجتماعية التي تميز أعضاء الجماعة عن غيرهم من أفراد جماعات أخرى .
- الهدف الثاني هو تحديد أنماط العلاقات الاجتماعية وتراتبية التمايز بين الوظائف المختلفة ضمن الجماعة الواحدة .

ويضبط الفعل الاجتماعي ، الذي يتحدد بشكل أساسي بالوظائف الاجتماعية ، نظام معياري يتمثل بالأعراف والتقاليد والقواعد الأخلاقية وجملة المسائل المتعلقة بسلم القيم الاجتماعية . ويتحقق التوازن ضمن الجماعات عندما يتسق التكامل بين النظام المعياري والبناء الاجتماعي ، وما يتصل به من وظائف ونشاطات مختلفة .

وهكذا تتحدد أسس تشكيل الجماعات الإنسانية ببناء داخلي منظم ، ويتفرع عنه بنى فرعية تحقق وظائف مختلفة ، وينشط عبرها الناس في أدوار مختلفة ومتباينة ، ويضبط الأفراد في أفعالهم الاجتماعية نظام معياري يحدد أنماط السلوك السوية أو المنحرفة ، ويوجه الأفعال نحو النشاطات الهامة والأساسية في حياة الجماعة. ويكتسب النظام المعياري أهميته العملية عندما يتم استخدامه بشكل يحافظ على مصلحة المنظومة المتمثلة بالبناء الداخلي الأساسي الأول.

#### ب - مستوى المجتمع البشري :

يتشكل المجتمع من جماعات معقدة ، تكاملت وظائفها وتطورت بشكل يسمح بتكوين بناء اجتماعي متماسك في نطاق منظومة اجتماعية تتحدد فيها أشكال ثابتة للأدوار الاجتماعية ونشاطات اقتصادية وحيوية استنادا إلى معايير تقسيم العمل ، واستقرار في أنماط العلاقات

<sup>1</sup> محمد صفوح الأخرس . الانثروبولوجيا و تنمية المجتمعات المحلية . منشورات وزارة الثقافة . دمشق سوريا . 2001 . ص 80 .

الاجتماعية ، ونظم معيارية تنقل الولاء الاجتماعي من مستوى الجماعات إلى مستوى المنظومة الأوسع بما يحقق الاتصال بين الجماعات أولاً وبين العالم الخارجي لمجتمعات أخرى ثانياً . ويتألف المجتمع البشري من مجموعة العناصر والمكونات والوحدات البنوية المحددة المعالم ، والمترابطة فيما بينها ترابطاً داخلياً بحيث تعتمد على بعضها بصورة داخلية ، أي أن هذا الاعتماد القائم بين هذه الوحدات إنما هو رباط داخلي وليس مجرد رباط خارجي ، وتؤدي تلك الوحدات وظائف هامة في حياة الجماعة ، وبذلك يكون العنصر الأول في المنظومة المجتمعية هو الحدود البنوية الواضحة ، فطالما هناك مجتمع بشري إذن علينا أن نعلم أين تبدأ وأين تنتهي حدود المحيط الاجتماعي ، والمحيط هنا يعني ما هو خارج عن إطار المنظومة

الاجتماعية . والعنصر الثاني والهام هو الترابط الداخلي ، بحيث أن أي تغير يطرأ على أي عنصر من عناصر المجموعة سيؤدي في النهاية ، ومهما كان التأثير ضئيلاً إلى حدوث تأثير في عمل المنظومة كلها .

وفي دراسة المجتمعات البشرية نجد أن المجتمع الواحد هو أيضاً منظومة ، وفي مستوى تحليلي آخر يمكن عدّه منظومة فرعية تابعة لمنظومة أعلى في التعقيد . كما يمكن عدّ الفرد منظومة متكاملة ، وبالنظر لما فوقه يمكن أن يعد منظومة فرعية تتبع الجماعة ، والجماعة أيضاً يمكن عدّها منظومة عامة أو منظومة فرعية بالنظر إما لما فوقها وإما لما دونها وضمن منظار تراتبية المستويات . إذ أن كل منظومة يمكن أن ينظر إليها في نطاق معين على أنها منظومة عامة بالنظر لما تحتها ، ويمكن أن ننظر إليها على أنها منظومة فرعية بالنظر لما فوقها .

والمجتمع من هذا المنظور مجموعة من البنى والعمليات أو الفعاليات ، فالبناء من حيث هو بناء يسمى ببناء أو بنية ، ومن حيث هو حركة ونشاط أو أنشطة معينة تمارس ضمن هذا البناء فهو عمليات ، وكلاهما معاً يشكلان وحدة متكاملة تضم ، إضافة إلى العناصر البنوية الأساسية ، مجموعة من الفعاليات والأنشطة التي تتم في داخلها .

## ج - مستوى الرموز الحضارية وجدلية العلاقة بين الواقع المادي والتراث الفكري :

يشكل الإنسان في تفاعله مع البيئة تراثا حضاريا يتكون من مجموعة من القيم والنظم المعيارية يعبر عنها بشكل رموز لها دلالات ومعان على << مستوى الأفراد والجماعات >> ، وعلى هذا فالتراث الحضاري يأتي نتيجة لتراكمات طويلة تعاقبت عبر التاريخ ، وتتكون الحضارة عبر علاقة جدلية بين مجموعة من الرموز المرتبطة بالواقع وبين التراث الفكري . وقد تبلورت الرموز بشكل ثابت مع مرحلة متقدمة من مراحل تطور الإنسان بيولوجيا واجتماعيا ، لأن هذه المرحلة تتطلب تجريدا فكريا لجملة الإفرازات البيئية المادية والاجتماعية ، وتعتبر تلك المرحلة معظم المجتمعات البشرية، وتشكل رموزا تتعدى أبعاد الزمان والمكان لتدخل في نطاق البناء الاجتماعي ، وحضورا في النشاطات الأساسية في حياة الجماعة ، وانطلاقا من ذلك ليست هناك حضارة عليا وحضارة دنيا ، وإنما هناك حضارات تنبثق من المجتمعات ونظم معيارية تتفق ومراحل التطور الاجتماعي .

ولا تدخل كل النظم المعيارية في نطاق المنظومة الحضارية فمكانة المرأة في المجتمع مثلا ، مسألة مجتمعية وليست حضارية ، فطبيعة النظام الاقتصادي والاجتماعي هي التي تحدد الإطار الذي وضعت فيه المرأة .

وهناك رموز ودلالات في المجتمعات البدوية إذا ما فهمت الفهم الصحيح تعطي فهما أوسع للنظم المعيارية في تلك المجتمعات ، وبخاصة تلك المسائل المرتبطة بالحسب والنسب ومعايير الشرف والكرامة ، فالبدوي بالتعريف دائم الترحال والتنقل ، والمعايير المرتبطة بالاستقرار والأرض لا تقع في سلم الأولوية ، << فالعرض قبل الأرض >> ، إلا أنه في مرحلة تالية عندما تصبح حياة الاستقرار هي السائدة تصبح الأرض ملازمة للشرف والكرامة مثلها مثل العرض ..

ويكتسب الإنسان قدراته العقلية عن طريق التعلم والتدريب ، وما يخترنه من تراث ينتقل عبر الأجيال ، فتنولد معارف عامة يستخدمها في علاقاته مع البيئة المادية ومع أخيه الإنسان ، والحضارة الإنسانية تتمايز من مجتمع إلى آخر، كما أنها تتجدد بتجدد العلاقات الاجتماعية ، وتبدل الظروف الاقتصادية والاجتماعية. وقد أعطى ذلك التنوع مادة لعلماء الأنثروبولوجيا الحضارية ليجتثوا في أسس تكوين الحضارات ، وأنماط توزيعها ، وأسلوب انتشارها ،

والعوامل التي تؤدي إلى انتقالها من جيل إلى آخر ، والعناصر العامة التي تشكل مضمون الحضارة ، والرموز التي يستخدمها الإنسان في التعبير عنها .

وقد فصل العلماء في أهمية ذلك التمييز وأثره على سلوك الإنسان ، فالحضارة تضغط في اتجاه التمايز بين المجتمعات من جهة والتصاق سلوك الأفراد برموز الحضارة ومعانيها من جهة أخرى . فعادات الطعام والشراب ، مثلا ، متباينة من مجتمع إلى آخر ، وفي المجتمع الواحد عبر تطوره التاريخي مع أنها في الأصل ظاهرة بيولوجية واحدة .

وتنتشر في كل المجتمعات الإنسانية نظم معيارية تتمثل في مجموعة القيم والعادات والتقاليد إلا أن بعض المجتمعات تفرز نشاطات ترقى إلى مستوى الرموز التي لها معنى اجتماعي وإنساني واسع . وكما أن لكل المجتمعات الإنسانية ثقافة مكتوبة أو شفهية تتمثل في القصائد والأقاويل الشائعة ، إلا أن بعض تلك المجتمعات لها حضارات تستوعب الثقافات السابقة ، وتضيف إليها أبعادا في الجوانب الروحية والأخلاقية والمادية تتعدى نطاق المجتمع المحلي ، وهكذا ، فهناك ثقافات مختلفة ، وحضارات بعدد المجتمعات ، وهناك مدنية إنسانية تتسم بها المراحل الاجتماعية الكبرى .

والحضارات عادة لا تطبق قسرا على جميع الأفراد ، فالإنسان يكتسب ثقافته عبر سلسلة طويلة من عمليات التطبع والتنشئة ، فينتقي منها ما يتناسب وقدراته ، ويختار ما هو ملائم لحاجاته ، فمع أن القسر في التطبع الاجتماعي نلحظه عن طريق التنشئة ، إلا أن عنصر الانتقاء هو الذي نشاهده عبر اكتساب الخبرات وتطور المهارات<sup>1</sup> .

ومن خلال ما سبق نلاحظ تمايز الأمم في طرائق المعيشة وأشكال التراكم في مستوى طبقات الحضارة الإنسانية لكل أمة ، كما يختلف الوضع الاقتصادي من مجتمع لآخر ابتداء من تأثير البيئة وكيفية تنوع الموارد الأولية وانتهاء بالنظام الاقتصادي الذي حتى وإن اشتركت أمم في تطبيق نفس النظام فإن إسقاطه على واقع المجتمعات يختلف من مجتمع لآخر ، لاعتبارات متعددة منها نمط العلاقات الاجتماعية في المجتمع وكذا نظام الحكم السائد ، وبناء على هذا كله تبرز الانجازات العلمية والثقافية الهادفة إلى التعمير و صنع حضارة متميزة عن غيرها في

<sup>1</sup> محمد صفوح الأخرس . نفس المرجع السابق . ص ص 80 . 84 .

الشكل والمركبات وسعة الانتشار و السمات البارزة ، والرموز الحضارية التي تترجم واقع ذلك المجتمع .

### 1 - 3 - 3 - حوار الحضارات

الحوار هو علاقة مباشرة بين طرفين أو أكثر تقوم على التعبير والتحليل وتبادل الأفكار والمعلومات والحجج والبراهين بغاية الإعلام والتعارف والإقناع أو التأثير . ويمكن إيجاد رابط بين كل التعريفات اللغوية لكلمة حوار من خلال تواتر تعابير " تبادل الأفكار" و"تبادل الآراء" و " الاتفاق و الاختلاف" و " النقد و التعبير" إلى غيرها من التعابير التي تصب كلها في مجال أشكال الاتصال بالآخر.

و من أبرز شروط الحوار هو الاختلاف ، لأنه إن لم يكن هناك اختلاف جزئي أو كلي حول موضوع أو فكرة داخل الحوار لا يكون هناك حوار و إنما خطاب أو حديث عادي، و من نفس منطلق تعدد الأطراف يقدم التواصل أو الاتصال باعتباره علاقة بين طرفين أو أكثر عبر قناة أو وسيلة اتصال بغاية الإعلام أو التعارف أو الإقناع أو المصلحة. و يتميز الاتصال أنه يجمع كل معاني الاجتماع بالآخر، فالإتصال يمكن أن يطلق على وسيلة الاتصال أو على مضمونه أو على شكله وهو يعتمد المنطوق و المكتوب و الصورة والإشارة والابتسامة، كما يمكن أن يتجسم في الوسائل التكنولوجية كالتلفزيون أو الهاتف أو الحاسوب....وبمعناه الواسع: هو كل "عملية إرسال أو تبادل معلومات بين مرسل ومنتقي"

بقي أن نفهم هل أن التواصل مع الآخر يؤدي دائما إلى نتائج ايجابية و بالتالي هل يمكن أن نتحكم في مسار هذا الاتصال لنضمن نتائج ايجابية تحكم الفرد و المجتمع و البشرية جمعاء؟ إن هذه الأسئلة و التساؤلات تفرضها النظرة إلى الحالة الإنسانية اليوم فهذا التفاهم لمشاكل الصراع و التآزم في العلاقات الدولية إلى جانب اتساع الهوة بين الدول المتقدمة المصنعة و الدول النامية في كل المبادلات بدءا من الاقتصاد وصولا إلى وسائل الاتصال والإعلام، وهذه الأوضاع التي يغلب عليها التآزم و الصراع أفرزت محاولات لتتظير العلاقات الدولية وقد برزت نظريتان أساسيتان:

#### أ - النظرية الأولى (نظرية صراع الحضارات) :

وتؤكد هذه النظرية على حتمية الصراع و الصدام بين الحضارات على خلفية أن الإحساس بوجود عدو مشترك بين مجموعة معينة من المجتمعات البشرية التي لها خصائص و أوضاع اقتصادية و حضارية مشتركة يجعلها تعمل على الحفاظ على تماسكها وتحالفها

السياسي و الثقافي لتجنب المنافسات الاقتصادية من خارج هذه المجموعة ، حيث إثر انهيار المعسكر الاشتراكي وحل حلف وارسو وزوال ما كان يوصف بـ "الخطر" الشيوعي، التفت المنظرون الغربيون، المؤثرون في سياسة بلدانهم، إلى الإسلام ليصروه بديلا لا يقل تأثيرا وخطورة من الشيوعية على الغرب. وبهذا الاستنتاج خرج الأكاديمي الأمريكي صاموئيل هنتنغتون بنظريته حول صراع الحضارات التي يخيل له من خلالها أن ثمة حربا تستعر ويشمل مداها مستويين: الأول كوني عام، تتصارع فيه الحضارات على خلفية دينية بهدف الهيمنة العسكرية والسياسية، والآخر إقليمي، مناطقي، بل وحتى وطني، أي داخل نطاق البلد الواحد. وتتصارع في هذا الإطار ثقافات وخلفيات اثنية ودينية مختلفة، وستشهد هذه الثقافات والأديان تصدعا في بنيتها الداخلية، ليعاد صياغتها وفق مفهوم جديد. هذا باختصار جوهر مفهوم الصراع الكوني الجديد، الذي اجتهد في إبرازه الفكر الغربي الحديث<sup>1</sup> على يد صاموئيل هنتنغتون .

وقد ضمن كتابه " صراع الحضارات (The Clash of Civilisation) " أفكاره التي طورها إلى فرضيات تتعدى صراع الحضارات إلى إعادة صياغة أنظمة العالم ، ومن هذا العنوان يجد القارئ أن صاحبه ليس فقط يطرح فرضياته حول واقع العلاقات بين المجتمعات والدول ومستواها، و التسليم بأن الصراعات والنزاعات تجري على أساس خلفيات ثقافية ودينية، بل يتعدى ذلك إلى وضع تصورات حول إعادة تغيير أنظمة العالم وفق مقاييس غربية، وهي الفكرة التي وجدت صداها لاحقا، وبشكل مكثف، في السياسة التي تبنتها إدارة الرئيس الاميريكي جورج دبليو بوش. ومنذ الإعلان عن نظرية صراع الحضارات ومازال عدد من الباحثين، في الغرب والشرق، ومن تيارات ومدارس مختلفة يتناولونها بالدراسة والتحليل، حيث تتقاطع وتلتقي وتفترق الآراء حول ما يطرحه فيها. ثم اخذ الجدل حول هذه الفرضيات بعداً أوسع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 ، التي أصابت الولايات المتحدة في العمق، ما جعل بعض الباحثين الغربيين ينظر بمصادقية إلى ما طرحه هنتنغتون. لكن هناك من الباحثين الذين تصدوا إلى نظرية صاموئيل هنتنغتون<sup>2</sup> و نادوا بأن سنن الله في الكون تقتضي حوارا للحضارات بدل الصراع ، ذلك لأن الأصل في العلاقة بين البشر هي الحوار والعدل والإحسان ، وما الصراع إلا أمرا عرضيا ..

<sup>1</sup> <http://www.annoormagazine.com> 04/03 / 2008

<sup>2</sup> <http://www.annoormagazine.com> 23/02/ 2008

## ب - النظرية الثانية (نظرية حوار الحضارات):

تعتبر رد فعل متوازن وعاقل على الطرح الأول. و تعكس نظرية حوار الحضارات رغبة متبادلة في التعايش والتعاون والتفاهم بين مختلف الشعوب والثقافات لإيجاد بيئة دولية سليمة وفضاء مستقر يقوم على ضرورة الاتفاق على الحد الأدنى المشترك من القيم الإنسانية الكونية والسلوكيات الأساسية التي تشترك فيها مختلف الحضارات والثقافات والكفيلة بتحقيق قيم العدل والحرية والمساواة دون إلغاء مبادئ الاختلاف و التعدد الحضاريين<sup>1</sup>.

إن مبادئ حقوق الإنسان و القانون الدولي هي أساس بناء العلاقات الدولية و جوهر عمل كل المنظمات الدولية و أهمها على الإطلاق منظمة الأمم المتحدة و مختلف وكالاتها و أجهزتها. ويمكن القول ببساطة انه لولا الإيمان بضرورة الحوار بين الدول و الشعوب و الحضارات و حتمية التواصل و التعايش بين مكونات المجتمع الدولي لانفتحت الحاجة إلى وجود الأمم المتحدة و غيرها من المنظمات التي تنظم العلاقات الدولية و الإقليمية.ومن هذا المنطلق تبرز الحاجة إلى بلورة هذا الارتباط الوثيق بين مبادئ الحوار و التواصل و بين مختلف أنشطة كل أجهزة الأمم المتحدة ووكالاتها.

و يشمل موضوع الحوار و التواصل كل ما يتعلق بحوار الحضارات و التنوع الثقافي و اللغوي و قيم التسامح و قبول الآخر و حق الاختلاف و عدم الإقصاء و مبادئ التضامن الدولي و الحريات الأساسية و مختلف حقوق الإنسان بكل تفرعاتها. كما يسمى موضوع المقدر على الحوار و التواصل كل إفرازات التقدم على مستوى تكنولوجيات الاتصال و بروز مفهومي مجتمع المعلومات و العولمة إلى جانب انعكاسات هذا التقدم و أهمها تحليل مفهوم الهوية أو الفجوة الرقمية و البحث عن السبل الكفيلة بالحد منها لخلق مجتمع كوني يقترب أكثر ما يكون من التكافؤ و التجانس.

إن الحوار يقوم على المساواة و إيمان أطراف الحوار بهذه المساواة و يقتضي قبول الاختلاف و إيلاء أهمية للآخر و اقتسام المعرفة بوصفها رابطا جماعيا و أداة تعارف و تقارب و تضامن و يوفر التقدم التقني على مستوى تطور تكنولوجيات الاتصال و الإعلام ، من خلال منتديات الحوار و هي فضاءات على الانترنت تفتحها أطراف عديدة أغلبها مؤسسات إعلامية و ثقافية لحساب تواتر وجهات نظر الأفراد حول مواضيع و قضايا مختلفة. و تساعد هذه المنتديات

<sup>1</sup> [http://Jeunesearabe\\_info.htm2008/03/07](http://Jeunesearabe_info.htm2008/03/07)



على معرفة تطلعات الأفراد وقياس أهمية العديد من المواضيع والأفكار بالنسبة للأفراد والجماعات<sup>1</sup>.

### 1 - 3 - 4 - شروط فعالية حوار الحضارات<sup>2</sup> :

لكي يتم الحوار الحضاري بنجاح ينبغي الاتفاق على بعض النقاط التي تبدو أساسية وذات أهمية أكثر من الاتفاق حول مضمون الحوار في حد ذاته - على الأقل في الوقت الراهن - و من هذه الشروط مايلي :

#### أ- الحوار بين وحدات متماثلة

يقصد بذلك أنه إذا كان الحوار بين حضارات ، فإنه ينبغي أن يكون على مائدة الحوار أطراف يمثلون حضارات ، فالملاحظ أنه يشار في بعض الحالات إلى الحوار بين الإسلام والغرب ، أو بين الإسلام واليابان ، الإسلام هو تعبير عن الحضارة ، فبينما مصطلحا الغرب أو اليابان يشيران إلى دول ، لذلك فالحوار لا يمكن أن يتم بين حضارة ودولة ، ولكن بين حضارة وأخرى أو بين دولة وأخرى . ولذلك ، فمن الأوفق أن نتحدث عن الحوار بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، أو بين الحضارة الإسلامية والحضارة اليابانية . ذلك أن عدم التماثل بين وحدات الحضارات يؤدي إلى تحول الحوار إلى محاكمة القيم المنسوبة إلى دين معين حيث أن قيمه تصير هي المطروحة في الحوار ، بينما القيم المنسوبة إلى الدول الأخرى لا تكون محلاً للنقاش .

#### ب - تحديد منهجية حوار الحضارات

يقصد بمنهجية حوار الحضارات الأساليب ، ونوع العلاقات التي تنشأ بين المتحاورين في إطار عملية إدارة الحوار ، ويعتمد نجاح حوار الحضارات على الإعداد المنهجي الدقيق لهذا الحوار ، بمعنى تحديد أطر إدارة الحوار والاتفاق على تلك الأطر قبل الدخول في مضمون الحوار ، ولعل أهم القضايا المنهجية في هذا الشأن :

- النظر إلى الحوار باعتباره عملية تقوم على الاقتناع بإمكانية التوصل إلى حلول وسط حول القضايا الخلافية . فالحوار هو مباراة لا صفرية تتفق الأطراف مقدماً على أنها تسعى أن تحقق من الدخول فيها مكاسب مشتركة .

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق .

<sup>2</sup> [www.eg.emb-japan.go.jp/e/bilateral/japan\\_egypt/seminar/peace\\_and\\_human\\_development/mohammed\\_selim/mohammed\\_2008\\_03\\_07selim\\_15.htm](http://www.eg.emb-japan.go.jp/e/bilateral/japan_egypt/seminar/peace_and_human_development/mohammed_selim/mohammed_2008_03_07selim_15.htm)

- اتفاق الأطراف المتحاورّة على أنّها تتحاور ليس لإقناع بعضها البعض بوجهة نظرها ولكن للتوصل إلى نقطة مشتركة .
- التركيز على مضمون الخطاب محل النقاش في الحوار أكثر منه على تصنيف الطرف الآخر وتأطيره في قوالب فكرية .
- التركيز على وضوح المقولات الفكرية المطروحة في الحوار بحيث لا تختلط المعاني والدلالات لدى الطرف الآخر .
- الابتعاد عن الجوانب المثالية التي ربما لا يمكن تحقيقها من خلال الحوار .
- تحديد الهدف من الحوار أي الناتج النهائي الذي يسعى المتحاورون إلى تحقيقه. ذلك أن البدء في الحوار دون معرفة الغاية النهائية منه قد يؤدي إلى إحباط المتحاورين والتخلص سريعاً من عملية الحوار ذاتها .

### ج - التزامن بين حوار الحضارات والتعاون الاقتصادي والسياسي

الحوار بين الحضارات هو جزء من علاقات دولية أشمل تضم أيضاً الجوانب السياسية والاقتصادية، وفي هذا الصدد توجد رؤيتان للعلاقة بين حوار الحضارات والعلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول الممثلة للحضارات المتحاورّة ، تؤكد وجهة النظر الأولى أنه ينبغي "عدم تسييس" حوار الحضارات ، ويقصد بذلك ألا يتطرق الحوار إلى القضايا السياسية، وألا يرتبط تقدم حوار الحضارات بالتقدم في التعاون السياسي والاقتصادي بين الدول الممثلة للحضارات محل الحوار ، وتسود وجهة النظر تلك بصفة عامة لدى ممثلي الحضارة الغربية. أما وجهة النظر الثانية ، فهي تؤكد أن التفاعلات الإنسانية في حد ذاتها لا تنتج بالضرورة أشكالاً للتعاون . بل أنّها ربما أدت إلى زيادة الصراعات بين البشر ، وذلك حينما تتم تلك التفاعلات في ظروف تتسم بحصول الأطراف على مزايا غير متكافئة من تلك التفاعلات . ومن ثم ، فإنه لا يكفي الدخول في تفاعلات بين الحضارات ، ولكن من المهم أيضاً أن يتوفر الإطار السياسي والاقتصادي اللازم لدفع المتحاورين إلى تبني منظور إيجابي للحوار . وبالتالي فإن حوار الحضارات لن يكتسب قوة دفع إلا إذا حصلت الأطراف المشاركة على مزايا متساوية نسبياً في هذا الحوار ، ويتم ذلك بأن يتزامن حوار الحضارات ، مع تقدم أشكال التعاون السياسي والاقتصادي بين الدول الممثلة للحضارات المتحاورّة . فلا يمكن تصور وجود حوار حضارات فعال في وقت تدخل فيه تلك الحضارات في علاقات اقتصادية غير متكافئة ، أو توجد فيه

صراعات سياسية أساسية بينها . ومن ثم ، فإن الترابط بين حوار الحضارات والأبعاد الأخرى للعلاقات ضروري لنجاح الحوار ذاته .

#### د - الالتزام بمفهوم "التعددية الثقافية" في حوار الحضارات:

يرى بعض الدارسين أن القرن الحادي والعشرين يتسم بانتصار الثقافة الغربية (الأوروبية الأطلنطية) ، وأن باقي الثقافات ينبغي أن تعترف بهذا الانتصار ، وأن تسعى إلى التكيف مع تلك الثقافة ، وأن أي محاولة للتملص من هذا التكيف إنما يعد ستاراً لتكريس قيم التخلف . ومن ثم ، فإن هؤلاء الدارسين يرفضون مفهوم حوار الحضارات لأنه لا يوجد إلا حضارة عالمية واحدة غربية الطابع. كذلك يشير بعض الدارسين لحوار الحضارات إلى مخاوف من أنه قد يكون واجهة لسيطرة قيم حضارة معينة . بل يذهب إلى أن حوار الحضارات هو ستار لإخفاء الصراع الحقيقي ، "يعرف الغرب أننا ما زلنا مرتبطين بثقافتنا ، فيدعو إلى حوار الحضارات كأداة لكي يتقربوا منا ونتقرب منهم لإخفاء الجانب العدواني .... حوار الأديان وحوار الثقافات ، وحوار الشمال والجنوب كل ذلك لإخفاء صراع المصالح والرغبة في الهيمنة" . ولهذا فقد تعطل حوار الأديان الذي دار بين الأزهر والفاتيكان نتيجة وجود تصور لدى قيادات الأزهر أن الفاتيكان يحاول توظيف الحوار لتسهيل عملية التبشير المسيحية ، وذلك من خلال إظهار وجود تقارب أزهرى - فاتيكاني أمام الشعوب التي يسعى الفاتيكان إلى نشر المسيحية بينها ، وتقديم الفاتيكان تصورات تعكس الشعور بتفوق القيم المسيحية ، كالقول إن الحوار يدور بين المسيحية والديانات غير المسيحية عموماً ، بما يعني وضع المسيحية في جانب والديانات الأخرى ، بما فيها الإسلام ، في جانب آخر . كذلك فقد تعطل البعد الثقافي - الحضاري للمشاركة الأوروبية المتوسطية بسبب إصرار الاتحاد الأوروبي على اعتماد قيمه كأساس لتلك المشاركة كما جاء في الوثيقة التي أصدرها الاتحاد بعنوان الإستراتيجية المشتركة تجاه الإقليم المتوسطي التي أصدرتها قمة الاتحاد الأوروبي في 16 جوان سنة 2000 ، وقد تحدثت الوثيقة عن سعي الاتحاد الأوروبي إلى دفع شركائه في البحر المتوسط إلى تغيير القيم المتعلقة بعقوبة الإعدام ، والمواريث ، والأحوال الشخصية وهي كلها قيم كامنة في جوهر الشريعة الإسلامية ، مما يعني أن السعي إلى تعديلها يعني السعي إلى تغيير الشريعة . ولهذا ، فإن نجاح حوار الحضارات يرتبط إلى حد كبير بتبني منظور "التعددية الثقافية" ، أي الاعتراف باختلافات الثقافات والحضارات وتكافؤها ، أي الاعتراف بعدم سمو ثقافة على أخرى بالضرورة .

**هـ - حوار حضارات "منتج لمعرفة جديدة"**

يعتمد نجاح حوار الحضارات على مدى تعامله مع القضايا الراهنة التي تؤثر على العلاقات بين تلك الحضارات ، ذلك أن اقتصار الحوار على استدعاء الخبرات التاريخية ومحاولة إعادة تفسيرها وتقديمها بشكل يوحى بإيجابية العلاقة بين الحضارات عبر التاريخ ، أو اقتصاره على تأكيد أطراف الحوار لفضل حضارتهم على الحضارات الأخرى ، كل ذلك يحكم على الحوار بعدم القابلية للاستمرار . حوار الحضارات الفعال ينبغي أن يتعامل مع القضايا المطروحة على جدول أعمال النظام العالمي ، وعلى جدول أعمال العلاقات بينهم . كما أن هذا التعامل ينبغي أن يركز على الرصد المنهجي لرؤى كل حضارة لتلك القضايا وتحديد ما هو مشترك وما هو مختلف في تلك الرؤى . ومن ذلك قضايا العولمة ، وحقوق الإنسان والديمقراطية ، والتنمية ، والهندسة الوراثية والإرهاب ، وأسلحة الدمار الشامل ، واحتلال أراضي الغير . وفي كل تلك القضايا ، فإن حوار الحضارات لابد وأن ينتج "معارف جديدة" تضاف إلى ما نعرفه بالفعل . وبذلك يسهم الحوار في إثراء التقدم البشري ، من ناحية ، وإزالة أشكال سوء الفهم بين الحضارات من ناحية أخرى .

**و - التطبيق العالمي للقيم المتفق عليها في حوار الحضارات**

تعتمد قيمة حوار الحضارات لدى المتحاورين ليس فقط على قدرته على إنتاج معرفة جديدة ، وإنما أيضاً على مدى القدرة على ترجمة تلك المعارف إلى سياسات قابلة للتطبيق ، ونعني بذلك أنه إذا تم التوصل إلى تحديد قيم مشتركة بين الحضارات ، فإن الأمر لابد وأن يتطور إلى النظر في التطبيق العام لتلك القيم على القضايا المطروحة . وعلى سبيل المثال فإنه إذا اتفق على أهمية نزع أسلحة الدمار الشامل فإن ذلك النزع لابد وأن يشمل جميع الدول، وإذا اتفق على رفض التطهير العرقي ، فإن هذا الرفض لابد وأن ينصرف إلى كل الممارسات مهما كان مصدرها . أن التطبيق الانتقائي لتلك القيم من شأنه أن يعطل من مصداقية حوار الحضارات .

**ز - الحوار داخل الحضارات**

ليس من المتصور أن ينجح الحوار بين الحضارات في الوقت الذي تكون فيه الحضارة الواحدة منقسمة ذاتياً ، ومتخلفة اجتماعياً . فانقسام الحضارة الواحدة إلى وحدات متصارعة ليس بينها حوار لا يوفر إطاراً مناسباً لدخول تلك الحضارة في حوار فعال مع الحضارات الأخرى .

ولنأخذ مثلاً على ذلك بالانقسام السني - الشيعي داخل الحضارة الإسلامية، لقد أدى هذا الانقسام إلى ضعف الحضارة الإسلامية ، ووقوعها تحت السيطرة الاستعمارية الأوروبية ، وما زالت آثار هذا الانقسام ماثلة حتى اليوم ، وما زال القتل على الهوية المذهبية شعاراً تمارسه بعض الجماعات في العالم الإسلامي.

ومن ثم ، فإن حواراً فعالاً حول القضايا المذهبية الكبرى داخل الحضارة الواحدة هو أمر ضروري لنجاح حوار الحضارات ، ما لم نسلم بوجود حضارة فارسية وأخرى عربية ، وبالتالي انقسام الحضارة الإسلامية إلى حضارات قومية .

من ناحية أخرى ، فإن نجاح حوار الحضارات يفترض وجود حوار مماثل داخل الدول المنتسبة إلى الحضارة حول المشروع الوطني للتنمية ، أى تحقيق التنمية الشاملة ، وتدعيم الديمقراطية والتعددية السياسية ، وقبول فكرة التسامح الفكري واحترام حقوق الأقليات. فمن شأن تحويل هذا الحوار إلى واقع إجرائي أن تستطيع الحضارة التعامل بندية مع الحضارات الأخرى ، أي تطهير الداخل من الاختلافات التي تدعو إلى الفرقة .

وخلاصة لما سبق ، تعبر نظرية حوار الحضارات رغبة متبادلة في التعايش والتعاون والتفاهم بين مختلف الشعوب والثقافات لإيجاد بيئة دولية سليمة وفضاء مستقر يقوم على ضرورة الاتفاق على الحد الأدنى المشترك من القيم الإنسانية الكونية و السلوكيات الأساسية التي تشترك فيها مختلف الحضارات والثقافات والكفيلة بتحقيق قيم العدل والحرية والمساواة دون إلغاء مبادئ الاختلاف والتعدد الحضاري، وهو وسيلة التقارب الثقافي والمعرفي بين مختلف الشعوب والأمم ، خاصة بين الشرق والغرب ، والذي تأمل الشعوب أن يكون غالبه أو معظمه مثمراً وسلمياً يربط الشرق بالغرب فالعادة جرت على أن لا يكون الحوار إلا في وجود اختلاف وما أكثر الاختلاف بين الشرق والغرب ، على أن يكون هذا الحوار وفق شروط موضوعية تكفل الحرية والحق لجميع الأطراف بإبداء الرأي والتعبير عن الذات دونما ضغوط مسبقة ، على أن يتم ذلك بالموازاة مع سلوكيات حضارية من شأنها الرفع من مستوى هذا الحوار وتأكيد مصداقيته كالتعاون الاقتصادي والسياسي بعيداً عن الاستغلال وكل أشكال الهيمنة ، لكن السؤال الذي يظل مطروحاً :هل يمكن أن يكون هناك حوار للحضارات في عالم أحادي القطب؟ .

## 2 - عناصر التناسق الداخلي

تتفاوت جهود الناس في سبيل إحداث تناسق داخلي ، يجمع عناصر الهوية المحلية في سلاسة وانسجام وتناغم غير مغلّ بعنصر لحساب عناصر أخرى ، فمواقع الناس وتخصصاتهم وجهودهم المبذولة وإحساسهم بمسؤولياتهم تجاه هوياتهم من شأنه أن يصون المعايير الاجتماعية من القيم الغربية ، وأن يحتوى العناصر المتغيرة بشيئ من القابلية والتفهم على ألا يكون هذا التغيير سببا في إنتاج هوية هجينة .

### 2 - 1 - التنمية المستدامة

إن تراكم المعرفة بشتى أشكالها وأنماطها من دين وعلم وأخلاق وفلسفة وفن و... ، هو الذي يشكل الوعي الاجتماعي لدى المجتمعات الإنسانية ، وفي المسيرة التاريخية لمجتمعات المغرب العربي ، وما رافقها من ظروف خاصة بالنمو والتطور ، وما اكتسبته من مميزات ثقافية وحضارية ، اختلفت أشكال الوعي الاجتماعي لدى هذه المجتمعات في تراتبيتها أو اندغامها أو طغيان أحدها بشكل لا يلغي بقية العناصر التركيبية للوعي الاجتماعي ، ولكنها تبقى كامنة أو محمولة ضمن الشكل المهيمن .

فيما يعلن المهدي المنجرة أن التنمية ظاهرة داخلية ، ذات علاقة بالمجهود الذاتي لأبناء المجتمع ، ويرى أن ضعف التنمية مرتبط بهيمنة الغرب ، من خلال تكريس برامج التعاون الدولي ، بما يعيق مسلسل التنمية في البلدان النامية ، لذلك نجده يدعو إلى عدم القبول بمساعدة الغرب ، ومواجهة سياسة الهيمنة ، في أفق التسريع بوتيرة التغيير الجذري للنظام الدولي السائد . كما أن التداخل القطاعي وترابط العوامل السوسيواقتصادية ، يعتبر شرطا حيويا لقيام التنمية ، علاوة على أن التخطيط للتنمية يجب أن ينهض على مسألتين : التوقع والنظرة المستقبلية (20 سنة فأكثر) ، مما يتيح صياغة الأهداف ووضع سبل تحقيقها ، وتصحيح الاختلالات متى وجدت .

وأساس هذه النظرة المستقبلية ، هي تلك الطاقة المتجددة ، وهي القيم الثقافية التي تعطينا القدرة على المقاومة ، والتكيف والتطور ، وبالتالي تحول بيننا وبين الاقتلاع الثقافي ، ومن ثم فقوة الحضارة تكمن في نقل نماذجها الثقافية إلى المجتمعات الأخرى<sup>1</sup> .

ورغم أن التنمية المستدامة تغطي أبعادها الجانب الاجتماعي والبيئي والاقتصادي ، إلا أن الدراسة تستثني التطرق للبعد البيئي ، إلا في شكل أداة في سبيل التنمية الاقتصادية ، إلى

<sup>1</sup> المهدي المنجرة قيمة القيم . قراءة محمد فاو بار . العولمة وحوار الحضارات والثقافات . مجلة عالم التربية العدد 17 . الدار البيضاء . المغرب . 2007 . صص 82-87 .

جانب ذلك تركز الدراسة ، بل وتنتقي من مجمل أجزاء البعد الاجتماعي التنمية البشرية المستدامة رامية بذلك إلى الوقوف على كيفية صناعة الإنسان المحافظ على الهوية المحلية . وكذا صناعة الاقتصاد الذي يحفظ ماء الوجه ، ويحفظ الأمة من التسول المشروط "الاقتراض من صندوق النقد الدولي وغيره " ، ويوقف زحف الاستيراد المدمر لكل ما هو محلي ، إلى جانب ذلك تتحاشى الدراسة الخوض العميق في مسائل التنمية الاقتصادية المستدامة ، لأنها لا تمثل هنا إلا آلية من آليات مواجهة العولمة .

## 2 - 1 - 1 - التنمية البشرية المستدامة

اتسم العقد الأخير من القرن الماضي بتنامي الوعي بقيمة الإنسان هدفاً ووسيلة في منظومة التنمية الشاملة، وأصبح الطريق للاندماج الإيجابي في منظومة الاقتصاديات المتقدمة رهنا بما يمكن إحرازه وتحقيقه في مجال التنمية البشرية من تعليم وصحة وحقوق سياسية، وقبل كل ذلك زيادة متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي ، وبناء على ذلك كثرت الدراسات والبحوث والمؤتمرات التي عقدت لتحديد مفهوم التنمية البشرية و تحليل مكوناتها وأبعادها، كإشباع الحاجات الأساسية، والتنمية الاجتماعية، وتكوين رأس المال البشري، أو رفع مستوى المعيشة أو تحسين نوعية الحياة. ويتطلب تحقيق التنمية البشرية حجماً معيناً من الإنفاق يختلف من دولة إلى أخرى ويحتاج إلى تدخل الدولة في مجالاتها خاصة المجالات الاجتماعية والضمان الاجتماعي، والإسكان، والمياه النظيفة والصرف الصحي. فهي مازالت مسؤولة عن التعليم والصحة والمرافق العامة<sup>1</sup>.

التنمية المستدامة هي إحدى الأساليب التي يحفظ بها المجتمع كرامته ، وقد عرفت كونها التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون الإضرار بقدرة الأجيال المقبلة على تحقيق حاجتها ، وتعتبر التنمية عملية عملية متعددة الأبعاد ومتنوعة المجالات ، ورغم أن النمو الاقتصادي يمثل جوهر هذه العملية والقوة الدافعة لها ، إلا أن هذا لا يقلل من أهمية الأبعاد الأخرى للتنمية سواء كانت سياسية أو بشرية ، فبناء المؤسسات السياسية وتمكينها وتفعيل دورها وتشجيع الممارسات الديمقراطية أحد المؤشرات الأساسية لمستوى التنمية الذي حققته الدولة ، كما يمثل التعليم قاعدة الانطلاق الحقيقية للتنمية وذلك بالنظر إلى دوره في تحقيق التنمية البشرية والارتقاء بقدرات ومعارف ومهارات الأفراد الذين هم سواعد العملية التنموية وتشكيل اتجاهاتهم وقيمهم . فالتنمية

<sup>1</sup> نصيرة قوريش. التنمية البشرية في الجزائر وآفاقها في ظل برنامج التنمية 2010 - 2014 . مجلة : الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية . العدد 06 سنة 2011 . دورية دولية محكمة تصدرها جامعة الشلف . الجزائر . ص 32 .

ليست خلق شيء من عدم ، ولكنها استثمار للطاقات والقدرات المادية والبشرية الموجودة في المجتمع لتحقيق الرفاهية للجميع .

بينما يجمع مفهوم التنمية المستدامة بين بعدين أساسيين هما : التنمية كعملية للتغيير ، والاستدامة كبعد زمني ، والدافع وراء ظهور هذا المفهوم إدراك أن عملية النمو وحدها لا تكفي لتحسين مستوى معيشة الأفراد على نحو يتسم بقدر من العدالة في توزيع ثمار التنمية ، كما أن التركيز على البعد المادي لعملية النمو قد تراجع ، ليحل بدلا عنه الاهتمام بالعنصر البشري على أساس أن الإنسان هو هدف عملية التنمية وأداتها في الوقت نفسه<sup>1</sup> ، وهو الأمر الذي يقودنا إلى التمييز بين مفهومين كثيرا ما يصنعان اللبس أثناء الحديث عن تنمية العنصر البشري نظرا لتقاربهما من حيث التعبير اللغوي ، وهما "التنمية البشرية" و"تنمية الموارد البشرية" ، إذ نجد أنهما يعنيان ما يلي :

**التنمية البشرية :** إن التنمية البشرية هي عملية توسيع الخيارات المتاحة للناس ، ومن حيث المبدأ يمكن أن تكون تلك الخيارات بلا حدود ، وأن تتغير عبر الزمان ، ولكن ثمة ثلاثة خيارات تبقى جوهرية في كل مستويات التنمية وهي : أن يعيش المرء حياة طويلة وصحية ، وأن يحصل على معارف أو يحصل على الموارد الضرورية لتوفير مستوى معيشة لائق ، وإذا لم يحصل الفرد على تلك الخيارات الثلاثة ، فإن كثيراً من الخيارات الأخرى تسد أبوابها أمامه ، ولكن التنمية البشرية لا تقف عند هذا الحد ، فهناك خيارات أخرى ويقدرها كثير من الناس تقديراً عالياً ، وهي تمتد من الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى توافر فرص الخلق والإبداع والتمتع باحترام الذات وضمان حقوق الإنسان .

**وللتنمية البشرية جانبان :** بناء القدرات البشرية بتحسين مستويات الصحة والمعرفة والمهارات من ناحية ، وانتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة في وقت الفراغ ، وفي أغراض الإنتاج والنشاط في أمور الثقافة والمجتمع والسياسية ، وإذا لم يتكافأ الجانبان حل بالإنسان الإحباط .

ووفقاً لهذا المفهوم عن التنمية البشرية المستدامة يتضح أن الدخل ليس إلا واحداً من الخيارات التي يريد الناس أن يمسكوا بها ، بالرغم من أهميته الواضحة ، ولكن لا يجوز أن نلخص حياة البشر في الحصول عليه . ولذلك فإن التنمية يجب أن تفيد أكثر من مجرد زيادة الدخل والثروة ، إن جوهرها يجب أن يكون البشر .

<sup>1</sup> علا محمد الخواجة . العولمة والتنمية المستدامة . الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة . المجلد الأول . تحرير : مصطفى طلبة . بيروت لبنان . 2006 . ص 414 .



كما أن النموذج للتنمية - نموذج التنمية البشرية المستدامة - يجعل الناس هم محور التنمية ، ويعتبر النمو الاقتصادي وسيلة وليس غاية ، ويحمي فرص حياة الأجيال المقبلة وكذلك الأجيال الحاضرة ، ويحترم النظم الطبيعية التي تتوقف كلها عليها، ويُمكن جميع الأفراد من توسيع نطاق قدراتهم البشرية إلى أقصى حد ممكن وتوظيف تلك القدرات أفضل توظيف لها في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، وهي تحمي خيارات الأجيال التي لم تولد بعد ، ولا يستنزف قاعدة الموارد الطبيعية اللازمة لدعم التنمية في المستقبل ، ولا يدمر ثراء الطبيعة الذي يضيف الكثير للغاية لثراء الحياة البشرية .

وتأسيساً على ذلك فإن التنمية البشرية باختصار هي عملية تمكين الإنسان من تحقيق إنسانيته ، والإنسان كما هو معروف كائن مركب في حاجاته المرتبطة بكيانه البيولوجي ، وفي حاجته المعنوية النابعة من ماضيه في حاضره وتطلعاً لمستقبله . وهو منتج ومستهلك ، هو مرسل ومستقبل ، وهو مبدع يدرك بحواسه ، كما يتصور بخياله ، وهو في هذا كله متفاعل وفاعل في الظروف والموجودات البيئية التي تحيط به ، والتي يسعى ويتحرك على أرضها وبحارها وسمائها وبين سكانها ، وبهذا الكيان المركب ، وفي هذا السياق المجتمعي المتشابك ،

يعيش الإنسان ويتم بناؤه وتكوينه ، وتحقق آماذ مختلفة من حاجاته ، وتتمو مستويات متنوعة من قدراته وطاقاته وحوافزه .

**تنمية الموارد البشرية :** يختلف مفهوم تنمية الموارد البشرية عن مفهوم التنمية البشرية ، فلقد تولد مفهوم تنمية الموارد البشرية من المنظور الاقتصادي ، وأكد على أن الإنسان مورد من الموارد الاقتصادية ، وتركز اهتمامه على الإنسان المنتج وعلى إنتاجه العمل بالدرجة الأولى ، وترددت المقولات بأننا نعنى بصحة الإنسان لأنها ذات مردود اقتصادي ، وكذلك الشأن في تعليمه ، بل في أنشطته الثقافية والترويحية ، ويظل العائد الإنتاجي في ضوء مفهوم تنمية الموارد البشرية هو مركز الثقل في الالتفات إلى العوامل الإنسانية في تخطيط الجهود الإنمائية وما تتضمنه من استثمارات وأولويات ، لكن هذه النظرة إلى الإنسان من هذه الزاوية الاقتصادية لم تول الجوانب الاجتماعية والبشرية ما تستحقه من تأكيد إلا بقدر ما تسهم به في تحقيق الأهداف الاقتصادية ذاتها .

وهكذا برز مفهوم تنمية الموارد البشرية ، بعد أن كانت قضايا النمو الاقتصادي مقتصرة على مشكلات رأس المال واستثماراته ، بيد أن الاهتمام بالإنسان ظل مركزاً على الإنسان كمورد اقتصادي ينتظر منه زيادة الإنتاج وتطويره ، ومن هنا شاع الحديث عن تحسين الأحوال الصحية لقوة العمل حتى تكون قادرة على الإنتاج ، وقد ظهرت دراسات تبين مدى الخسارة

المادية في تغييب العمال عن العمل في المصانع من جراء انتشار الأمراض المهنية أو الأمراض المعدية .

وفي هذا السياق يقال إن إطالة متوسط عمر الفرد تعني مزيداً من السنوات لدى قوة العمل مما يؤدي إلى الإفادة من مهاراتها وخبراتها في عمر إنتاجي أطول ، وهذه النظرية الاقتصادية ذاتها هي التي أدت إلى ظهور دراسات متعددة في كثير من الأقطار الصناعية حول اقتصاديات التعليم لكي تؤكد أن الإنفاق على التعليم هو استثمار اقتصادي له عائد مادي على الفرد والمجتمع، وبهذا يحق القول أن تنمية الموارد البشرية هي تعظيم الطاقات البشرية لسكان المجتمع واستغلالها بكفاءة في كافة نواحي النشاط الاجتماعي ، الاقتصادي .

إن التنمية في النهاية، هي تنمية بشر وليست إقامة مصانع وإنشاء شركات وإرساء بورصات ...، وبالرغم من الاختلاف بين التنمية البشرية وتنمية الموارد البشرية ، إلا أن هناك صلة قوية بينهما ، حيث :

تعني الأولى - التنمية البشرية المستدامة - التنمية الشاملة ، وتؤكد أنها لا تتحقق بمجرد التركيز على تعظيم الناتج ، كما أنها تولى أهمية خاصة لرفع المهارات والإنتاجية وزيادة القدرات الابتكارية للناس من خلال عملية تكوين رأس المال البشري ، كما أن البعد الإنساني في التنمية البشرية - له أهمية بالغة ينبغي أخذها في الاعتبار عند إعمال السياسات على مختلف المستويات ، حيث يتعين بصفة خاصة أن يكون تأثير السياسة الاقتصادية على الناس وتأثرها بهم محل اعتبار دائم مستمر .

بينما يركز آخرون ، بل ويتبنون مدخل تنمية الموارد البشرية في تحليلهم ، فإنهم يركزون على تأثير تحسين مستويات التغذية والصحة والتعليم على الإنتاجية والنمو الاقتصادي ، مما يعبر عن اهتمام محدود وبجانب واحد من عملية التنمية . فعلى سبيل المثال يتبنى بعض الكتاب نظرة ضيقة إلى تنمية الموارد البشرية فيساوونها بـ "التوسع المتعمد في التعليم والتدريب" .

ومن بين التطورات الحديثة في الاهتمام بتنمية الموارد البشرية ، يذكر أن البنك الدولي عمد إلى تنظيم "إدارة الموارد البشرية" بحيث تشمل على أربعة أقسام : التعليم والتوظيف والسكان والصحة والتغذية ، وتحليل ظاهرة الفقر وسياسات مكافحتها ودور المرأة في التنمية . وعلى الرغم من تزايد أهمية قضايا الموارد البشرية ، فإن المصرف الدولي لا يعتبرها محوراً رئيساً لنشاطه ، فما إدارة السكان وتنمية الموارد وتنمية الموارد البشرية سوى واحدة من إدارات أخرى مماثلة للزراعة والطاقة والبنية الأساسية والبيئة ، ولو أنشأ المصرف إدارة

للتنمية البشرية ، فإن كل هذه الإدارات يمكن أن تتدرج تحتها ، ولكنها لا تحظى بنفس قدر أهميتها .

## 2-1-1-1- أبعاد التنمية البشرية المستدامة

يتضمن مفهوم التنمية البشرية ثلاثة أبعاد أساسية . أولها ، تأهيل وصقل القدرات البشرية ، فالأفراد يولدون متساوين نسبياً في القدرات ، إلا أن هذه القدرات تُصقل أو تُهدر وفقاً لمستوى التأهيل من خلال التعليم والتدريب والتنشئة الاجتماعية . ثانيهما ، توظيف أو استغلال القدرات البشرية في التنمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . أما ثالثها ، فيتعلق بمستوى رفاهة المجتمع .

ومن ثم فإنه رغم تعدد التعريفات والاقترابات لمفهوم التنمية البشرية فإنها جميعاً تتضمن مفهوماً أساسياً وهو إتاحة أفضل الفرص الممكنة لاستغلال الطاقات البشرية المتاحة من أجل تحقيق مستوى رفاهة أفضل للأفراد . فالبشر هم الهدف الأساسي للتنمية البشرية ، وهم أيضاً الأداة الأساسية لتحقيق هذه التنمية . كما أن التنمية بهذا المعنى لا تعني فقط زيادة الثروة أو الدخل للمجتمع أو حتى الأفراد وإنما النهوض بأوضاعهم الثقافية والاجتماعية والصحية والتعليمية وتمكينهم سياسياً وتفعيل مشاركتهم في المجتمع وحسن توظيف طاقاتهم وقدراتهم لخدمة أنفسهم ومجتمعاتهم .

اكتساب صفة الوجود الحضاري لأية أمة من الأمم تضمنه وتضبطه في كثير من الحالات معاملات المعادلة التاريخية المتأسسة في الزمن الحركي الفاعل لبعدي الزمان والمكان . وبالتالي فالمعادلة هي من الناحية المعرفية البنيوية والبنائية لا تقوم أبداً على أساس المفاضلة الدينية أو القومية أو الجغرافية بين الأمم والأجناس ، إذ أن تملك المعرفة واكتسابها لا يخضع لمميزات جنسية أو جغرافية مؤثرة بنفس الدرجة على مر التاريخ كحتمية تاريخية ثابتة ، ذلك أن التغيير الاجتماعي والمجتمعي لا يخضع لحتمية خطية ثابتة ، فبغداد جعفر المنصور ليست بغداد صدام حسين ، رغم أن الثقافة والجغرافيا والعامل الإنساني مرتكزات لم تتغير كثيراً .

الفارق هنا هو فارق قائم بالدرجة الأولى والأساسية على سعة الحوض المعرفي ونوعيته وطبيعة طاقته الاستيعابية للحركة الإبداعية الابتكارية للإنسان في محيطه الثقافي المعرفي ، وتمثين الجهد العلمي الذي يبذله الإنسان المفكر والمبدع ليحسن من أوضاعه ويطورها من حالة لأخرى ، تكون أفضل وأحسن منها ، ويغير أحواله وظروفه من وضع إلى آخر ، ويعيد موضعها انتقالاً نوعياً من مجال إلى مجال آخر في سباق تشغيل آلة الفعل المتضمنة في الشرط

الإنساني ، وآلة الفكر المتضمنة في الشرط المعرفي ، وتوظيفهما حسب سرعة وزمن فاعلية الإنتاج العلمي في هذا الحوض المعرفي وفق الزمن الحركي<sup>1</sup> .

## 2-1-1-2- أسس عملية التنمية البشرية

فالتنمية البشرية الصحيحة هي التي تضع أهدافها "إخراج الإنسان الصالح في المجتمع" ولا يتم ذلك إلا بواسطة التربية الصحيحة ، فالعمل التربوي الصحيح هو علة وجود الأسر والمجتمعات ، وهو مادة الاختبار في قاعة الحياة الاجتماعية، ومقياس النجاح في حياة الإنسان . والعمل التربوي الصحيح يتكون من ثلاث حلقات هي : عمل الإرادة ، عمل الفكر ، وعمل الأعضاء أي :

هو يبدأ -خاطرة - في النفس ، حيث تتحرك الإرادة نحو حاجة في لحظة معينة تحركا إيجابيا أو تحركا سلبيا لإنجاز هدف معين .

ثم يصبح - فكرة - حيث يتلقف العقل الخاطرة ويأخذها بالتحليل والتركيب والتقييم حتى يكون مخططا كاملا لما يجب عمله ، ولطرائق التنفيذ وأدواته وزمنه ومكانه ...

ثم يصبح - ممارسة - حيث ينتقل المخطط الفكري إلى الأعضاء لتحويله إلى ممارسات عملية. والإنسان لا يتوقف لحظة من حياته عن العمل ، لكن يتفاوت نضج حلقات العمل التي تتجز ، فبعض الأعمال يتوقف عند الحلقة الأولى "حلقة الإرادة" فيظل العمل أممية ، وبعضها يتوقف عند الحلقة الثانية "حلقة الفكر" فيظل فكرة ، وبعضها يستمر حتى الحلقة الأخيرة فيصبح العمل إنجازا ، ويستحق أن يوصف بأنه عمل .

وما يقرر فاعلية كل حلقة من حلقات العمل التربوي الثلاث هو درجة الكفاءة أو الحكمة ، وهذه الكفاءة هي التي تتعهد هذه الحلقات بالتنمية والرعاية ، والنجاح في حلقة "الإرادة" ثمرته "الإخلاص" في العمل ، أما النجاح في حلقة "الفكر" فثمرته "الصواب" في العمل ، أما النجاح في حلقة "الممارسة" فثمرته "إحكام" العمل ، واجتماع هذه الثمرات الثلاث وتكاملها يجعل العمل "قالحا"

والذي يقرر صلاح الحلقة الأولى أو فسادها هو "الخبرات الاجتماعية" التي يكتسبها الإنسان من البيئة المحيطة ابتداء من بيئة الأبوين حتى بيئة الاجتماع الإنساني كله<sup>2</sup> ، الأمر الذي يوحي بأن التربية الأبوية هي أساس تزويد الإنسان بمختلف الخبرات والموجهات في كل

<sup>1</sup> سعيد عيادي . آليات إعادة البناء الحضاري للإنسان والمجتمع . دار المعاصرة للنشر والتوزيع . الجزائر . 2009 . ص 90 .  
<sup>2</sup> ماجد عرسان الكيلاني . مقومات الشخصية المسلمة . أو الإنسان الصالح . مكتبة دار الاستقامة المملكة العربية السعودية . 1996 . ص ص . 17-25 .

الأعمال المزرم القيام بها ، إذ أنها كالبوصلة التي تشعره بمدى صحة اتجاه العمل وسلامته من الأخطار والتبعات المكلفة .

أما الذي يقرر صلاح "الفكرة" أو فسادها فهو نوع الخبرات الكونية وما يرافقها من قدرة أو عجز عن اكتشاف سنن مكونات الكون وقوانينها ، ثم توظيف هذه السنن والقوانين في تطبيقات عملية .

وأما الذي يقرر صلاح "الممارسة" أو فسادها فهو درجة إحكام السنن والقوانين المشار إليها إحكاما عقليا وعمليا<sup>1</sup> .

وبناء عليه فإن العمل الصالح يتطلب تربية لثلاث مواطن في الإنسان هي : التربية النفسية والتربية العقلية والتربية الجسمية .

والسؤال المطروح : كيف تعمل العملية التربوية على إخراج الإنسان الذي يعمل بكفاءة كاملة ؟ .

يطلق مصطلح العمل على كل حركة مقرونة بهدف ، ولما كان الهدف خاصا بالإنسان فقد أطلق على حركات الإنسان الهادفة لجلب الخير ودفع الشر أو العكس "عملا" ، أما الحركات غير الهادفة كحركة الشمس والقمر والرياح و... "جريان".

إذن فالعمل هو حركة وهدف ، وبرامج التنمية المستدامة إذا استهدفت الفرد لا يجب أن تبحث فقط في صقل المواهب بل في البحث عن أصل المواهب ، كما لا يجب أن تبحث فقط عن أشكال الإبداع والابتكار ، بل البحث في القدرات التي يتوفر عليها الإنسان وتجعله مبدعا مبتكرا ، ولذا فإن التنمية البشرية تقوم على تربية جوانب في الإنسان هي :

#### أ - جوانب التربية :

**تربية الإرادة :** الإرادة هي توجه رغبات الفرد نحو هدف معين ، وهي أيضا مما يميز الإنسان عن المخلوقات الأخرى ، وتكون الإرادة سليمة حين تتوجه رغبات الفرد إلى حاجاته الأساسية والعليا بالقدر والأسلوب اللذين يجلبان له النفع ويدفعان عنه الضرر في حياته ومصيره .

والإرادة الصالحة تنمو وتنضج بالتربية والإعداد الخاص والمحكم.

**تربية القدرات العقلية :** في الإنسان قدرات عقلية كامنة -كالقدرات الجسدية- يستطيع من خلالها التعرف على البيئة القائمة من حوله ، بمكوناتها وأحداثها ، ثم خزن تلك المعارف

<sup>1</sup> ماجد عرسان الكيلاني . نفس المرجع السابق . نفس الصفحات .

وتمييزها واسترجاعها وتوظيفها في الوقت المناسب طبقا للمواقف والمشكلات التي يمر بها الإنسان خلال مسيرة حياته .

وتعتبر القدرات العقلية عن نفسها في السلوك الظاهر من خلال القدرة على تدبير المعاش في حياة الأفراد والجماعات ، وتتخذ قدرة التدبير ثلاث حالات هي :

- تدبير لجلب ما هو نافع صائب ولدفع ما هو ضار خاطئ ، ويسمى صاحب هذه القدرة عاقلا حكيما .

- ضعف في قوة التدبير لجلب ما هو نافع صائب ، وعن دفع ما هو ضار خاطئ ، ويسمى صاحبها أبلها سفيها .

- طغيان في قوة التدبير لتعمل على جلب الضار الخاطئ وإعاقة ما هو نافع صائب ، ويسمى صاحبها ماکرا سيئا .

والهدف من التنمية البشرية المستدامة هو تنمية الحالة الأولى إلى درجة النضج ، بالقدر الذي يسمح للفرد باستغلال ميزات العولمة الصالحة والصائبة والاستفادة منها ، وفي ذات الوقت دفع كل ما ضار ويشكل خطرا على هوية المجتمع ، فالانترنت مثلا ، هي إحدى المظاهر التي ميزت مرحلة العولمة ، وهي أعظم ما توصلت إليه عبقرية الإنسان في فن الاتصال والتواصل ، واستغلالها بشكل أمثل هو المقصود من التنمية البشرية المستدامة ، وما دام المجتمع يتوجس خوفا من الانترنت على أخلاقه ، فهذا دليل عدم النضج في عملية التنشئة الاجتماعية .

#### ب - أشكال التفكير :

تتنوع أشكال التفكير بتنوع مظاهر الحياة الاجتماعية ، وبتنوع المواقف التي يجد المرء نفسه حيالها يمارس السلوك والطقوس ومختلف الوظائف والأدوار انطلاقا من أفكاره ومعتقداته وكل ما يؤمن به و... ، لكن التفكير السليم يظل سليما وإنما وجد الفرد ، والتفكير غير السليم يظل منبوذا وإنما وجد أيضا ، رغم أن بعض الناس يألّفون الممارسات التي تستند إلى التفكير غير السليم والمعتقدات الخاطئة ، ولأنهم يجدون ألفة مع هذه الممارسات الخاطئة ، فإنه من الصعب تغييرهم ، ولذا وجب على القائمين على شؤون التربية تدريب المتعلم على أنماط معينة من التفكير ، لتلافي ما قد يقعون فيه من مزالق .

• **تدريب المتعلم على النقد الذاتي بدل التفكير التبريري**، إذ بدلا من أن تنتهم العولمة

بالهيمنة والظلم والاضطهاد والسطو على مقدرات الشعوب والأمم وإيصالهم إلى حالات الاغتراب والاستلاب و... يجب أن تمارس الأمم والشعوب نقدا ذاتيا ، تقف من خلاله على نقط

الضعف عندها ونقاط القوة ، وكيفية التكيف مع المعطيات العالمية الحديثة ، بعيدا عن أي مغالطة .

• **تدريب المتعلم على التفكير الشامل بدل التفكير الجزئي** ، إذ يجب على الفرد أن يتحلى بالتفكير الشامل بدل النظر من زاوية واحدة ، وإذا كانت العولمة تبدو في حلة اقتصادية ، فإنها في الحقيقة متعددة الأبعاد والتأثير ، الأمر الذي من شأنه النظر في كل الأبعاد لصد تأثيراتها المتنوعة ، والموزعة على كل المناحي ، والمتغلغلة في كل مناسط الحياة اليومية .

• **تدريب المتعلم على التفكير التجديدي بدل التفكير التقليدي**، فالإكتفاء بالتراث وما صنعته أيدي الآباء والأجداد لحل معضلات العصر الحديث أمر لا طائل من ورائه ، حيث أن أصول القيم قد تبقى نفسها ، أما الممارسات وما تتطلبه من أساليب وأدوات فهي تتغير بتغير الزمن .

• **تدريب المتعلم على التفكير العلمي بدل الظن والهوى** ، فلم يعد هناك مكان للظن والتفكير المبني على الهوى في ظل العولمة ، فالتكنولوجيا التي بلغت من الدقة مبلغها لم تدع مجالاً للتفكير السطحي وغير الممنهج .

• **تدريب المتعلم على التفكير الجماعي بدل التفكير الفردي** ، لأن التفكير الفردي يبقى ناقصا ومعزولا مهما بذل صاحبه من جهد ، إلى جانب انتشار التخصصات على نطاق واسع ، وتوسع مظاهر الحياة ، الأمر الذي لا يبقي مجالاً للعمل الفردي

• **تدريب المتعلم على التفكير السنني بدل التفكير الخرافي أو الخوارقي** ، إذ كثيرا ما يفسر الناس مختلف المواقف والحوادث التي يكتنفها الغموض ، أو تلك التي لم يفهمها الناس لقصور منهم تفسيراً خوارقياً أو خرافياً اعتماداً على قوى خفية يتوهمونها أو ما إلى ذلك من التفكير الذي لا يحتكم إلى منطق .

### نحو سياسة لتنمية الإبداع عند الناشئة :

لا شك أن بلوغ التنمية البشرية المستدامة إنما يرتكز على الإبداع في ما ينجزه أبناء المجتمع المحلي ، بيد أن الأمر يتطلب مزيداً من الجهد المبذول خلال عمليات التعليم - سواء كان الأمر بالمدرسة أو بأي مؤسسة يتم بها الإنتاج العلمي والصناعي ...- ، ويتمثل هذا الجهد في توفير البيئة أو المناخ ، بما يتضمنه من ظروف ومواقف مختلفة ، تيسر الإبداع وتطلق العنان للطاقات الكامنة والمواهب الدفينة من أن تعبر عن ذاتها بكل حرية ، وبما تتوفر عليه من دوافع وميول واتجاهات شخصية ، ولذلك لا بد من :

- إيمان المربين بأهمية الإبداع في تطوير المجتمع ، وجعله أكثر تنافسية ، خاصة وأن عصر العولمة قائم على الإبداع في الاقتصاد والسياسة والثقافة و كل المجالات .
- البحث عن الموهوبين والمبدعين واحتواؤهم وتوجيههم التوجيه السليم الذي ينمي الإبداع ولا يقتله .
- لا بد من سياسة تعليمية تقوم -بدلا من التلقين وتقوية الذاكرة - على الحوار والنقاش وتشجيع الابتكار والتسامح والاختلاف والحرص على التعددية .
- الأخذ عن الأمم التي سبقتنا ونجح مبدعوها ، في كيفية التأطير ووسائل وأساليب الوصول إلى النتائج المرجوة .
- إقامة مركز متخصص لتدريب المؤطرين على الوسائل المتعددة لتنمية الإبداع .
- تشجيع المبدعين والموهوبين عبر المكافآت والحوافز وإبراز أعمالهم للملا لتحدو الناشئة حذوهم .
- أما المبادئ العامة التي يجب أن تبنى على أساسها نماذج التربية فهي\* :
- أن الإنسان هو أهم الكائنات ويجب أن تعطى له أهم رعاية .
- لا يمكن صناعة الإنسان من طرف واحد كالمدرسة فقط دون الأسرة والعكس .
- إن الكائن الإنساني يغير ويتغير طوال حياته نحو الأحسن .
- يستحيل حدوث أي نمو دونما الغوص في أعماق الإنسان .
- تعد المشاعر ذات أهمية مثلها في ذلك مثل المعرفة .
- يتوقف تحقيق الإنسان على الحرية .
- تعتبر أشكال التمييز والإقصاء من معوقات النمو .
- تكمن مهام المربين في تنمية الفرد إلى أقصى حدود النمو .

## 2 - 1 - 2 - التنمية الاقتصادية المستدامة :

إن اقتصاد العولمة المثالي ليس هو ذلك الذي يتم تنظيمه وفق قواعد بالغة الدقة ، بقدر ما هو ذلك الذي يزيد من رأس المال الاجتماعي وينمي الإمكانيات الإنسانية ويوسع من فرص الحياة المتاحة أمام الناس ، ولا ينبغي أبدا لاقتصاد العولمة أن يفلت من دائرة الرقابة الإنسانية ، ومن هنا تظهر ضرورة مجابهة آثاره المدمرة من خلال تفعيل التنمية المحلية المستدامة ، ويبدو

\* اشتقت هذه المبادئ من "النظرية العضوانية في البيداغوجيا المتفتحة" التي قدمها عالم النفس التربوي Paré في ثلاث مجلدات عام 1977 ، حيث يتأسس نموذج هذه النظرية على خصائص البنية العضوية للفرد ، ويرى هذا الباحث أنه في كل تعلم مهما كان نوعه ، توجد دائما مكونات حسية وانفعالية وذهنية ، ويعتبر التفاعل القائم بين الذات والبيئة التي تتواجد فيها محور كل تعلم . انظر : Y.Bertrand . النظريات التربوية المعاصرة . ترجمة : محمد بوعلاق . قصر الكتاب . البلدية . الجزائر . 2001 . ص64 .



التحديفي إيجاد التوازن بين الاستثمارات الرأسمالية والاستثمار في التعليم ، والفوائد المرجوة من تدعيم المجتمع المدني والحفاظ على دور الدولة في التنمية وتنمية القطاع الخاص في نفس الوقت<sup>1</sup>.

وإزاء إيقاعها السريع في الانتشار ، وغزو آفاق العالم ، بفضل اعتمادها على التقنية الاتصالية الجد متطورة ، مما يوحي بحلول تحول نوعي في إستراتيجية الهيمنة الرأسمالية ، ونظرا لأن العولمة تمثل إحدى مراحل النظام الرأسمالي المتسمة بالتعقيد أكثر من غيرها من المراحل ، فإنها كمشروع تاريخي لم ينته بعد ، وعليه فإن البحوث والدراسات ذات الطابع الأكاديمي بخصوصها لم تنته أيضا ، بل الإلمام بمفهوم موحد للعولمة ما زال بعيد المنال ، بينما يمكن فهم بعض قوانينها ، والوقوف على بعض آثارها ، من خلال تتبع معالمها في الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لمختلف الشعوب والأمم ، حيث يمكن هنا رصد بعض من الآثار المترتبة عنها :

— اقتصاد تتحكم فيه الشركات متعددة الجنسية وتبادل تجاري غير متكافئ، في المجالين المادي والرمزي.

— تقليص أدوار الدولة القومية، والسير في اتجاه إلغاء الحدود بين الدول.

— ثورة عارمة في مجال الإعلام والتربية والاتصال، والتقانة المرتبطة بها.

— شيوع ثقافة الاختراق التي تسعى لفرض قيم وفكر واتجاهات وأذواق استهلاكية منمطة<sup>2</sup>.

## 2-1-1 - النمو الاقتصادي

عبارة عن عملية يتم فيها زيادة الدخل الحقيقي زيادة تراكمية ومستمرة عبر فترة ممتدة من الزمن (ربع قرن) بحيث تكون هذه الزيادة أكبر من معدل نمو السكان، مع توفير الخدمات الإنتاجية والاجتماعية وحماية الموارد المتجددة من التلوث والحفاظ علي الموارد غير المتجددة من النضوب.

هناك تعريفات متعددة للتنمية الاقتصادية ، ومن التعريفات الشائعة إنها عملية تتضمن تحقيق معدل نمو مرتفع لمتوسط دخل الفرد الحقيقي خلال فترة ممتدة من الزمن (3 عقود مثلا) على ألا يصاحب ذلك تدهور في توزيع الدخل أو زيادة في مستوى الفقر في المجتمع.

<sup>1</sup> السيد يسين . الحوار الحضاري في عصر العولمة . دار نهضة مصر . ط2 . القاهرة . مصر . 2002 . ص 15 .

<sup>2</sup> التعليم وتحديات العولمة . ملتقى شذرات العرب. 2011/08/08 [www.support-ar.com/vb/index.php](http://www.support-ar.com/vb/index.php)

كما يعرف أيضا على أنه الزيادة في كمية السلع والخدمات التي ينتجها اقتصاد معين. وهذه السلع يتم إنتاجها باستخدام عناصر الإنتاج الرئيسية، وهي الأرض والعمل ورأس المال والتنظيم<sup>1</sup>.

### 2 - 1 - 2 - مؤشرات قياس التنمية

من أكثر المؤشرات استخداما في قياس مستوى التنمية الاقتصادية التي تحققت في دولة ما بالمقارنة بدولة أخرى:

- دليل التنمية البشرية .
- متوسط دخل الفرد
- معدل النمو الاقتصادي حيث أن ( النمو الحقيقي = النمو الاقتصادي - معدل التضخم).

### 2 - 1 - 2 - أهمية التنمية الاقتصادية

- زيادة الدخل الحقيقي وبالتالي تحسين معيشة المواطنين .
- توفير فرص عمل للمواطنين .
- توفير السلع والخدمات المطلوبة لإشباع حاجات المواطنين وتحسين المستوي الصحي والتعليمي والثقافي .
- تقليل الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين مختلف فئات المجتمع .
- تحسين وضع ميزان المدفوعات .
- تسديد الديون الخارجية وسد عجز الميزانية العمومية السنوية ، إن كانت هناك ديون ، وإن كانت الدولة تعاني عجزا في الميزانية العمومية .
- تحقيق الأمن الوطني للدولة والاستقرار الهادف والذي من خلاله يتم الارتقاء بالمجتمع.
- التخلص من التبعية الاقتصادية للنسق العولمي .

### 2 - 1 - 2 - متطلبات التنمية الاقتصادية

- التخطيط وتوفير البيانات والمعلومات اللازمة
- الإنتاج بجوده عالية مع توفير التكنولوجيا الملائمة لإعداد الموارد البشرية المتخصصة .
- وضع السياسات الاقتصادية الملائمة المغايرة لخطط النسق العولمي ، حتى تتمكن الدولة من الإفلات والخروج من دائرة مشاريع النسق العولمي .
- توفير الأمن والاستقرار اللازمين .

<sup>1</sup> Arwikify.svg :http://ar.wikipedia.org/wiki/Ù ÙÙ ÙÙ 2012/04/01

- نشر الوعي التنموي بين المواطنين
- ويعتبر أهم مطلب من متطلبات التنمية الاقتصادية العدالة الاجتماعية حيث أن عدم توافرها يؤدي إلى إخلال في عملية التنمية. وأيضاً المشاركة المجتمعية في عملية التنمية وذلك بإشراك المجتمع في قرارات التنمية وذلك لزيادة تقبل المجتمع للتغيير نحو التنمية الاقتصادية.

وفي هذا الإطار يقدم جلال العالم خطوات هامة نعتقد أنها آليات لمواجهة العولمة الاقتصادية من بينها :

- دعم الاقتصاد الوطني، و تحريره من التبعية، و رفع مستواه من اجل مواجهة الاقتصاد الوافد، و اعتماد اختيارات اقتصادية نقيضة للاقتصاد الرأسمالي العالمي.
- ويمكن العمل على حماية الهوية بتوظيف مختلف الوسائل المتوفرة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي ، فكل الوسائل يمكن استغلالها في هذا الإطار حتى نتجنب الذوبان والانذثار وأهمها :

أ- المؤسسات الاقتصادية الوطنية، و خاصة تلك التي في ملك الشعب حامل الهوية ،وسعي النقابات إلى تحسين أوضاع الشغيلة في مختلف القطاعات الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية والسياسية، سيزيد الشغيلة إيماناً بهويتها ، وسيحرك كل القطاعات كل في مجاله لحمايتها، وعلى جميع المستويات.

ب- و تلعب الجمعيات الحقوقية دوراً كبيراً في تكريس عولمة أخرى لها علاقة بكرامة الإنسان و الشعوب عن طريق النضال من اجل حماية الحقوق الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية والسياسية باعتبارها مكرسة و مؤكدة للهوية، و صمام أمان يحمي الشعب من التكرار لهويته، فيتمسك بها و يناهض الوافد الذي يتعارض معها.

- دعم الاقتصاد الوطني، و تحريره من التبعية لمراكز الهيمنة الرأسمالية العالمية التي تقودها الشركات العابرة للقارات.

وما يمكن قوله عن التنمية المستدامة هو أنه لا يمكن تحقيقها بدون تكامل بعديها البشري والاقتصادي ، حيث أن جودة المنتج الاقتصادي تعتمد بالدرجة الأولى على جودة المنتج التعليمي ، ولذا فإن جودة المنتج الاقتصادي تقف عند عتبة المؤسسة التعليمية\* ، وجودة المعلم ولذلك فإن مواجهة العولمة بالتنمية المستدامة يتطلب ما يلي :

\* الواقع أن الجودة في أي قطاع من قطاعات الحياة المختلفة إنما تقف عند عتبة المؤسسة التعليمية ، فحين نقول بأن دولة ما غزت دولة أخرى ، فهذا لا يوحي بقوة الترسانة العسكرية بقدر ما يوحي بقوة الترسانة العلمية ، وكلما كانت وسائل الغزو قوية دل ذلك على قوة الجامعة ، فالطائرة والدبابة والسلاح النووي ...صنع بمخابر الجامعة ، وحتى القرارات السياسية لا يصنعها دهاء المجتمع أو قادة العسكر ، وإنما منشؤها الجامعة فالعلوم السياسية - وكل العلوم - غير الممنهجة لا مكان لها على أرض الواقع إلا إذا صدحت بها الجامعة .

- تطبيق مبدأ التعلم المتبادل ، حيث يتم ربط المؤسسات التعليمية بمؤسسات الإنتاج المناظرة لنوع التعليم الذي يقدم في هذه المؤسسات ، ويتردد المعلم بين المؤسسة التعليمية والمؤسسة الإنتاجية للتكامل بين ما هو نظري وما هو تطبيقي .
- الالتزام بمبدأ التعلم من أجل الإتقان في تقويم مخرجات العملية التعليمية .
- اشتراك المؤسسات الإنتاجية في عملية تخطيط المناهج وتصميمها ، بحيث يتم الربط بين المناهج الدراسية وسوق العمل ، من حيث تضمين المناهج بالمهارات المطلوبة لهذه المهن<sup>1</sup> .

## 2 - 2 - تفعيل عناصر الهوية في المجتمع المحلي :

تختلف الأمم في ملامح وتركيب هوياتها ، ولكنها بشكل عام تتفق على الدين واللغة والتاريخ المشترك ، رغم أن مختلف أزمات الهوية قد تنشأ من تعدد الأديان والطوائف الدينية ، وقد تنشأ من تنوع اللغات في البلد الواحد ، كما قد تتغير تفاصيل الحياة اليومية للأفراد بناء على السياق العام لمنظومة القيم الاجتماعية في المجتمع ، بينما ولكي تحافظ الأمم على ذواتها من الذوبان تعكف عادة على تقوية الدين واللغة والتاريخ المشترك ، بأساليب ووسائل متجددة بتجدد العصر ، وراقية برقي الطموحات والآمال ، حيث يتم ذلك بـ :

### 2-1-2 - تجديد الدين :

المقصود بتجديد الدين ليس إعادة كتابته أو صياغته ، وإنما إعادة قراءته بمنظار العصر ، وتفسير ما كان خافيا ومستترا في ضوء التقنية الحديثة ، ويشكل الدين البلازما التي تسبح بداخلها كل المقومات الأخرى ، والوثاق الذي يشد مختلف الأواصر من الضياع والتشرذم ، ويبدو الأمر جليا خاصة لدى الأمم التي تدين بالديانات السماوية ، وإن كان الدين لا تبدو آثاره فاعلة في حياة مختلف الشعوب ، فإن المجتمعات الإسلامية يظل الإسلام الحاكم الأول لها ، بما يحمله من تعاليم ، وبما حفظ من دستوره "القرآن" على مر الزمن ، ولمحافظة المسلمين على هويتهم فقد كان لزاما عليهم مايلي :

- ولقد نال الإسلام تشويه كبير من الإرهاب الذي مس بعض الشعوب ، ولذا يحتاج إلى تفعيل مؤسسات كبرى تعيد شرح مبادئه للمسلمين وغير المسلمين<sup>2</sup> ، وإبراز حقيقة تميزه عن سائر الديانات لما تتطوي عليها تعاليمه من سماحة ورحمة ويسر .
- التأكيد على رحابة الإسلام ، وقبوله مبدأ حوار الحضارات ، وإبراز قدرته على الانفتاح

<sup>1</sup> أحمد عبد الله العلي . العولمة والتربية . دار الكتاب الحديث . القاهرة . مصر . 2008 . ص 83 .

<sup>2</sup> صالح بلعيد . مرجع سبق ذكره . ص 142 .

والتفاعل مع الثقافات الأخرى ، وصلاحيته لإقامة جسور المودة والتعارف بين مختلف الأمم والشعوب ، ومصداقا لقوله تعالى " ... وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " الحجرات 13 .

- التركيز على القيم النبيلة في الثقافة الإسلامية كالتميز والثبات والاستعلاء عن الباطل ، وإظهار هذه الخصائص في رفض الثقافة الغازية<sup>1</sup> التي تستهدف تهميط المجتمعات وفق نمط لا علاقة له بالإسلام .

- تدارك عجزنا عن استخدام القرآن الكريم بما يليق به ككتاب سماوي ، وتغيير تقديسنا له كحبر وورق بدلا من التعاليم التي يحتويها .<sup>\*</sup>

- ينبغي تحصين النشء بالثقافة الإسلامية حتى تشكل سدا منيعا أمام الثقافات الغازية ، وحتى يميز الناشئة بين ما هو أصيل وبين ما هو وافد ، الأمر الذي من شأنه تمحيص ما كتبه المستشرقون ومن على شاكلتهم حول الإسلام ورجاله وتاريخه .

- ينبغي على المثقف والأكاديمي أن يعيد الاعتبار لنفسه عن طريق تأكيد هويته ، وذلك بتجسيد أبعاد الهوية المحلية في كل الأعمال ذات الطابع الإنساني والاجتماعي ، مع إبراز ما علق بهذه الهوية من مغالطات وما لحقها من تغميط للمحاسن .

- نظرا للغزو والتبديل الثقافي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية ، خاصة ذاك التبديل الذي جعل عقول أبناء الأمة المسلمة تبتعد عن دراسة الفكر الإسلامي والتراث الإسلامي إلا على أنه ظواهر قد اندثرت لا علاقة لها بالحياة المعاصرة ، ولا حاجة بها إليها ، ولذلك صار المثقفون المسلمون يأخذون حاجتهم من من جوانب المعرفة الإنسانية المختلفة من معين الغرب الذي شيد كيان هذه العلوم وبنائها على أساس من مفاهيمه ووفقا لظروفه وحاجاته وأهدافه وغاياته ، وتشكل بالتالي - وفقا لتلك الأسس والغايات الغربية- مختلف وجوه السلوك والنشاطات والمؤسسات الاجتماعية ، ولذا كانت هذه الانعكاسات على جوانب الحياة المختلفة ، مما يتقبله الإنسان الغربي ويتناسب مع أهدافه وغاياته ، ولعل مثل هذه الانعكاسات تحدث لدى المسلم نوعا من التمزق والانفصام بين هذه القيم والمنطلقات والغايات الغربية ، وبين معتقداته وقيمه وأهدافه وغاياته الإسلامية ، مما يجعل عملية التبديل الثقافي في الأمة الإسلامية ، وإسلامية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، واستعادة الهوية الفكرية والثقافية ، بمثابة حجر الزاوية في معالجة الأزمة الفكرية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> أحمد عبد الله العلي . مرجع سبق ذكره . ص 94 .

\* يشيع في مجتمعنا الجزائري وضع نسخة من المصحف الشريف على وسادة الطفل العليل لكي يشفى ، بدلا عن قراءة القرآن له .  
<sup>2</sup> الوجيز في إسلامية المعرفة . كتاب المعهد العالمي للفكر الإسلامي . هيرندن فيرجينيا . الولايات المتحدة الأمريكية . 1987 . ص 11 .

## 2 - 2 - 2 - تجديد اللغة :

تمثل اللغة\* وعاء الثقافة ، والثقافة أساس الحضارة ، والحضارة ترجمة للهوية ، ومن هنا كانت اللغة من أهم الأركان التي تعتمد عليها الحضارات ، ومن أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة ، وكلما كانت اللغة أكثر اتصالاً بثقافة الشعوب كانت أقدر على تشكيل هوية الأمة وحملها .

أن اللغة من مقومات الوحدة بها تنهض الأمم ، ويعلو شأنها ، وتحقق وحدتها ، وفي غيابها تتفكك الشعوب وتضمحل الروابط وتتداعي ، وينحسر الانتماء ، فالدول التي يتحدث أهلها بلغة واحدة تكون أكثر تماسكاً وانسجاماً من الدول التي تتحدث بعدة لغات ، بل إن وحدة اللغة من أهم عوامل الاستقرار السياسي والاقتصادي ، ومع ذلك فإن الثراء اللغوي الناجم عن تعدد الإثنيات والعرقيات يجب أن يقبل على أنه تنوع ثقافي لا مناص من احترامه وتوفير كل السبل لإظهاره على أنه جزء من لسان المجتمع ، وحامل لتراث أهله\*\*.

كما أن طمس هوية أي مجتمع ، إنما تبدأ بطمس اللغة التي يتحدث بها ذلك المجتمع ، وقد كان الاستعمار في الماضي يهدف إلى ذلك ، فنجد الكثير من اللغات قد طمست أو شوهدت واستبدلت بلغة المستعمر كما حدث في مجتمعات المغرب العربي ، حيث طمست اللغة العربية وشوهدت ، بل واستبدلت بالفرنسية .

كما أن طمس لغات الشعوب لا يبدأ عادة من الأذى الخارجي للمستعمر إلا إذا كان هناك ضرر داخلي يلحقه أبناء المجتمع المحلي بلغتهم ، عبر التبخيس والإهمال والاحتقار والازدراء ، بل والانبهار بلغة الآخر ، وجعلها أسمى من لغته الأم ، وتؤكد الشواهد على أن اللغة العربية قد نالها العقوق من أبنائها أكثر مما نالها المستعمر ذاته ، حيث مع التقصير في حقها عبر الأداء والنشر ، ساهمت وسائل الإعلام العربي في الإساءة للغة العربية كثيرا ، ولم يتوقف الأمر هنا ، بل إن هناك من وجه أصابع الاتهام لهذه اللغة باعتبارها لغة لا تواكب عصر التطور والتقدم . وإذا كانت عولمة اللغة تهدف إلى أن تنتقل اللغة من المحلية إلى العالمية ، ومن خلال النفوذ السياسي والعسكري والقوة الاقتصادية للدول الكبرى فإن لغتها ستكون هي اللغة التي تتجاوز كل الحدود لتصبح لغة العصر ولغة العالم ... وتلك هي العولمة اللغوية... بينما تستطيع

\* تمت الاستعانة بما جاء على هذا الموقع : المنتدى التربوي الشامل - علوم بلا حدود5 . 2011/07/25 .  
http://belahdoud.a7larab.net/t111-topic#11 .

\*\* يعتقد كثير من العرب أن اللغات المحلية في مختلف بلاد العالم الإسلامي كالأمازيغية والكردية و...إنما تمثل تهديدا للغة العربية والإسلام بشكل عام ، بينما تؤكد فصول الحضارة الإسلامية ذات المصدر الإلهي بأن الإسلام هو من أقام الكيانات الحرة للمسلمين في شتى الأنحاء التي تم فتحها ، كما أنه لم يحارب اللغات أو الهويات بل طرد الوثنية وفتح للمسلمين باب البحث عن اختيار حر ، كما أن الإسلام لم ينكر ما أثبتته التاريخ بأن الأصل أصل والفرع فرع ، والإسلام هو الذي علمنا التمسك بالإثنية التي تعطي مستوى الندية . انظر : صالح بلعيد . ص 58 .

اللغات الأخرى ، والعربية على سبيل المثال مواجهة هذه العولمة اللغوية بواسطة أدوات وأساليب العولمة نفسها كالانترنت والفضائيات ومختلف الفنون والترجمة وغيرها... ، بالطرق الآتية :

أ- نشر اللغة العربية في أكبر رقعة جغرافية ممكنة ، وهذا الأمر تؤيده وتسهل القيام به مسوغات شرعية ، ومسوغات واقعية ، ولا شك أن نتائجه ملموسة وسريعة ، وللقيام بهذه المهمة لا بد من سلوك قنوات عدة أذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

\* - نشر اللغة العربية في البلاد الإسلامية الناطقة بغير العربية ، وهي كثيرة وتمثل ثقلاً سكانياً مثل إندونيسيا ، والباكستان ، وبنغلاديش ، والواقع أن مسلمي هذه البلاد لهم عاطفة جياشة تجاه الإسلام ، وتجاه تعلم اللغة العربية ، دون إهمال البلدان التي تبدي تعاطفاً أقل مثل تركيا .

\*- ويتلو هذه البلاد في الأولوية البلاد الغربية ، سواء قلنا نشر اللغة العربية بين الجاليات المسلمة التي تعيش فيها ، أو حتى بين الغربيين أنفسهم ، ويوجد في بلاد الغرب متحمسون كثيرون للتعرف على الثقافة العربية ، والدين الإسلامي ، وهذا قد يكون مفتاحاً لتفهم مزايا هذه اللغة ، أو مفتاحاً لتعلم الإسلام .

ولا بد عند نشر اللغة العربية أن يتخذ الأمر مسوغاً دينياً لا عرقياً ، لأن كثيراً من الجماعات تعترض بأعراقها ولا ترضى عنها بديلاً ، كما أن الكثير من المجتمعات -بما فيها المجتمعات المسلمة - تنتظر باحتقار للجنس العربي وتعتبره المسؤول عن سقوط الخلافة الإسلامية\* وتعتبره جنساً لا يسعى إلا لتولي مقاليد السلطة ، دون أن تكون له اليد في صناعة الحضارة الإسلامية .

ب - نشر اللغة العربية الفصيحة بين المتحدثين بالعامية في جميع الأقطار العربية من الخليج إلى المحيط ، الأمر الذي يهيئ لإزالة الحواجز القبلية والعرقية واللغوية بين هذه الأقطار ، وبالتالي وحدة هذه الأقطار ويكون ذلك كما يلي :

\*- تقادي استخدام العامية لغة للإعلام المرئي والمقروء ، ومن المؤسف حقاً أن بعض الدول العربية لم تمنع في أقل الأحوال من استخدام العامية في بعض الصحف والمجلات المحلية ، ناهيك عن استخدام العامية في بعض خطابات مسؤوليها .

\*- تقليص انتشار ما يسمى بالفكر الفلكلوري أو التراثي ، حيث تعتمد بعض الجهات بحسن نية أو بسوءها إلى تبني العامية وجعلها مظهراً من مظاهر الاعتزاز بالتاريخ ، وتعبيراً

\* انظر بهذا الصدد : أرشيفهم وتاريخنا . الجزيرة الوثائقية .

عن الانتماء الإقليمي أو الوطني ، حيث تعمد إلى النباش عن تاريخ العامية ، وأهميتها ، وأثرها في تنمية الوعي الوطني ، ودورها في المحافظة على قيم وثقافة ذلك البلد ، بالإضافة إلى نشر الكتابات العامية ، وتبني الشعر العامي ، أو النبطي ، وعليه ؛ فحتى يمكن نشر العربية الفصيحة فإنه يتوجب علينا أن نبين للناس مدى خطورة هذا الفكر ، ومحاولة محاصرته في دوائر ضيقة . . . جاء في كلمة رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور شوقي ضيف في افتتاح مؤتمر دورة المجمع السابعة والستين بالقاهرة : « لو تبادت الإذاعات العربية في البث بالعاميات لانفكت الصلات التي تربط بين شعوب الأمة ، وانعزل كل شعب عربي وعاش وحده ، بينما شعوب الغرب في أوروبا المتعددة اللغات تجمع شملها في تكتلات اقتصادية وسياسية واحدة كالاتحاد الأوروبي ».

\* - توضيح خطر العامية على التمسك بالإسلام وفهمه ، فالذي يستخدم العامية بدل العربية الفصيحة يكون أبعد من الألفاظ والتراكيب اللغوية الفصيحة ، ومن ثمَّ يكون أبعد عن فهم القرآن الكريم والسنة النبوية ، وشيئاً فشيئاً تبنى الحواجز بين كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم اللذين هما مصدر هذا الدين ، وبين أهل الإسلام .

والواضح أن العامية قد أصبحت تشكل خطراً على اللغة العربية ، إذ أنها باتت تهدد الفصحى أكثر من تهديد اللغات الأجنبية ، وعلى اعتبار أن تعليم اللغة يبدأ من الأسرة ، فإن التنقيف بأهمية اللغة العربية والمحافظة عليها يجب أن يبدأ من الأسرة ، من خلال البرامج والندوات واللقاءات والتوعية الإعلامية بأهمية المحافظة على اللغة العربية وتعليمها للأطفال منذ أن يبدأ الطفل بنطق أو الحروف والكلمات ، ومن ثم يأتي دور المدرسة على اعتبار أن الطالب يقضي وقتاً طويلاً في المدرسة ومن ثم فهو يتأثر بالتقليد والمحاكاة ، ويمكن للمدرسة أن تعالج أخطاء الأسرة في التربية اللغوية واللفظية ، بشرط أن يشعر المعلمون والهيئة الإدارية بأهمية هذا الأمر ، ومن ثم يجب أن يكون لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة دور بارز في رفض العامية ونشر الفصحى وتنشئة الجيل على التحدث الفصيح ، وسلامة اللسان ، وروعة البيان ، وقوة التعبير ، ليكون معتزاً بلغته العربية لأنها لغة أعظم الكتب وأكرمها القرآن الكريم المنزل بلسان عربي مبين .

ج - الحد من توسع اللغة الإنجليزية والفرنسية ولا سيما في المجالات التي يمكن الاستغناء عنها ولو بشيء من المشقة ، مع جعل تعلم اللغات مرهون بالحاجة لاستعمالها ، فتعلم لغات الأجانب من شأنها أن تشيد جسوراً من التواصل المعرفي والعاطفي مع بلدان هذه اللغات .



د - تكثيف الترجمة العلمية الصحيحة والراقية ، وقد أثبتت التجارب العملية سواء التي قامت بها دولة مثل سوريا ، أو بعض الجامعات العربية أن الترجمة إلى العربية لها آثار إيجابية واسعة النطاق ، حيث يزداد التحصيل العلمي لمن يتعلم بلغته الأم ، ناهيك عما تؤدي إليه هذه الترجمة من تحفيز الجهود لأعمال عربية مماثلة لتلك التي تترجم ، بالإضافة إلى أن الترجمة إذا تمت من قبل أناس يجمعون بين إتقان الترجمة ، وإتقان العلم الذي تتناوله المادة المترجمة ، فإن ذلك سيحملهم على نقد المادة المترجمة ، أو الاستدراك عليها ، أو التعليق عليها ، وهذا يؤكد مقدرتهم على « هضم » ما قيل ، بل على الزيادة عليه .

هـ - على أهل التعليم ، من معلمين وأساتذة وأئمة وموجهين في القنوات التلفزيونية وآباء مثقفين و... أن يتقنوا اللغة العربية حتى يتسنى للأجيال أن تأخذ عنهم الفصاحة والبلاغة ، بل وتتعلم منهم غريب اللغة أيضا .

و - تكثيف الأنشطة والمسابقات اللغوية ، في فن الخطابة والإلقاء ، وكذا المطارحات الشعرية ، ومسابقات للقصة القصيرة ، وغيرها من صنوف الأدب واللغة ، ...وقد كانت تعقد كل سنة في مدينة بسكرة أيام للشعر والنثر والأدب بمناسبة ذكرى ميلاد الشاعر " محمد العيد آل خليفة " ، وكان يلتقي خلال هذه الأيام المبدعون وفنانو الكلمة من مختلف أنحاء الوطن ، وكان الإقبال على مثل هذه الأيام كبيرا ، مما جعله مناسبة ينتظرها البسكريون كل سنة بفارغ الصبر ، ...لكنها اختفت مع الأسف .

## 2-2-3 - تجديد الثقافة المحلية

### 2-2-3-1 - تغيير الذهنيات :

لكي تكون الدولة قطبا عالميا فإنه يلزمها قاعدة اقتصادية راسخة ودائمة النمو، ونظام سياسي مستقر ومفتوح للتطور، وكتلة سكانية كبيرة ذات مستوى فني مرتفع، فضلا عن التقدم التكنولوجي، وأخيرا إستراتيجية عسكرية عالمية بمعنى القدرة على الحرب في كل الأماكن المهمة من العالم، سواء كانت الحرب بالأسلحة التقليدية أو بالأسلحة النووية ، هذا هو الوضع المثالي للقطب العالمي، ولكن يمكن أن تكون الدولة قطبا عالميا، ولا تتمتع بالمستوى نفسه من القدرات الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية، ولا حتى القدرة على الحرب التقليدية في معظم أنحاء العالم ، حين تتوفر الإيرادات السياسية الحكيمة والعادلة والقائمة على الديمقراطية ،

وتتوفر أيضا الذهنيات المنفتحة على العالم دونما عقدة أو شعور بالنقص ، تجمع بين جنباتها جواهر الفن والإبداع ، حيث تطلق العنان لأفرادها بأن يكتبوا ويتفننوا ، و... ففي هذا الصدد كتب قسطنطين رزيق في كتابه (في معركة الحضارة ) : إنه لكي يحصل التغيير والتطور لا بد أن يصاحبه عمل جاد في :

- القدرة على العملية التقنية .
- القدرة على النظر والبحث .
- الإبداع الخلفي .
- الإبداع الجمالي .
- حرية التفكير والتغيير .
- انتشار المكاسب الحضارية بين أبناء المجتمع .
- رسوخ النظم والمؤسسات والتقاليد .
- بروز أشخاص يجسدون ذلك <sup>1</sup> .

وعلى هذا الرأي يعلق صالح بلعيد بأننا في حاجة إلى تغيير الذهنيات التي تعمل على تغيير البنيات الموروثة التي علقت بنا على أساس عدم المساس بكثير من المنقول ، فهو مقدس ، وكذلك يبقى ، ولذلك فإن بعض المقدسات تشكل عائقا - لأنها تشل الذهن المفكر المبدع - أمام التفاعل الثقافي الذي يعمل على تفتح شخصية الإنسان أيا كان ، وضمان الحريات الثقافية بالتشريعات اللازمة التي تفرض التوازن الثقافي ، إذ بوجود ذلك تظهر حرية الإبداع ، وحرية الاستماع للآخر ، وتقبل الرأي المضاد ، ... وهكذا .

ولذا فقد بات ملحا التعامل مع العالم بعقل تركيبي مفتوح ، وليس بلغة الحتمية القاهرة أو السلسلة المتحكمة ، فالواقع مركب ومفتوح على تعدد الخطوط والمسارات <sup>2</sup> .

## 2 - 2 - 3 - 2 - اعتماد مبدأ التنوع الثقافي في المجتمع المحلي :

ولعل أكثر ما يؤلم في مجتمعاتنا العربية الإسلامية هو أن الثقافات الفرعية تضيق ذرعا ببعضها في نفس الموطن ، وكأن الإقصاء هو سبيل النهوض والتغيير ، مع العلم أن الأمم التي قطعت شوطا في البناء الحضاري مثلما احتوت مواردها الطبيعية ومقدراتها الاقتصادية احتوت أولا مقدراتها البشرية والثقافية وأولتها أهميتها في إطار الدولة الواحدة ، دونما تمييز بين ثقافة

<sup>1</sup> صالح بلعيد . ص 141 .

<sup>2</sup> مجموعة باحثين . العولمة والهوية الثقافية . إشراف : فضيل دليو . مرجع سبق ذكره . ص 35 .

فرعية وأخرى ، حيث استندت معظم هذه الدول إلى الرابط الأقوى المشترك بين مختلف الثقافات ووضعت على ضوءه مختلف التشريعات التي تحكم الكل بلا استثناء ، وباسم حقوق المواطنة صاغت مدونات سلوك ثقافي ، تحفظ فيه حقوق الأقليات ، ويلتزم الكل على حد سواء بمدونات هذه السلوكيات الثقافية ، وفي كل الدول المتقدمة اليوم يشيع روح التسامح - وإن كان تسامحا يفرضه القانون - وتجاوز منطق القبيلة والعشيرة .

فلا بد إذن من مغادرة لغة الإقصاء والاستعلاء على المختلف والمغاير ، وبناء لغة تتأسس على سياسة الاعتراف المتبادل أو إتقان لغة التداول والشراكة ما هي تواصل وتعدد وتوسط ، وتكريس خطاب العلاقات الأفقية بدل العلاقات العمودية ، هذا خاصة بعد استنفاد الشعارات المتعلقة بالعمل الوحدوي والمجتمع المدني والتحول الديمقراطي<sup>1</sup>.

## 2 - 2 - 3 - 3 - المشاركة في بناء الحضارة العالمية :

إن إثبات الوجود من شأنه أن يدفع بكل أمة إلى إيجاد مكان لها ضمن الأمم الأخرى ، ولن يتحقق ذلك إلا بتوفير مختلف الأسباب المتمثلة في اصطناع التقنية اللازمة ، والإقرار بالتعدد والتنوع الثقافي بالداخل ، ثم قبول الآخر في الخارج ، الأمر الذي يحيلنا إلى واحدة من أطروحات الجابري القائلة : إن حاجتنا إلى الدفاع عن هويتنا الثقافية بمستوياتها الثلاثة ، لا تقل عن حاجتنا إلى اكتساب الأسس والأدوات التي لا بد منها لدخول عصر العلم والتقانة، وفي مقدمتها العقلانية والديموقراطية.

إن حاجتنا إلى تجديد ثقافتنا وإغناء هويتنا والدفاع عن خصوصيتنا ومقاومة الغزو الكاسح الذي يمارسه ، على مستوى عالمي ، إعلاميا وبالتالي إيديولوجيا وثقافيا، المالكون للعلم والتقانة المسخرون لهما لهذا الغرض ، لا تقل عن حاجتنا إلى اكتساب الأسس والأدوات التي لا بد منها لممارسة التحديث ودخول عصر العلم والتقانة، دخول الذات الفاعلة المستقلة وليس دخول "الموضوعات" المنفعلة المسيرة.

ثم إنه من الحقائق البديهية في عالم اليوم أن نجاح أي بلد من البلدان ، النامية منها أو التي هي في "طريق" النمو، نجاحها في الحفاظ على الهوية والدفاع عن الخصوصية، مشروط أكثر من أي وقت مضى بمدى عمق عملية التحديث الجارية في هذا البلد، عملية الانخراط الواعي ، النامي والمتجذر، في عصر العلم والتقانة

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق . نفس الصفحة .

والوسيلة في كل ذلك واحدة: اعتماد الإمكانيات اللامحدودة التي توفرها العولمة نفسها، أعني الجوانب الإيجابية منها وفي مقدمتها العلم والتقانة. وهذا ما نلمسه بوضوح في تخطيطات الدول الأوروبية التي يُدقّ في كثير منها ناقوسُ خطر "الغزو الأمريكي" الإعلامى الثقافى الذى يتهدها، في لغتها وسلوك أبنائها وتصوراتهم الجمعية، والذي يوظف أرقى وسائل العلم والتقانة - ومنها الأقمار الصناعية - في اكتساح مختلف الحقول المعرفية والخصوصيات الثقافية.

ولذلك فإنه يجب إزاء هذه الوضعية، التخلي عن عقلية القوقعة أو المؤامرة للتعامل مع العالم بعين أكثر اتساعاً بوصفه المدى الحضارى للعمل الكوكبى والتنمية البشرية، فنحن نخرط في زمن تتداخل فيه ثلاثة مستويات: المحلى والإقليمى والعالمى، وكل العلامات تنبئ بمفاعيل جديدة، الأجدى والأحرى التعامل معها وليس نفيها أو إقصاؤها للتطابق مع ما في الذهن من النظريات الكبرى والنماذج المثلى والحلول القصوى وسواها من الأفكار المطلقة<sup>1</sup>.

إن أوربا اليوم تتحدث حديث الخصوصية والأصالة، وتتحدث عن "الهوية الأوربية" تعزيزاً لسيرها الجدى على طريق تشييد الوحدة بين شعوبها وأقطارها، بخطوات عقلانية محسوبة في إطار من الممارسة الديمقراطية الحق. وهي بذلك تقدم لمستعمراتها القديمة، لأقطار العالم الثالث كله، نموذجاً صالحاً للإقتداء به بعد ملاءمته مع الخصوصيات المحلية.

### ثالثاً: عوائق مواجهة الهوية المحلية للعولمة

#### 1- عقبات الحوار بين الحضارات<sup>2</sup>

يعترض الحضارات إشكالات ترسم عقبات عديدة في أفق الحوار من بينها:

#### أ - غموض مفهوم الحضارات:

يتعلق الإشكال هنا بغموض مفهوم الحضارات وكذا صعوبة تحديد الحدود الفاصلة بينها. فالحضارة مفهوم شامل ينصرف إلى نمط التفاعلات بين الجوانب الاجتماعية والمادية للحياة، فهي تراكم أفكار ومشاعر وسلوكيات شعب معين ونمط تفاعلاتها المتبادلة مع البيئة، وكما يشير ساطع الحصري إلى أن الحضارة تشمل الأحوال المادية والمعنوية معاً ولكنها تظهر في

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق. نفس الصفحة.

<sup>2</sup> www.eg.emb-japan.go.jp/e/bilateral/japan\_egypt/seminar/peace\_and\_human\_development/mohammed\_selim/mohammed\_2008/03/07selim\_15.htm

أحسن صورها في العلوم والصنائع ، أما الثقافة ، فإنها تظهر في أظهر معانيها في اللغات والآداب . ولهذا ، فإن الحضارة ، كما يقول الحصري ، قابلة للانتقال من أمة إلى أخرى ، أما الثقافة ، فتبقى خاصة بكل أمة على حدة وأن أثرت ثقافات الأمم المختلفة . كذلك ، فالحضارة لا تختص بأمة من الأمم ، بل تشمل عددا أكبر من الأمم ، فبينما الثقافة تختص بكل أمة على حدة وترتبط بلغة الأمة وآدابها ، وباختصار "فالثقافة تكون ، في ذاتها ، قومية والحضارة تكون بطبيعتها أممية" .

يترتب على ذلك أنه يمكن تعيين الحدود الفاصلة بين الثقافات ، ولكن تلك المهمة ربما كانت صعبة بين الحضارات . ولهذا نلاحظ أنه لا يوجد اتفاق بين الباحثين حول عدد الحضارات التي شهدتها التاريخ البشري وماهيتها ، فقد حدد هنتجتون في كتابه صراع الحضارات المنشور سنة 1996 سبع حضارات أساسية هي الحضارة الصينية (الكونفوشية) ، اليابانية ، والهندوسية ، والإسلامية ، والأرثوذكسية (الروسية) ، الغربية ، الأمريكية اللاتينية مع احتمال وجود حضارة أفريقية . ولكن هذا التقسيم ليس محل اتفاق فقد تحدث توينبي عن 21 حضارة ثم رفع العدد في دراسة تالية إلى 23 حضارة ، بينما عدد شبنجاء ثمان حضارات . وقد تعامل مهاجراني ، مدير مركز حوار الحضارات في إيران مع تلك القضية بالمعادلة بين حوار الحضارات ، وحوار الثقافات ، وحوار الأديان واعتبر أن تلك الحوارات تعبيراً عن أمور مترادفة ، يترتب على ذلك أن تحديد الحضارات محل الحوار هي مسألة لا يضبطها معيار محدد سلفاً .

#### ب - الاختلاف حول من يمثل الحضارات :

يتعلق هذا العائق بالاختلاف حول من يمثل الحضارة في الحوار ، على خلفية أن الحضارات تتسم بعدم التجانس نظراً لأنها تتخطى وتنتقل عبر الأمم ، ومن ثم ، فإن تحديد من يمثل الحضارة متعددة الأمم (كالحضارة الأوروبية المعاصرة) هي مسألة تحكمية . وفي حالة الحضارة ذات الأمة الواحدة (كالحضارة الصينية) ، هل يمكن القول أن النخب الحاكمة هي التي تمثل تلك الحضارة في الحوار ، أم أنه ينبغي أن يشمل الحوار النخب غير الحاكمة ومنظمات المجتمع المدني أيضاً . وفي حالة تعدد التوجهات الفكرية داخل الحضارة الواحدة ، ما هو التوجه الفكري الذي ينبغي أن يقود الحوار بالنيابة عن الحضارة التي يمثلها ، وكيف يمكن خلق تشكيلة من الاتجاهات الفكرية المتعددة ، والفئات الاجتماعية المختلفة (نخب حاكمة وغير حاكمة ، نخب ومنظمات مجتمع مدني) للانخراط في حوار الحضارات والواقع أن معضلة حوار

الحضارات التي تمت حتى الآن هي طابعها النخبوي الرسمي ، والذي لا تكاد الحضارات تشعر بتأثيره .

### ج - توفر شروط الحوار :

تتعلق هذه العقبة بالشروط التي يجري في ظلها الحوار ، على اعتبار أن الحضارة الغربية تتسم بتفوقها العلمي والتكنولوجي على حضارات العالم الثالث . ومن ثم ، فهي في موقع يسمح لها بالسيطرة على جدول أعمال حوار الحضارات بحكم أنها هي التي تقدم المساعدات للأخيرة . وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ساد الحضارة الغربية شعور عام بالتفوق الشامل انعكس في شكل استراتيجيات للترويج للقيم الغربية في كل المجالات واعتبارها القيم الوحيدة المقبولة كأساس للتعامل الدولي ، وهو ما تمثل في مقولة "نهاية التاريخ" . وهو ما يعني أنه مع انتصار القيم الغربية ، فقد وصل التاريخ إلى منتهي تطوره ، حيث لا قيم أخرى بعد القيم الغربية ، وفي هذا الإطار ظهرت مقولة الصدام بين الإسلام والغرب ، وثارَت التساؤلات في الغرب عن مدى اتساق الإسلام مع القيم الديمقراطية، باعتبار أن شرعية الإسلام ، في المنظور الغربي ، إنما تستمد من انسجامه مع القيم الغربية ، وليس مع القيم التي يقدمها لذاتها . وقد ازداد هذا التوجه ، مع أحداث 11 سبتمبر في الولايات المتحدة ، حيث تم توظيف تلك الأحداث لتأكيد الهيمنة الأمريكية على النظام الدولي وبدأت الولايات المتحدة إتباع إستراتيجية جديدة أساسها الضغط على القوى الأخرى لقبول تلك السيطرة ، والإذعان للرؤى الأمريكية للعلاقات الدولية ، والانفراد بالتصرف ، والتدخل في شئون الدول الأخرى لإحداث تغييرات تتفق والإستراتيجية الأمريكية ، من المؤكد أن هذا المناخ الدولي يجعل من عملية حوار الحضارات عملية صعبة . فحوار الحضارات يفترض التكافؤ والندية بين المتحاورين ، بينما القطبية الأحادية تنفي هذا التكافؤ ، والواقع أن عدم التكافؤ الذي يميز المناخ المحيط بحوار الحضارات لا ينبع فقط من سعى الحضارة الغربية نحو السيطرة ، وإنما أساساً من التفوق النسبي للحضارة الغربية على غيرها من الحضارات بحكم تخلف الأخيرة في ميزان القوى الشامل . و من ثم ، فإن الحوار لا يمكن أن يكون متكافئاً حتى ولو لم تسع الحضارة الغربية نحو السيطرة .

## 2 - عوائق التنمية المستدامة

### عوائق تتعلق بمؤسسات التنشئة الاجتماعية :

تعود العوائق المتعلقة بمؤسسات التنشئة الاجتماعية إلى الأزمات التي تكتنف هذه المؤسسات في العالم العربي الإسلامي على وجه الخصوص ، إذ أن المناهج المعتمدة في

تربية الأجيال مشوبة بالتناقض ، بل والفصام بين ما تقليدي وما هو عصري ، حيث تبرز أزماتان اثنتان هما :

### الأزمة الأولى : آباءية المناهج في المؤسسات التربوية الإسلامية التقليدية :

تسلمت المؤسسات التربوية الإسلامية التقليدية مناهجها من الماضي، ثم مضت في تطبيقها دون تمحيص أو مراجعة ، رغم أن النظر في التطورات التي مرت بها هذه المناهج يشير إلى أن مكوناتها الرئيسية نمت مستقلة بعضها عن بعض ، وحين وجدت نفسها أمام الحاجة للانتظام في نظرية تربوية متكاملة تواكب التجدد في الخلق (التطور) ، وتلبي حاجات الأزمنة والأمكنة لم تستطع - لعوامل عديدة - تخطي العقبات التي واجهتها وتركت مكوناتها التي نمت تتباعد وتتشكل من منطلقات التصورات الجزئية والانتماءات المذهبية ، الأمر الذي أوقف النمو التربوي خلال القرون المتتالية ، وانتهى بالمناهج التربوي لتعلم الأبناء ما أورثه الآباء .

ويكشف النظر في المناهج المعتمدة في المؤسسات التربوية التقليدية الحاضرة عن

### الصفات السلبية الآتية :

- طغيان الماضي على محتويات هذه المناهج ، وقلة المساحة التي تشغلها حاجات الحاضر ومشكلاته ، وتحديات المستقبل ، ولذلك يكون الدارس الذي تخرجه هذه المؤسسات - في أحسن أحواله - راسخا في علوم الماضي ، غير محيط بعلوم الحاضر وشؤون المستقبل ، مع أن الإحاطة بعلوم الحاضر والرسوخ في علوم الماضي شرط قرآني لتمكين الإنسان القيام بواجبه .

- طغيان فقه الشعائر والأحوال الشخصية المتعلقة بشؤون الأسرة والفرد ، ومعاملات الأسواق على فقه شؤون الأمم وشبكة العلاقات الاجتماعية وتفريعاتها في ميادين السياسة والحكم والاقتصاد والاجتماع ، وانعدام فقه الكون الطبيعي الذي يوجه إليه القرآن الكريم ، باعتباره المختبر الذي يرى فيه آيات الله في الآفاق المبرهنة على صدق آيات الله في الكتاب .

- سطحية "شهود" أو معايشة التيارات العالمية الجارية في ميادين العلم والتربية وعدم التفاعل معها إلا فيما تعلق باستعارة التنظيم البيروقراطي للمؤسسات التربوية ، وأسماء الشهادات والمراحل التعليمية والرتب العلمية .

- انعدام البحث العلمي والتربوي والاكتفاء بترديد علوم الماضي وتطبيقاته .

**الأزمة الثانية : اغتراب مناهج المؤسسات التربوية الحديثة التي أنشأت على النمط الغربي :** فقد لعب المبشرون الغربيون دورا كبيرا في تنظيم النظم وصياغة المناهج التربوية الحديثة في الأقطار العربية الإسلامية ، غير أن الحساسية الدينية التي أثارها ممارسات المبشرين - خلال عهود الاستعمار الاحتلالي - جعلت الدول الغربية تسند النشاطات الثقافية إلى مؤسسات جديدة اتخذت طابع المعونات الثقافية الدولية -أو ما يعرف باسم "مؤسسات المعونات الدولية"- ، ولقد ركزت هذه المؤسسات عملها على استقدام النخبة من أبناء العالم الثالث ، ومنها الأقطار العربية الإسلامية لتعليمهم وتدريبهم في الجامعات الغربية وإعادتهم إلى أقطارهم ليقوموا بدور الوكلاء الذين يهيئون الأجواء لاستهلاك نماذج الثقافة الغربية ومنتجاتها الصناعية .

ولم يقتصر الأمر على التربية فقط بل شمل أيضا البحث الأكاديمي الذي أسهم في تطوير برامج تقنية ونشاطات ذات أثر سياسي وإيديولوجي أعمق .  
ولقد ترتب على ظهور هذه المؤسسات ظهور نوع جديد من الاستعمار الثقافي الذي استمد قوته من خلال الهيمنة على مؤسسات التربية الحديثة في العالم الثالث ، وتوجيه وسائل الإعلام توجيهها غربيا .

وبسبب هذا الاستعمار الثقافي صارت مؤسسات التعليم في الأقطار الإسلامية تخرج علماء ولا تطور علوما ، فهي مثلا : تخرج أطباء ولا تخرج علوما طبية ، وتخرج اقتصاديين ولا تؤسس علوما اقتصادية ، ...

فالعالم الإسلامي والعالم الثالث الذي تنتمي الجزائر لكليهما ، يعاني من اضطراب في "ميزان المدفوعات الثقافية" ، حيث يستورد من المعرفة والثقافة أكثر مما يصدره ، لأنه يعتمد بشكل رئيسي على الدول الصناعية فيما يستعمله من برامج تعليمية ، وفيما يقرأه من كتب ومجلات ونشرات ، وفيما يشاهده من برامج تلفزيونية وأشرطة فيديو ، ومواد مرسلة بواسطة الشبكة العنكبوتية و... وفي البحث التربوي والعلمي والمعرفة التكنولوجية والإدارية والعسكرية ، وحتى في المعلومات والمعارف المتعلقة بالعالم الثالث نفسه ، فهذه وأمثالها يجري إنتاجها في جامعات ومخابر ودور نشر الدول



الكبرى ، ثم يجري توزيعها في العالم الثالث من خلال خبرائها وبعثاتها وإرسالياتها ومؤسساتها الثقافية والدينية وغيرها<sup>1</sup>.

وما دام العالم الثالث والعالم الإسلامي غير قادرين على إنتاج برامج ومناهج تربوية ومعرفية وعلمية مستقلة يعمل فيها باحثوهم بتفكير مستقل ، متطافر مع غيره لإنتاج المعارف والمناهج والعلوم ، متفاعل مع سوق المعرفة الدولية بكفاءة واستقلال ، فسيظلان ملحقين معرفيين ، ومختبري تجارب ، وسوقي استهلاك تربوي وثقافي للأقطار الصناعية<sup>2</sup>.

لذلك فإن تأصيل المناهج التربوية في الأقطار العربية الإسلامية لا يفيدنا ثلاثة فرقاء : فريق الآبائين ، وفريق المثقفين المستغربين ، وفريق الخبراء الأجانب ، إذ أن فريق الآبائين مغتربون في الماضي ، ولا وعي لهم بحاجات الحاضر وتحديات المستقبل ، ولا اتصال لهم مباشر مع الكتاب والسنة ، فهم أناس يرفعون فهم الآباء للكتاب والسنة إلى منزلة الكتاب والسنة ، ويصرون على تقليدهم ويعتقدون عصمتهم . وفريق المستغربين أسرتهم الثقافة الغربية وشكلت أنماط التفكير عندهم ، وصنعت منهم وكلاء توزيع وتسويق لثقافتها ومعارفها . أما الخبراء والمستشارون الأجانب فتوجههم مصالح بلادهم في الاستعمار الثقافي والهيمنة الفكرية ، لذلك فإن الركون إليهم يضر بمصالح الأمة<sup>3</sup>.

### 3 - معوقات بناء ثقافة عالمية :

إن أولى معضلات ثقافة المجتمعات العربية الإسلامية هي تقييد العقل بالسياسة والقانون والأعراف ، وبمختلف المبررات في الحكم على مختلف القضايا ، ووزن مختلف أنماط السلوك والممارسات الاجتماعية التي تشكل الحياة اليومية ، وكأن الإطار المرجعي للأمة ثابت لا يتكيف ، ولا يقبل التجديد والتطوير ، بل ولا يقبل المناقشة ، وكأن صياغته صياغة أبدية أزلية ، بل وكأن الحوادث التي جرى وجودها منذ قرون يجب أن تبقى المعيار الذي نكيل به حياتنا اليومية ، ونزن به صحة السلوك من عدم ذلك ، ولذلك فإن مراجعة هذه الثقافة أمر ضروري لكي تكون مؤهلة للمشاركة في إنتاج الثقافة العالمية ، ولا يتم ذلك إلا بالوقوف على مختلف

<sup>1</sup> ماجد عرسان الكيلاني . مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها . عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . 1995 . ص 21-15 .

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق . ص 20 .

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق . ص 21 .

المعوقات التي تحول بينها وبين أداء المشروع الإنساني النبيل الذي تثبت من خلالها أحقيتها وجدارتها في توجيه العالم أو ربما قيادته إلى عالم أفضل ، ويمكن الوقوف على هذه المعوقات من خلال النقاط الآتية :

### العائق الأول : الغلو في تدين الدنيا

معروف في الدين الإسلامي أن الأصل في الأمور الإباحة ، أي أن القيد والتحریم هو الشذوذ عن القاعدة ، والتحریم لا يكون إلا بنص جامع ومانع ، أي بنص قطعي الثبوت قطعي الدلالة ، وحتى في مثل توافر ، فإن القراءة وفهم النص خاضعة للظروف المحيطة بمن يقرأ وكيف يقرأ ، وأين ومتى ، وهذا هو السبب الذي كان يقف وراء تلك التعددية الفقهية والسياسية التي نراها في تاريخ الإسلام ودوله ، وكلها تتخذ من المرجعية ذاتها سنداً لشرعيتها ، وهو ما يجعل كل المذاهب معرفياً تقف على قدم المساواة ، لكن سلطة مذهب دون آخر تحكمه الأيديولوجيا وليست الاستمولوجيا ، أو تيار سياسي دون آخر .

من جهة أخرى فإن آيات الأحكام في القرآن الكريم ، القطعية الدلالة والظنية الدلالة معا ، لا تتجاوز المائتي آية ، من ستة آلاف آية هي مجموع آيات القرآن الكريم . بينما في السنة يمكن التفريق بين السنة التبليغية التشريعية العامة ، وهي التي لكل الناس في كل زمان ومكان ، ولا تخرج عما ورد في القرآن الكريم إيضاحاً وتحديداً . والسنة التشريعية الخاصة الصادرة عن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " بصفته قائداً أو قاضياً أو حاكماً في زمانه ، ومعظم سنة رسول الله من هذا النوع . كما أن حجية الإجماع فيما لا نص فيه من المسائل المختلف عليها زماناً ومكاناً وكيفاً وإجراءً .

المقصود هنا من هذا الحديث ، أن النصوص الدينية المتعلقة بشؤون الدنيا قليلة وعامة ، ومفتوحة التأويل والتفسير بحسب مقتضيات القضية المتغيرة في الزمان والمكان ، لكن المشكلة أن الغلو للأغراض السياسية والمصالح الشخصية في التاريخ الإسلامي قلبت القاعدة ، فتحول التحريم إلى أصل ، والتعددية إلى أحادية ، والشريعة إلى تفصيلات قياسية اجتهادية فردية تتعلق بكل شأن من شؤون الدنيا ، منحت صفة النص المقدس ، رغم أن النص المقدس قليل وعام وفي أضيق الحدود ، وهو الأمر الذي أدى بالمسلمين إلى اجترار أعمال أشخاص على أنها جزء من الدين ، بينما هي مجرد اجتهادات لحل قضايا دنيوية ، نعم كانوا يستلهمون النصوص المقدسة ،

بصفتها المبادئ الدستورية للجماعة ، ولكنها تبقى اجتهادات دنيوية فردية ، لا يمكن أن تدخل من باب المقدس ، إذا كان منطلقنا معرفيا وليس إيديولوجيا . وفي ذلك يقول رسول الله " صلى الله عليه وسلم " "أنتم أعلم بشؤون دنياكم " ، وهذا الحديث جاء بمناسبة تأبير النخل ، وهو لم يدع معرفة شؤون الدنيا كلها .

### العائق الثاني : التقديس الاختزالي للتراث :

الحديث عن التراث في المجال الثقافي ، يعني ذلك الموروث الذي تلقاه الأفراد عن آبائهم وأجدادهم ، والموروث في الثقافة العربية الإسلامية متعدد الأغراض والاتجاهات والمصادر، ولكن مثل ما أن الأيديولوجيا قد اختزلت تعددية التفسير إلى أحادية التفسير ، فإنها قامت بالدور نفسه فيما يتعلق بالموروث الثقافي للجماعة ، فرغم تعدد واختلاف تيارات واتجاهات هذا الموروث ، كأبي نشاط إنساني يسعى إلى حل مشاكل اجتماعية في إطار الزمان والمكان ، إلا أن عمليات الاختزال والإزاحة والتثنية والتنقيح ، القائمة على فهم معين للدين عادة ما يكون هو المهيمن سياسيا ( إيديولوجيا ) ، تقضي على هذه التعددية والاختلاف المنطلق من ذات المرجعية والشرعية ، ولا يبقى إلا فهم واحد ، بآليات فكرية معينة ، هو المعترف به كطريق أوحده أيضا للوصول إلى الحقيقة ، التي هي حقيقة شرعية بالضرورة<sup>1</sup> . وبالتالي فإن التراث وفق هذا المعنى ، يتحول إلى نصوص مقدسة بدورها ، إلى جانب النصوص المقدسة الأصلية ، ويصبح الاستشهاد " بقال فلان " موازية ومساوية "لقال الله تعالى" و "قال الرسول عليه الصلاة والسلام " ، رغم أن أصحاب الأقوال أنفسهم لا يرون في عملهم إلا نوعا من الاجتهاد البشري القابل للخطأ .

### العائق الثالث : المبالغة في تضخيم الذات

يفترض العقل العربي دائما ، أنه في حالة مستمرة من التوتر ، بسبب التوجس من الآخر ، لما يعترى علاقته بهذا الآخر، سواء كان هذا الآخر من خارج أمته ، أو على المستوى الداخلي "الرأي المخالف" أو الاتجاه الإيديولوجي المعاكس ، وهكذا فالآخر دائما في حالة تربص مستديم ، ضدنا ، فهو يخشانا ويفعل المستحيل لأجل ألا نعود إلى سدة السيادة العالمية ، لأن

<sup>1</sup> تركي الحمد . الثقافة العربية في عصر العولمة . دار الساقى . ط2 . بيروت . لبنان . 2001 . ص 126 .

العلل التي تعترينا ليست من ذات مصدر ذاتي بقدر ما هي نتيجة استهداف تاريخي مستمر من الآخر ، ولن تقوم لنا قائمة إلا بتلاشي الآخر<sup>1</sup> ، لكن ماذا لو تلاشى هذا الآخر ، هل بإمكاننا تحقيق النهضة ونحن تحتوينا العلل ويدب في أوصالنا الوهن\* ؟ نحن بدلا من أن نعمل ونبحث ونجتهد ، ننتظر معجزة تنتشلنا مما نحن فيه من توجس وخوف على الهوية .

وفي معرض حديثه عن نوعية القيم الذاتية التي تكون مصدرا للتحرر والتطوير التتموي ، خاصة إن كانت متعددة ومتداخلة الروافد والأبعاد ، يؤكد المهدي المنجرة بأن التدخل الخارجي وحده لا يشكل عائقا أمام التنمية ، بل إن القيم الذاتية للمجتمع قد تعيق ذلك ، حيث أن لكل مجتمع نواة ثابتة للقيم ، ففي سياق التخلف تتغير القيم بتغير أنساق الثقافة في المجتمع ، وبالتالي ينعكس ذلك على علاقة الإنسان بالقيم ، ونوعية القيم السائدة في المجتمع ، لذلك ما هي القيم التي يمكن اعتمادها لتحقيق التنمية ؟ هل هي القيم الدينية ؟ هل هي القيم السوسيوثقافية ؟ هل هي القيم المتوسطة ؟ فهل قيم معنية كلها بمسألة التقدم الحضاري والمجتمعي ؟ هل الإنسان في حاجة إليها لكي يتقدم في إطار استحضر مشروع مجتمعي ؟ وهل يختزل التاريخ في الذاكرة ، لتتحول القيم في علاقتها بما هو ديني وما هو معرفي وما هو سوسيواقتصادي إلى ذكرى ؟ وبالتالي أليس من الضروري أن تنتظم القيم المشرقة في إطار نسق محدد إلى جانب الأنساق الأخرى ، لتكون رافعة للتحرر والتقدم ؟<sup>2</sup>

بعبارة أخرى ، يصف تركي الحمد الثقافة العربية بـ :

- أنها ماضوية في مقابل المستقبلية .
- أنها أسطورية في مقابل الواقعية .
- أنها أحادية في مقابل التعددية .
- أنها رغبوية في مقابل التاريخية<sup>3</sup> .

### خلاصة الفصل :

بحث هذا الفصل بشكل مطول ودقيق في مختلف الأدبيات التي كتبت بشأن العولمة ، وقرأ خلف السطور ، وقلب مختلف مواطن الغموض المحيطة في كيفية مواجهة العولمة ،

<sup>1</sup> تركي الحمد . نفس المرجع السابق . ص ص 124 - 128 .  
 \* كثيرا ما يعترى سلوكنا التناقض ونحن نرفع أيدينا إلى السماء ضارعين إلى الله بأن يدمر اليهود والكفار وأن يحرر القدس وأن يرفع الحصار على المسلمين في أنحاء العالم ، فيما نحن نحترف العبث والمجون ونوقع بأيدينا على موثيق بيع أراضينا المقدسة ، بل و لا يهمنا من شؤون المسلمين إلا أعدادهم أثناء عمليات الإحصاء للتباهي لا أكثر .  
<sup>2</sup> العولمة وحوار الحضارات والثقافات . ص 87 .  
<sup>3</sup> للمزيد من التفصيل فيما يخص مختلف العوائق والتحديات النابعة من المجتمع العربي ذاته ، انظر : تركي الحمد . الثقافة العربية أمام تحديات التغيير . دار الساقى . بيروت . لبنان . 1993 .

وانتهى به الحال إلى التأكيد على أن مواجهة العولمة لا تتم إلا من قبل هوية فاعلة في الحياة الاجتماعية ، فيما تتم المواجهة على مستويين أساسيين هما :

مستوى التفاعل مع الآخر ، وذلك عن طريق الحوار الحضاري أو المواجهة بالانعزال أو المواجهة بالعنف والمناهضة .

مستوى التفاعل الداخلي ، ويتضمن مختلف العمليات الداخلية التي ينتهجها المجتمع في سبيل تقوية هويته ، والحفاظ عليها من الزعزعة والشتات ، ويكون الأمر بالتنمية البشرية المستدامة والتي تعنى بصناعة الإنسان الفعال والجاد "الإنسان الصالح" ، وكذا بالتنمية الاقتصادية المستدامة التي تشكل سدا منيعا أمام عولمة البنى التحتية للمجتمع ، هذا فيما يتضمن تفعيل أبعاد الهوية في المجتمع دورا بارزا في الحفاظ على الهوية ، إذ أن الفرد الذي يجعل مقومات هويته وأبعادها لا يمكن بأي حال أن يحافظ عليها وأن تنتابه الغيرة بشأن انتهاكها .

هذا فيما صادف البحث في الموضوع بعضا من العوائق التي تقف حاجزا تجاه تحقيق المواجهة بفعالية .

# الفصل السابع

## هوية المجتمع المحلي الجزائري

أولا : ملامح المجتمع المحلي العربي

ثانيا : القواسم الهويةية بين مجتمعات العالم العربي

1 - الدين الإسلامي

2 - اللغة العربية

3 - التاريخ والتراث

ثالثا : هوية العقل في العالم العربي المسلم

رابعا: الهوية الجزائرية

1 - الهوية الجزائرية في السياق التاريخي

2 - أبعاد الهوية الجزائرية

2 - 1 - البعد الزمكاني للهوية

2 - 2 - البعد العرقي أو الإثني

2 - 3 - البعد الديني

2 - 4 - البعد اللغوي

3 - أزمة الهوية الجزائرية

3 - 1 - مظاهر أزمة الهوية الجزائرية

3 - 2 - سجلات اللغة العربية

3 - 3 - سجلات الأمازيغية

**تمهيد**

المجتمع تآلف معقد يشمل بين مقوماته الأساسية الوطن ، البيئة والسكان والتنظيم الاجتماعي والمؤسسات والبنى، المتفاعلة فيما بينها ومع المجتمعات الأخرى عبر التاريخ ، وبهذا التفاعل الداخلي والخارجي تتشكل لديه ثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات ، وتمايز في ذات الآن بين ثقافات الأجيال المتعاقبة عليه .

**أولا : ملامح المجتمع المحلي العربي<sup>1</sup>**

ينبسط المجتمع العربي على رقعة شاسعة ، مجتمع شديد التنوع، انتقالي يتجاذبه الماضي والمستقبل والشرق والغرب في آن واحد، منكفى على جذوره انكفاء أصيلا ، سلفي تقليدي غيبي أصيل في منطلقاته ومستقبلي متجدد علماني مستحدث في تطلعاته ، مركزي متصل بالعالم اتصالا وثيقا وهامشي بين مجتمعات العالم الحديث، منفتح متغير بسرعة ومغلق ثابت بشكل مذهل، غني في ثرواته ومواقعه وفقير متخلف مهدد، صامد رافض ومسال مستسلم، متفائل واثق بنفسه ومتشائم متدن في معنوياته، متقدم ومتراجع، مأساوي وهزلي في أمنيته واستجاباته،... الخ ، إن المجتمع العربي، باختصار، هو تآلف كل هذه التناقضات وغيرها في عالم متناقض. والدارس للمجتمع العربي يستنتج جملة من الخصائص منها :

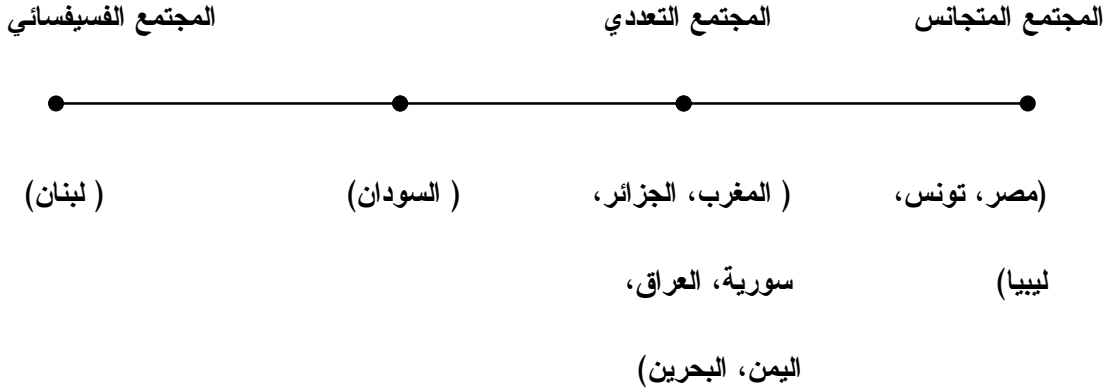
**1 - التنوع أو التنوع في إطار التكامل :**

وأكثر من هذا **مجتمع متنوع في إطار التكامل** ، متنوع ببيئته الغنية والتمايز من دولة لأخرى ، متنوع في تنظيمه الاجتماعي ، وأنظمته الاقتصادية ، وأساليب المعيشة وطرائق التفكير ، متنوع في أنظمة حكمه ، متنوع في طوائفه وجماعاته الإثنية والعرقية ، متنوع أيضا في مشكلاته وقضاياها وأزيائه ، وهو متوحد بطريقة لا يمكن أن نطلق عليها مصطلح الوحدة ، مع العلم بأن الوحدة لا تقوم بالضرورة على التشابه ، وفي إطار هذا التنوع يمكن تصنيف مختلف الدول العربية في نموذج حسب درجة التنوع والانسجام ، حيث يشكل هذا النموذج قطبان أحدهما المجتمع المتجانس والثاني أو المقابل بالمجتمع الفسيفسائي يتوسطهما المجتمع التعددي ، ويبدو ذلك في الشكل الموالي :

<sup>1</sup> حلیم بركات . المجتمع العربي المعاصر . بحث استطلاعي اجتماعي . مركز دراسات الوحدة العربية . ط2 . بيروت . لبنان . 1985 . ص ص 13-21 .

شكل رقم ( 01 )

مدى تنوع المجتمعات العربية



أما البحث عن العلاقات القائمة بين مختلف الجماعات التي يتكون منها المجتمع ، فيمكن الوقوف عليها من خلال درجة انضواء الجماعات داخل المجتمع ، إلى جانب مختلف السياقات الأخرى التي يكتنفها المجتمع والمتمثلة في سياقات النزاع والتعايش والانصهار، بعبارة أخرى يمكن القول بأن: عملية الانصهار تسود في المجتمع المتجانس ( يكون التجانس نسبيا وليس مطلقا ) ، وتسود عملية التعايش في المجتمع التعددي، وتسود عملية النزاع أو التراوح بين التعايش والنزاع في المجتمع الفسيفسائي.

**المجتمع المتجانس :** يتكون من جماعة واحدة منصهرة اجتماعيا وثقافيا ، فتتوحد الهوية الخاصة والهوية العامة في هوية واحدة جامعة، وتسود في هذا المجتمع عملية الانصهار وينشأ فيه نظام سياسي مركزي مهيمن، ويسهل الوصول فيه إلى الإجماع حول القضايا الأساسية ، والواقع أنه ليس في العالم مجتمع واحد متجانس كليا وبشكل مطلق، إنما تقترب بعض المجتمعات من هذا النمط المثالي، وأقرب المجتمعات العربية إلى التجانس هو المجتمع المصري والتونسي والليبي.

و يكون المجتمع الفسيفسائي في الطرف الآخر النقيض للمجتمع المتجانس، فهو يتألف من عدة جماعات تغلب هوياتها الخاصة على الهوية العامة وتتصف العلاقات فيما بينها بالتراوح بين عمليتي التعايش والنزاع وعدم القدرة على الاتفاق حول الأسس، ومما يرسخ



الانقسامات بين هذه الجماعات و يؤدي بها إلى التنازع، وجود فروقات في الحقوق السياسية والاقتصادية والمدنية وفي المكانة الاجتماعية بالإضافة إلى الفروقات في الهوية.

ويمكن اعتبار لبنان من أقرب المجتمعات العربية إلى المجتمع الفسيفسائي ، حيث نجده مؤلفا من عدة جماعات طائفية تشدد على هوياتها الخاصة على حساب الهوية اللبنانية ، وقد انبثق عن هذا الواقع الاجتماعي نظام سياسي طائفي عمل بدوره على تعزيز الواقع الطائفي انطلاقا من دعوة القيادات التقليدية المسيطرة على النظام للوحدة على أساس التعايش وليس على أساس الانصهار أو الاندماج، فازدادت الجماعات المختلفة تمسكا بهوياتها الخاصة بدل أن تتحرر منها بسبب هذا الواقع الاجتماعي والنظام السياسي الطائفي المتبع (والذي تمثل بعد الاستقلال بالميثاق الوطني)،

وكمجتمع فسيفسائي يتصف لبنان بالإضافة إلى ما ذكرنا بعدم الاتفاق على أسس بما فيها الهوية اللبنانية، وعدم قيام حوار صريح حقيقي، وعدم فصل الدين عن الدولة، والتفاوت الطبقي الحاد، وتبني أنظمة تربوية ترسخ الواقع الطائفي، وضعف الدولة المركزية، وارتباط القوى اللبنانية المختلفة بقوى خارجية متنازعة ، لكن هذا لا يعني بعدم وجود التشابه بين مختلف الجماعات والطوائف ، كما لا ينفي وجود دولة لبنانية لها سيادتها .

أما النوع الآخر من المجتمعات فهو **المجتمع التعددي** ، والذي يتكون من عدة جماعات تحتفظ بهوياتها الخاصة، ولكنها تمكنت من إيجاد صيغة تآلف بين الهوية الخاصة والهوية العامة، ومن إقامة دولة مركزية، ومن التفاهم حول بعض الأسس، ومن التشديد على ضرورات الاندماج، واعتماد نظام تربوي موحد، ويتمثل هذا النمط إلى حد بعيد بعدد من البلدان العربية مثل سوريا والعراق والجزائر والمغرب وغيرها التي توفر لديها تاريخ وطني كفاحي ، وتشكل لها وعي قومي عام وتأسس فيها نظام سياسي مركزي، فتمكنت نسبيا من احتواء أزماتها، غير أن هذه المجتمعات **التعددية** قد تعاني بين فترة وأخرى من أزمات داخلية بسبب تدخلات من الخارج أو بسبب تسلط الأكثرية أو إحدى الأقليات على مراكز القوة والجاه والثراء، وبسبب غياب الديمقراطية وإقرار التنوع.

## 2 - مجتمع انتقالي :

من جهة أخرى ، يمكن وصف المجتمع العربي بأنه **مجتمع انتقالي** يشهد صراعا متأزما بين السلفية والحداثة، بين قوى التجزئة وقوى الوحدة، وبين الطبقات الحاكمة الميسورة المتحكمة والطبقات المحكومة المحرومة المغلوبة على أمرها\*، وبين الوطنية والتبعية، والتقدمية والرجعية، والعلمنة والثيوقراطية الغيبية،... الخ. بعبارة أخرى يمكن وصف المجتمع العربي بأنه فسيفسائي لأنه يجمع بين مختلف المتناقضات ، إذ أنه في حالة مواجهة و صراع دائمة بين قوى متعددة متناقضة ، سواء كان الصراع بين الأجزاء الداخلية ، أو الصراع مع الخارج أي مع القوى الاستعمارية .

إنه مجتمع دائم التغير بسبب تناقضاته الداخلية و صراعاته الخارجية ، و بسبب موارده المادية والبشرية، و ليس فقط بسبب انتشار المقتبسات من الخارج، إنه يشهد مواجهة و صراعا حادين في الداخل و الخارج فلا يستعير و يقتبس و يقلد فحسب، بل يتعلم من ممارساته الكفاحية.

## 3 - مجتمع متخلف :

يعتبر المجتمع العربي **مجتمعا متخلفا**، يسكنه عالم من المغالطات التي آلت به إلى عدم التوازن\* ، فهو جزء من العالم الثالث يكافح بوسائله الخاصة للتحرر من الاستعمار بأشكاله المعلنة والخفية ولتتمية موارده الإنسانية والطبيعية، ويتجلى تخلف الوطن العربي من خلال ما يلي :

أ - **ظاهرة التبعية** : تتجلى تبعية المجتمع العربي في عدم سيطرته على موارده الطبيعية ، كما تتجلى في الفجوة الحضارية التي تفصله عن المجتمعات المتقدمة ، فهو منذ قرون كان وما زال تحت سطوة العالم الغربي ، الذي مارس عليه كل أصناف الاستغلال والهيمنة والقهر والإذلال ، سواء عن طريق الاستعمار المباشر ، أو عن طريق الاختراق الثقافي الذي أفقده التوازن الأخلاقي والمعرفي و...

\* ولعله الأمر الذي انطلق منه الربيع العربي .

\* وكنموذج عن هذه المغالطات - وما أكثرها - ... ففيما تقيم المجتمعات الأوربية والأمريكية أكاديميات لإعداد وتخريج متخصصين في الأمن المدني والحماية المدنية وإطفاء الحرائق والإسعافات و... وتقيم كوريا واليابان أكاديميات لتكوين وتخريج شباب بارعين في برمجة الألعاب الإلكترونية و... تقيم المجتمعات العربية أكاديميات لتخريج المغنين والراقصين والبهلوانيين ، وترصد لذلك أموالا ضخمة تتشارك فيها كل الدول العربية عبر عمليات التصويت ، ولا يتوقف الأمر هنا فقط ، بل إن جل القضايا المصرية تدار الحوارات والنقاشات بشأنها من طرف الممثلين والمغنين ودعاة الترفيه ، في وقت يغيب فيه العالم والمثقف والمتخصص ويأخذ الناس الحكمة من أفواه الفنانين ويأتمروا بأوامرهم ... ففن الغناء والرقص والطهي واللباس على الموضة أصبح سيد الشاشات العربية بلا منازع ، وهذه أقوى سمات التخلف وأكثرها فتكا بقيم المجتمعات .

ب- **ظاهرة الفقر** : يتجلى الفقر في العالم العربي بشكل يختلف عن كل المجتمعات حيث توجد فجوة عميقة واسعة بين الطبقات الميسورة والطبقات المحرومة الكادحة ، وفي الوقت الذي يمتلك العرب ثروات طائلة، تعيش نسبة مهمة من الشعب العربي في حالة فقر ساحق، في ظل هذه البنية الطبقيّة الهرمية يعاني الشعب من حالة تبعية داخلية شبيهة بالتبعية الخارجية فتمارس عليه و ضده مختلف أنواع الاستغلال والقهر والإذلال ، فالشعب بذلك يعاني تبعية مزدوجة ، إذ أن الاستعمار يسيطر على كثير من البلدان العربية بواسطة الطبقات الحاكمة الميسورة التي تسيطر بدورها، و بدعم من الاستعمار، على الطبقات المحرومة الكادحة ، إن الدائرة شرسة ويصعب كسرها ، فكما أن التبعية مزدوجة كذلك تكون عملية التحرير .

ج- **ظاهرة سلطوية الأنظمة** : تشكل الأنظمة الجائرة في العالم العربي عائقا أمام مختلف مشاريع التنمية ، حيث أن هذه الأنظمة والبنى والاتجاهات السائدة لا تشرك الشعب في صنع مصيره وتعدي على حقوقه ولا تعمل في سبيل نموه وتجاوز أوضاعه ، بل على العكس، إنها تحيله إلى كائن عاجز، مغلوب على أمره، و مأخوذ بتأمين حاجاته الآنية فتسيطر في حياته قيم مجرد المعيشة و الاستمرار، و في ظل هذه الأنظمة السلطوية يعيش الإنسان في المجتمع العربي على هامش الوجود لا في الصميم، وتحتل الأشياء والسلع والمقتنيات والاهتمامات السطحية روحه وفكره.

وحسب سمير أمين وفرانسوا أوتار فإن هناك علاقة ملتبسة تسود بين المجتمعات العربية والحدثة الديمقراطية ، ويتجسد التعبير الرئيسي عن هذا الالتباس في السلطات الأتوقراطية المبنية على القيادات التقليدية ، والإسلام السياسي الذي يدفعه سخط عنيف ضد ما تسببه الرأسمالية من استقطاب ، وفي هذا السياق لا يخلو نشاط الآلاف من المنظمات غير الحكومية ، وغيرها من النشطين في المجتمع المدني العربي من التناقض ، رغم ما يعبر عنه الخطاب السائد من تحية لهذا النشاط .

صحيح أنه لا توجد دول ديمقراطية في العالم العربي ، وتوجد فقط الدول الأتوقراطية ، ولكن هذا لا يعني أن الأنظمة العربية لا تتمتع بالشرعية في نظر شعوبها<sup>1</sup>.

د - **ظاهرة الاغتراب عن الذات** : إن توالي الهزائم العسكرية والسياسية والأخلاقية ، وسلاسل الفشل في احتواء مختلف الأزمات الاجتماعية و.. أفقد المجتمع العربي كثيرا من قدرته على البقاء بخصائصه الحقيقية ، وعجزه عن مجابهة التحديات التاريخية، و فشل حركاته الوطنية

<sup>1</sup> سمير أمين وفرانسوا أوتار . مناهضة العولمة ، حركة المنظمات الشعبية في العالم . ترجمة : سعد الطويل . مكتبة مدبولي . القاهرة . مصر 2004 . ص 90 .

والاشتراكية والأصولية في تحقيق برامجها، أدى بالمجتمع إلى الاغتراب عن ذاته ، ويبدو هذا الاغتراب واضحا من خلال ثلاثة أمور هي :

• عدم سيطرة المجتمع على موارده ومصيره وثرواته المستغلة - في الأغلب - لصالح فئات قليلة في الداخل ولصالح دول أخرى بينها دول معادية له ، ومما يزيد من عمق المعاناة أن العائدات العربية تتفق في مجالات الاستهلاك أكثر مما تتفق في مجالات الإنتاج وتحقيق الإمكانيات وإغناء الإنسان.

• عجز مختلف الأنظمة والحركات الوطنية في العالم العربي عن تحقيق الوحدة والتنسيق والتضامن في الأزمات ، إذ يبدو المشهد العربي إزاء مختلف الأزمات منقسما على نفسه ملونا بألوان الأجندات الخارجية التي تتجاوزه من كل طرف ، الأمر الذي يوحي بأن العالم العربي لا يملك محورا يدور حوله ولا إرادة يرغب في تجسيدها ولا غاية له في الأفق غير مزيد من الفرقة .

• كما يبدو مشهد المؤسسات في العالم العربي متسلطا متجبرا ، لأن المجتمع فقد السيطرة على هذه المؤسسات ، فالمؤسسات - خاصة المؤسسات السياسية - تتحكم أكثر مما تحكم ، تتحكم في إرادة الشعوب ، ولا تحكمهم بالعدل والمساواة ، تستغل المؤسسات العامة لصالح الطبقات والفئات الحاكمة ، ثم إن السلطة السياسية تهيمن على مزيد من المؤسسات الثقافية والتربوية والدينية والنقابية ، إنها ببساطة تعيد إنتاج المجتمع على شاکلة الأنظمة السياسية\* ، والاغتراب لم يطل الفرد العربي فحسب ، بل شمل كل المجتمعات المحلية المشكلة لهذا المجتمع ، حتى صار المجتمع يبارك هجرة الشباب - المدفوعين تحت تأثير الاغتراب عن الذات والوطن - بشكل غير شرعي في قوارب الموت المهاجرة من البلاد العربية إلى أوروبا ، ويعتبر المخاطرة بحياتهم حقا لهم ما داموا قد عجزوا عن تحقيق طموحاتهم داخل وطنهم ، وأكثر من ذلك صار المجتمع يبارك حرق الشاب لنفسه انتقاما من وضعيته الاجتماعية كالبطالة والفقر و....

ولعل الربيع العربي\*\* جاء نتيجة استبعاد الإنسان عن مشروعاته الكبرى - العلم والفن والتكنولوجيا والاقتصاد والتربية - بواسطة منجزاته الشخصية ، ليطالب من خلال هذه الثورات بالحصول على مكانته المركزية في الوجود ، ليحدد نفسه كمشروع رئيسي ، أما المشاريع الأخرى فيجدها انطلاقا من رغبته في تحسين أوضاعه .

\* بسميها ببيير بورديو " إعادة الإنتاج " .  
\*\* وإن كنت لا أرى الربيع يقوم على الجثث والأشلاء وتخريب البنى التحتية والفقوة للمجتمعات .

## 4 - سيادة العلاقات الاجتماعية الوثيقة والشخصانية

ما زالت العلاقات الاجتماعية في المجتمع العربي في غالبيتها و حتى في المدن علاقات أولية ، أي علاقات شخصية، وثيقة، تعاونية، فئوية يستمد منها الفرد اكتفاء ودفئا واطمئنانا نفسيا، ويلتزم من خلالها التزاما كليا بالأقرباء والمقربين في حياته ، و تتعارض هذه العلاقات مع العلاقات الثانوية السائدة في المجتمعات الصناعية (خاصة الرأسمالية) وهي علاقات لا شخصية، رسمية، تعاقدية، تنافسية، دونما التزام بالآخر فيستمد الفرد اكتفاءه ليس من علاقاته بالآخرين بل من إنجازاته ونفوذه ومكانته بالدرجة الأولى \* ، وتظهر أهم الفروقات في نوعية العلاقات الاجتماعية بين المجتمعين فيما يلي :

- في الوقت الذي يشكو الإنسان العربي من شدة الاندماج العائلي، يشكو الإنسان الغربي من فقدان الحياة العائلية.

- في الوقت الذي يشكو فيه الإنسان العربي من ضرورات الالتزام بالآخرين وغياب الحياة الخاصة والعيش بموجب توقعاتهم حتى الخوف من كلام الناس والفضيحة ، يشكو الإنسان الغربي من الوحدة والفراغ والفردية وعدم الالتزام.

- في الوقت الذي تحنل فيه الجماعات الوسيطة بين الفرد والمجتمع ككل ( القبيلة، الطائفة، الفئة، القرية، الحي، المجتمع المحلي، ...الخ) مركزا مرموقا في الحياة الاجتماعية للإنسان العربي ، إذ لا تستطيع المؤسسات العامة التي تمثل المجتمع ( الدولة مثلا) أن تصل إلى الأفراد إلا من خلال هذه الجماعات، نجد أن الدولة في المجتمعات الغربية الصناعية تقيم علاقات مباشرة مع الأفراد وليس من خلال الجماعات التقليدية ، حتى وإن كانت التنظيمات الحديثة كالنقابة والأحزاب والجمعيات تشكل وساطة بين الفرد والدولة ، إلا أنها في النهاية تمثل خيار الفرد ذاته ، ولا علاقة لها بالعرق أو اللقب أو العائلة .

## 5 - مجتمع تعبيرى

لا يجد الإنسان في المجتمع العربي حرجا في التعبير بعفوية عن مشاعر المحبة أو البغض، الرضا أو الغضب، الانسجام أو النفور، دون كبت أو شعور بالرقابة ، وفيما نجد ميلا واضحا نحو نزعة المحاسبة في العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الصناعية الرأسمالية، نجد ميلا واضحا ومختلفا نحو النزعة التعبيرية في المجتمعات المتخلفة ومنها المجتمع العربي ، فيما

\* وقد لا حظ حلیم بركات عند ذهابه إلى أمريكا ، أن الناس في الشارع يسرون فرادى ، بينما في مجتمعاتنا العربية يسير الناس جماعات ، وإن كانت بعض مدن أمريكا تشهد ازدحاما في شوارعها فذلك ازدحام أفراد وليس جماعات ، إذ المسافات النفسية الاجتماعية بين الناس في الغرب متباعدة وكان المجتمع هو مجموعة من الجزر البشرية .

يميل العرب في علاقاتهم الاجتماعية للتعبير عن مشاعرهم وعواطفهم والأفكار التي تخطر لهم دون كثير من التحفظ، باستثناء المشاعر والأفكار السياسية، نجد أن الغربيين، وخاصة بين الطبقات البرجوازية، يتحفظون فيعبرون فقط عن تلك المشاعر والآراء والأفكار التي تخدم غايات وأهدافا محددة، إن مثل هذه النزعة تضعف بانتشار التصنيع والعلم، إذ تزداد الحاجة إلى مزيد من الربط بين الوسائل والغايات.

## ثانيا : القواسم الهويةية بين مجتمعات العالم العربي

إذا كانت الهوية هي حقيقة الشيء المشتملة على صفاته الجوهرية والتي تميزه عن غيره، فلا شك أنها تختلف باختلاف مكوناتها وعناصرها. والذي يصوغ هوية العالم العربي ويجعله متميزا عن غيره، عناصر هي الدين، واللغة، والتاريخ، والتراث<sup>1</sup>.

### 1 - الدين الإسلامي

لا شك أن سلوك الأفراد في العالم العربي ينبني على تصورهم لأنفسهم أولا (ما أصلهم، وما مصيرهم) ، وتصورهم للإله الذي يعبدونه ، ثم تصورهم للكون وللحياة ، والدين الإسلامي هو أول المكونات التي تشكل هذا التصور. فالأفراد في العالم العربي يعتقدون بوجود إله واحد، بيده الضر والنفع، والموت والحياة، والرزق، والأجل، ويعتقدون بأن هناك يوم يجازى فيه الناس على أعمالهم خيرا كانت أو شرا، لذلك فهم يتجنبون السوء والظلم والآثام خشية الجزاء الاخروي، وعلى هذا الأمر تقوم حياتهم في عمومها .

ورغم وجود مسيحيين ويهود في بعض هذه دول هذا العالم ، ورغم انقسام المسلمين إلى شيعة وسنة ، ومذاهب اختلفت في إدارة شؤون العبادات والمعاملات إلا أن السمات العام للعالم العربي هو الدين الإسلامي .

### 2 - اللغة العربية

تعد اللغة العربية إحدى الركائز الأساسية لهوية العالم العربي ، وهي الوسيلة الأساسية في العلاقات الإنسانية من حيث التوصيل أو النقل والتعبير عن الأفكار والمعاني والرغبات<sup>2</sup>، واللغة العربية هي وعاء الثقافة لكل الشعوب الناطقة بها، من خلالها يتم تلقي المعرفة، وتدوينها

<sup>1</sup> علي باعباد. الهوية العربية الإسلامية في ظل العولمة. صحيفة 26 سبتمبر الإلكترونية . العدد 1427 . 26seb.net  
<sup>2</sup> نسيم الخوري. الإعلام العربي، وانهيار السلطات اللغوية. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . لبنان . 2005 . ص 81.

ونقلها إلى الأجيال، وبها يمارسون عباداتهم وشعائرهم. وبها يكتبون آدابهم وقصصهم وأشعارهم إلى غير ذلك.

"والقرآن الكريم منح اللغة العربية سلطة مكتوبة وصفة مقدسة قائمة على إلهام آت من السماء...، بينما يقال إنها ثابتة موحى بها، أنزلها الله على عبده لكي يتفاهموا ويتعارفوا، واتخذت صفة القداسة سلطة أقوى بفضل تحول اللغة إلى لغة الطقوس الدينية"<sup>1</sup>. وتعتبر هذه اللغة التي وسعت كتاب الله لفظا وغاية، وحملت نصه المعجز محفوظة بحفظ القرآن الكريم، وباقية ببقائه: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" سورة الحجر: 9

### 3 - التاريخ والتراث

نقصد بالتاريخ ذلك السجل الحضاري للأمة العربية المسلمة، ويشمل إنجازاتها المعنوية والمادية، وهذا كله رصيد ثر للفرد، ومكون هام من مكونات الهوية، لأن الإنسان لا ينفك يقنفي أثر آبائه ومآثرهم، حتى ليكون ذلك جزءا من شخصيته.

"ودراسة التاريخ الإسلامي تغذي الروح الإسلامية وتقوي معانيها في نفوس الجيل بكل أبعادها النظرية والتطبيقية، وبالتالي يكسب الثقافة الإسلامية سمة الأصالة والانتماء كما يشكل رصيذا ضخما من المعلومات والمعارف الذي تنمو به ثقافة المسلم"<sup>2</sup>.

ويستوعب العالم العربي بين دفتيه تراثا ضخما يمتد عبر فترة زمنية طويلة شاملة لأطوار وعصور تاريخية متعددة وظروف ومعطيات كثيرة ومتشعبة، عرف فيها العرب المسلمون القوة والضعف، والوحدة والتشتت، واليقظة والغفلة، وسوى ذلك من المتناقضات التي يمكن أن يعيشها شعب من الشعوب.

- إن تراث الأمة الضخم، وإن حمل الطابع العام لشخصية الأمة التي أنتجته، فإنه غير متناسق، كما أنه لا يسير على وتيرة واحدة، وليس المقصود ما أشير إليه من متناقضات تولدت عن التطور التاريخي عبر الزمن وباختلاف العصور، بل المقصود هو تراث المجتمع الواحد الذي لا يقوم بالضرورة على اتفاق كامل أو انسجام آلي لأنه يعبر عن التناقضات التي عاشها المجتمع الذي اتجه حيث يمثل خاتمة المطاف صراعا بين أجيال، أو داخل الجيل ذاته، ينعكس على مستوى الفكر والعمل والإنتاج، وكثيرا ما برز ضمن الحضارة العربية في صورة جدل ومناقشات ومناظرات أثرت الفكر وأخصبته.

<sup>1</sup> نسيم الخوري . مرجع سبق ذكره . ص 135.

<sup>2</sup> صالح هندي وآخرون، الثقافة الإسلامية، دار الفكر للثقافة والنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2000 . ص 96.

ولقد عرف مجتمع مدينة البصرة مثلاً، في فترة محدودة من الزمن شخصيات مبدعة تقدمت بالإنتاج الفكري في مجالات شتى، من أمثال الحسن البصري، وواصل بن عطاء والجاحظ وبشار بن برد وأبي نواس وغيرهم، ويكفي أن نستعيد بأذهاننا الملامح الرئيسية لكل شخصية من هذه الشخصيات لندرك ما كان بينهم من اختلاف في الرأي وتباين في الاتجاهات وأنماط السلوك والحياة، مع أنهم يمثلون في مجموعهم حركة فكرية متكاملة بتناقضاتها وبما اقتضته من جدل ومناظرة<sup>1</sup>.

- تكمن في تراثنا العربي الإسلامي نواة وحدة حقيقية يمكن لها أن تؤدي دوراً مهماً وحيوياً في تلاقي أجزاء وطننا المجزأ وترابطها وبناء كيان موحد كبير قادر على مكافحة خطري الاضمحلال والاحتلال السياسي والثقافي، لأن هذا التراث يمتلك خيطاً سحرياً يجمع بينه وبين أهله، وإن هذا الخيط يمثل رابطة وجدانية تربطه بهم ويجذبهم إليه، فهو السبيل المتواصل بينهم لأن الشعوب تتواصل بقدر ما يتناغم فيها من قيم وسلوكيات مشتركة تمرور بالتعاطف والتقارب الروحي.

- إن مضمون التراث العربي الإسلامي والحفاظ عليه، وتمثله "يمثل عاملاً مهماً من عوامل وجودنا لأنه يشكل ثقلاً نوعياً يمنع الجماعة من التحول إلى ورقة في مهب رياح الثقافات الواحدة ويعصمها من الجريان وراء كل بدعة ويحميها من محاولات طمس المعالم التي تميز الشخصية العربية المستقلة، وهي محاولات لسلب الجماهير العربية أساسها الحضاري القديم الذي يمكن أن تشيد عليه مستقبلها دون أن تتفوق على ذاتها، لذلك كان السعي الجاد لإيجاد صيغة لهوية ثقافية تلتقي فيها أصولنا الموروثة مع ثقافة العصر الذي نعيش فيه، صيغة قوامها أصول رئيسية من التراث العربي وأصول أخرى مناسبة من مقومات ومكونات عصرنا الحاضر<sup>2</sup>.

### ثالثاً : هوية العقل في العالم العربي المسلم<sup>3</sup>

وفي إطار إبراز الخطوط العامة للاتجاه العقلاني في الفكر العربي الإسلامي المعاصر نجد مشروعين نقديين ، الأول بعنوان : "نقد العقل العربي " لمحمد عابد الجابري بينما الثاني

<sup>1</sup> علي أسعد وطفة . تحديات الهوية التراثية في عصر العولمة . منتدى : حركة نصر المدنية . 2012/04/04 . <http://j.mp/H8IJv0>

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق .

<sup>3</sup> عبد الغني بن علي . العقلانية الناقدة في الفكر العربي المعاصر بين اللغة والدين . مجلة دراسات . عدد 2010 . جامعة منتوري قسنطينة . ص ص



"نقد العقل الإسلامي" لمحمد أركون ، وقد وقع الاختلاف بينهما حول هوية العقل المنتقد هل هي عربية أم إسلامية ؟

الاختلاف الرئيسي بين العقل العربي والعقل الإسلامي بالدرجة الأولى حول الهوية، هل هي عربية أم إسلامية ؟ حيث أن اللغة العربية هي أداة التفكير ووسيلة التعبير بالنسبة للعقل العربي ، إذن تتحدد خصائصه وأساسه وتجلياته من هذه اللغة حسب الجابري . أما الإسلام كدين يحدد هوية العقل عند أركون، لأنه محور تفكير هذا العقل الأول والأخير، وسبب تبلوره في التاريخ، أي أن النص القرآني وبعد تدوينه نقله من مرحلة شفوية بدائية إلى مرحلة كتابية حضارية. وبرغبة من الجابري نقل العقل العربي من الوضع الراهن الواهن والمستسلم إلى الفعالية حيث يومئ بأن "الزمن الثقافي العربي مثل زمن اللاشعور، زمن متداخل متموج يمتد على شكل لولبي الشيء الذي يجعل مراحل مختلفة تعيش في نفس البنية العقلية "

يتحدد العقل العربي عند الجابري وفقا لثلاثة مبادئ هي:

- الإنتاج الثقافي العربي الإسلامي منذ ظهوره إلى اليوم هو تجل للغة العربية، لأن بنية الفكر العربي الإسلامي وبنية اللغة العربية متطابقتان مهما تحول التاريخ.
- تطابق بنية العالم الذي يعيشه العربي المسلم مع بنية فكره، فلا تناقض بين الفكر والواقع.
- العربي لا يتكلم العربية، بل العربية كلغة تجعل منه ناطقا أو مفكرا.

فالعقل العربي تحديدا عبارة عن "جملة المبادئ والقواعد التي تقدمها الثقافة العربية الإسلامية للمنتمين إليها كأساس لاكتساب المعرفة وتفرضها عليهم " كنظام معرفي " أي كجملة من المفاهيم والإجراءات التي تعطي للمعرفة في فترة تاريخية ما بنيتها اللاشعورية"

- ويخلص الجابري في نقده للعقل العربي بأنه يتميز بأربعة خصائص هي :
- عقل يتعامل مع الألفاظ لا مع المفاهيم ( البيان ) .
- عقل أصولي مؤطر سلفا لا يستمد مشروعيته من معقوليته.
- منهجه تحصيلي في فكرته عن الأصل والفرع.
- عقل تجويزي لا يؤمن بمبدأ السببية أو العلية .

بينما يختلف الأمر عند محمد أركون حيث :

رؤية أركون إلى موضوعه "الإسلام" بمختلف تجلياته تعتمد التعددية في المنهج، لأن الإسلام - حسبه - ظاهرة تاريخية واجتماعية ونصية) خطابية وانثروبولوجية إضافة إلى أنه وُلد حركة فلسفية.

النقد عند أركون هو الوصول إلى العقلانية المُعقلنة التي لا تتخلى عن العقل وإنما تصحح مساره التاريخي وتوسعه إلى أفق أرحب يجعله إنسانيا لا أنانيا، أي لا تنحرف هذه العقلنة للعقل عن مسارها لتنتج اللاعقل عندما تتحول إلى نظام جاف وقمعي توتاليتاري أي تنقلب إلى نقيضها، مثلما تحولت عقلانية التنوير إلى براغماتية وأداتية انتهازية رأسمالية باردة هدفها الربح والفائدة فقط بشتى الطرق والوسائل اللاعقلانية، فالعقلانية المأمولة عند أركون على المستوى الإسلامي هي تجاوز نظام الفكر القروسطي إلى عقلانية الحداثة والتنوير، وتجاوز الفكر الخرافي الأسطوري إلى الفكر التاريخي الوقائعي، ومن الجمود الديني إلى الإصلاح بالمعنى البروتستانتي.

ويخلص أركون في وصفه لخصائص العقل باعتباره عقلا دينيا كما يلي :

- عقل يقع في المرتبة الأخيرة، مرتبة الخادم.
- يكشف الحقيقة اعتمادا على الوحي المبين فقط.
- يعتقد بتطابق معارفه مع مضمون الوحي المنزل.
- بناء أنساق معرفية دينية تمارس سلطتها على هيئة الحقيقة المطلقة.

#### رابعا : الهوية الجزائرية

الهوية الجزائرية هي "القسمات الثابتة من العناصر التراثية" ، أما مجموع التراث وهو يشمل الهوية ، ففيه ما هو ثابت وما هو متغير ، بمعنى أن القسمات الثابتة في الشخصية الحضارية التي تسميها الهوية ، تستعصي على التطور والتغير حتى لو كان غزوا تغريبيا كالذي شهدته هذه الأمة ، فالهوية تشبه البصمة ، تميّز هذه البصمة ، هي من الثوابت ، وهي خالدة على مر الدهر ، يحدث فيها بعض التطور لكنه طويل جدا ، والتأثيرات في هذه الهوية تأثيرات محددة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> محمد بوراكي . مرجع سبق ذكره . ص 271 .

## 1 - الهوية الجزائرية في السياق التاريخي

رغم حرص العلوم الاجتماعية على الاستقلالية الإبستمولوجية، إلا أن واقع البحث يستدعي في الكثير من فصوله استحالة الاستقلالية عن السياقات الفكرية واللغوية التي بنيت في مجراها الترسيمات النظرية والمفهومية للهوية ، وعليه فإن تناول مسألة الهوية عبر تطورها التاريخي هو من الضرورة بمكان ، لأنه تطور يرتبط بالتكون الاجتماعي للفكرة الحديثة عن الهوية.

كما أن هذا التكون الاجتماعي يكشف أن هناك تباينات اجتماعية وقومية تكمن وراء الاختلافات الدلالية المستندة للتصنيف الصائب الواجب اعتماده كمقومات أساسية ، لذلك كانت صراعات التصنيف هي في الواقع صراعات اجتماعية - رغم ما تخفيه من خلفيات سياسية وأيديولوجية - .

إن تشكل الهوية الجزائرية بهذا الشكل يعود إلى قرون خلت ، وهي تلك التي تعلق بظهور الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب ، ولقد لعب الإسلام دوره في شمال إفريقيا كما لعبه في الجزيرة العربية ، واعتنقه البربر ، لا لأنه دين عادل فحسب ، بل لأنه أداة تطور اقتصادي واجتماعي ، فضلا عن كونه داعيا للوحدة السياسية ، حيث وبموجب ذلك سارع أهل الأرض إلى التخلي عن النظام القبلي ، وتشكيل نظام سياسي<sup>1</sup>.

إذ أن مبدأ اندماج المغرب الأوسط بالأمة الإسلامية داخل إطار استقلاله أصبح بحكم المنتهي ، ومنذ ذلك أصبح تطور المغرب الأوسط غير منفصل عن التحرك العام في العالم الإسلامي على كافة مستويات الحياة الاجتماعية ، فقد عايش انتشار الإسلام وقضاياه بصورة فعالة ، فهو منطلق التوسع الإسلامي نحو اسبانيا ، ومعظم الصراعات الدينية التي اشتعلت في المشرق وجدت صداها في المغرب كالخوارج والشيعة والفاطميين .

على الصعيد الثقافي ، كان تأثير الحضارة العربية الإسلامية واضحا ، وحركة التعريب ، وإن كانت أبطأ من حركة الأسلمة ، تجتاح تدريجيا المدن ثم السهول وأخيرا الجبال<sup>2</sup> ، هذا

<sup>1</sup> عبد القادر جغول . مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط . ترجمة : فضيلة الحكيم . دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت لبنان . 1982 . ص 42 .

<sup>2</sup> كانت الجبال هي آخر المواقع التي طالتها الأسلمة ، ثم التعريب ، وإلى عهد قريب كانت بعض المناطق في جبال الأوراس وجبال جرجرة لا تعرف غير الأمازيغية لغة لها .

وإن بقيت اللغة المحكية للغة البربرية ، إلا أن الثقافة المكتوبة كانت بالعربية ، بينما الحياة العلمية والفنية في المغرب الأوسط لا تتفصل عن بعضها البعض ، وهي مزيج من الإنتاج الشرق-أوسطي والأندلسي ، ومع أن المغرب يشغل جزء من المساحة الفكرية العربية الإسلامية ، إلا أن له منزلة أساسية .

على الصعيد الديني ، الإسلام في المغرب الأوسط معروف بطهريته ، ومظهره القاسي والمتشرف ، وقد اعتنق المغاربة أولا المفاهيم الأكثر قساوة في الإسلام كالخوارج والشيعة ثم بعد اتصاله بالسنة ، أصبحت المالكية ، أكثر المذاهب صلابة\* ، مذهب الأغلبية في المغرب ، وهناك ميزة أخرى للإسلام في المغرب الأوسط هي أهمية وإجلال الأولياء المحليين : المرابطين<sup>1</sup> .

وعلى الصعيد الثقافي أهدى جملة من علماء المغرب والأندلس للحضارة الإسلامية أسماء لامعة كابن طفيل وابن رشد وابن خلدون ، واندمج مع الأمة أيضا من خلال اقتصاده الزاهر ، وكان يشكل رئة الأمة من خلال موقعه الجغرافي الهام الذي أهله لأن يكون نقطة تقاطع تجارية ، إذ يلتقي عنده الشرق الأوسط والشرق المسلم بإفريقيا السوداء والغرب المسلم وما وراء الغرب المسيحي<sup>2</sup> .

## 2 - أبعاد الهوية الجزائرية

تبدو خريطة الجزائر كثوب مطرز بأزهى الألوان ، حيث تشكل الرقعة الجغرافية الشاسعة ، الخلفية التي ينبسط عليها كل معاني الجمال والتنوع ، إذ يبدو الإسلام كدين وحيد تحتكم إليه البلاد ، المادة الهلامية التي ترسم للمجتمع معالم الطريق ، من خلال معاييرها الثابتة وتنوع ممارساته ، بثتى مشاربها ومناهلها ، وحيث تتوزع الإثنيات ، تتمايز معها الأعراف والعادات والتقاليد وأذواق الطعام واللباس واللهجات والغنائات\* ، وطقوس العبور\*\* ، و...فلكل منطقة في الجزائر طبوعتها الغنائية وأفراحها وأهازيجها المميزة ، وحرفها التقليدية وصنائعها ،

\*\* ربما كان المذهب المالكي هو أكثر المذاهب ملائمة لذهنية الإنسان الأمازيغي ، المعروف بالقسوة والشدة ورباطة الجأش والصلابة .

<sup>1</sup> عبد القادر جغلول . مرجع سبق ذكره . ص 42 .

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق . ص 43 .

\* مفرد غنة .

\*\* طقوس الولادة والزواج والموت .

...لكن الذهنية الجزائرية تبقى واحدة ، وهو ما يميز الجزائر عن جيرانها ، رغم تقاسم عناصر الهوية معها .

الجزائر بحيزها الجغرافي المميز ، وحدودها السياسية القائمة اليوم، كانت - وما زالت - فضاء تقطنه مجموعات إثنية ثقافية متنوعة عرقياً وثقافياً ومتفاوتة تاريخياً ومتوزعة في أرجائها، وما زال بعضها يعيش في بيئاته الطبيعية التاريخية بنمط عيشه الخاص وتركيباته الاجتماعية وقيمه وعاداته ولغاته.

ففي العهد الإسلامي، دخلت الجزائر الكيانات والثقافة العربية الإسلامية على شاكلة الفاتحين والداعين إلى الدين الإسلامي ، وظلت تكتسب لها مواقع فيها ضمن كياناتها وثقافتها المتعددة، وهي في ذلك مسنودة بخلفيتها الإمبراطورية من الناحية المادية، ومن الناحية المعنوية بما يعرف بالمد الحضاري الإسلامي، الذي من أهدافه بالطبع إعادة إنتاج الآخر داخل الهوية الإسلاموعربية أو على الأقل إلحاقه بسياقها الحضاري.

تتعدد أبعاد الهوية المحلية الجزائرية بتعدد مقومات الأمة ، لكن الأطروحة لن تتناول غير المقومات التي نص عليها الدستور الجزائري والمتمثلة فيما يلي :

الباب الأول : المبادئ العامة التي تحكم المجتمع الجزائري .

**المادة 02:** الإسلام دين الدولة

**المادة 03:** اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية .

**المادة 03 مكرر:** تمازيغت هي كذلك لغة وطنية

تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني .

**المادة 05:** العلم الوطني والنشيد الوطني من مكاسب ثورة أول نوفمبر 1954 وهما غير قابلين للتغيير .

## 2 - 1 - البعد الزمكاني للهوية :

يستحوذ الوطن الجزائري على مركز جغرافي ممتاز بين قارات العالم القديم الثلاث (إفريقيا ، أوروبا ، آسيا ) ، والجزائر بلد إفريقي ، وجزء من إقليم حوض البحر الأبيض المتوسط\* ، وهو ذو موقع إيكولوجي تتجاذبه مواقع محيطة تختلف عن بعضها البعض اختلافا كبيرا ، حيث :

\* على ضفاف هذا الحوض شيدت حضارات زاهرة كان لها فضلها في التاريخ البشري : الحضارة الفينيقية ، واليونانية والرومانية .

يطل على أوروبا، ورغم وجود البحر المتوسط كعائق طبيعي، إلا أن التواصل البشري لم ينقطع بين المجالين منذ الأزل - ولعل هذا التواصل هو القاعدة التي تستند عليها الأطروحة الأمازيغية القائلة بأن الأمازيغ والأوروبيين يشتركون في الأصل، ويستدل على ذلك ببعض المواصفات الفيزيولوجية كلون البشرية وصفات الشعر ولون العينين والقامة...

جزء من القارة الإفريقية، وتؤكد الدراسات الأنثروبولوجية والتاريخية بأن هذا المجال الجغرافي كان أهلا بالسكان منذ العصور الموعلة في القدم، وقد أعطيت مختلف التسميات لشعوب هذه المنطقة كالليبيين والبربر... حتى أن بعض هذه الدراسات كانت قد وقفت على الخصائص المشتركة والتشابه العميق بين اللباس القديم للإنسان البربري واليوناني بما يؤكد الأصل المشترك<sup>٥٠</sup>، ورغم الاتصال الجغرافي مع إفريقيا، إلا أن المواصفات الفيزيولوجية (العرق الزنجي والقوقازي) بين شمال إفريقيا وكامل القارة يطرح أكثر من سؤال.

كما يمثل الوطن الجزائري امتدادا للعالم العربي الإسلامي، منذ أن وطئت أقدام الفاتحين للأرض، والتي تتالت أفواجهم على البلاد تنتشر الإسلام وتعرب اللسان، وإن كان التعريب قد تم ببطء عبر فترة امتدت من أيام عقبة بن نافع في القرن السابع إلى غاية وصول القبائل الهلالية، ومنذ ذلك التاريخ ظلت الجزائر في مصاف الدول العربية والإسلامية.

ويمكن القول بأن هناك شخصية جزائرية ثبتت عبر العصور، والشخصية الجزائرية الحديثة هي ثمرة التفاعل بين الماضي والحاضر، وهي تتكون من مقومات بعضها ثوابت وبعضها متغيرات، أما الثوابت فهي مقوم المكان أو "عبقرية المكان" أو البعد المكاني الذي يحدد العلاقة مع بقية أنحاء العالم والجماعات البشرية الأخرى، ثم البعد الزمني الذي يحدد الذاكرة المخترنة للجماعة البشرية، المعينة على مر الزمن، ومكوناتها من لغة ودين وعلم وأدب وفن ونظم حكم وقيم، وما إلى ذلك من التراث الثقافي، ثم هناك عوامل متغيرة أو المتغيرات، وتتشكل ما نسميه التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية السياسية، ومن تفاعل هذه العوامل معا تتشكل الشخصية الجزائرية، هذه الشخصية تشكلت على مر الزمن، ويمكن تلخيص هذا البعد في النقاط الآتية:

<sup>٥٠</sup> يعد المؤرخ اليوناني هيرودوتس أول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة وجود تنوع وفوارق فيما بينها، من النواحي السلالية والثقافية واللغوية والدينية... وقد عقد مقارنة بين بعض العادات الإغريقية والليبية حيث قال: " يبدو أن ثوب أثينا ودرعها وتمائيلها، نقلها الإغريق عن النساء الليبيات، غير أن لباس الليبيات جلدي، وأن عذبات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين، بل هي مصنوعة من سيور جلد الحيوان، وأما ما عدا ذلك، فإن الثوب والدرع في الحالتين سواء،...ومن الليبيين تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة". انظر عيسى الشماس. مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا). دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. سورية. 2004. وانظر أيضا: شارل اندري جوليان. تاريخ إفريقيا الشمالية. تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة. 1968. ص 11.

- 1 - تشغل الجزائر موقعا استراتيجيا هاما على الكرة الأرضية في شمال إفريقيا ، وتملك ثروة اقتصادية هامة ، بفضل صحرائها الواسعة الغنية بثرواتها الزراعية والبتروولية .
- 2 - الوطن الجزائري عربي إفريقي له علاقة بأوروبا ، ومنطقة عبور تربط إفريقيا بأوروبا ، ولموقعه الممتاز كان دائم التعرض للأطماع الأجنبية التوسعية ، بسبب الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية ، وكذا ضعف الأهالي ، الناتج عن الانقسامات الداخلية والعرقية والقبلية ، فتعرض للاحتلال من قبل الفينيقيين ، والرومانيين والوندال والبيزنطيين والإسبانيين والفرنسيين .
- 3 - الوطن الجزائري له اتصالاته الروحية بالعالم الإسلامي ، منذ الفتوحات الإسلامية ، وأهم ما يجسد هذا الاتصال هو قوافل الحجيج التي تلتقي كل عام من كل حذب و صوب .
- 4 - الجزائر أرض تراث مادي ومعنوي وروحي ، تأثرت بحضارات قديمة ، كالفينيقية واليونانية والرومانية ، والتي كونت ما يسمى بالتراث المتحفي ، وحضارات أخرى حديثة أهمها الحضارة العربية الإسلامية ، والحضارة الغربية ، وقد كونتا معا ما يسمى بالتراث الحي ، وقد يضاف إليه التراث الشفوي أو الشعبي المحلي ، الذي تكون وتشكل أساسا من هذه الحضارات القديمة والحديثة ، وتبدو إبداعات المجتمع المحلي من خلال التميز بهذا التراث عن بقية جيرانه ، فرغم اشتراك الجزائر والمغرب الأقصى مثلا في نفس عناصر الهوية الوطنية ( الإسلام ، العربية والأمازيغية ) ، إلا أن التراث الجزائري يبقى مميزا عن غيره ، والذهنية الجزائرية تظل حاضرة في كل السمات الثقافية على اختلاف أشكالها وأنواعها .

## 2 - 2 - البعد العرقي أو الإثني

حسب ما أورده د . محمد بوراكي ، فإن علماء الإثنوغرافيا الكولونيلية ، يقسمون سكان الجزائر إلى عنصرين متميزين : العنصر الأمازيغي (البربر)\* والعنصر العربي (البدو) ، ورغم كونهما مسلمين منذ قرون ، إلا عاداتهما وتكوين مجتمعهما وأصليهما ولغتيهما قد يشكل

\* هناك خلط في اللغة العربية بين " بربري" = (Berbère) و "بربري" = (Barbare) ، ولهذا يرفض الأمازيغ - خاصة في المغرب- تلقيهم بالبربر ويحبذون استعمال كلمة "أمازيغي" ، فالبربر كلمة دخيلة وحاملة لمعاني احتقارية . انظر : سالم شاكر . الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر . ترجمة: حبيب الله منصوري . دار القصة للنشر . الجزائر . 2003 . ص 4 .  
بينما يورد د.سليمان عشارتي بأن البربر لم يلقوا بهذه التسمية ، إلا بعد أن أيقن الآخر الغازي ألا سبيل إلى اختراقها واستيعابها وإخضاعها الإخضاع المعنوي الذي لا يتأتى في الواقع إلا حين تتم مصادرة الآخر من الداخل ، ومن هنا علينا أن ندرك أن دلالة لفظ "البربر" تعني التآبي وعدم تمكين الآخر من الذات ومن انتهاك كرامتها ، إنه ببساطة اللفظ القومي المعبر عن عشق الحرية واللاخنوع . انظر : سليمان عشارتي . الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 2002 . ص 01 .

كل ذلك قسمين كبيرين مختلفين ، ولكن البربر والبدو يتشابهان في النظام الاجتماعي الذي تشكله القبيلة القائمة على العصبية .

بينما يكتب عبد الرحمن الجليلي " التاريخ الأمازيغي في الجزائر " ، بأن الجزائر تعاقبت عليها خمس أمم كبرى ، هي : البربر الكنعانيون ، والبربر الفينيقيون والرومان ثم الوندال ثم بيزنطة ، وباستشهاده ببعض الكتابات التي اعتمدت على ما ألف هيرودوت حول المنطقة ، يخلص إلى الليبيين ينتسبون إلى شعوب كثيرة ، حيث يذكر هيرودوت وجود مجموعة من الأقسام ، وعددها 14 في ليبيا العليا ، وعشرة أقوام في ليبيا الداخلية مع مجموعتين من الزنوج الأثيوبيين ، ثم يصنف هيرودوت السكان إلى مجموعتين :

• مجموعتان أصليتان : الليبيون في الشمال والأثيوبيون في الجنوب.

• مجموعتان مهاجرتان : الفينيقيون واليونانيون <sup>1</sup>.

وتؤكد الدراسات الأنثروبولوجية بأن ظهور الأمازيغ في شمال إفريقيا كان في الألف الخامسة قبل الميلاد ، وفي الألف الرابعة وما بعدها ، تدلنا السجلات المصرية بأن الأمازيغ كانوا موجودين بالغرب من مصر على شكل جماعات ، لكل منها اسمها الخاص ، وكان بعضها (الجماعات) من ذوي العيون الزرقاء والشعر الأشقر والبشرة البيضاء ، وتتنوع هذه الجماعات يدل أيضا على تنوع تنوعها اللغوي ، كما هو الحال اليوم <sup>2</sup>.

لكن لفظة البربر شاع حولها تصور مبني على أحكام القيمة والإقصاء والانغلاق ، يختزل دلالاتها في كل ما هو متوحش أو همجي أو بدائي أو نحو ذلك ، حتى ورود هذا المصطلح في مختلف القواميس العربية والأجنبية لم يتضمن غير التلبس ، حيث لم يرجع أصحابها إلى تاريخ المصطلح ليثبتوا جذوره الحقيقية ، وإرهاصاته الأولى ، فأصل الكلمة إغريقي صرف ، حيث سمى اليونانيون القدامى كل من لا يتكلم الإغريقية من الأعاجم (بارباروس) ، ثم استعار الرومان نفس المصطلح فأطلقوه على الأجانب ، وبالتحديد الخارجين عن الطاعة الرومانية ، ولذلك أطلقوا كلمة (Barbari) على الأمازيغ لعدم انصياعهم واستسلامهم للسيادة الرومانية <sup>3</sup> ، وفي هذا الصدد أشار شارل أندري جوليان إلى أن البربر لم يطلقوا على أنفسهم هذا الاسم ، بل أخذوه من دون أن يروموا استعماله عن الرومان الذين كانوا

<sup>1</sup> عز الدين المناصرة . الهويات والتعددية اللغوية . دار مجدلاوي للنشر والتوزيع . عمان . الأردن . 2004 . ص187.

<sup>2</sup> صالح بلعيد . مرجع سبق ذكره . ص09 .

<sup>3</sup> التجاني بولعالي . الإسلام والأمازيغية نحو فهم وسطي للقضية الأمازيغية . إفريقيا الشرق . الدار البيضاء . المغرب . 2008 . ص71 .



يعتبرونهم أجنب عن حضارتهم ، وينعتونهم بالهمج، ومنه استعمل العرب كلمة برابر وبرابرة<sup>1</sup> ، وفي مقابل هذا كان مصطلح "أمازيغ" يعني " الرجل = الإنسان الحر" .

إن الدلالات التاريخية والسياقية تحيل إلى أن أمازيغ هو الأب الروحي للبربر أو الأمازيغ ، وهذا اعتمادا على ما ذهب إليه ابن خلدون في تحديده لنسب الأمازيغ ، فهو يقول في مقدمته : " والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، ...وأن اسم أبيهم أمازيغ " ، وابن خلدون هنا يحاول الفصل في أمرين مهمين : أولهما يتعلق بأصل الأمازيغ ، وثانيهما يرتبط باسم أبيهم<sup>2</sup> .

ولطالما تجادلت أطراف متعددة حول أصل الأمازيغ ، وإذ نستعرضها في هذا المقام فلأن كل طرف نسج برنامجا ، أو خطط لمشروع أو تبنى أفكارا وروج لها ، على أساس تصويره لأصل الأمازيغ ، حيث نسجل ثلاث تيارات أساسية

بينما يدلي عثمان سعدي\* صاحب كتاب " عروبة الجزائر عبر التاريخ" في الأصل الإثني للمجتمع الجزائري ، فيقول : " أنا أمازيغي ، أي بربري ، أنتمي إلى أكبر قبيلة ، هي قبيلة النمامشة التي يمتد تأثيرها حتى تونس ، أرى أن البربر عرب ، وأن اللغة الأمازيغية تكاد لا تكون كلمة في قاموسها ، إلا ولها وجود في قاموس اللغة العربية ، فالأمازيغية عنصر من تاريخ المغرب العربي ، مثل الفرعونية في مصر، والكنعانية في الشام والآشورية في العراق .

• في حين تدلي الأبحاث الجينية بحقائق أخرى ، أثبتت الدراسات على عينات من الحمض النووي لعدد كبير من سكان المغرب العربي في المغرب، الجزائر وتونس أن الصفة E-M81 أو (E1b1b1b) \_ التي قدر عمرها ب 5600 سنة هي الصفة المميزة بشكل خاص لذوي الأصول الأمازيغية الناطقين بها وذلك بنسبة 60 إلى 80 في المائة، وعند عرب المغرب بنسبة 30 إلى 50 في المائة، والصفة E-M78 بنسبة 2 إلى 12 في المائة عند الناطقين بالأمازيغية، وبنسبة 10 إلى 44 في المائة عند عرب المغرب، والصفة E-M35 عند الناطقين بالأمازيغية بنسبة 8 في المائة وكذلك بالنسبة للصفة J-M267، وهذا يجعلنا نستنتج أن الانتماء اللغوي لا يعكس تماما الانتماء العرقي.

وأثبتت الدراسات أن 62 في المائة من طوارق النيجر لا يختلفون في جيناتهم عن باقي سكان النيجر و 9 في المائة فقط منهم يحملون الجين المميز للأمازيغ E1b1b1b.

<sup>1</sup> شارل أندري جوليان .مرجع سبق ذكره . ص 11 .

<sup>2</sup> التجاني بولعوالي . مرجع سبق ذكره . ص 76 .

\* رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية ، وصاحب كتاب : " الأمازيغ - البربر ، عرب عاربة .

كما وقد ثبت وجود هذا التطفر بنسب قليلة بين بدو صحراء النقب ولبنان وقبرص التركية وفي إسطنبول التركية وشمال شرق تركيا وجنوبها الغربي وفي جنوب الجزيرة العربية وجد بنسبة ضعيفة 0.6% في الإمارات العربية المتحدة] مما يدعم فرضية هجرة هذا العرق من غرب آسيا.

وأثبت هذا العلم أيضاً أن هذه الصفة (E1b1b1b) تمثل أقل من 8% من الشعب المصري؛ فهي ليست من صفات المصريين. بينما يمثل العنصر الرئيسي (E1b1b) بأنواعه من 45% - 50% من الشعب المصري [ وثبت أيضاً أن اليهود المغاربة ليسوا من السلالة المغربية E-M81 أو (E1b1b1b) فهم يتوزعون على السلالات (5% من E1b1b1 و 15% من E1b1b1a و 30% من G2a و 20% من J2 و 10% من J1 و 10% من T و 10% من R1b1c) وهذا حسب دراسة Shen et al. 2004 وكذلك الأمر فإن السلالة المغربية ليست مكونا لسلالات اليهود الليبيين وهذا يوضح أن المغاربة لم يعتنقوا الدين اليهودي.

أما بالنسبة للخوانش سكان الجزر الخالدات فالسلالة المغربية تمثل بينهم 26,64% قبائل الجزائر نسبة الجين المغربي عندهم أقل منه عند بعض مجموعات شمال إفريقيا المعربة. E1b1b1b (E-M81) نسبته (47.36%) و R1\*(xR1a) نسبته (15.78%) و J1 نسبته (15.78%) و (K،J2،I ،F\*(xH) نسبته (10.52%) و E1b1b1c (E-M123) نسبته (10.52%).

فيما يعلق عادل زقاغ على الدراسات التي تمت على الحمض النووي بقوله بأنه تجدر الإشارة إلى أن استعمال لفظي الناطقين بالأمازيغية والناطقين بالعربية يعتبر أكثر استساغة من وجهة نظر علمية، لأن الدراسات الجينية لم تحسم بشكل دقيق في مدى وجود ما يسمى بالنقاء العرقي للمجموعات المختلفة التي تقطن أقاليم شمال غرب إفريقيا، بل أن ما تم من دراسات لحد الآن يؤكد وجود المكونات السامية العربية والبرانية بنسب ضئيلة جدا في التركيبة الجينية لسكان شمال غرب إفريقيا. بل وتذهب الدراسات العديدة التي نشرها بوش Bosch وآخرون\* وكذلك الدراسات التي نشرها فلورس وآخرون في Human Biology، وبعد أخذ عينات جينية من مجموعات ناطقة بالعربية وأخرى ناطقة بالأمازيغية توصلوا إلى وجود نوع من الاستمرارية أي عدم اكتشاف أي تدفق جيني جديد بنسب كبيرة بحيث يساهم في تغيير ذا أهمية في الخارطة الجينية للمنطقة.

\* وردت هذه الدراسات في : European Journal of Human Genetics وفي American Journal of Human Genetics

تعتمد هذه الدراسات على فحص كروموزوم Chromosome Y وهو الصبغي أو الجسيم الخيطي الذي يحوي المعلومات الوراثية. وقد أفضت دراسة Bosch إلى أن التوليفة الجينية لسكان شمال غرب إفريقيا هي كالتالي: 75 % خصائص جينية أمازيغية؛ 13 % خصائص شرق أوسطية سامية بين عربية وعبرانية، تعود إلى العصر الحجري الحديث Neolithic؛ في حين أن 4 % خصائص أوربية؛ و 8 % خصائص جينية إفريقية (زنجية). غير أنها أشارت إلى أن الخصائص الجينية للأمازيغ الحاليين تختلف من تجمع لآخر، فنسب الجينات الإفريقية مثلا والتي دخلت التوليفة الجينية عن طريق الأم نجدها بنسب عالية لدى الطوارق، وبنسب مهملة لدى أمازيغ الشمال.

ويخلص Bosch وزملاءه من خلال هذه الدراسة إلى أن التجمعات المتميزة ثقافيا في بلدان المغرب، أو بتعبير آخر التجمعات الجهوية المختلفة، لم تتم على أسس عرقية بل يعتبر العامل الثقافي، ولاحقا، مدى التقارب في اللهجات الشائعة بمثابة العامل الحاسم في بلورة التجمعات الجهوية، ولذا ظلت الحدود الفاصلة بين الناطقين بالأمازيغية والناطقين بالعربية حدودا مائعة ومتحركة باستمرار، وباختصار، فإن عملية التعريب أو تحول بعض القبائل الأمازيغية إلى العربية (وأهمها كتامة وصنهاجة في الشمال القسنطيني) هي عملية تتأقف وليست اختراقا جينيا. وبناء على هذه النتائج يبدو الحديث عن مجموعات إثنية أمازيغية وسط أغلبية عربية حديثا غير مؤسس علميا، وبذلك من المناسب الاستناد إلى المحدد اللغوي باعتباره المحدد الوحيد المتبقي وفق تعريف Stack\*\*، لفهم حالة الاستقطاب الهوياتي القائمة في الجزائر.

وكيفما كانت أصول العرب أو أصول الأمازيغ ، فهما عنصران عرقيان أساسيان في الجزائر لا يجادل أحد في وجودهما ، وتعايشهما معا عبر الزمن ، ومنذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا ، وهما يشتركان في تشكيل مجتمع متعدد ، وفي تبني النظام القبلي أساسا للتجمع البشري ، حيث تبين إحدى الدراسات الإثنوغرافية الإسلامية أن المجتمع الجزائري في القرون الوسطى كان مجتمع قبائل .

كانت القبائل البربرية في القرون الوسطى تشكل الأغلبية العظمى من المجتمع الجزائري ، ولهذه القبائل نظام صارم مغلق ، ويقوم نظامهم الاقتصادي على زراعة القمح والشعير والرعي وتربية الحيوانات ، وكانت هذه القبائل تشكل دائما جماعة ضغط على السلطة المركزية

\*\* انظر الفصل الثالث من الأطروحة .

، ذلك أن القبيلة رعوية كانت أم زراعية ، إذا كثر عدد أفرادها وعظم نفوذها لسبب من الأسباب ، فإنها غالبا ما تعيش مستقلة عن السلطة المركزية ، واستقلالها يعني أن لا تدفع الضريبة ، ولا تستدعى للخدمة ، بل كثيرا ما تمنحها السلطة المركزية نفوذا على من جاورها من القبائل ، تأخذ منها الإتاوات والضرائب باسم السلطان ، مقابل تزويد هذا الأخير عند الحاجة بالرجال المقاتلين ، أو مقابل مجرد مسالمة ، وعدم الاعتداء على مناطق نفوذه<sup>1</sup>.

ورغم امتداد الوجود البربري في عمق التاريخ ، إلا أن البربر لم يرتفعوا يوما إلى فكرة "الأمة البربرية" ، فقد كانوا عادة يتسمون بأسماء القبائل واتحادات القبائل ، على أساس العلاقات الجغرافية أو اللغوية أو...

والقبيلة البربرية شأنها شأن القبيلة العربية مركبة من عدة قبائل فرعية تربط بينها أوامر الدم ، أو عائلات تتطور عبر التكاثر بالولادات الكثيرة للذكور ، وفي هذا الصدد قال بيار بورديو : " ... لا وجود لأي سبب يدعو إلى التمييز بين الناطقين بالعربية أو الناطقين بالبربرية ، وبين المقيمين والرحل ، وبين القبائل المنتمية وغير المنتمية إلى الطرق الصوفية ، فهم جميعا مشتركون في نفس البنية الاجتماعية ، إي البنية العائلية المنتسبة إلى الأب وأقاربه ، على أنه ينبغي تعديل هذه الصورة ، فهناك أشكال سياسية أو دينية مستقلة عن الإطار العائلي تتطابق معه ، كما أن الهياكل الفوقية التي تزيد أو تنقص قوة ، بالإضافة إلى مخلفات الجاهلية قد حددت تناقضات ثابتة في مجتمعات أقطار المغرب العربي الثلاثة ، بصورة عامة ينبغي أن نعترف أن الناطقين بالبربرية يتمتعون بأصالة حية ، ذلك أنهم يحتفظون بعدد من خصائص ثقافتهم القديمة وفي مقدمتها اللغة ، علاوة على القانون العرفي وبعض الطقوس الدينية الغريبة عن الإسلام ، ومن شأن كل هذه العناصر أن تساهم في الحيلولة دون اندماج المجتمع البربري<sup>2</sup>.

وتقوم الجماعة الإثنية عادة على نظام العصبية<sup>3</sup> ، الموروث بالأساس من القبيلة البربرية أو العربية ، وهذا النظام هو أحد أهم السمات الثقافية للقرابة لهذين العرقين ، ولأنه المحرك الأول لعلاقة القرابة أو النسب ، فإنه يتجاوز هذه العلاقة إلى علاقات أخرى اجتماعية وسياسية واقتصادية بين أفراد المجتمع<sup>3</sup> ، والعصبية أو الوعي العصبية ، يصبح عند ابن خلدون رابطة

<sup>1</sup> محمد بوراكي ص 280 . نقلا عن محمد عابد الجابري . العصبية والدولة .

<sup>2</sup> محمد بوراكي . مرجع سبق ذكره . ص ص 281 - 282 .

\* العصبية : في اللغة العربية تسمى ذوي القرى باسم "العصبية" ، وهذه الكلمة تمت بصلة الاشتقاق إلى كلمة "العصب" بمعنى الشد والربط ، وكلمة "العصابة" بمعنى الرابطة ، كما أنها تسمى الخصال والأفعال الناجمة عن ذلك ، من تعاضد وتشيع ، باسم "العصبية" ، والعصبية تتولد من القرابة بالأساس ، وهي تستند إلى وحدة النسب بالدرجة الأولى .

<sup>3</sup> كريم زكي حسام الدين . اللغة و الثقافة دراسة أنثروولوجية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية . دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع . القاهرة . 2001 . ص 98 .

اجتماعية ونفسية شعورية ولا شعورية في ذات الوقت ، حيث نجد هذا الوعي لا يربط بين فرد وفرد آخر فحسب ، بل بين الفرد والجماعة أيضا ، وفي هذا الصدد قال ابن خلدون : "إن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه ، وقد قدمنا أن الأدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض ، فلا بد أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية " <sup>1</sup> ، ولا يزال التعصب العرقي والعائلي والقبلي والجهوي ماثلا في المجتمع الجزائري إلى يومنا هذا ، فمن لم تكن له عائلة يركن إليها أو أصل ينتمي إليه أو قبيلة يحتمي بها أو حي يسكن فيه ، عاش وحيدا منزويا على نفسه منفردا عن المجتمع والعائلة والقبيلة والأهل بصفة عامة ، وفي هذا الصدد يستشهد محمد بوراكي " رحمه الله" بجملة من الأمثلة والمقولات الشعبية التي تعكس مباشرة مكنون العصبية في المجتمع الجزائري ، من بينها : - أن العصبية تدل على الكرم والقوة وتكون بكثرة أفراد العائلة أو القبيلة .

- أن الشخص يلجأ إلى بيت الآباء والأجداد أو البيت الكبير من أجل الحماية .
- أن هناك تصرفات قاسية صادرة عن الجماعة القرابية أو العشائرية ضد الأشخاص الذين لا ينتمون إليها ، فيكون مصيرهم الطرد .
- أن العصبية تحت على صلة الرحم ، والتعاون بين الأخوة وأبناء العمومة والتعاون ضد الغريب ، وهذا الموقف ينبع من الشعور بالطمأنينة والأمان بين أبناء العائلة .
- أن الفرد لا يمكن أن يستغني عن أقاربه ، لا سيما الأعمام والأخوال ، حيث يلجأ إليهما للحماية والمساعدة ، وإذا كان الأعمام يعبرون عن النعرة والرجولة باعتبار سلطة العم هي امتداد لسلطة الأب ، فإن الأخوال يوفرون الحنان والعطف للطفل ، لأن حنان الخال هو امتداد لحنان الأم .
- أن لا يسمح لأي شخص غريب التدخل في الشؤون الداخلية للعائلة أو الجماعة القرابية.
- أن كبير العائلة أو القبيلة هو المسؤول والوصي ، وما على الصغير إلا الانصياع لأوامره ، لأنه يمثل القدوة بالنسبة له .
- أن الناس وإن انتموا إلى مجتمع واحد ، فإن نشب بينهم نزاع تفرقوا إلى فرق ، فينضم القريب إلى قريبه والولي إلى من والاه ، وذلك على الرغم من المودة أو الإخاء الذي كان يربطهم من قبل .
- أن العصبية تحت العائلات على الإحسان لبعضها والارتباط ببعضها البعض عن طريق الزواج ، للحفاظ على العائلة الكبيرة ، وهذه العادة الموروثة من العائلة التقليدية

<sup>1</sup> محمد بوراكي. مرجع سبق ذكره. ص 284 .

والمأخوذة بالأساس من نظام القبيلة البدوية القديمة ، الأمر الذي يعكس جوهر تعصب العضو للجماعة .

- بموجب العصبية يحصل المرء على ما يريد رغم صعوبة ما يصبو إليه ، عن طريق الوسائط والصدقات " المعارف " ، وهذا النمط من السلوكات يشيع في المجتمعات التي تتعدم فيها الحريات والديمقراطية ، وتطغى فيها البيروقراطية والوصولية والجهوية .

بيد أن العصبية قد بدأت تضعف في الجزائر لدى القبيلة البربرية والعربية على السواء ، لأسباب منها تغيير نمط المعيشة ، أو تغيير المجال الجغرافي الذي استوطنته العشيرة على مر الزمن ، حيث يعبر رشيد حمدوش عن هذا الفعل الاجتماعي باسم "الافتتاح أو الاجتثاث" ، إذ أن الفرد عندما يعايش في نفس الوقت عددا كبيرا من الأفراد المستقرين في المدينة ، الوافدين من مناطق مختلفة خاصة المناطق الريفية ، ومن جماعات إثنية متعددة ، يحول هو ومن معه المجال إلى مجموعة من الأحياء نصف ريفية ، مما يحدث اختلالا في التنظيم ، ويجتث الفرد من عصبته القائمة على أساس رابطة الدم ، وبمرور الزمن تضعف تلك الرابطة ، وقد ينتمي إلى عصابة أخرى قائمة على أساس آخر ، وتتغير بذلك أحد أهم معالم هويته ، والآن أصبحت المدن هي المعبر الأساسي عن مختلف الهويات المحلية ، كأن نقول مثلا : هذا دزيري ، هذا وهراني ، هذا عنابي ، هذا سوفي ، .... بينما لا نكاد نسمع بهذا عربي ، أو هذا شايوي ، .... نظرا لتوزع الأصول العرقية الأساسية في كل مكان في الجزائر ، الأمر الذي أدى إلى ما يسمى بالجهوية ، والتي تعني التعصب للجهة التي يقيم بها الفرد .

نخلص إلى أن المجتمع الجزائري يتكون من عنصرين أساسيين ، هما العنصر الأمازيغي والعنصر العربي ، ومنهما انبثقت النزعات العصبية ، والتي انبثقت بدورها من نظام القرابة والنسب والعائلة والانتماء إلى القبيلة ، وقد كان معيار شرف الهوية هو صفاء النسب والسلالة العرقية ، لكن هذا الأمر آيل للتغيير .

## 2 - 3 - البعد الديني

يشكل الدين الإسلامي في الجزائر والأقطار المغاربية جوهر الهوية المحلية ، الأمر الذي يفسر ثباته وقوة حضوره الدائم حتى في الممارسات التي يرفضها هذا الدين\* ، فهو

\* كثيرا ما يمارس الناس في الجزائر وفي جل أقطار المغرب العربي بعض الطقوس المتناقضة لدى زيارة أضرحة الأولياء والصالحين للتبرك بهم ، أو لرجائهم الشفاء من العلل ، مستخدمين في ذلك مختلف الآيات القرآنية وعبارات الدعاء والرجاء لله بواسطة الأولياء ، كما يمارس بعض الناس السحر - وهو من أكبر الكبائر في الإسلام - بواسطة الآيات القرآنية .

المقدس الذي لا يضاهيه مقدس آخر ، حتى أن إنسان هذه المنطقة إذا أراد سب غيره أو شتمه ، سبه بعبارات دين أو شرف ، نظرا لقداسة هذا الأمرين في المجتمع .

رغم أن الدستور الجزائري يضمن حرية المعتقد لكل مواطن ، لأن الجزائر عضو في الأمم المتحدة، ومصادقة على المبادئ الأولى لحقوق الإنسان، حرية المعتقد أولها، إلا أن المجتمع الجزائري وبصفة غير معلنة يرفض أي ديانة أخرى غير الإسلام ، رغم وجود أقلية مسيحية لا توجد أرقام ثابتة حول نسبتهم الحقيقية وتتمثل في : الكاثوليك الرومان ( أغلبيتهم الساحقة هم من أصول أوروبية لاسيما الفرنسيين ) ، و البروتستانت (فغالبيتهم من الجزائريين الأصليين واتباعهم لهذه الديانة حديث العهد، نظرا للتبشير الذي انتشر في البلاد خاصة في التسعينات من القرن الـ 20 ويتركز تواجدهم في العديد من المدن وخاصة منطقة القبائل).

أما الديانة اليهودية فقد جاءت من تعايش اليهود مع المسلمين أثناء وقبل الاحتلال الفرنسي لكن عددهم تناقص بشكل كبير جدا فمنهم من توجه إلى فرنسا بعد الاستقلال ومنهم من رحل للعيش في فلسطين المحتلة ، ولم يبق في الجزائر سوى عدد قليل من اليهود ، بعض المصادر تقول أن عددهم يتراوح بين 700 و 1000 يهوديا الأغلبية السّاحقة منهم لزلت تسكن مدينة بجاية السّاحلية، لكنهم في واقع الحال لا يشكلون حدثا يذكر في الجزائر<sup>1</sup>.

أما البوذية التي أصبحت موجودة في الجزائر بسبب العمالة الآسيوية في البلاد فإن التدين بها مقصور على أصحابها لا أكثر ، ولا يمكن أن تكون له علاقة بالهوية الجزائرية .

أما المذهب السني الذي يتبعه الجزائريون فهو **المذهب المالكي** ، فيما يتبع بنو ميزاب من الأمازيغ المنتشرين في شتى أنحاء البلاد وأساسا في ولاية غرداية الواقعة شمال الصحراء المذهب **الإباضي** ، كما يوجد أتباع للطرق **الصوفية** لاسيما في المناطق الغربية والداخلية، ومن أهمها : التيجانية، القادرية، الشاذلية والمهدية ... وقد تغلغت في المجتمع منذ القدم وعادت مؤخرا إلى البروز ، هذا إلى جانب اعتناق بعض السلفيين للمذهب الحنبلي ، لكن هذا الأخير لا علاقة له بهوية المجتمع الجزائري ، بينما يسود عدم التمييز بين المذاهب من قبل الجزائريين نظرا لأخذهم بمختلف الفتاوى التي تبث عن طريق القنوات الفضائية دونما تمحيص .

<sup>1</sup> سكان الجزائر . ويكيبيديا . الموسوعة الحرة .



## 2 - 4 - البعد اللغوي

إن المجتمعات الإنسانية لم تعرف الثقافة إلا عندما عرف الإنسان كيف يشير إلى الأشياء والعلاقات ، أي أن ظهور الثقافة قد ارتبط بظهور الرموز أو العلامات التي تكون نظام اللغة ، وإذا كانت كلمة ثقافة تشير في كتابات الأنثروبولوجيين إلى أسلوب الحياة السائدة في مجتمع ما ، فإن هذا يعني وجود علاقة وثيقة بين اللغة والثقافة<sup>1</sup>.

والأمة بلا إبداع أمة بلا هوية ، ولا يوجد مبدع دون أن ينتسب إلى ثقافة أو فكر ، واللغة أداة كل ذلك وثمرته ، ومن هنا فإن توحيد اللغة والفكر يؤدي إلى توحيد أصحاب اللغة وترابطهم ، وانصهارهم في بوتقة واحدة ، وهكذا فإن اللغة هي تاريخ الأمة وحياتها ، بل هي الأمة<sup>2</sup>.

ما يلفت الانتباه في الجزائر هو وجود التنوعات اللغوية ، ويعود الأمر إلى تشابك وتداخل عدة مجتمعات متعايشة لها تصوراتها ومجالات استعمال بعينها ، وكذا من حيث الممارسات الحقيقية للناطقين ، وهاهنا تلمح الكاتبة\*\* إلى ظواهر التعاقب اللغوي ، أو التناوب اللغوي ، (أي الانتقال من لغة إلى أخرى أثناء الكلام ) أو الاقتراض وظواهر الاحتكاك اللغوي بشكل عام.

## اللغات المتعايشة في الجزائر :

إن العولمة بكل ما تحويه من أبعاد ، لا تبالي ولا تعير أية أهمية للتصور المحلي ، و لا لتلك الأبعاد والمقاييس ، إن التأكيد الهوياتي بشكل أو بآخر ، لن يجعلنا نتملص من كوننا موضوعا يخضع للنموذج المسيطر الذي تفرضه العولمة<sup>3</sup>.

ولأن اللغة في الجزائر فيها الكثير مما يمكن قوله ، فلأنها صنعت تقرد الإنسان الجزائري ، كونها جزء من السلوك الفردي الذي يميزه كفرد في المجتمع ، إذ أنها اكتسبت منذ الطفولة في إطار العلاقة بين المثير والاستجابة - على حد قول السلوكيين - ، أو أنها اكتسبت عبر التمكن اللغوي الذي مكنه من سماع اللغة من الأبوين ، ومن اكتشاف القواعد اللغوية بتوليد تراكيب لم يسمع بها من قبل - على حد قول التوليديين - ، ورغم أنها نتاج الفكر في حد ذاته ، إلا أنه يمكن اعتبارها نظاما معقدا من الرموز التي تحمل في طياتها مختلف المعاني والمدلولات على كل الأشياء المجردة والعينية ، تبقى من أهم المنافذ المستخدمة من أجل الولوج

<sup>1</sup> كريم زكي حسام الدين . اللغة والثقافة . ص 57

<sup>2</sup> محمد عبد الرؤوف عطية . التعليم وأزمة الهوية الثقافية . مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع . القاهرة . مصر . 2009 . ص 91 .

\*\* خولة طالب الإبراهيمي . مرجع سبق ذكره .

<sup>3</sup> حمدوش رشيد . مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة . دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع . الجزائر . 2009 . ص



إلى عمق الثقافة والبيئة الاجتماعية للمجتمع الجزائري ، بل إن صياغتهما وتوريثهما ، وبالضرورة الولوج إلى حقائق الفكر الإنساني على هذه الرقعة الجغرافية .

وبتعدد موجات الوافدين إلى الجزائر تعددت الألسنة ، حيث أن قدوم القبائل الوندالية الجرمانية إلى شبه جزيرة أيبيريا وشمال إفريقيا بين عامي 439-533م لم يؤثر في التركيبة العرقية فحسب، بل في التركيبة الدينية واللغوية أيضا للمجموعات الأمازيغية لكن دون أن يؤثر في البنية الاجتماعية بشكل جذري ، وقد وصل عدد أفراد القبائل الجرمانية الوافدة بالأساس إلى تونس والشرق الجزائري حوالي 80 ألف فرد.

هذا إلى جانب هجرة العنصر السامي ، حيث وصل ما يقارب 150 ألفا من العرب إلى المنطقة في سياق الفتوحات الإسلامية خلال القرن السابع الميلادي بينما وفدت أعداد أكثر وصلت إلى 250 ألفا [في جزء هام منهم ينتمون لقبائل بني هلال التي أرسلها الخليفة الفاطمي لمعاقبة البربر على تخليهم عن التشيع لصالح المالكية] وكان ذلك خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، ونقلنا عن ابن خلدون فقد كان اندماج العنصر العربي سهلا في المناطق السهلية التي اتسمت بالنشاط الرعوي، لأن العرب وجدوا ثقافة رعوية متشابهة وسهولة في التغلغل وألفة، بينما كانت المناطق التي تتميز بالنشاط الزراعي أعسر على الاختراق بسبب نمط الملكية السائد، مما حافظ على نوع من النقاء الثقافي في تلك المناطق التي كانت في أغلبها جبلية ، وإذا أضفنا إلى ذلك دخول العنصر الإفريقي في التركيبة الجينية للأمازيغ من جهة الأم، بحكم احتكاك الطوراق بجيرانهم جنوب الصحراء، فضلا عن قدوم المستوطنين الأوربيين خلال قرن وتلث القرن من الاحتلال الفرنسي، واستيلائهم على المناطق السهلية، فإن كل هذه العوامل تفسر لنا خارطة التوزيع الجغرافي للمجموعات "الناطقة" بالأمازيغية، والتي تستند إلى البعد اللغوي لا إلى البعد العرقي<sup>1</sup>.

وبإلقاء الضوء على واقع اللغة التي صنعت تفرد الإنسان الجزائري وتميزه في مجتمعه عن غيره من البشر في مختلف المجتمعات، يمكن تمييز أربعة أنساق لغوية منتشرة هي :

**اللغة العربية الفصحى** : ويتم تداولها حاليا في مؤسسات التربية - فهي اللغة الأولى التي يدرس بها التلاميذ في مراحل الثانوي وما قبلها ، وبعض التخصصات في الجامعة - والمساجد

<sup>1</sup> عادل زقاغ . إيتنولوجيا الأزمة . مجموعة من الباحثين . التحولات السياسية في الجزائر ، منظور سوسيواقتصادي . تحرير : صالح زياتي . دار قانة . الجزائر . 2011 . ص ص 123 143 . بتصرف .

والزوايا - اللغة الأساسية للتخاطب - وبعض الإدارات ، كما تتداول بين المثقفين ، وتستخدم عادة في كتابة مختلف النصوص الشعرية والمسرحية والقصصية وغيرها ...

وجدير بالذكر ، فاللغة العربية عرفها الجزائريون بموجب قدوم الفاتحين المسلمين إلى شمال إفريقيا تم تعريب المجال الجغرافي وأسلمته في الآن نفسه ، حيث جرى هذا التعريب ببطء عبر فترة طويلة امتدت من أيام عقبة بن نافع في القرن السابع إلى غاية وصول القبائل الهلالية ، الأمر الذي جعل اللغة العربية تتربع على عرش اللسان الجزائري دونما مقاومة\* ، أو رفض ، لارتباطها بالإسلام وبشكل وثيق جدا ، حيث أصبحت دول شمال إفريقيا تمثل مقاطعة نائية تابعة للعروبة ، والمقصود بالعروبة هنا هو :

- أولا وقبل كل شيء تبني العربية لغة تخاطب وحضارة
- اعتماد العربية وحدها للإفصاح عن المشاعر والأفكار .
- الصدور عن حضارة تتولى اللغة العربية الإبانة عنها واعتبار الإنتاج الأدبي والعلمي بمثابة تراث مجيد ، والنظر إلى عيونه بوصفها نماذج مثلى يجب أن تحتذى .
- الإصداع بالانتساب الذي اعتمد هذه اللغة في المشافهة والتحرير واستشعار ما ينطوي عليه ، والتغلب على شاكلته في الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلانية والعاطفية .
- هو أساسا الارتباط الحميمي بين وضع لغوي ومجموعة من الأذواق الجمالية والطموحات العاطفية والعادات الفكرية .
- هو العلاقة القائمة بين التعريب والأسلمة ( حتى وإن كان الأمران لا يتماهيان ولا يقترنان دائما )<sup>1</sup> .

**اللغة الأمازيغية وفق تفرعاتها الجهوية :** بالنسبة للسان الأمازيغي فهناك إشكال عالق في أوساط علماء اللغة واللسانيات في الجزائر ، وهو الجدلية القائمة بخصوص ما إذا كان يتوجب تصنيف النسق الأمازيغي في دائرة اللهجة بسبب افتقاره إلى نظام رمزي هجائي وقواعد نحوية وصرفية موحدة بين جميع مستخدمي هذا النسق على المستوى الوطني ، لذلك يرى البعض بأنه مجموعة من اللهجات المحلية .

\* وقد كان لتواجد هذا العنصر العربي دور بارز ليس فقط في تشكيل التضاريس الاثنية واللغوية للبلاد بل وأيضا في تدوير الكثير من التنوات العرقية واللغوية الأخرى فيما يسميه البعض (الاستعراب) . فلغة العربية في الجزائر إذن مرجعية تاريخية مرتبطة بالدين، ولذا كانت لهذه اللغة قداستها المستمدة من قداسة الإسلام، وقد ساعد هذا الأمر في المحافظة على وحدة اللغة خاصة إذا عرفنا أن التشكيل الديني عند مجموع السكان لا يخرج في مجموعه عن الإسلام .

<sup>1</sup> خولة طالب الابراهيمى . مرجع سبق ذكره . ص 13 .

وتعتبر الأمازيغية لغة شمال إفريقيا حسب جل الباحثين أي لغة حامية، كالمصرية القديمة وغيرها من اللغات الحامية، وبعد التحليلات الكربونية للرسوم القديمة اتضح أنها تعود إلى العصر الحجري القديم 30.000 سنة وحسب ما أكده المؤرخ الإنجليزي كارل بيرنارس أن ظهور اللغة الأمازيغية يعود إلى 10.000 سنة ق.م واللغة العربية إلى 100 سنة قبل ميلاد محمد "صلى الله عليه وسلم" دليل أن اللغة الأمازيغية لغة قديمة قائمة في حد ذاتها<sup>1</sup>.

والواقع أن المجموعات الأمازيغية -الجزائرية- لا تشكل نسيجاً متجانساً لأن العوامل التاريخية ساهمت في عزل المجموعات التي حافظت على هويتها اللغوية ضمن جيوب جغرافية معزولة، وقد تطورت اللهجات الأمازيغية داخل هذه الجيوب في ظل ظروف تاريخية متباينة مما ساهم في تعزيز الاختلافات بينها، وفي غضون ذلك، فإن قبيلتي كتامة وصنهاجة اللتان تستوطنان ما يعرف حالياً بالشمال القسنطيني، قد تعربتا كلياً، وفي الاتجاه ذاته يمكن ملاحظة كيف أن التأثيرات اللغوية الدخيلة تتضاءل كلما اتجهنا إلى عمق الجيوب الجغرافية الرئيسية التسعة.

بالاعتماد على المحدد اللغوي للمجموعة الإثنية، وبفعل العوامل التاريخية، يمكن الانتهاء إلى تحديد المناطق المرشحة وفق هذا المنظور لتشكيل هوية إثنية متميزة:

منطقة جبال الأوراس: يتحدث قاطنوها بالشاوية [شأويث، لهجة زناتية]؛ منطقة القبائل: يتحدث قاطنوها بالقبائلية [ثقباليث]؛ منطقة الشنوة [إيشنوين] يتحدثون [ثشنويث، لهجة قريبة للزناتية]؛ منطقة وادي ميزاب: الناطقون بالميزابية يتحدثون [ثمزابيث، لهجة زناتية]؛ أمازيغ تيماسين - تقرت: وهي مجموعة صغيرة تتحدث لهجة أمازيغية زناتية؛ أمازيغ ورقلة: مجموعة صغيرة أيضاً تتحدث لهجة زناتية [ثقرقرنت]؛ أمازيغ منطقة تميمون: وهي مجموعة أكبر نسبياً تتحدث لهجة زناتية [ثانزاتيث]؛ منطقة الآهقار: وهي المنطقة الرئيسية بالنسبة لطوارق الجزائر [إيترقين]، تتحدث بالترقية [ثاترقيث]؛ أمازيغ منطقة عين صالح: مجموعة أمازيغية زناتية تتحدث [ثيدكلث]؛ وأخيراً هناك مجموعة أصغر تتحدث لهجة قريبة للشلوحية [لهجة أطلسية] منطقة ندرومة بتلمسان<sup>2</sup>.

**اللهجة الدارجة :** أما اللهجة العامية الجزائرية ، فهي مزيج هائل مستمد من العربية الفصحى والأمازيغية والفرنسية ، وحتى بعض الرواسب التركية ، وهي أكثر الأنساق التي يمكن الخروج منها بملاحظات مثل :

<sup>1</sup> اللهجة الأمازيغية - تعريف - منتديات المحبة في الله . 2012/04/05 <http://a7iba.ahlamontada.com/f23-montada>  
<sup>2</sup> عادل زقاغ . القضية الأمازيغية : إيتنولوجيا الأزمة . مرجع سبق ذكره . نفس الصفحات .

- الدارجة الجزائرية، تسريع للفصحى، يميزها الشين المصري في الأفعال، شرق البلاد، تحذف منها ألف الكلام بدايته، أو تخفيف لإدغام، اختلطت مع الأمازيغية أيضا، أسماء النبات والحيوان تعريب من الأمازيغية، أسماء مدن أيضا.
- يلاحظ بأن التراكيب اللسانية العامية المستمدة من العربية الفصحى قد تم تحويرها على مستوى النطق عن طريق الحذف بشكل خاص ، مثلا : تحوير كلمة " يستقصي" - بمعنى يسأل أو يبحث إلى "يسقسي".
- كما أن التراكيب المستمدة من الفرنسية قد تمت قولبتها لتتماشي واللسان العامي الجزائري ، حيث تمت إعادة صياغتها على الأوزان اللغوية العربية والأمازيغية أيضا ، مثلا : كلمة "آري arrêt" قد اندمجت تماما في الدارجة الجزائرية بعد أن تغير نطقها قليلا عن أصلها ، كما صار جمع هذه الكلمة على وزن عربي خالص " لاريات".
- كما تأثر اللسان الأمازيغي باللغة العربية الفصحى ، وأخذ منها الكثير من التراكيب والمصطلحات فهو نفسه أعطى الدارجة الجزائرية الكثير من التراكيب والعبارات مثلا : يقال عادة عن الرجل الشهم في المجتمع الجزائري بأنه "نرقاز" ، وهي عبارة أمازيغية من أصل " أرقاز" التي تعني الرجل أيضا .
- إضافة إلى بعض التراكيب اللغوية القديمة المستمدة من التواجد التركي بالجزائر مثل عبارة " قهوجي " "جزناجي" وكلمة "قاوري" التي تعني بالتركية "خنزير".
- بسبب الشساعة الجغرافية للجزائر واختلاف أنماطها المعيشية والثقافية باختلاف مناطقها ، فالدارجة نفسها تختلف بأشكال طفيفة أحيانا ، ومتفاوتة أحيانا أخرى ، بحسب تقارب المناطق من بعضها والعكس ،سواء على مستوى التراكيب أو المضامين ، أو على المستوى النطقي والصوتي ، فساكن الغرب الجزائري مثلا لهم فنونومات (النغمات الصوتية ) مختلفة عن فنونومات ساكن الشرق ، حتى في التراكيب والعبارات المشتركة ، هذا ناهيك عن أقصى الجنوب كمنطقة تامنراست و تيميمون .

**اللغة الفرنسية :** يتم تداول اللغة الفرنسية بشكل واسع في الإدارات العمومية والهيئات الحكومية، لسيطرة الجيل القديم -الجيل الذي تعلم في عهد الاحتلال الفرنسي- على المناصب الحساسة في الدولة وهيئاتها، كما تستخدم في بعض الدوائر الضيقة كالتعامل في

مجال الطب والهندسة المعمارية و... ورغم أن المدرسة الجزائرية قد تعربت إلا أن سياسيي البلاد تروق لهم مخاطبة الشعب بالفرنسية وكأن الشعب لا يفهم غيرها . كما صارت الإنجليزية (لأهميتها) في مراحل متطورة، متغلغلة بين مثقفي البلد.

### 3 - أزمة الهوية الجزائرية

يمكن لأزمة الهوية أن تحدث علي المستويين، الشخصي والاجتماعي ، على المستوي الشخصي، تنشأ الأزمة عندما تحين لحظة إحداث التوافق بين التماهيات الطفولية وبين تعريف جديد وعاجل للذات، وأدوار مختارة لا يمكن النكوص عنها . يضاف إلى ذلك أن الهوية الشخصية تقوم علي جهد يستمر كل الحياة، كما يقول اريكسون، والفشل في تحقيقها يسبب أزمة ربما تكون لها نتائج مدمرة على الأفراد . أما على المستوى الاجتماعي، فتنشأ الأزمة عندما يفشل الناس، وهم يصنعون هوياتهم ، في العثور على نموذج يناسبهم تماماً، أو عندما " لا يحبون الهوية التي اختاروها أو اجبروا على تبنيها" ولأن الهويات الاجتماعية يتم تكوينها عادة " من التشكيلة المتاحة من التصنيفات الاجتماعية، فإن ظهور الخلاء يكون حتمياً" ، كذلك يمكن أن تحدث الأزمة عندما يسود الغموض نظرة الناس إلى هويتهم، أو يفتقرون إلى هوية واضحة<sup>1</sup>.

ويشير مفهوم الأزمة في المستوى الفردي إلى محنة علاقة وجودية بين الإنسان وشروط وجوده، والأزمة هي الوضعية المأزقية التي يوجد فيها الإنسان دون الحلول المطلوبة والتي تستثير صراعات وجدانية ونفسية عنيفة قد تؤدي إلى الخلخلة بوحدة الشخصية وتكاملها وذلك في المستوى الفردي وفي المستوى الاجتماعي ، كما ينطوي مفهوم الأزمة على تناقض بين أمرين أو أكثر وينطوي هذا التناقض بدوره على صراع يفترض به أن يكون على درجة عالية من الشدة ، وعلى المستوى الأخلاقي تبرز الأزمة عندما يقع الفرد ضحية واجبين متكافئين من حيث الأهمية مثل الصراع بين واجب التضحية للوطن وواجب التضحية للأسرة بين حب الأسرة وحب الوطن مثلاً في آن واحد والأمثلة هنا أكثر من أن تعد وتحصى. ولكن عندما تتوازن قيمتان عند الفرد أو الجماعة فإن ذلك يؤدي إلى صراعات عنيفة يعبر عنها بالأزمة. وعندما يتبنى المرء نظامين مختلفين من القيم فإن ذلك يؤدي أيضاً إلى أزمة قيمية<sup>2</sup>.

الحديث عن أزمة الهوية الجزائرية حديث ذو شجون ، إذ لم ترتبط هذه الأزمة بميول الأفراد أو سياسة النظام الحاكم أو مختلف العصبيات ، بقدر ما ارتبطت بالإرث التاريخي الثقيل

<sup>1</sup> مبارك عبد الرحمان أحمد. ورقة عن مشكلة الهوية في شمال السودان .منتدى سودانيل . 2009/12/08 . <http://www.sudanile.com>  
<sup>2</sup> علي أسعد وطفة . تصدعات في الهوية العربية المعاصرة . شبكة النبا المعلوماتية. 2012/05/14. <http://www.annabaa.org/index.htm>

الذي ورثته عن الحقبة الاستعمارية ، إن طمس الثقافة الجزائرية التي يلتف حولها أفراد المجتمع في سبيل تشكيل هويتهم إنما بدأت منذ 1830 ، عندما جاءت فرنسا كمستعمر يحمل السلاح باليد اليمنى ، والممسحة باليد اليسرى - ليمحو ما كتب على سبورة المجتمع الجزائري - ، بينما يحمل على كتفه أطنانا من الصحائف التي تحيل المجتمع إلى نسخة منه ، بما تحوي هذه الصحائف من خصائص الاختراق واللاتضمين والاستلاب والاغتراب وغيرها . " فكانت بذلك صدمة الشعب الجزائري مع الشعب الفرنسي كانت في البداية صدمة بالأسلحة ، أي صدمة دموية ، ثم صدمة ثقافية ، وهذه الأخيرة أهم صدمة ، وهي اليوم أساس العلاقات بين الفرنسيين والجزائريين بعد حرب دامت أكثر من مائة عام ، وهي صدمة بين الشعبين سببها اللغة"<sup>1</sup> .

من جهة أخرى فإن استقلال الجزائر كان من الممكن أن يكون انتصارا للهوية العربية الإسلامية على محاولات فرنسا والتصير ، وبداية لمرحلة تاريخية جديدة يعاد فيها للهوية مكانتها المقدسة . لكن أوصياء الاستقلال أو جيل الاستقلال عاشوا بذهنية مغترة غمرتها الملهيات والمغريات العابرة ، ولم يتفطنوا أو يتحوطوا لما يتهدد المجتمع من أخطار السببية وعدم التكفل الحق بتهيء المستقبل ووضع الشببية في الواجهة ضمن رعاية مخصصة وتوجيه يستغل القابلية التي كان المجتمع يظهرها<sup>2</sup> ، فالنخب التي تسلمت السلطة يوم الاستقلال لم تعر الهوية الأهمية الكافية ، وما تفرضه مكوناتها البنيوية من التعامل الواعي والدافئ ، وقد اتضح أن تعامل النخب الأساسية أيام الاحتلال واهتمامها بالهوية كان - حسب الهرماسي- مجرد تكتيك أمّلته طبيعة العمل السياسي ، فالهوية التي لم تكن موضع شك أو تساؤل عند الجماهير أصبحت في نظر النخب الحاكمة ، والتي ربطت بين التقدم والغرب ، وانطلقت في مشروع التنمية من مرجعية غربية ، موضع احتراز وريبة ، بل لقد رأت في ثوابتها الأساسية نقيضا للحدثة وسببا للتخلف وعائقا أمام التطور<sup>3</sup> .

ولم تعترف هذه النخب بالهوية على أنها أساس الوجود ، وأنها تمثل طاقة الإبداع والتجديد ، واعتبرتها مجرد شكل ثقافي تقليدي ، وأكثر من هذا تغاضت هذه النخب عن البعد الإسلامي للهوية الذي لا يعني رفضا للآخر بقدر ما يعني تأكيدا للذات ، لأنه ليس حاجزا أمام التجديد والتحديث ، وإنما هي الخصوصية التي تسعى للتمايز دون تكبر ، وللافتتاح دون شعور بالدونية .

<sup>1</sup> Khaoula Taleb Ibrahimy .Les Algériens et leurs langues .les éditions el Hikma .Alger .1997 . p61.

<sup>2</sup> سليمان عشراتي . مرجع سبق ذكره . ص 04 .

<sup>3</sup> محمد صالح الهرماسي . مرجع سبق ذكره . ص 165 .

وبهذه الصورة تزايدت حدة الصراع الثقافي السياسي بعد الاستقلال بين تيار نخبوي (في السلطة والمعارضة) يرى في الغرب مرجعه، وفي الحداثة الأوروبية النموذج الأمثل لتقدم البلاد وتجديدها، وبين تيار شعبي واسع رافض للتماهي المفرط مع الغرب، وليس للتحديث، ومتمسك بثوابت الثقافة العربية الإسلامية، ولكنه لا يرفض التطور والتجديد<sup>1</sup>، فقد كان المسجد بالنسبة لرائد الكفاح المسلح الأمير عبد القادر المنبع الأساسي والحساس للدعوة إلى الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين، وكذلك كان الأمر بالنسبة للشيخ عبد الحميد بن باديس في نضاله الإصلاحية والتوعوي، لكن المسجد بعد 1962 ألحق بالدولة، ليصبح قناة من قنواتها السياسية والأيدولوجية، بعدما كان المركز الموازي لسلطة الدولة، إن لم نقل مصدرها في البدايات الأولى للأمة الجزائرية الحديثة خلال فترة الأمير عبد القادر<sup>2</sup>.

وحتى بعد خروج المستعمر من البلاد شهدت الجزائر العديد من الوقائع الاجتماعية التي غيرت وإلى حد بعيد - بنية الثقافة الجزائرية، إذ توالى الهجرات من الريف إلى المدن طلباً للتحضر والمدنية وفي هذا الشأن يتحسر سليمان عشراي بقوله: "فنحن لسنا بدوا على ثقافة أصيلة خام وفطرة ساذجة مبرأة كتلك التي ظلت تسود مساحات واسعة من أوساط المجتمع إلى ما قبيل الثورة، ذلك لأن الاستقلال قد سارع بتقريب الشقة بين المدينة والبادية، الأمر الذي لم تعد معه القيم التقليدية بقادرة على الثبات أمام مظاهر التطور المتزايد.

لكننا من جهة أخرى لسنا مدنيين خلصاً كذلك، فالثقافة البناءة لم تشملنا بعد، إذ لا زلنا لم نمتلك ما يسميه مالك بن نبي الفاعلية الحضارية ولم نمتلك أسبابها أو لم نبلغ مستواها إلى الآن بالقدر الذي يغدو معه حب العمل والخلق والإبداع المثمر من سجايا المجتمع بفئاته جميعاً<sup>3</sup>. ففيمما يحاول المثقفون تمييز الأشخاص من خلال التزاماتهم الدينية وانتماءاتهم السياسية وتصنيف الناس بين ملتزم وغير ملتزم، مؤمن وكافر وحتى ملحد، ووطني وإسلاموي ولائكي... لا يجد الإنسان البسيط غضاضة في الوقوف بجانب نقيضه في كل الأماكن، في المسجد والمدرسة ومختلف النوادي وفي الجنازة خلف الميت وفي المقهى وفي الأعراس... وأكثر ما يجمع الناس هو مناسبات العيد، حيث تلتف العائلة عادة حول المائدة دونما حائل من شعور بالرفض أو الإقصاء أو غير ذلك.

ونفس الأمر ينسحب على المسألة العرقية والإثنية، ففيمما تبحث النخبة عن الحدود الفاصلة بين الأعراق في المجتمع الجزائري، لا يولي المجتمع لذلك أهمية ذات قيمة، فوجود

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق . ص 166.

<sup>2</sup> احميدة عياشي . الإسلاميون الجزائريون بين السلطة والرضا . دار الحكمة . الجزائر . 1991 . ص 87 .

<sup>3</sup> سليمان عشراي . مرجع سبق ذكره . ص 03 .



التباين في العادات والتقاليد ومختلف الممارسات على مستوى الجماعة المحلية ، ووجود التنوع الملفت للانتباه بين الطبوع الغنائية عبر مختلف أنحاء الوطن ، لم يمنع الناس في أقصى الصحراء أو في أقصى الغرب الجزائري من الاحتفال على وقع أغنية " لهوا وانرار " وما شابهها ، ونفس الأمر لم يمنع الشباب كيفما كان عرقه من الدندنة على وقع أغاني الراي في كل ربوع القطر ، وهكذا ...

حيث يظهر أن الإنسان البسيط هو أكثر من يجسد هوية المجتمع الجزائري ، ونفس الأمر ينسحب على تجاوز الإنسان الجزائري لمسألة الثأر -بالقتل- من الآخر بغرض إشباع حاجة قبلية أو عائلية ، الأمر الذي يوحي بأن المجتمع الجزائري قد تجاوز مرحلة القبيلة والعرش والأصل الإثني إلى أفق أكثر رحابة .... فيما برهن استياء الجزائريين من الشتائم التي طالت رموز الجزائر وشهدها على أن ما يجمع الجزائريين أقوى بكثير مما قد يفرقهم ، إنها الميزة التي على أساسها يمكن لمجتمع أن يفعل عناصره الهوياتية على أرض الواقع دونما تعقيد أو مجاذبات .

### 3 - 1 - مظاهر أزمة الهوية الجزائرية

تستمد أزمة الهوية الجزائرية خلفياتها من الأحداث التاريخية المتعددة التي مرت بالمنطقة ، أو تلك التي عاشتها الجزائر حتى بعد الاستعمار

يمكن حصر وتلخيص أهم ما ميز أزمة الهوية الجزائرية فيما يلي :

- تميزت الثقافة الجزائرية بغياب الوحدة الثقافية والتي أدت إلى تصدع الهوية ، أي عندما انطوت الثقافة على عناصر واتجاهات متناحرة كوجود النظام العلماني في دولة مسلمة ، رغم أن الدستور الجزائري ينص في مادته الثانية على أن دين الدولة الإسلام ، حيث شكل هذا الأمر تناقضا ايديولوجيا جراء الاتصال المرغوب مع الغرب من جهة والانفصال عنه من جهة أخرى ، والأزمة بدت عندما عجزت مختلف مؤسسات المجتمع عن حل مشكلة العلاقة بين التراث والممارسات العصرية أو قيم الأصالة وقيم الحداثة وما بعد الحداثة ، وكما يقول علي حرب : "تتجاذب الوعي بالهوية المجتمعية والثقافية ما يمكن تسميته ثالث القدامى والحداثة وما بعد الحداثة ، أو بصيغة أحدث ثالث الأصولية والعالمية والعولمة ، وفي المجال العربي الأخرى تسميته ثالث الأسلمة والأنسنة والعولمة " <sup>1</sup>.

- عجز المنظومة الثقافية عن أداء الوظائف الأساسية المنوطة بها بما يحقق التكيف مع

<sup>1</sup> محمد بوراكي. مرجع سبق ذكره . ص 361 .



الحياة ، لأنها لم تستطع أن تقدم لأفرادها إجابات متكاملة عن الأسئلة التي يطرحها العصر والتغيرات ، حيث اصطدم الفرد الجزائري ولعهود بواقع متناقض ، وأول المؤسسات التي صنعت الصدمة هي المدرسة ذات المناهج التغريبية والمسجد\* ذا المناهج الأبائية وهنا تفقد الثقافة وحدتها وهويتها...، في وقت كان على المنظومة الثقافية أن تستمد منهاجها من خصائص المجتمع المحلي ، وبالرغم من الأزمة الخانقة إلا أن الحركية الجماعية لثقافة المجتمع المحلي لم تتوقف عن الإبداع ، لكن بوسائل محدودة وتفكير تلقائي أكثر منه منظم ومنسجم ، وفي هذا الشأن تقول خولة طالب الإبراهيمي : ...لقد طور الجزائريون أشكال العبارات الشعبية التي ما زالت راسخة في المجتمع كالشعر الشعبي والأغاني والأمثال الشعبية والمسرح الشعبي ، وكل هذه الأجناس الأدبية تنقل بمختلف اللهجات المحلية أو الجهوية<sup>1</sup>.

- حالة الجمود الثقافي حيث تتحجر الثقافة وتتصلب وتفقد مرونتها المطلوبة في الاستجابة لمعطيات الحياة والوجود ، وتتجسد هذه الحالة في غياب الإبداع الفردي والاجتماعي وعدم قدرة الثقافة على احتواء التغيرات الجارية ، ويأتي غياب الإبداع من إهمال ما تنتجه الجامعة من ابتكارات وما تخرجه من إطارات متخصصة في مختلف الميادين ، ولعل الحصص التلفزيونية التي تولي عناية خاصة لأعمال الفنانين - من مغنين وممثلين - وتناقش في جل الحصص ما أنتجوه وتحفزهم على الإنتاج أكثر، كان من الأولى لها مناقشة مختلف الأطروحات الأكاديمية التي تنتجها الجامعة بدلا عن ذلك ، ففي داخل أروقة الجامعة تناقش أحدث المواضيع ، وفي مخابر الجامعة عقول تنتج وتبدع وتصنع لكن المجتمع لا آذان صاغية لديه ، الأمر الذي يؤول بالأدمغة إلى الهجرة بحثا عن مجتمع يسمع ويجسد الإبداع .

- تعاني الثقافة الجزائرية من خلل زمني ،حيث عندما فقدت معادلة التوازن بين الأزمنة أي بين المستقبل والماضي والحاضر، فجزء من الثقافة الجزائرية متخندق في الماضي يرى أن الحياة يجب أن تكون على شاكلة تلك التي عاشها رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ، رغم ما علق بهذه الثقافة من قيم وممارسات العرب التي لا علاقة لها بالإسلام ،ولا منتوج لهؤلاء سوى الحديث عن سير الصحابة والتابعين والتقيب في الآيات المتعلقة بالأحوال الشخصية والبيوع وما شابهها ، جزء آخر متخندق في الماضي أيضا ،لكن في ثقافة الدولة النوميديّة ومتعلق بشخصيات كـماسينييسا ويوغرطة ويوبا و... ولا منتوج لهؤلاء سوى بعض أشكال الحرف اليدوية والأغاني والرقصات على وقع الألحان المحلية التي تمجد في أغلبها منطقة دون غيرها

\* المدرسة والمسجد كنموذجين فقط .

<sup>1</sup> Khaoula Taleb Ibrahimi. Op.cit.p56

، فريق آخر ضبط بوصلته تجاه البحر ، فهو لا يرى إلا ما وراءه ، وما سوى ذلك فهو تخلف ورجعية وظلامية و...ولعل كل جزء من هذه الثقافة إنما يمثله فريق من المثقفين ، فيما لا يكثرث الإنسان العادي بذلك كله لأن هدفه الأول هو السعي وراء لقمة العيش ، والحياة الهادئة الرتيبة ، فالثقافة لا تعني له شيئاً خارج حدود القوت اليومي ،...وبهذه الصورة تعاني الثقافة الجزائرية الأزمة لأنها لا تستطيع أن توازن بين متطلبات المستقبل والحاضر والماضي وفق رؤية تكاملية حضارية فهي وبأيدي أبنائها تحاصر نفسها في أزمة وجودية خانقة.

وقد عاشت مفردات الهوية الجزائرية صراعات مريرة من أجل إثبات الوجود ، رغم أن لا أحد ينكر وجودها ، حيث عاشت اللغة العربية مضايقات متعددة في سبيل تعريب اللسان الجزائري بواسطة المناهج التربوية ، وعاشت الأمازيغية لحظات حرجة وخبرت مواقف جريئة - كادت تعصف بالبلاد - في سبيل إثبات الوجود والحصول على الحقوق .

وفيما يلي يمكن الوقوف على أهم السجلات التي خبرتها عناصر الهوية الوطنية :

### 3- 2 - سجلات اللغة العربية

لما استقلت الجزائر وتشكلت فيها أول حكومة وطنية كان التعريب والعروبة هاجسها الأول إضافة إلى قضايا وطنية وقومية أخرى، والتخلص تدريجيا من آثار ذلك الاستعمار. ولكن هذا الهاجس تعرض لكثير من العراقيل التي أوقفت إقرار التعريب لمرات عدة ، وأول المعارضين للتعريب والعروبة في الجزائر هي فرنسا، فعلى مدى مئة وثلاثين عاما، سعت فرنسا إلى تقسيم الجزائر إلى ولايات، وتقسيم الجزائريين إلى قبائل وهويات قومية وثقافية ولغوية. وحاولت فرنسا للوصول إلى جذور الأصول البربرية وتحريكها وتغذيتها بروح التمايز والاختلاف عن الأصول العربية، ودعم لغتها الخاصة «الامازيغية»، وذلك للمحافظة على صوتها وإحكام سيطرتها (فرنسا) على الجزائر وسيادة ثقافتها ولغتها، أما الأمازيغ فهم قوم يعتزرون بلغتهم ويطالبون أن تكون اللغة الثانية في الجزائر .

كان إحلال اللغة العربية منذ عهد بن بلة ، إلى هواري بومدين، فالشاذلي بن جديد، ثم اليمين زروال بمثابة سعي حثيث لتكريس التعريب، والتخلص نهائيا من آثار «الفرنسة» التي كادت أن تتال من عروبة الجزائر إبان الاستعمار .

ففي عهد الرئيس هواري بومدين سنة 1971 بدأت اللغة العربية تأخذ الطابع الرسمي في الجزائر، فقد أصدرت الدولة قرارا بأن تكون كافة الرسائل الرسمية السياسية والاقتصادية والثقافية، وكذلك الاتصالات والمباحثات، باللغة العربية، وإن اللغة العربية هي الرسمية في كل المعاملات، فتم إقرار ما يلي:

- أعلنت الجزائر بأن اللغة العربية هي لغة الاتصال ما بين الدولة والمجتمع في المعاملات المدنية .
- إن العربية هي لغة التعليم في كل مستوياته الابتدائية، والإعدادية والثانوية، والجامعية .
- تعميم التعريب بمرونة في الصحافة والبرامج التلفزيونية والراديو، والمؤسسات الاقتصادية، حيث كان يسود كما في مجالات أخرى استخدام الفرنسية والانجليزية لعدم وجود بعض الخبراء، وبحجة غياب المصطلحات الضرورية .

### معارضة التعريب

تعرض تطبيق التعريب لمعارضة الحزب الفرنسي في الجزائر – والحزب لا يعني معنى الحزب الحرفي ولكنه التيار الذي تشكل في أواخر أيام الاستعمار عن طريق «دفعات لاکوست» ولقد صمد هذا «الحزب» بشراسة ضد التعريب، وعمل كل المناورات لنسف هذه السياسة ولكن بشكل غير مباشر لأن الدولة سياسيا كانت قوية في عهد هواري بومدين، وفي سنة 1980 نشبت معركة القبائل، وكانت شعارات انتفاضتهم ضد اللغة العربية وحججهم أن العربية ليست لغة الدخول إلى الحداثة لأنها لغة قديمة ولا تصلح إلا في الدين، واللغة العربية لا تملك المصطلحات الحديثة في العلوم والطب والهندسة، والمجتمعات العربية مجتمعات متخلفة في مجال العلوم والتكنولوجيا، لذلك يجب اعتماد اللغة الفرنسية لغة تعليم أساسية .

ومنذ انتخابات 1992 وحتى قبل فترة وجيزة لم نسمع بأن هناك معارضة للتعريب وظهر بواذر لصدده والوقوف ضد حركته حتى الذكرى السادسة والثلاثين لاستقلال الجزائر عن فرنسا والتي تم فيها تشريع باستبدال معاملاتها الرسمية من الفرنسية إلى العربية بموجب قانون تعميم استعمال اللغة العربية، وتمتد خطة التعريب إلى عام 2000 حيث تنتهي بإدخال اللغة العربية في الكليات والجامعات العلمية ، وينص قانون تعميم اللغة العربية على غرامات مالية على التجار والمؤسسات الخاصة في حال مخالفة أحكامه تتراوح ما بين 17 إلى 83 دولارا أمريكيا وغرامات أخرى على الأحزاب السياسية تتراوح ما بين 117 إلى 1600 دولار . ويلزم القانون الصحف الصادرة باللغة الفرنسية بإصدار نشرات باللغة العربية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> التعريب في الجزائر . عناصر دولة . 2012/05/12 . <http://www.dz.com/DocID=49920&TypeID=2&ItemID=432>

وبعد خمسين سنة من الاستقلال مازالت الجزائر تعاني من مشكلة الفرنسية ازدواجية اللغة والخطاب على مختلف الأصعدة فالجزائر تكاد تكون الدولة الوحيدة في العالم التي توجد بها عناوين جرائد باللغة الأجنبية أكثر من عدد الجرائد باللغة الوطنية .

وغريب أمر الجزائر حيث أن لغة التعليم من الابتدائي وحتى الثانوية ومعظم التعليم العالي هي اللغة العربية، لكن نجد أن لغة وسائل الإعلام الفاعلة ولغة النخبة السياسية ولغة النخبة المثقفة هي اللغة الفرنسية، وخطر من ذلك أن اللغة في الجزائر تم تسييسها وأصبحت خاضعة لمساومات سياسية ولمزايدات مختلفة لتحقيق أغراضا وأهدافا معينة، وبعد خمسة عقود من استقلالها مازالت الجزائر تعاني من صراع خفي لكنه حاد بين الفرانكفونيين والمعربين، وبدلا من استغلال ازدواجية لغوية يتعذر وجودها في الكثير من الدول النامية نجد الجزائر تعاني من مشاكل كثيرة من جراء هذه الازدواجية.

### 3 - 3 - سجلات الأمازيغية

توحي مختلف الأحداث أن أزمة الأمازيغية لم تأت من فراغ ، فعلاوة على الإرث التاريخي الذي خلفه الاستعمار الفرنسي وتبعية جزء من النخبة الفاعلة في الوطن له ، إلى جانب الضعف الذي كانت تعاني منه ( ضعف في التعليم والصحة و...) ، كان لسياسة الإقصاء - إقصاء الأمازيغية - أثر بالغ ، وحجة يبرر بها دعاء الأمازيغية ممارساتهم المتمثلة في عديد من المطالب وعديد من المظاهرات وغيرها ، وفي هذا الشأن كتب سليمان عشاري قائلا : " لقد عاش أوصياء الاستقلال أو جيل الشرعية ، بذهنية مغترة غمرتها الملهيات والمغريات العابرة ، ولم يتفطنوا أو لم يتحطوا لما يتهدد المجتمع من أخطار السيبة وعدم التكفل الحق بنهئى المستقبل ووضع الشببية في الواجهة ضمن رعاية مخلصنة وتوجيه يستغل القابلية التي كان المجتمع يظهرها ، والتي لم يستثمرها الساسة لصالح الوطن ، وهو ما كان له فادح النتائج التي يزرح تحتها الوطن اليوم " .....

وحسب عادل زقاغ فإن الأمازيغية قد كان لها سجلات على الساحة الوطنية ، مثلها رواد يمكن تقسيمهم حسب المطالب المتنوعة إلى أربعة أجيال ، تغيرت مطالبهم من مرحلة تاريخية لأخرى ، بينما الهدف واحد هو خدمة الأمازيغية وهذه الأجيال هي مايلي :

#### الجيل الأول: التعبير عن التنوع الهوياتي (ثمانينيات القرن التاسع عشر)

يضم هذا الجيل شعراء وأدباء مثل "محمند أومحمند"، و"بوليفة" وغيرهما، وحلقات المعلمين الذين ساهموا في وضع قواعد اللغة الأمازيغية وجمع المفردات والأمثال، جسدوا جميعا حركة تعبير عن تميز في الهوية، عن إثبات وجود ورغبة في الاستمرار، والحفاظ على

التراث، لكن دون أن تحمل مضامين سياسية أو مطالبات سياسية أو هوياتية معينة، حيث يمكن اعتبارها عفوية، ليس كرفض للمنظومة الثقافية الراسخة لقرون عديدة، ببعديها الإسلام والعروبة، بل مجرد تعبير عن واقع التنوع<sup>1</sup>.

وبالتوازي مع ذلك بدأ الكاردينال لافيغري بمحاربة اللغة العربية في الجزائر كونها لغة القرآن ، ثم تلاه القس شارل دي فوكو الذي ألف لهذا الغرض "قاموسا بالأمازيغية" مترجما إلى الفرنسية ، ثم اعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية بقراري : 1909 و 1938 ، أما الذي صدع بالبربرية أو الأمازيغية في شكل مرسوم وظهير بربري هو المارشال ليوتي الذي حكم المغرب من 1912 إلى 1935 .

وقد أصدر الظهير البربري في 16ماي 1930 مما يوافق الاحتفال بمرور قرن على الاحتلال الفرنسي للجزائر ، وكان لذلك رد فعل من طرف الأستاذ المهدي بنونة في بحث له بعنوان " الظهير البربري بوابة للتنصير " ، وقد وقعت ثورات من طرف الشعب المغربي بمناسبة صدور هذا الظهير ، واعتبر يوم 16 ماي يوم حزن من كل عام ، يضرب فيه الناس عن العمل ويعتصمون في المساجد بعد صلاة العصر ، ويقرأون "اللطيف" ، ولم يتصد لهذا الأمر المغاربة وحدهم ، بل ساندتهم عبد العزيز الثعالبي (جزائري الأصل) من تونس ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نفس السنة<sup>2</sup> .

### الجيل الثاني: رفض الإقصاء (1949- )

جيل احتك بجو الحريات المدنية والسياسية في فرنسا ، ولهذا فإن الوعي الأمازيغي جاء هذه المرة بالتميز الثقافي والهوياتي في صيغة ردة فعل، كما جاء في صيغة الرفض لا في صيغة تعبير عن التنوع، وسبب التحول من مجرد تعبير عن التنوع بالنسبة للجيل الأول من الرواد إلى التعبير عن رفض السياسة الإقصائية لدى الجيل الثاني مرده عدم طرح بدائل، فلو قامت جماعة "علي يحي" باقتراح إدراج البعد الأمازيغي ضمن مكونات الهوية الجزائرية لما ظهرت المشكلة. أما من جانب من نادوا بشعار الجزائر عربية-إسلامية فلم تكن لديهم نظرة مرنة تجاه أبعاد الهوية، تنفادي النزعة الإقصائية، مما ولد ردة فعل تتسم بالرفض من الجانب الآخر، ما حدا بهم بتلقف موقف فدرالية فرنسا آنذاك بنوع من الريبة، بحيث صقلت إدراكات سلبية لديهم إزاء ما اعتبرته نوعا من المساس بالتماسك الوطني وبأركان هذا التماسك أي

<sup>1</sup> عادل زقاغ . القضية الأمازيغية :إيتولوجيا الأزمة . مرجع سبق ذكره . نفس الصفحات .

\* هو دعاد في المغرب يقول : " اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ، فلا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر"

<sup>2</sup> محمد الطاهر عزوي . الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي . دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع . عين مليلة . الجزائر . 1999 . ص ص 67-65 .

الإسلام والعروبة. قد نفترض الآن أنه لو طلبت فدرالية فرنسا بإدراج البعد الأمازيغي إلى جانب العروبة، وبالطبع الإسلام يبقى مكونا ثابتا، لأمكن تجاوز النفق المسدود، كما قد نفترض أنه لو كان قادة حركة انتصار الحريات الديمقراطية من الحكمة بحيث يتفادون أو بالأحرى يستبقون هذه الأزمة بإضافة عنصر الأمازيغية لما طرح المشكل أصلا.

غير أن هذا الافتراض، حال استطاع الصمود أمام الوقائع التاريخية بدقة، فإنه يقودنا إلى افتراض آخر يقضي بأن الأزمة الحالية لا تعدو أن تكون سوى نتاج سوء إدراك لدى أمازيغويي-التوجه ومهندسي الحركة الوطنية حينها، وهو بدوره ناتج عن تلقف حزمة غير كاملة من المعلومات حول القضية والمواقف المشككة بشأنها، أو ربما تم تلقف هذه المعلومات بشكل مشوه. وفي كل الأحوال فقد أدى ذلك إلى تشكيل صور نمطية سلبية للطرفين عن بعضهما البعض، وبتعبير أدق لم يعد ممكنا اختراق الأسوار العقلية لقادة الحركة الوطنية عندما يتعلق الأمر بمحاولة إقناعهم بجدوى المضي قدما نحو إيجاد تسوية معينة بخصوص ما اصطلح على تسميته الأزمة البربرية 1949. وفي هذا الاتجاه يمكن الحديث مثلا عن تنازلات تفر بأن ما حدث كان خطأ تقديريا وبأنه يمكن مراجعة الصيغة بما يضمن تماسك الجبهة الداخلية على المدى الطويل.

### الجيل الثالث: المطالبة بالدمقرطة كآلية لحل أزمة الهوية (1980- )

الموجة الثالثة من مناضلي القضية الأمازيغية جاؤوا بخطاب هوياتي يطالب بالدمقرطة وفتح المجال السياسي، وقد كان ذلك طبيعيا بعد التضيق الشديد الذي مورس على كل أشكال التعبير عن التنوع. فمنذ إيقاف دروس اللغة الأمازيغية على مستوى جامعة الجزائر في أكتوبر 1962، اضطر الناشطون إلى الالتفاف حول الأكاديمية البربرية Académie Berbère التي تأسست في فرنسا سنة 1966. ورغم أن السلطات الجزائرية أعطت مبررا لظهور مثل هذه الهيئة خارج أراضيها، على أنها كانت أولى باستضافتها وتمويلها، إلا أنها ومع ذلك حاصرت كل أشكال الاتصال بالأكاديمية، وذهبت إلى حد إصدار أحكام بالسجن سنة 1976 في حق عدد من الشباب لمجرد الاتصال بالأكاديمية، مما أدى إلى تسييس القضية.

وتزامن ذلك مع تآزم العلاقة بشكل عام بين الأمازيغ والسلطة، بالنسبة لمنطقة الأوراس يعود السبب إلى الانقلاب الفاشل الذي قاده العقيد "الطاهر الزبيري" سنة 1967. أما بالنسبة لمنطقة القبائل فقد شهدت مواجهات دامية بمناسبة عيد الكرز، عندما تم استقدام فرق غنائية غير قبائلية إلى المهرجان السنوي لـ "لاربعا نايت إيراثن" في جوان 1974. وهي السنة التي شهدت منع التسمي بأسماء غير عربية في إشارة ضمنية إلى منع الأسماء الأمازيغية.

وقد تزايدت حدة التوتر بمناسبة لقاء الكأس بين شبيبة القبائل وفريق عاصمي، وهو اللقاء الذي تحول إلى سجال كلامي بين مناصري الفريقين، حيث حمل مناصرو شبيبة القبائل شعارات رافضة لـ"الأخر" ومواجهين الرئيس بومدين بشعارات تقول بأن "الأمازيغية ستعيش" [تمازيغت آتدر].

على أن مسار التوتر لم يتوقف عند هذا الحد، بل استمر بسبب تشبث الطرفين بمواقفهم المبدئية. إذ تدخلت السلطات لمنع مولود معمري من إلقاء محاضرة كانت مبرمجة في جامعة "تيزي وزو" حول الشعر الأمازيغي القديم، وقد نجم عن ذلك مظاهرات حاشدة قتل خلالها بين ثلاثين إلى أربعين متظاهرا، وهو ما أصبح يعرف فيما بعد بأحداث "الربيع الأمازيغي". لم تتمكن السلطات من استخلاص دروس مناسبة من تعاطيها مع القضية الأمازيغية، فقد بدا جليا أنه بعد سنوات من الاستقلال أن الاضطهاد والقمع لا يولدان سوى قدرة إضافية على التجنيد من أجل القضايا المختلفة، وبينها القضية الأمازيغية. وبدل أن تزيل السلطة أسباب التوتر، استمرت في سياسة إدارة التناقضات السياسية المختلفة وعمدت هذه المرة إلى تقوية التيارات الإسلامية لمحاصرة اليساريين، لكنها اضطرت لاحقا خلال التسعينيات للتحالف مع اليساريين ضد الإسلاميين، وقبل ذلك فقد انتفض الجميع عليها في أكتوبر 1988<sup>1</sup>.

جاءت أحداث أكتوبر بانفتاح سياسي نسبي، كما جلبت للطبقة السياسية أول دستور تعددي، وقد أتاح ذلك لأهم حزبين ناديا بالقضية الأمازيغية بالنشاط في وضع قانوني. بينما أوجدت الحركة الثقافية الأمازيغية حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية. والمثير في مسار الحزبين هو أنه ورغم استنادهما إلى قاعدة وقيادة أمازيغية، وبالذات قبائلية، إلا أنهما لم يقرأ علنا بأية توجهات ذات طابع إثني أو جهوي، بل ركزا على القضايا الوطنية، أو القضية الهوياتية من منظور وطني. وفي هذا الصدد، يثير جبالي قضية ملفنة، فالمجموعات غير المسلمة في الشرق الأوسط تشدد على العروبة كأرضية مشتركة مع المسلمين، ومثال ذلك المسيحيين في لبنان وسوريا والعراق والأردن ومصر، أما المجموعات غير العربية فتشدد على الوطنية والانتماء للوطن الواحد كمحدد للهوية، بينما أهم حدث الحركة الأمازيغوية مع ظهور الجيل الثالث هو تعدد الأقطاب التي ترفع من أجل القضية\*، ليؤول بها المطاف إلى تعمق الاستياء

<sup>1</sup> عادل زقاغ . القضية الأمازيغية :إيتولوجيا الأزمة . نفس الصفحات .

\* "جبهة القوى الاشتراكية" FFS و"الحركة الثقافية الأمازيغية" MCB، حزب "التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية" RCD ، هذا الأخير الذي وقف صراحة ضد ما أسماه المد الأصولي، وكان بذلك في خط واحد مع السلطة، بينما طالب حزب FFS بمخرج سياسي للأزمة بين السلطة والجبهة الإسلامية للإنقاذ.



إزاء فشل التشكيلات السياسية والجمعوية القائمة في تحقيق تقدم حقيقي ملموس في الجانب الهوياتي أو في الجانب الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة مما فتح المجال لدخول مرحلة جديدة.

### الجيل الرابع: بين مطالب الحكم الذاتي ورفض الآخر إلى الانخراط في مطالب المواطنة (2001-)

ظهرت حركة المواطنة "العروش" في سياق استياء عام في منطقة القبائل من إخفاق التنظيمين الحزبيين الرئيسيين في المرافعة بشكل فاعل عن المطالب الهوياتية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة. المهم بالنسبة لهذا الجيل الجديد من المتحمسين للقضية الأمازيغية، هو إعادة طرحهم القضية في سياق سياسي أوسع، فمن خلال تبني مطالب المواطنة تحولت القضية الأمازيغية إلى قضية وطنية، من ذلك أن جاءت مطالب لائحة القصر معبرة في عمومها عن انشغالات وطنية. لكن من الناحية العملية، أربك ظهور العروش جبهة المطالبات الهوياتية. وفي هذا الصدد تشكك النخبة القبائلية المثقفة في مدى جاذبية المشهد الحالي، "فالوضع الآن مختلف عما كان عليه زمن "الربيع الأمازيغي" في الثمانينات، والذي تزعمه أساتذة الجامعات، والمحامين والمهندسين، والتي رفعت مطلب الديمقراطية، وتحقيق الآمال الهوياتية في إطار إصلاح شامل ودمقرطة للنظام، وحيث كانت لغة المظاهرات السلمية هي السائدة، ما نشهده حاليا هو أعمال شغب يقودها شباب يائسون، يرفعون شعار الحكم الذاتي للقبائل بدل شعار ديمقراطية الدولة، إنها حالة غياب كلي للقيادة السياسية".

لكن يبدو أن المشكل في جوهره يتمثل في غياب مشروع واضح المعالم لدى مختلف أجنحة الحركة الأمازيغوية، فبعد التنازلات التي قدمتها السلطة ابتداء من إنشاء المحافظة السامية للغة الأمازيغية، وإدراج تعليم الأمازيغية ضمن المنظومة التعليمية من طرف الرئيس زروال، ثم تعديل الدستور لإدراج البعد الأمازيغي ضمن مكونات الهوية الوطنية من طرف الرئيس بوتفليقة، أضحت الكرة في يد الحركة الأمازيغوية، فإما بلورة رؤية واضحة وإما فقدان بريقها لدى المناصرين والمتحمسين للقضية.



## خلاصة الفصل :

انبرى هذا الفصل للبحث في هوية المجتمع الجزائري انطلاقاً من المجتمع العربي المسلم ، ومن خصائصه الكبرى ، ومن ميزاته الفريدة ، بناء على قواسم هوياتية تجمع الجزائر بالمجتمعات العربية ، كما تعرف البحث في الهوية الجزائرية على مختلف أبعادها التي تصنع تميزه عن غيره ، فيما تم التركيز على الأبعاد الواردة في الدستور الجزائري صراحة ، مع الاتكاء بشكل غير صريح على مختلف خصائص المجتمع الجزائري ، والتي يحتاج البحث فيها إلى مقارنة انثروبولوجية تجمع شتات الشخصية الجزائرية ، كما تم التطرق إلى أزمة الهوية الجزائرية ، والتي تم التركيز بخصوصها على سجلات اللغة العربية والأمازيغية دون التطرق لسجلات الدين الإسلامي لاعتبارات خلافة حول تحديد سمات الشخصية المسلمة في العصر الحديث .

وأهم ما أفضى إليه البحث في الهوية الجزائرية أنها تعيش الأزمة لسببين أولها الإرث الاستعماري الثقيل ، الذي جذر ثقافته في المجتمع الجزائري ، والسبب الثاني هو سيادة عقلية الإقصاء والتغيب لبعض ما يميز الشخصية الجزائرية .

# الفصل الثامن

## الاجراءات المنهجية للدراسة

أولا : مجال الدراسة

ثانيا : عينة الدراسة

ثالثا : منهج الدراسة

1 - منهج قياس الاتجاهات

2 - تكوين الاتجاهات الاجتماعية

3 - مراحل تكوين الاتجاهات

4 - أهمية الاتجاهات في هوية المجتمع المحلي لدى الأستاذ الجامعي

رابعا : بناء مقياس الاتجاه

مقياس ليكرت

الخصائص السيكومترية للمقياس

## تمهيد

في عصر تطورت فيه التكنولوجيا إلى أبعد مدى ، واتسعت فيه آفاق البحث ، وشاعت المعرفة ، بل وانفجرت بشكل رهيب ، الأمر الذي لم يبق للبحوث والدراسات غير الممنهجة إقبالا من قبل جماهير القراء والمهتمين ، بل ولم تعد لها مصداقية البحوث الأكاديمية التي أخضعت للتحكيم العلمي ، ولمختلف الأساليب والطرائق التي تضمن الوصول إلى نتائج ذات قيمة علمية ، ولذلك كان لا بد لهذه الدراسة ألا تتجزأ بشكل عشوائي ، بل لقد كان الوصول إلى اتجاهات الأساتذة من غير منهج وأداة واضحين أمرا مستحيلا.

## أولا : مجال الدراسة

## المجال المكاني :

لا شك أن دراسة أي ظاهرة اجتماعية يتطلب وفرة في المعطيات المستشفة من صانعي الظاهرة ، وهذا لمساعدة الباحث الاجتماعي في اتخاذ أي قرار أو حكم مناسب حيال هذه الظاهرة ، وقبل أي استعراض للمعطيات ينبغي تحديد بعض الأوعية التي يدور في فلكها البحث الاجتماعي ، وتمثل مكان الدراسة الميدانية بجامعة محمد خيضر - بسكرة ، التي أنشأت عام 1984 ، وأصبحت جامعة في 1998 ، وقد شهدت تطورا مستمرا حتى صارت تتكون من ست (06) كليات وواحد وثلاثين (31) قسما في مختلف الميادين والتخصصات وهي على التوالي :

- كلية العلوم و التكنولوجيا عدد الأقسام : 09 قسما. عدد الطلبة: 3288 طالبا.
- كلية العلوم الدقيقة و علوم الطبيعة و الحياة: عدد الأقسام : 07 أقسام. عدد الطلبة:

5282 طالبا

- كلية الآداب و اللغات عدد الأقسام : 04 أقسام. عدد الطلبة: 6736 طالبا.
- كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية عدد الأقسام : 06 أقسام. عدد الطلبة: 4123 طالبا.
- كلية الحقوق و العلوم السياسية عدد الأقسام: 02 أقسام. عدد الطلبة: 4169 طالبا.
- كلية العلوم الاقتصادية والتجارية و علوم التسيير عدد الأقسام : 03 أقسام. عدد

الطلبة: 3465 طالبا.

وتمت الدراسة الميدانية في الفترة الزمنية بين 15ماي 2011 إلى غاية 15جويلية 2011 ، وقد ساعد على الاتصال بالمبحوثين البريد الالكتروني .

## ثانيا - مجتمع الدراسة ( إطار العينة):

إن تحديد مجتمع الدراسة هو من الأهمية بمكان، حيث أنه يساعد في تشكيل الأسلوب العلمي الأمثل للدراسة، وحصره في مجتمع صغير ومميز يمكن الباحث من التعرف عليه كليا مما يضمن عدم تشتت العينة، ومجتمع الدراسة في هذا البحث هو أساتذة جامعة محمد خيضر - بسكرة.

## عينة الدراسة

يشير مصطلح العينة في علم الإحصاء إلى " نسبة" من العدد الكلي للحالات، تتوفر فيها خاصة أو عدة خصائص معينة، وتتكون العينة من عدد محدود من الحالات المختارة من قطاعات مجتمع معين لدراستها، وجدير بالذكر أن معظم الأبحاث السوسيوولوجية تتعامل مع عينات أكثر مما تقوم بدراسة العدد الكلي للمجتمع المدروس، وفي هذا الصدد تصبح التعميمات القائمة على بيانات العينة، قابلة للتطبيق على العدد الكلي، الذي سحبت منه، وذلك طبقا للطريقة المستخدمة في اختيار الحالات التي تشتمل عليها، وحجمها<sup>1</sup>، وقد أفاد استخدام المسح بالعينة إلى تقليص العديد من مراحل الجهد حيث وحسب د فضيل دليو فإن قيام الحصر الشامل لمعرفة خصائص مجتمع معين مكلف جدا، يقتضي تجنيد العديد من الوسائل البشرية والمادية، ويستغرق وقتا طويلا- جمع المعلومات وتحليلها- بالإضافة إلى كونه غير ضروري في الكثير من الحالات<sup>2</sup>. فالعينة إذن تقنية تهدف إلى بناء نموذج مصغر من المجتمع الكلي بغية الوصول إلى نتائج قابلة للتعميم، عينة هذا البحث مثلت مجتمع أساتذة جامعة بسكرة بكل تخصصاتهم، وقد اختيرت دون أدنى تحيز أو ميل لتخصص دون آخر، أو لجماعة إثنية دون أخرى، أو لطبيعة توجه دون آخر، إذ كان البحث عن وجهة نظر المثقف " الممثل بالأستاذ الجامعي " حول آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة، إذ الفرصة أمام أفراد المجتمع قيد الدراسة كانت متكافئة ودون أي تكرار، وهذا ما جعلها تصنف ضمن خانة " عينة عشوائية بسيطة "، ورغم أن الدراسة تقع في مجال علم الاجتماع، إلا أن مختلف التخصصات - خاصة الهندسة المعمارية، الرياضيات والفيزياء - لم تبد استعدادا للإجابة فحسب، بل عرضت مساعدات تمثلت في وثائق حول الهوية الجزائرية، وأبدت اهتماما في متابعة نتائج الدراسة، وما سنسفر عنه اتجاهات المبحوثين.

<sup>1</sup> عاطف غيث- القاموس- ص 396.

<sup>2</sup> فضيل دليو وعلي غربي وآخرون- أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية- منشورات جامعة منتوري- قسنطينة- 1999- ص 141.

وقد كان حجم العينة كما يلي :

مثل مجتمع الدراسة المقدر بـ 1319 أستاذ\* عينة مقدر بـ 123 أستاذًا ، أي بما يعادل نسبة 09.32 %.

**الخصائص الشخصية والاجتماعية لعينة الدراسة:**

أ - التوزيع النوعي

جدول رقم ( 01 ) : توزيع أفراد العينة حسب النوع

النوع	التكرار	النسبة %
ذكور	36	29.26
إناث	87	70.73
المجموع	123	100

يوضح جدول توزيع عينة الدراسة حسب النوع تفوق عدد الأساتذات على الأساتذة ، رغم أن توزيع الاستمارة لم يراع نوع المبحوث ، إلا أن % مقابل 29.26% بنسبة 70.73 هذه النسبة تنبئ بتجاوب الإناث مع الموضوع .

ب - التوزيع العمري

جدول رقم (02) يوضح توزيع أفراد العينة حسب فئات الأعمار

العمر	التكرار	النسبة %
25 - ...	05	04.06
30 - ...	41	33.33
35 - ...	46	37.39
40 - ...	11	08.94
45 - ...	06	04.87
50 - ...	07	05.69
بدون جواب	07	05.69
المجموع	123	100

\* 1319 أستاذ ( 886 أستاذ دائم و 433 أستاذ مؤقت ) وقد تغير هذا الرقم بحلول ديسمبر 2011 . انظر : موقع جامعة بسكرة . إحصائيات . <http://www.univ-biskra.dz> . 2011/07/30 .

لعل أصغر فرد ينتمي إلى هذه العينة عمره 28 سنة ، بينما تحوز الفئة الممتدة من 35 سنة إلى الأربعين على أكبر نسبة وهي 37.39 % ، ويليهما عدد الممتدة أعمارهم من 30 سنة إلى 35 سنة بنسبة 33.33 % ، فيما تعتبر نسبة 04.06 % الأقل بين جميع النسب ، وهي للأساتذة دون 30 سنة ، بينما لدينا نسبة 05.69 % للأساتذة ذوي السن 50 سنة فما فوق ، مما يوحي بأن أفراد العينة هم من الشباب دون الأربعين سنة ، هذا مع الأخذ في الاعتبار الأفراد الذين لم يفصحوا عن أعمارهم ، والذين تقدر نسبتهم بـ 05.69 % .

### ج - توزيع العينة حسب التخصص :

#### جدول رقم (03) يوضح توزيع أفراد العينة حسب التخصص

النسبة %	التكرار	التخصص
15.44	19	علم الاجتماع
15.44	19	الأدب العربي
05.69	07	اللغة الفرنسية
05.69	07	اللغة الانجليزية
0.81	01	ترجمة
11.38	14	علم النفس
06.50	08	الحقوق
02.43	03	العلوم السياسية
08.94	11	الاقتصاد
04.06	05	علوم التسيير
02.43	03	تربية بدنية ورياضية
02.43	03	هندسة كهربائية
01.62	02	هندسة ميكانيكية
07.31	09	الهندسة المعمارية
00.81	01	انثروبولوجيا
00.81	01	هندسة بشرية
03.25	04	رياضيات
02.43	03	فيزياء
00.81	01	إعلام واتصال
00.81	01	زراعة
00.81	01	إعلام آلي
100	123	المجموع

ينتوع أفراد العينة حسب تخصصاتهم ، وأكثر من يمثلهم أساتذة علم الاجتماع والأدب العربي بنسبة 15.44 % لكل منهما ، يليهما علم النفس بنسبة 11.38 % ، ثم الاقتصاد بنسبة 08.94 % فالهندسة المعمارية بنسبة 07.31 % ، أما أضعف نسبة فهي التي تمثل أساتذة الإعلام الآلي والزراعة والإعلام والاتصال والأنثروبولوجيا والهندسة البشرية والترجمة وتقدر بـ 00.81 % .

وأكثر ما يبدو على الخصائص الشخصية لأفراد العينة هو التنوع ، لأن الاستثمار قد وزعت بشكل عشوائي ، دون اعتبار لنوع أو عمر أو تخصص .

### ثالثا : منهج الدراسة

ولأنه الوعاء الذي لامناص من إيلائه بالغ الأهمية ، كونه يمثل جملة العمليات العقلية التي تجسدها الإجراءات الميدانية في أي دراسة مهما كانت طبيعتها ، فالمنهج العلمي أسلوب للتفكير والعمل، يعتمد على الباحث لتنظيم أفكاره وتحليلها وعرضها، للوصول إلى نتائج وحقائق معقولة حول الظاهرة موضوع الدراسة، وإذا كان المنهج محكوما بمنطق معين في دراسة الظواهر، فإن الظواهر ذاتها لها منطقها الخاص بها، والذي يسلم نفسه لمنهج دون آخر، بمعنى أن يكون هناك تكافؤ منهجي بين المنهج المتبع والظاهرة المدروسة، كما أن تبني منهج معين لا يعني أن الظاهرة يمكن أن تسلم انقيادها له فقط، ولكن يمكن الاستعانة بمجموعة من المناهج التي تتطافر لكشف الجوانب المتعددة للظاهرة والإحاطة بها، وهذا التساند هو التكامل المنهجي<sup>1</sup> ولأن المنهج هو التصور الذهني الذي ينسق بين جملة من التقنيات فقد استخدم هذا البحث ما يلي:

#### 1 - منهج قياس الاتجاهات

##### 1 - 1 - مفهوم الاتجاه :

القياس هو تحديد القيم الكمية لظاهرة ما وفقا لقاعدة معينة ، وتختلف المقاييس الاجتماعية وفقا لعدد من الأبعاد ، فهناك مثلا مقاييس واقعية ، وهي مقاييس للظواهر وأنماط السلوك الفعلية ، كما أن هناك مقاييس للآراء ، ولا توجد بالنسبة لهذه المقاييس محكات موضوعية خارجية للتأكد من صدقها ، ذلك أنه يطلب من المرء أن يقدم استجابة

<sup>1</sup> محمد شبلي- المنهجية في التحليل السياسي- الجزائر 1997- ص 54.

شخصية لمثير معين ، وتستخدم هذه المقاييس استخداما واسعا في مجالات الدراسات الاجتماعية والنفسية 1.

الاتجاه هو فكرة أو استعداد موجود داخل الإنسان للتصرف بطريقة معينة ، وبالتالي فله مكونات ثابتة من عناصر المعرفة والعاطفة والميل السلوكي 2، يكتسب الإنسان معظم اتجاهاته من أسرته ، ثم في مرحلة لاحقة من المدرسة ووسائل الإعلام والأصدقاء والجماعات المرجعية ، والخبرات الشخصية وغيرها ، وينطبق على تكوين الاتجاهات ما ينطبق على غيرها من عمليات التعلم مثل التعزيز والمكافأة والتقليد والتوحد والتبني ، ولقد حظي موضوع الاتجاه بمكانة هامة في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي ، إلا أن الاهتمام بدراسة الاتجاه قد بدأ عندما أدرك العلماء أن سلوك الأفراد نحو موضوع معين يتأثر بتوجهاتهم نحو هذا الموضوع ، ويتفق العلماء على أن للاتجاهات أهمية خاصة ، لأنها تكون جزءا هاما من حياتنا ، ولأنها تلعب دورا كبيرا في توجيه وتفسير السلوك الاجتماعي للفرد في الكثير من المواقف الاجتماعية ، وتساعد على التنبؤ بالسلوك المستقبلي للفرد ، ويعتبر الاتجاه من النواتج المهمة لعملية التنشئة الاجتماعية ، وهو من أهم دوافع السلوك التي تؤدي دورا أساسيا في ضبطه وتوجيهه .

كما أن أول من استخدم مصطلح الاتجاه هو الفيلسوف الانجليزي سبنسر عام 1862 في كتابه "المبادئ الأولى" حيث قال : إن وصولنا إلى أحكام صحيحة في مسائل مثيرة لكثير من الجدل ، يعتمد إلى حد كبير على اتجاهنا الذهني ونحن نصغي إلى هذا الجدل أو نشارك فيه 3.

وتختلف تعريفات الاتجاهات باختلاف التوجهات النظرية ، حيث أن أشهر تعريف متداول لدى مجموع المختصين هو تعريف جوردون ألبورت القائل بأن الاتجاه هو إحدى حالات التهيؤ والتأهب\* العقلي العصبي التي تنظمها الخبرة، وما يكاد يثبتته الاتجاه حتى

<sup>1</sup> محمد علي محمد . علم الاجتماع والمنهج العلمي . دراسة في طرائق البحث وأساليبه . الاسكندرية . دار المعرفة الجامعية . 1981 . ص 705 .

<sup>2</sup> محفوظ أحمد جودة . العلاقات العامة مفاهيم وممارسات . دار زهران للنشر والتوزيع . عمان . الأردن .

<sup>3</sup> علاء زهير الرواشدة . اتجاهات النخب السياسية في الأردن نحو العولمة . دراسة مسحية ميدانية . أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع . إشراف : عبد المهدي السوداني . كلية الدراسات العليا . الجامعة الأردنية . 2006 . ص 45 .

\***التأهب المؤقت أو اللحظي:** وينتج بطبيعة الحال من التفاعل اللحظي بين الفرد وعناصر البيئة التي يعيش فيها، ويمثل ذلك، اتجاه الجائع نحو الطعام في لحظة إحساسه بالجوع وينتهي هذا التهيؤ المؤقت بمجرد إحساس الجائع بالشبع.

**التهيؤ ذا المدى الطويل:** ويتميز هذا الاتجاه بالثبات والاستقرار، ويمثل ذلك اتجاه الفرد نحو صديق له، فهو ثابت نسبياً، لا يتأثر غالباً بالمضايقات العابرة، ولذلك فمن أهم خصائص هذا النوع من الاتجاهات أنه تأهب أو التهيؤ، له صفة الثبات أو الاستقرار النسبي الذي يتبع بطبيعة الحال تطور الفرد في صراعه مع البيئة الاجتماعية والمادية. وعليه فالاتجاهات هي حصيلة تأثر الفرد بالمثيرات العديدة التي تصدر عن اتصاله بالبيئة وأنماط الثقافة، والتراث الحضاري للأجيال السابقة، كما أنها مكتسبة وليست فطرية .



يمضي مؤثراً وموجهاً لاستجابات الفرد للأشياء والمواقف المختلفة فهو بذلك ديناميكي بشكل عام<sup>1</sup>. وتتضمن غالبية التعاريف العناصر الآتية :

\* تحديد حالة الوعي وحالة الجهاز العصبي .

\* إظهار استعداد للاستجابة .

\* التنظيم .

\* التأثير الدينامي والموجه للسلوك .

وفيما يلي عرض لبعض التعريفات للاتجاه :

- يشير الاتجاه إلى محصلة استجابات الفرد نحو موضوع ذي صبغة اجتماعية

وذلك من حيث تأثير الفرد في الموضوع أو معارضته له .

- الاتجاه استعداد متعلم للتجاوب سلبياً أو إيجابياً نحو موقف ما .

- الاتجاه تنظيم لعدد من المعتقدات والأفكار حيال موضوع ما ، يجعل المرء

ينزع نحو تفضيل ذلك الموضوع أو رفضه .

- الاتجاه عبارة عن استعداد نفسي أو تهيؤ عقلي عصبي متعلم للاستجابة الموجبة

أو السالبة نحو أشخاص أو أشياء أو موضوعات أو مواقف أو رموز في البيئة التي

تستثير هذه الاستجابة .

- ويعرفه ثيرستون بأنه : درجة الشعور الإيجابي أو السلبي المرتبط ببعض

الموضوعات النفسية .

- الاتجاه هو أسلوب منظم ومنسق التفكير والشعور ورد الفعل تجاه الناس

والجماعات والقضايا الاجتماعية، أو أي حدث في البيئة ومكونات الاتجاه الرئيسية هي:

الأفكار والمعتقدات والمشاعر والانفعالات ، ثم النزعات إلى رد الفعل ، وعليه فإن الاتجاه

يتشكل عندما تترابط هذه المكونات إلى حد أن ترتبط هذه المشاعر المحددة والنزعات إلى

رد الفعل بصورة منسقة مع موضوع الاتجاه .

من خلال ما تقدم نستطيع الوصول إلى تعريف شامل للاتجاه كونه : استعداد

وجداني مكتسب ، أي ليس فطرياً ، وهو ثابت نسبياً ، يحدد سلوك الفرد ومشاعره إزاء

<sup>1</sup> جازية كيران . محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 2008 . ص 92 .

: طعام معين أو كتاب معين أو أشخاص أو جماعات أو موضوعات بالذات أو فكرة أو نظاما "اجتماعيا أو سياسيا" يفضله أو يرفضه أو نحو فكرة الفرد عن نفسه<sup>1</sup>.

وكثيرا ما يستخدم مفهوم الاتجاه والرأي كمفهومين مترادفين لهما نفس المعنى ، إلا أن هناك فرقا أساسيا بين المفهومين ، فالاتجاهات تشير إلى تفضيلات الشخص أو وجهة نظره أو شعوره ناحية ظاهرة معينة ، أما الرأي فهو التعبير اللفظي عن الاتجاهات ، كما أن هناك فرق وظيفي بين المفهومين ، فالرأي يتمون لاتخاذ موقف محدد نحو موضوع أو مشكلة محددة ، وبانتهاء هذه المشكلة ينتهي الدور الفعال للرأي ، أما بالنسبة للاتجاهات فيبقى دورها في التأثير على سلوك الإنسان مستمرا بغض النظر عن الموضوع أو المشكلة<sup>2</sup>.

### 1 - 2 - خصائص الاتجاه :

تتميز الاتجاهات بأنها مكتسبة ومتنوعة ومتفاوتة في الإيجابية والسلبية ، وقابلة للتعديل والتغيير والقياس ، وتتأثر بالعمر والتعليم والخبرة وتفاوت الاتجاهات من حيث الشدة ، فهي تقع بين اتجاهين متعارضين ، حيث يشير أحدهما إلى التأييد المطلق والثاني إلى الرفض المطلق<sup>3</sup> ، وتشير المسافة الفاصلة بينهما إلى عدد الدرجات التي تعبر عن شدة الاتجاه وقوته ، وتتكون الاتجاهات من تكرار اتصال الفرد بموضوع الاتجاه في مواقف مختلفة تثير في نفسه خبرات سارة أو مؤلمة ، وهذه الصورة تعتبر الاتجاهات أساليب يتعلمها الفرد كي تساعد على التكيف مع بيئته والتوافق معها<sup>4</sup> ، حيث تتكون لدى الفرد خلال مرحلة التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي ، اتجاهات نحو الأفراد والجماعات والمؤسسات والمواقف الاجتماعية ، والحقيقة أن كل ما يقع في المجال البيئي للفرد يمكن أن يكون موضع اتجاه من اتجاهاته ، ولهذا تعتبر الاتجاهات من أهم محركات السلوك الإنساني ، ومؤشرا هاما من مؤشرات نمو الشخصية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> علاء زهير الرواشدة . مرجع سبق ذكره . ص 47 .

<sup>2</sup> محفوظ أحمد جودة . مرجع سبق ذكره . ص 326 . 327 .

<sup>3</sup> علاء زهير الرواشدة . مرجع سبق ذكره ص 50 .

<sup>4</sup> جازية كيران . مرجع سبق ذكره . ص 93 .

<sup>5</sup> علاء زهير الرواشدة . مرجع سبق ذكره ص 50 .

**1 - 3 - المكونات الأساسية للاتجاهات :**

تتكون الاتجاهات عموماً من ثلاث مكونات أساسية هي :

**المكون المعرفي (العقلي) :**

المكون المعرفي هو عبارة عن معلومات الفرد عن أي موضوع أو حالة معينة<sup>1</sup>، والتي وصلت إلى الفرد إما بواسطة التربية أو التنشئة الاجتماعية، أو عن طريق خبراته المباشرة أو بطريق التواصل الثقافي والحضاري، وإذا كان الاتجاه في جوهره عملية تفضيل موضوع على آخر، فإن هذه العملية تتطلب عادة بعض العمليات العقلية كالتمييز والفهم والاستدلال والحكم، لذلك تتضمن اتجاهات الفرد نحو بعض المسائل الاجتماعية، كالعولمة جانبا عقليا يختلف مستواه باختلاف تعقيد المشكلة<sup>2</sup>، وكذلك تختلف المعارف حول الموضوعات من شخص لآخر، وحتى من وقت لآخر لدى الشخص نفسه<sup>3</sup>. وتتألف المكونات المعرفية من :

- **المدرجات والمفاهيم :** أي ما يدركه الفرد حسياً أو معنوياً .
- **المعتقدات :** وهي مجموعة المفاهيم المتبلورة والثابتة في المحتوى النفسي والعقلي للفرد .
- **التوقعات :** وهي ما يمكن أن يتنبأ به الفرد بالنسبة للآخرين أو يتوقع حدوثه منهم .

وفي هذا الإطار يعرف روكيتش الاتجاه بأنه تنظيم ثابت نسبياً في المعتقدات حول موضوع نوعي أو موقف معين ( فيزيقي أو اجتماعي، عياني أو مجرد) يؤدي بصاحبه إلى أن يستجيب بأسلوب تفضيلي .

كما عرف بأنه تنظيم مستقر للعمليات الدافعية والانفعالية والإدراكية والمعرفية لدى الشخص، نحو موضوعات عالمه الخاص الفردي أو السيكولوجي<sup>4</sup>.

**المكون العاطفي ( الانفعالي الوجداني ) :**

يمثل شعور الشخص نحو موضوع معين أو شخص محدد على أساس تفضيلي<sup>1</sup>، أي أن هذا الشعور هو المؤثر في استجابة الفرد من قبول أو رفض فكرة أو موضوع

<sup>1</sup> محفوظ أحمد جودة . مرجع سبق ذكره . ص 327 .

<sup>2</sup> علاء زهير الرواشدة . مرجع سبق ذكره . ص 48 .

<sup>3</sup> محفوظ أحمد جودة . مرجع سبق ذكره . ص 327 .

<sup>4</sup> علاء زهير الرواشدة . مرجع سبق ذكره . ص 48 .

أو موقف ما ، بمعنى أن هذا المكون يرتبط بالتكوين العاطفي للفرد ، فهو يتضمن مشاعر الحب والكراهية المرتبطة بالاتجاه .

ولذلك افترض بعض الباحثين أن دراسة الاتجاهات هي في واقع الأمر دراسة للمشاعر والانفعالات مع أو ضد موضوع ما ، وأكدوا على ضرورة أن يقتصر تعريف الاتجاهات على التقويمات فقط ، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه التقويمات تتأثر بما يعتقد الأشخاص عن الموضوعات العديدة التي ندرس الاتجاهات نحوها<sup>2</sup> .

### المكون السلوكي :

هو مجموع الاستجابات السلوكية التي يقوم بها الفرد نحو موضوع ما ، حيث يعبر سلوك الفرد ونزوعه عن رصيد معرفته بشيء ما ، وعاطفته المصاحبة لهذه المعرفة ، لذلك يعتبر المكون السلوكي المحصلة النهائية ، والترجمة العملية لتفكير الإنسان وانفعالاته حول موضوع ما\* ، ويتأثر المكون السلوكي للاتجاه بضوابط التنشئة الاجتماعية وبالضغوط الاجتماعية والاقتصادية .

## 2 - تكوين الاتجاهات الاجتماعية :

إذا كان الاتجاه هو حكم تقويمي (حسن - سيئ) تجاه موضوع أو قضية أو مسألة أو شخص ، أو... ، فإنه يقوم وينمو على ثلاث جوانب أساسية هي : المعلومات المعرفية والمعلومات الوجدانية والمعلومات المتعلقة بالسلوك الماضي أو المقاصد السلوكية .

ويعد هذا التصور من الأهمية بمكان لفهم عملية تكوين الاتجاه ، فتقويم الفرد لموضوع ما كالعولمة أو الهوية أو جدلية العلاقة بينهما يمكن أن يعكس أحد الجوانب سالفة الذكر أو جميعها ، فمعرفة الفرد بموضوع تعريب التعليم مثلا يعد " بعدا معرفيا" ، ومشاعره نحو هذا الموضوع يعد "بعدا وجدانيا" أما كيف يسلك الفرد نحو الموضوع فهو " بعد سلوكي" .

والواقع فإن مكونات الاتجاه تتأثر بالعديد من العوامل المختلفة التي يرتبط بعضها بالفرد وبعضها الآخر بالسياق الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ، فالمكون السلوكي مثلا

<sup>1</sup> محفوظ أحمد جودة . مرجع سبق ذكره . ص 327 .

<sup>2</sup> علاء زهير الرواشدة . مرجع سبق ذكره . ص 49 .

\* يمثل الميل أو الاستعداد المبدئي للتصرف بطريقة معينة أو باتجاه محدد ، فالفرد إذا توفرت لديه معرفة بموضوع معين ، ثم تولد بعد ذلك شعور محدد نحوه ، فإنه بالتالي يصبح ميالا إلى أن يتخذ سلوكا محددًا نحو الموضوع ، وهناك فرق بين الميل السلوكي ، والسلوك الحقيقي . انظر .

محفوظ أحمد جودة . مرجع سبق ذكره . ص 327 .

يتأثر بضوابط الأنا وبالضغوط الاجتماعية والاقتصادية ، والمكون المعرفي للاتجاه يتأثر بالبراهين والحجج التي يقدمها أهل الخبرة والرأي والعلماء ووسائل الإعلام المختلفة ، كما يتأثر المكون الانفعالي للاتجاه عندما يتخذ التعصب اتجاها "عاطفيا" فيغلب على اتجاه الفرد الكراهية والنبذ لجماعات معينة أو لأفكار معينة أو لأساليب حياتية معينة أو... ، وعلى الرغم من اختلاف معدلات نمو هذه المكونات في المراحل العمرية ، إلا أنها مرتبطة ببعضها البعض في أغلب الأحيان ، وبشكل عام تحدد الاتجاهات الاجتماعية سلوك الفرد ، وأهدافه الحياتية لأنها تلامس الجوانب المعرفية والانفعالية والسلوكية عنده.

### الاتجاهات السوسولوجية تقوم على معلومات معرفية:

يقوم تقويم الفرد للموضوعات أو الأشخاص غالبا على ما يعرف عنه ، مما يعني أن الاتجاهات السوسولوجية تقوم غالبا على المعتقدات ، والتي تمثل روابط معرفية بين العولمة أو الهوية والخصائص التي تنسب إلى هذين الموضوعين .

والمعتقدات هي عبارة عن تصورات الفرد ومعارفه حول شيء محدد ، ويمكننا من خلال هذا التعريف التعامل مع المعتقدات على أنها بمثابة التجسيم المعرفي للاتجاهات السوسولوجية ، فالمعارف والمدرجات لا تمثل عناصر بنائية في الاتجاه ، إلا أن الاتجاه يتشكل من خلال هذه المعارف والتصورات .

وقد أوضح مجموعة من العلماء أن اتجاه الشخص نحو موضوع ما ، يتحدد بواسطة المزج المركب أو العلاقات المركبة لمعتقداته البارزة في موضوع الاتجاه ، وأن الحسابات العقلية تعمل بشكل آلي أكثر من كونها عملية شعورية .

### الاتجاهات السوسولوجية تقوم على معلومات وجدانية :

التقويمات عن الموضوعات والأشياء لا تقوم بالضرورة على أساس تحليل عقلائي لخصائصها ، فقد يحب الشخص أو يكره موضوعا ما قبل وجود أي معتقدات أو معارف عنه ، فأحيانا توجد بعض الموضوعات التي يشعر الفرد نحوها إيجابا أو سلبا لأسباب لا ترتبط بالمعتقدات ، وإنما قد يكون ذلك نتيجة عوامل انفعالية أو وجدانية .

### الاتجاهات السوسولوجية تنمو من المعلومات السلوكية :

تتم الاتجاهات الاجتماعية بمرور الزمن من خلال مختلف المواقف السلوكية، حيث فسر علماء الاجتماع وعلماء النفس مختلف السلوكيات التي يقوم بها من خلال علاقة الفرد بالبيئة الاجتماعية المحيطة به ، وكذا أساليب التنشئة الوالدية ، وعمليات التطبيع الاجتماعي و... ، بمختلف النظريات نستعرض منها اثنتين :

**نظرية التشريط الفعال** : يؤدي التشريط الفعال إلى تكوين اتجاهات اجتماعية بالتأييد أو المعارضة نحو موضوع ما، أو جماعة ما، يكافأ أو يعاقب لاعتناقه اتجاهها معيناً ، كما يشجع أو يعاقب على تكرار سلوكيات معينة .  
وتبدأ هذه العملية مع الإنسان منذ طفولته ، ويؤدي الوالدان دورهما الأساسي من خلال التنشئة الاجتماعية ، لأنهما يشكلان الإطار الثقافي والمعرفي - بكل ما يحمل من قيم ومعايير - الذي يحيا بداخله ، كما يرسمان له نمط السلوك المستقبلي من خلال رسم الاتجاهات الاجتماعية .

**نظرية التعلم الاجتماعي** : تشير النظرية إلى أهمية عملية التعلم من خلال الملاحظة والتقليد والمحاكاة أو القدوة في تشكيل العديد من الاتجاهات والآراء والمواقف ، التي تجسد في قالب سلوكي يضاهاي مصادر المواقف التي تمت ملاحظتها .

### 3 - مراحل تكوين الاتجاهات<sup>1</sup>:

يمر تكوين الاتجاهات بثلاث مراحل أساسية هي:

أ- **المرحلة الإدراكية أو المعرفية**: يكون الاتجاه في هذه المرحلة ظاهرة إدراكية أو معرفية تتضمن تعرف الفرد بصورة مباشرة على بعض عناصر البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية التي تكون من طبيعة المحتوى العام لطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، وهكذا قد يتبلور الاتجاه في نشأته حول أشياء مادية كالدار الهادئة والمقعد المريح، وحول نوع خاص من الأفراد كالأخوة والأصدقاء، وحول نوع محدد من الجماعات كالأُسرة وجماعة النادي وحول بعض القيم الاجتماعية كالنخوة والشرف والتضحية.

ب- **مرحلة نمو الميل نحو شيء معين**: وتتميز هذه المرحلة بميل الفرد نحو شيء معين، فمثلاً أن أي طعام قد يرضي الجائع، ولكن الفرد يميل إلى بعض أصناف خاصة من

<sup>1</sup> سعيد فودة . الاتجاهات النفسية الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك البشري . 2011/07/30  
<http://www.khayma.com/menbaral3elm/index.htm>

الطعام، وقد يميل إلى تناول طعامه على شاطئ البحر، وبمعنى أدق أن هذه المرحلة من نشوء الاتجاه تستند إلى خليط من المنطق الموضوعي والمشاعر والإحساسات الذاتية.

**ج - مرحلة الثبوت والاستقرار:** إن الثبوت والميل على اختلاف أنواعه ودرجاته يستقر ويثبت على شيء ما عندما يتطور إلى اتجاه نفسي، فالثبوت هذه المرحلة الأخيرة في تكوين الاتجاه.

#### 4 - أهمية الاتجاهات في هوية المجتمع المحلي لدى الأستاذ الجامعي :

في هذه الدراسة ، تعكس الاتجاهات موقف أستاذ الجامعة نحو موضوع هوية المجتمع المحلي ، نتيجة الإحاطة بهذا الموضوع أو هذه المسألة ( الجانب المعرفي ) ، وحيث أن المعرفة هي أساسية في تكوين الاتجاهات فإن تكوين الاتجاهات و درجتها ورسوخها يعتمد على التعمق في المعرفة. فكلما كانت معرفة الفرد بالموضوع أو القضية عميقة كلما كانت اتجاهاته ( إيجابية أو سلبية ) أكثر نضجاً وسوخاً في حين إذا كانت المعرفة سطحية كانت الاتجاهات غير ثابتة ويمكن تغييرها بحسب الخبرة التي يمر بها.

و في مسألة الهوية تكتسب الاتجاهات أهمية من خلال إدراك الفرد لجذلية العلاقة بينها وبين العولمة ، حيث يمكننا هذا الإدراك من صياغة الوسائل والأساليب الكفيلة بصناعة فعل مناسب تجاه العولمة ، سواء عن طريق الرفض أو التكيف أو القبول غير المشروط أو... ويمكن تلخيص أهمية الاتجاهات في مسألة الهوية في علاقتها بالعولمة على النحو التالي :

1- تعبر الاتجاهات عن مواقف الأساتذة كمتقنين يدركون أهمية الهوية المستقرة بالنسبة للمجتمع ، حيث تعكس اتجاهاتهم أشكال تفاعل هوية المجتمع المحلي مع الآخر في سبيل إثبات الذات ، ويتم هذا التفاعل عن طريق ثلاث آليات أساسية هي : رسم خطوط حمراء وحدود فاصلة بينها والآخر ، عبر آلية الانعزال عن الآخر والتفوق على النفس ، إلى جانب آلية مواجهة الآخر بالعنف والصراع ، وكذا آلية الالتقاء بالآخر على طاولة الحوار الحضاري ، للخروج بصيغ مقبولة ، تحفظ لكل طرف هيبته وكرامته .

2- كما تعبر الاتجاهات عن مواقف الأساتذة نحو الحفاظ على الهوية عبر العمل الداخلي ، أي التنمية من الداخل ، حيث أن آلية التنمية المستدامة ، بشقيها البشري والاقتصادي ، تعتبر السبيل الأنجح والأفضل ، لأنها تتضمن صناعة الإنسان وصناعة الاقتصاد على السواء .

3- كما تكتسب اتجاهات أساتذة الجامعة أهميتها من خلال رؤيتها لمختلف الآليات التي

تسمح بتفعيل عناصر هوية المجتمع المحلي ، وتسهم آراء المبحوثين في صياغة رؤية واضحة تجاه أبعاد الهوية ، وفيما إذا كانت تتطابق مع ما جاء في مختلف الأدبيات أم لا ، ذلك لأن هذه الاتجاهات لم تأت جزافا ، بل عن تراكم في الخبرة شكلت قناعات لدى أصحابها فأصبحت تعرف بالاتجاهات .

4- تعتبر اتجاهات أساتذة الجامع كمتقنين ذات أهمية بالغة لأنها تتم عن معارف وعواطف وانفعالات مسبقة عن موضوع الهوية في علاقته بالعولمة ، ذلك أن هذه المعارف قد صيغت عبر مراحل حياة كل فرد بما تضمنته هذه المراحل من اختلاف ، وبما تضمنه الأفراد أنفسهم من فروق فردية .

5- كما تكشف هذه الاتجاهات عن المشكلات التي قد تتهدد الوطن مستقبلا ، كونه يمثل مجتمعا متعددًا .

#### رابعا : بناء مقياس الاتجاه

##### مقياس ليكرت :

جاءت طريقة ليكرت لسد الثغرة الرئيسية في طريقة ثيرستون المعتمدة على المحكمين وابتكر طريقة لقياس الاتجاهات في كثير من الموضوعات، بحيث يظهر المبحوث ما إذا كان يوافق بشدة أو لا يوافق بشدة أو متردداً على كل عبارة، وتتدرج الموافقة وتعطى قيما تتراوح ما بين الموافقة بشدة أو عدم الموافقة بشدة (موافق بشدة (5)، موافق (4)، متردد(3)، لا أوافق (2)، لا أوافق بشدة (1))، والدرجة المرتفعة هنا تدل على الاتجاهات الموجبة والدرجة المنخفضة تدل على الاتجاهات السالبة، فيما تعكس القيم في حال العبارة السالبة ، حيث تعطى القيمة (موافق بشدة (1)، موافق (2)، متردد(3)، لا أوافق (4)، لا أوافق بشدة (5)) ، و لتحديد اتجاهات المبحوث العامة نحو آلية من آليات مواجهة الهوية للعولمة نستخرج المتوسط الحسابي بين شدة الاتجاه لكل محور عن طريق جمع شدات العبارات المتصلة بالمحور ، معلوم أن طريقة ليكرت تتميز بسهولة الإعداد والتطبيق، و تعطي المبحوث الحرية في تحديد موقفه ودرجة إيجابية أو سلبية هذا الموقف في كل عبارة الأمر الذي يكشف عن رأيه في بعض القضايا الجزئية و التي تعتبر معلومات قيمة للباحث، كما أن وجود درجات للمقياس و تطبيقه على عينة كبيرة يزيد من ثبات المقياس ، هذا وقد صنفت عبارات المقياس في تسع محاور ، يعبر كل محور عن آلية من آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة ، وهي كما يلي :



محاور المقياس	عدد العبارات	نسبة العبارات بالنسبة للمقياس %
محور الوعي بالعولمة	04	7.40
مسألة الأمازيغية	06	11.11
عناصر التفاعل مع الآخر	الانعزال	03
	الحوار الحضاري	03
	المناهضة والعنف	05
عناصر التناسق الداخلي	التنمية البشرية المستدامة	05
	التنمية الاقتصادية المستدامة	07
	تفعيل دور الإسلام	05
	تفعيل دور اللغة العربية	06
	تفعيل دور الأمازيغية	05
	تفعيل دور التاريخ الوطني	05
	المجموع	54

جدول رقم (04) يبين عدد عبارات كل محور ونسبتها بالنسبة للمقياس

من خلال الجدول يلاحظ أن التنمية الاقتصادية المستدامة تسنأثر بأكبر نسبة 12.96% ، وتليها مسألة الأمازيغية بنسبة 11.11% ، ومرد هذه النسب العالية مقارنة بنظيراتها يعود إلى أن العولمة الاقتصادية متعددة الوجوه والمداخل ، كما أن وشائج الصلة بين الهوية والعولمة تتعدد وتتنوع بين الصناعة والاستيراد والتصدير والاستهلاك والتبعية و... أما مسألة الأمازيغية فمتعددة عباراتها نظرا لموقعها المهم في تشكيل الهوية الجزائرية ، فقد دلت مختلف الأدبيات المتعلقة بالموضوع ، أن المجتمع الجزائري لا يمكن أن ينقسم بشأن الإسلام كدين للدولة ، ولا يمكن أن ينقسم بشأن اللغة العربية كونها لغة الإسلام ، ولا التاريخ الوطني الذي صنعه الجزائريون أنفسهم ، أما الأمازيغية فمن الممكن جدا أن ينقسم المجتمع الجزائري بشأنها ، ليس على صعيد كل المجتمع الجزائري فحسب ، بل على صعيد الأمازيغ أنفسهم ، من جهة أخرى فإن تفعيل دور اللغة العربية في المجتمع الجزائري قد حظيت بنسبة 11.11% نظرا لما لحق اللغة العربية من تهميش ومن نعوت بالقصور والعجز عن مواكبة العصر ، كل هذا بسبب الإرث الكولونيالي الثقيل ، الذي وضع العربية في خانة القراءات الدينية والأدبية .

هذا فيما تتساوى وبنسبة 9.25% عدد العبارات المتعلقة بمناهضة العولمة والتنمية البشرية المستدامة وتفعيل دور الإسلام في المجتمع وكذا الأمازيغية والتاريخ الوطني ، بينما يأتي نصيب الانعزال والحوار الحضاري بنسبة 5.55 % ، وهي نسبة أقل من غيرها نظرا لمحدودية أوجه المواجهة بين الهوية والعولمة بهذا الشأن .

### الخصائص السيكومترية للمقياس

#### صدق المقياس :

للتحقق من صدق المقياس، قامت الباحثة بالإجراءات التالية :

#### الصدق الظاهري للمقياس :

يعد الصدق الظاهري من الوسائل المناسبة في حالة إعداد الباحث نفسه للمقياس ، لذا قامت الباحثة بعرض المقياس بصورته الأولية على الخبيرين في القياس والتقويم والمناهج وطرق التدريس وعلم النفس وعلم الاجتماع وهما : أ.د نصر الدين جابر\* و أ.د علي أسعد وطفة\*\* ، وقد طلب من كل محكم تحديد وضوح كل فقرة (واضحة، غير واضحة) وملاءمتها للقياس بوجه عام ، وقد طلب من كل محكم كذلك، حذف أو إضافة فقرات أخرى إذا رأى أن ثمة فقرات لم ترد في المقياس.

#### الاتساق الداخلي للمقياس :

قامت الباحثة بحساب الاتساق الداخلي للمقياس وذلك باستخراج معامل ارتباط بيرسون

بين درجة كل عبارة من عبارات المقياس والدرجة الكلية للمقياس ككل وكما يلي :

#### ثبات المقياس :

للتأكد من ثبات المقياس قامت الباحثة باستخدام طريقة التجزئة النصفية، والتي تبدو

النحو الآتي :

#### طريقة التجزئة النصفية :

قامت الباحثة بالتحقق من ثبات الاختبار بطريقة التجزئة النصفية حيث يظهر ذلك مدى خلو إجابات المبحوثين من تأثير العشوائية ، مما يعني استقرار نتائج المقياس ، إذ تم تقسيم الأسئلة إلى مجموعتين متساويتين تماما ، وذلك حسب البنود الفردية والبنود الزوجية ، ثم

\* أستاذ علم النفس بجامعة بسكرة .

\*\* أستاذ علم الاجتماع التربوي بجامعة دمشق والكويت .

حساب معامل الارتباط الذي كانت نتيجته :  $r = 0.76$  ، وهو يشير إلى أنه معامل ارتباط قوي ومناسب .

ثم تم حساب معامل الثبات T فوجد بأنه يساوي 0.86 ، وهي قيمة ثبات قوي ، يدل على أن المقياس ثابت ، وأن العبارات مفهومة وخالية من التناقض ، حتى لو وزعت في أماكن أخرى على عينة بنفس المواصفات فستكون النتيجة نفسها أو قريبة منها .

### خلاصة الفصل :

يحتوي هذا الفصل مختلف الإجراءات الميدانية التي تم اعتمادها للوصول إلى اتجاهات أساتذة جامعة بسكرة نحو مختلف آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة ، من اختيار العينة والمنهج المناسب والأداة المناسبة ، وما إلى ذلك ، بيد أن ما تمت صياغته يختزل جوانب متعددة من حقيقة الإجراءات المنهجية ، حيث أن هذه الدراسة كانت قد بدأت بدراسة استطلاعية للميدان ، ولم يكن الميدان جامعة بسكرة ، بل إحدى مدن الأوراس ، (فإلى غاية التسجيل الرابع لهذه الأطروحة كان عنوانها : "هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة - دراسة تطبيقية بمنطقة الأوراس -" وكان الهدف آنذاك البحث الجاد في هوية مجتمع الأوراس الغني جدا بما يجعله مجتمعا قل نظيره في السمات الثقافية والشخصية الفريدة التي بإمكانها مواجهة مد العولمة ، ...بيد أن الدراسة الاستطلاعية أثبتت أن جوانب متعددة من الموضوعية العلمية سيتم إسقاطها خلال عملية التحليل ، الأمر الذي حدا بجماعة البحث إلى التفكير في سبيل آخر - ويبقى البحث في مجتمع الأوراس مشروعا مستقبليا - ) ، كما أن اختيار المبحوث الذي سيمثل المثقفين الجزائريين لم سهلا أيضا، حيث تم توزيع الاستمارة في شكلها الأولى على مجموعة مكونة من: أساتذة الجامعة ، أساتذة التعليم الثانوي ، مديري ثانويات ، مفتشي التعليم الثانوي ، أطباء

$$r = \frac{\sum (x_i - \bar{x})(y_i - \bar{y})}{\sqrt{[\sum (x_i - \bar{x})^2] [\sum (y_i - \bar{y})^2]}}$$

ر = معامل الارتباط ، ، س = عدد البنود الفردية ، ص = عدد البنود الزوجية ، ن = مجتمع الدراسة

$$T = \frac{r * 2}{1 + r}$$

معامل ثبات ، T : معامل ارتباط ، r : معامل ارتباط

مهندسين من مختلف الاختصاصات ، بينما تم توزيعها على أساتذة الجامعة لوحدهم بعد تعديل المقياس .

كما تختزل صياغة الفصل أيضا بعض الإجراءات كطريقة إجراء التجزئة النصفية وغيرها من الخطوات الأخرى ، على اعتبار أن الدراسة موجهة للباحثين الذين بإمكانهم الإطلاع على تلك الإجراءات في كتب المنهجية إن عدموها .

# الفصل التاسع

## التحليل والتفسير السوسولوجي للبيانات

أولاً : محور الوعي بالعولمة

ثانياً : محور تمثلات الهوية الجزائرية لدى المبحوثين

ثالثاً : محور مواجهة العولمة بالانعزال

رابعاً : محور مواجهة العولمة بالعنف والمناهضة

خامساً : محور مواجهة العولمة بالحوار الحضاري

سادساً : محور مواجهة العولمة بالتنمية البشرية المستدامة

سابعاً : محور مواجهة العولمة بالتنمية الاقتصادية المستدامة

ثامناً : محور مواجهة العولمة بتفعيل عناصر الهوية المحلية في المجتمع

المؤشر الأول : تفعيل دور الدين الإسلامي في الحياة الاجتماعية

المؤشر الثاني : تفعيل دور اللغة العربية في الحياة الاجتماعية

المؤشر الثالث : تفعيل دور الأمازيغية في الحياة الاجتماعية

المؤشر الرابع : تفعيل دور التاريخ الوطني في الحياة الاجتماعية .

## تمهيد

تعتبر الدراسة المنهجية لتصدع الهوية في العالم العربي المسلم واحدة من أهم التحديات التي تواجه الباحثين والمفكرين ، حيث يتوجب عليهم استنفار الطاقات والقدرات العلمية لتحليل مشهد هذا التصدع من العمق ، وتشخيصه عبر البحث العلمي الجاد ، بعيدا عن القوالب الفكرية الجامدة ، والتصورات النظرية المجردة<sup>1</sup> ، فيما لا تجد هذه الدراسة بدا من التماس مع عدد من الجوانب ولو بشكل غير عميق ، رغم أن كل جانب من هذه الجوانب يستحق أن ينفرد بالدراسة لوحده ، فموضوع مناهضة العولمة مثلا لم يحظ بالدراسة السوسولوجية العميقة ، رغم أنه صار مثارا للجدل في أوروبا وأمريكا حول من يناهضون العولمة ، هل هم بعض من المرتزقة ؟ أم بعض من الفقراء الذين لا يجدون قوت اليوم ؟ أم البطالون الذي لا شغل لهم سوى التظاهر ؟ أم أنهم المثقفون الذين يدركون جيدا مثالب العولمة ؟ ،...، وحول أسباب مناهضة العولمة؟ .

وقس على ذلك إزاء مختلف الجوانب الأخرى ، فمختلف المجتمعات تسعى لتطبيق برامج التنمية المستدامة ، لكن هل هناك إستراتيجية تنمية مستدامة واضحة لمختلف المجتمعات المقصود منها مواجهة خطر العولمة ؟ ...وإذ تجمع هذه الدراسة بين مختلف الآليات كسبيل لمواجهة العولمة ، فهذا لا يعني أن المواجهة تقتصر على هذه الآليات ، بل قد تكون هناك آليات أخرى أكثر نجاعة وكفاءة في مواجهة العولمة ، فهذه الآليات قد تمت صياغتها من مختلف القراءات ومن بعض الوقائع في المجتمع ، وهي قد تلم بجانب من جوانب العولمة وقد تغفل عن جانب آخر .

ولعله من المنطقي قبل سؤال المبحوث عن اتجاهه حول مختلف آليات المواجهة ، الوقوف أولا عما إذا كان هذا المبحوث يدرك طبيعة العلاقة بين الهوية المحلية والعولمة ، هل هي علاقة تأثير وتأثر ، أم أنه لا علاقة أصلا ، أم أن العلاقة عكس ما يتوقعه جميع الناس ،

<sup>1</sup> علي أسعد وطفة . تصدعات في الهوية العربية المعاصرة . شبكة النبا . 2012/05/15 . <http://www.annabaa.org/index.htm>

من حيث أن الهويات المحلية أصبحت تستخدم أدوات العولمة في سبيل إثبات الوجود\* ، ولذلك جاء محور الوعي بالعولمة .

### أولاً : محور الوعي بالعولمة

يعني الوعي بالعولمة معرفة الآخر بكل ما يحمل من إيجابيات وسلبيات ، وإدراك حدود العلاقة التي تربطه بالمجتمع المحلي ، ولاشك أن الوعي بالعولمة هو من الأهمية بمكان ، إذ أن المحور يقول وبشيء من البساطة ، هل أنت واع بالواقع الاجتماعي من حولك ؟ ، هل أنت واع بما تمثله العولمة بالنسبة إليك ؟ هل تدرك حدود العلاقة بينك وبين الآخر الذي يختلف عنك في كل ما تحمل الهوية من أبعاد ؟ ...صحيح أن العولمة مفهوم فضفاف ، بيد أنه في وعي المجتمع الجزائري مفهوم بديل عن الغزو الفكري والثقافي ولكن في حلة جديدة مكسوة بالطابع الاقتصادي ، يمثلته صندوق النقد الدولي ، وما شابهه من المؤسسات .

شدة الاتجاه	أعارض بشدة		أعارض		غير متأكد		أوافق		أوافق بشدة		الشدة العبارة
	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
3.27	17.07	21	32.52	40	19.51	24	22.76	28	8.13	10	العولمة فرصة للتخلص من التقاليد البالية
4.42	00	00	00	00	03.25	04	51.21	63	45.52	56	يساعد الوعي بالعولمة في مواجهة أخطارها .
3.75	28.45	35	39.83	49	15.44	19	11.38	14	4.87	06	صراع الهوية والعولمة مجرد خرافة.
3.54	20.32	25	41.46	51	14.63	18	19.51	24	4.06	05	لا تستطيع هويات الشعوب الصمود في وجه العولمة حتى لو أرادت ذلك
3.74											شدة اتجاه المحور

### جدول رقم (05) وعي المبحوثين بالعولمة

ويختبر المحور وعي الأستاذ الجامعي بالعولمة من خلال أربعة أسئلة أولها : هل "تمثل العولمة فرصة للتخلص من التقاليد البالية" ؟ حيث يجيب ما نسبته 8.13 % من الأساتذة بـ

\*... كما أن الثورة المعلوماتية الحديثة جعلت من العالم قرية صغيرة حسب توصيف العالم الكندي مارشال ماك لوهان فإنها في الوقت ذاته ساهمت وتساهم بشكل مطرد وغير مباشر في توحيد القوميات التي يتشكل منها العالم وتعزيز ثقافتها وتأكيد هويتها. أي أن العولمة قد تفرز ضدها في بعض الأحيان... وكما ساهمت وسائل العولمة في التقريب بين العرب وجعلهم كياناً واحداً على الأقل ثقافياً، فإنها كانت أيضاً عوناً للإسلاميين الذين وسعوا رقعة نشاطهم السياسي والثقافي مستغلين الشبكة العنكبوتية وغيرها في مقارعة أعدائهم سادة العولمة. هل كانت (القاعدة) بقيادة أسامة بن لادن لتحتضن بهذا التأثير والانتشار الدوليين لولا أدوات العولمة الإعلامية من فضائيات وشبكات اتصال؟ بالطبع لا. انظر : فيصل القاسم . العوربة تصرع العولمة بأدواتها . موقع سيربانيز . <http://www.syria-news.com/index.php.2012/01/26>

" موافق جدا " بينما يعارض من الأساتذة بما نسبته 32.52% ، مع 19.51 % نسبة غير المتأكدين ليقدر اتجاه المبحوثين نحو ما إذا كانت العولمة تمثل فرصة للتخلص من التقاليد البالية بـ 3.27 وهو رقم إيجابي .

يخطئ من المبحوثين من يعتقد أن العولمة قد تخلصه من التقاليد البالية ، ذلك أن العولمة بتدخلها السافر في الشؤون الثقافية للمجتمعات المحلية لا تفرق بين الغث والسمين ، بل إنها ولكي تسود تغذي النعرات القبلية ، وقيم الفرقة والتناذب ، ومن الخلل أيضا أن يوكل المثقف أمر ما يكتنف ثقافته من تناقض إلى قوى خارجية لتصويبها أو تنقيتها ، إلا إذا كان المبحوث يقصد من ذلك الثقافة الإسلامية التي يسميها البعض بالثقافة الظلامية .

أما العبارة الثانية " يساعد الوعي بالعولمة في مواجهة أخطارها " فقد انعدم المعارضون والمعارضون بشدة للعبارة ، فيما سجل غير المتأكدين نسبة 03.25% ، بينما يتقاسم الموافقون والموافقون جدا للعبارة القيمتين الباقيتين على الترتيب 51.21% و 45.52% ، الأمر الذي يوحي بمدى إدراك الأستاذ الجامعي بأن العولمة مثلما لها جوانب إيجابية ، فإنها لا تخلو من السلبية والخطيرة ، لتسجل العبارة شدة اتجاه قدرت بـ 4.42 ، وهي قيمة إيجابية .

أما العبارة الثالثة " صراع الهوية والعولمة مجرد خرافة " فقد جاءت سالبة المضمون ، أي عكس ما يرمي إليه المقياس ، والمراد من ورود العبارة بهذا الشكل هو تأكيد علاقة الصراع بين الهوية المحلية والعولمة ، وفقد تراوح رد فعل المبحوثين بين المعارضة والتأكيد ، حيث سجل المعارضون نسبة 39.83% يتبعهم المعارضون جدا بنسبة 28.45% ، فيما لا يبدو متأكدا من خرافة العلاقة بين الهوية والعولمة ما نسبته 15.44% ، أما الموافقون على خرافة هذه العلاقة فهم يمثلون نسبة 11.38% ويليهم الموافقون جدا بنسبة 4.87% ، فيما سجلت العبارة شدة اتجاه قدرت بـ 3.75 .

أما العبارة الرابعة " لا تستطيع هويات الشعوب الصمود في وجه العولمة حتى لو أرادت ذلك " ، فهي ترمي إلى الوقوف على مدى ثقة المبحوث في إمكانية الصمود في وجه العولمة ، بصرف النظر على الأسلوب والوسيلة لذلك ، وقد وردت بصيغة سالبة ، ليسجل المعارضون أعلى نسبة والمقدرة بـ 41.46% يليهم المعارضون جدا بنسبة 20.32% ثم الموافقون بنسبة 19.51% ولعلمهم يرون في العولمة أمرا جللا لا يمكن مقاومته أو التصدي له ، الأمر الذي يوحي بتلبس الروح الانهزامية حتى قبل الشروع في مواجهة العولمة ، ولعل هذا الصنف من الناس يؤمن بأن العولمة قدر محتوم لا يمكن التملص من جبروته حتى لو توفرت الإرادة لدى الشعوب ، وعادة يبني أنصار هذا الاتجاه أفكارهم بناء على الوضع الاقتصادي



الضعيف للأمم أو الحضور السياسي القوي للدول التي تمثل العولمة ، أو بالأحرى لاختلال موازين القوى بين عالم الشمال والجنوب .هذا وسجل غير المتأكدين نسبة 14.63% لينتهي الأمر بالموافقين جدا إلى احتلال المرتبة الأخيرة بنسبة 4.06 % ، وبهذه النسب تسجل العبارة قيمة اتجاه قدرت بـ 3.54 ، الأمر الذي يوحي بإمكانية هويات الشعوب مواجهة العولمة .  
توحي شدة الاتجاه الإيجابية بالنسبة للمحور والمقدرة بـ 3.74 بأن الأستاذ الجامعي يدرك طبيعة العلاقة بين الهوية المحلية والعولمة .

### ثانيا : محور تمثلات الهوية الجزائرية لدى المبحوثين

يبحث هذا المحور فيما تعنيه أبعاد الهوية الجزائرية بالنسبة للأستاذ الجامعي، حيث يرتب المبحوث عناصر الهوية بناء على أهميتها بالنسبة إليه ، حيث يبين الجدول ما يلي:

المرتبة الرابعة		المرتبة الثالثة		المرتبة الثانية		المرتبة الأولى		المرتبة أبعاد الهوية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
				9.75	12	90.24	111	الإسلام
9.75	12	6.50	08	83.73	103			اللغة العربية
73.98	91	19.51	24			6.50	08	الأمازيغية
16.26	20	73.98	91	6.50	08	3.25	04	التاريخ الوطني
	123		123		123		123	المجموع

جدول رقم (06) ترتيب عناصر الهوية الوطنية حسب أهميتها بالنسبة للمبحوث

وبقراءة إحصائية للجدول أعلاه تبين أن الإسلام تصدر أبعاد الهوية الوطنية ، باحتلاله المرتبة الأولى بنسبة 90.24 % ، ولعل المبحوث يجيب هنا بناء على تمييزه للدين كأهم بعد في حياته العامة والخاصة ، كما يحتمل أن يكون المبحوث قد بنى اتجاهه على مختلف المكونات ، إذ الجواب هنا يحتمل معرفة المبحوث بالدين الإسلامي ، لذلك يفضل على غيره من الأبعاد ، كما يحتمل أن المبحوث قد تجاوز بشكل عاطفي ويرى من البدهة اختيار الإسلام في المرتبة الأولى حتى مع جهله بقيمة هذا الدين ، كما تقاسم الدين المرتبة الأولى مع الأمازيغية بنسبة 6.50 % وكذا التاريخ الوطني بنسبة 3.25 % ، حيث أجاب بعض المبحوثين الذين فضلوا ترتيب الأمازيغية على الإسلام ، بكونهم أمازيغ أولا

، ثم يأتي الإسلام ، إذ قال أحدهم : " لقد ولدت أمازيغيا ، ثم اقتنعت بالإسلام دينا ، وتعلمت العربية في المدرسة ، وبمرور الزمن أدركت قيمة التاريخ الوطني الجزائري ، الذي يمتد منذ الأزل وإلى غاية اليوم " ، فيما تحدثت بحوث آخر عن سبب تصدر الأمازيغية ترتيبه لمكونات الهوية قائلًا بأن ذلك تم بناء على توجهه السياسي كونه ينتمي إلى حزب سياسي يمثل الأمازيغ ، كما أدلى بحوث آخر بأن اختياره الأمازيغية في المرتبة الأولى يعود لعذاته للإسلاميين - على حد تعبيره - قائلًا : " لن أكون منافقا ، أفضل أمازيغيتي على أي انتماء آخر " .

من جهة أخرى مثل المرتبة الثانية اللغة العربية بنسبة 83.73 % وهي نسبة عالية، يليها الإسلام بنسبة 9.75 % ثم التاريخ الوطني بنسبة 6.50 % .  
أما المرتبة الثالثة فيمثلها التاريخ الوطني بنسبة 73.98 % تليه الأمازيغية بنسبة 19.51 % ثم اللغة العربية بنسبة 6.50 % .

هذا وتبقى باقي النسب المنتشرة على خانة المرتبة الرابعة التي تنصدرها الأمازيغية بنسبة 73.98 % فالتاريخ الوطني بنسبة 16.26 % ، ثم اللغة العربية بنسبة 9.75 % .  
فيما تفسر القراءة السوسولوجية للجدول أسباب ترتيب عناصر الهوية بهذا الشكل حسب أهميتها من قبل المبحوثين ، إذ يتبين أن الإسلام يحوز على المرتبة الأولى ، بينما تحوز اللغة العربية على المرتبة الثانية ثم التاريخ الوطني بالمرتبة الثالثة وأخيرا الأمازيغية بالمرتبة الرابعة ، حيث :

### 1 - الإسلام:

وحيث يشكل الإسلام الركيزة الأساسية في الهوية الجزائرية ، لأنه دين الواقع ، بتطوره يتطور ويتجدد ويتجدد ، الأمر الذي يفسر خلود هذا الدين ، والعقيدة الإسلامية تستمد معناها مما يضاف إليها كل مرة من إيضاح عقلي مناسب ، وجدير بالذكر أن الإسلام في المجتمع المغربي والمجتمع الجزائري جزء من هذا الواقع قد تلون بلون الحياة الاجتماعية عبر الزمن\* ، فيما يمكن ملاحظة ثلاثة أنساق للدين الإسلامي - إن صح التعبير- هي : الإسلام المعيش\* .

\*لقد تلون الدين بتلون الحياة الاجتماعية عبر الزمن ، إذ أن نمط التدين تغير من مرحلة زمنية إلى أخرى ، فالتدين في المراحل الأولى لدخول الجزائر في حضرة العالم الإسلامي يختلف عن مرحلة الحكم العثماني ، وعن سنوات الاستعمار الفرنسي ، ويختلف أيضا عن التدين بعد الاستقلال الوطني مباشرة وعن المرحلة الراهنة ، ولكن هناك قواسم مشتركة بين كل مراحل التمسك بهذا الدين في هذه البلاد للمزيد من المعرفة انظر : محمد بوراكي ، الهرماسي .

\* يسميه حليم بركات الإسلام الشعبي ، للمزيد انظر : حليم بركات . المجتمع العربي المعاصر . بحث استطلاعي اجتماعي . مرجع سبق ذكره .

الإسلام الرسمي والإسلام السياسي ، كما يمكن ملاحظة بعض الظواهر بخصوص التدين في الجزائر مثل :

- المجتمع الجزائري لا ينبذ من لا يؤدي الفريضة ويرتكب المعاصي ، فأقبال الناس على أداء الفرائض متفاوت ولا يشكل حرجا في الحياة الاجتماعية بكل ممارساتها ، إذ أن وجود شارب الخمر من الرجال وغير شاربيه ، ووجود النساء المحجبات وغير المحجبات في مكان واحد كالأسرة والمدرسة والمعمل و...، لا يثير إشكالا في المجتمع الجزائري من قطع صلوات الرحم أو النبذ في المدرسة أو الصراع في المعمل أو...، ولا يثير مشكلات عقيدية كالحسبة والتكفير أو ..... فالإسلام الجزائري متسامح منفتح إلى أقصى الحدود في الظروف العادية، وهو أيضا أكثر تشددا وانغلاقا في ظروف الاستعمار.

كما أن الوعي الديني رغم تغلغل الإسلام في البنية النفسية والاجتماعية - كان ضعيفا على صعيد معرفة الإسلام ومعانيه ، وأقرب إلى التقليد منه للفهم ، ويبدو هذا بشكل خاص في المناسبات والأعياد الدينية التي يغلب عليها الطابع الاجتماعي الاحتفالي التقليدي\* ، لكن هذا التدين تغير عبر منعرج الصحوة الإسلامية التي نشطت منذ سبعينات القرن الماضي ، لتبدو آثار ذلك في الحياة الاجتماعية والسياسية ، لتتجسد في الممارسات اليومية للناس كالالتزام بالحجاب وإحياء السنن التي لم تكن معروفة كصيام أيام شوال و... بل ولم يعد الناس يتجرأون على الإفطار علنا في رمضان ، ... وبهذه الصورة يتحول الوعي الديني إلى وعي مبني على معرفة بالدين ومعانيه .

- كما أن الإسلام المعيش في المجتمع الجزائري وإن كان يبدو على قدر كبير من الحرية والتسامح ، يتسع للجميع المؤدين للفرائض وغير المؤدين الملتزمين بأحكام الشريعة وغير الملتزمين ، إلا أنه لا ينطوي أبدا على أي خروج على العقيدة الإسلامية ، فحين يتعلق الأمر بأركان الإسلام الخمسة تبرز سطوة العقيدة ، ويظهر أن للتسامح سقفا لا يمكن تجاوزه ، إذ يمكن للإسلام المعيش أن يقبل بمن لا يصلي ولا يصوم ، ويرى في عدم ممارسة العبادة شأنًا بين العبد وربّه ، ولكنه لا يقبل أبدا أن تتعرض الفريضة نفسها إلى الإساءة<sup>1</sup>.

ويمكن التمييز بين الأنساق الثلاثة للإسلام في الجزائر (إسلام معيش وإسلام رسمي

وإسلام سياسي) ، من خلال ما يلي :

• الإسلام المعيش هو إسلام الفئات الشعبية الواسعة ، وهذا عكس الإسلام الرسمي

\* الاحتفال بيوم أول محرم وبيوم المولد النبوي الشريف و... احتفالا شكليا ، لا يتجاوز الاحتفال بالطعام والعطل عن العمل والمدرسة .  
1 الهرماني ص 91 .

والإسلام السياسي اللذين يفتقدان الحامل الاجتماعي العريض ويرتبطان بالنبذة .

• الإسلام المعيش يدخل في تكوين الشخصية العربية الإسلامية ، ويمثل مقوما من مقومات الهوية في الجزائر ، وهو بالتالي ذو وظيفة اجتماعية ونفسية وثقافية ، أما الإسلام الرسمي والإسلام السياسي فمن طبيعة وظيفية بحتة ، ووظيفتهما سياسية بحتة تنصب على الدعاية لسياسة الدولة (الرسمي) ومعارضة سياسة الدولة (السياسي).

• الإسلام المعيش مركب من عقيدة وتقاليد وعادات اجتماعية وثقافية ، وأسلوب في الحياة يتميز بالمرونة والتنوع ، أما الإسلام الرسمي والإسلام السياسي فتحنيط سياسي إيديولوجي للإسلام واختزال له في لون واحد .

• الإسلام المعيش ثابت من ثوابت الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر ، وهو يعلل الخصوصية والأصالة في الجزائر، ذلك لأنه نتاج تفاعل تاريخي بين النص الإسلامي والبيئة المحلية ، أما الإسلام الرسمي والإسلام السياسي فظرفيان ينتجان عن تأويل إيديولوجي للدين ، ويرتبطان بالظروف السياسية ، مما يجعل وظيفتهما واحدة في كل الدول العربية والإسلامية .

ورغم نظرة القداسة التي ينظر بها الجزائري للإسلام ، إلا أنه من حين لآخر تبرز أصوات على الساحة الوطنية تناقض ذلك ، بتقليلها من شأن الإسلام كدين صالح لتسيير شؤون الحياة الاجتماعية على اختلاف أوجهها ، ولعل هذا التقليل من شأن الإسلام لم يكن يوما نابعا من علة في الإسلام ، أو ما يتعلق به ، بل من احتمالين : فإما أن الرافضين ينفذون أجنادات خارجية "فرنسية خاصة " ، وإما أن الأمر نابع من سلوكيات بعض الإسلاميين أو من بعض من نصبوا أنفسهم أوصياء على الدين ، وليس لأحد الحق في الحديث باسمه سواهم ، إذ يورد الهرماسي أن كاتباً جزائرياً يرى أن إيديولوجية التفوق الروحي للإسلام على الحضارة المادية الغربية قد وظفت ، فقط ، لافتكك السلطة والسعي للمحافظة عليها عبر فرض نموذجها المجتمعي المؤسس على الإسلام.

مثل هذا الخطاب وغيره نماذج لصراع أو تصادم الإسلام المعيش والإسلام السياسي ، حيث أن الأول يتخذ من الإسلام نمودجا للحياة ، بينما يتخذ الثاني من الإسلام وسيلة يفتك بها السلطة .

## 2 - اللغة العربية :

لطالما ارتبطت العربية بالإسلام، ولطالما تسلفت على قداسته إلى مراتب لم يكن ليصل إليها العرب رغم رونق البلاغة التي ميزت لسانهم ، بينما تستمد وجودها على ألسنة الجزائريين من الإسلام الذي اعتنق طوعا منذ مجيء الفاتحين لذلك فكونها حاملة الفكر وناطقة باسم المعرفة ، فهي لم تنقل التراث الإسلامي فحسب ، بل أتت معه بالفكر العربي قبل الإسلام " الفكر الجاهلي " ، ونال اسم عنتر بن شداد من المجد ما ناله اسم خالد بن الوليد ، "ويذهب ي . فوك Fuck . ل في دراسته المميزة للغة العربية إلى أنه لا يوجد في تاريخ اللغة العربية حدث أثر فيها مثلما أثر فيها دين الإسلام في هذه الفترة ، وكان ذلك قبل 1300 سنة ، حين كان محمد "صلى الله عليه وسلم" يتلو القرآن على المؤمنين بـ "لسان عربي مبين " ويسعى إلى إقامة علاقة بين الدين الجديد ولغته ، ستكون لها آثار جمة على مستقبل هذه اللغة<sup>1</sup> "

وبفضل اللغة العربية تقاسمت الجزائر الرقعة الجيوسياسية والحضارية مع العالم العربي ، حيث أصبحت الجزائر دولة عربية وتعلن عن ذلك ، وتتطق بالعربية ، وأصبحت العربية إحدى سماتها البارزة منذ وصول الفاتحين إلى المنطقة أين تم تعريب شمال إفريقيا وأسلمته ، وقد تم هذا التعريب ببطء عبر فترة زمنية طويلة امتدت من أيام عقبة بن نافع في القرن السابع ، إلى غاية وصول القبائل الهلالية .

وارتباطها الشديد بالإسلام منحها خصائص منها :

- أنها أصبحت ظاهرة جامعة تتجلى في مختلف مجالات الحياة المجتمعية القائمة على الاتصال الرمزي ، وأكثر تداولاً عبر مختلف الأنساق الاجتماعية كالأسرة ومؤسسات التعليم ودور العبادة ومؤسسات الاقتصاد ، ... مما بوأها مركزاً مرموقاً في الذاكرة الجماعية للمجتمع الجزائري .

2 - لكن اللغة العربية تظل دينامية رغم ثباتها واستقرارها ، فقد تبدلت عبر التاريخ ، في سياق التقدم التقني والتغير الاجتماعي.

<sup>1</sup> خولة طالب الإبراهيمي . مرجع سبق ذكره . ص 16 .

3 - كما اتصفت اللغة العربية بالعلائية -التي استمدتها من عليائية الإسلام- ، أي أنها فرضت نفسها على المجتمع الجزائري بصورة قد لا تكون واعية تماما ، فطغت على المجتمع بنماذجها وقواعدها ، مما جعلها كامنة ليس على مستوى الممارسة اللسانية فحسب بل في الضمير الجمعي للمجتمع .

ولكن اللغة العربية لم تسلم من الأدلجة والإقصاء في كثير من المواقف ، حيث لقيت في أغلب الأحيان ما لاقاه الإسلام من الشجب والنذب بسبب صراعات أيديولوجية ، حيث أن العلمانيين مثلا لا يعترفون بالدين مقوما من مقومات الهوية ، بينما يرى فيه الإسلاميون المقوم الأوحده ، إذ أن : **الفريق الأول** يتعمى بدافع ايديولوجي عن رؤية حقيقة موضوعية .

بينما **الفريق الثاني** يتحرك بدافع ايديولوجي أيضا ، فيضخم هذه الحقيقة حتى تغدو هي الحقيقة الوحيدة وكل ما سواها ضلالا .

كما أن القوميين العرب يعتقدون أن اللغة العربية هي أقوى مكونات الهوية العربية ، ولذلك ينظرون بعين الريبة والتوجس إلى اللهجات العامية ، ويربطونها بالتجزئة والقطرية ، ويذهبون إلى حد اعتبارها خطرا حقيقيا على الهوية .

والإسلاميون أيضا يتعصبون للعربية ، ولكن بدافع ديني وليس قومي ، فاللغة العربية بالنسبة إليهم تستمد قدسيته من الإسلام ، لأنها لغة القرآن، ومن هنا تجب المحافظة عليها والوقوف في وجه اللهجات المحلية المنافسة\* .

لكن للقطريين وبعضهم يرتدي لبوس اليسار ، رأي آخر ، فهم ينحازون إلى اللهجات العامية ، ويرون فيها تجسيدا للخصوصيات الوطنية ، على عكس اللغة الفصحى التي تبدو أقرب إلى لغة أجنبية منها إلى لغة وطنية<sup>1</sup> .

### 3 - التاريخ الوطني :

التاريخ الوطني هو كل ما سجل من أحداث على الرقعة الجغرافية المسماة الجزائر ، بصرف النظر عما تحمله الأحداث من مكونات اجتماعية ثقافية فنية تراثية فلكلورية ، ...وبكل الشخصيات والعلماء والمفكرين والأدباء ، ...وكل الآراء واتجاهات التفكير و...وكل الرموز كالعلم الوطني والنشيد الوطني و... ، منذ الأزل إلى غاية اليوم ، دونما

\* وإن كان هذا الطرح يوحى بالنظرة الضيقة التي لا تدع مجالا للأخر لينال حقه في الوجود .  
<sup>1</sup> محمد صالح الهرماسي . مرجع سبق ذكره . ص 31 .

تميز على أساس ديني أو لغوي أو عرقي ، إنه ببساطة كل ما تحتفظ به الذاكرة الجماعية للمجتمع الجزائري ، فتورة التحرير الكبرى بكل ما حملته من زخم بطولي تظل ملكا لجميع الجزائريين ، والعشرية السوداء تظل نكسة في تاريخ جميع الجزائريين بلا استثناء ، بعض الرموز تظل مفخرة لكل الجزائريين كشخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وبعضها الآخر تحسب على الجزائريين ، لكن في النهاية يتساوى السلبي والإيجابي في انتمائه للجزائر ، فكما ينتمي للجزائر يوغرطة وتاكفاريناس ، ينتمي أيضا الأمير عبد القادر وهواري بومدين ورابح درياسة والجرموني ، وكاتب ياسين وأحلام مستغانمي و... ، الأغنية الجزائرية ، والملاءة السوداء والحايك الأبيض والكسكس الجزائري و... وحتى مواقف الجزائر تجاه بعض القضايا الدولية كقضية فلسطين ، وقضية الصحراء الغربية و... هي مضامين لمراحل تاريخية عاشتها الجزائر وما زالت تعيشها ، محملة بمواقف مميزة صاغتتها الشخصية الجزائرية ، وظلت تحمل بصمات الهوية الجزائرية ، في المجال الجغرافي المسمى الجزائر .

إذا كانت الثقافة منتوجا اجتماعيا ، لا يوجد أبدا في حالة سكون لأنه يندرج في تاريخ العلاقات بين الجماعات ، ومن البديهي أنه لا ينتقل من جيل إلى جيل كما هو دون تحوير في الأشكال والمضامين ، ولتحليل أي نسق ثقافي ، ينبغي البدء بتوصيف الوضعيات الاجتماعية التاريخية التي يتبلور فيها ذلك النسق والتعاطي معه كما هو في الواقع ، لذلك تختلف الشخصيات باختلاف المواقف والمواقع وباختلاف الحقبة التاريخية ، لتتشكل في النهاية مجموعة من الخصائص والمميزات التي ينفرد بها شعب أو أمة ، دونما تمييز لوضعية الانتصار والانتكاس والطموح والخذلان والانتماء والتتكور و...

بعض الدراسات تسميها تراثا ، لكننا هنا آثرنا تسميتها بالتاريخ الوطني بدل التراث الوطني ، لأن الأمر يحيلنا إلى التطرق إلى التراث الإسلامي والتراث العربي و التراث الإفريقي و ....، ولعله الأكثر قبولا من طرف المبحوثين حيث أحرز هذا الجانب على المرتبة الثالثة بعد الدين واللغة العربية ، وفي اعتقادي لولا الرغبة والرغبة من الله لدى المبحوثين في ترتيبهم الإسلام أولا والعربية - كونها لصيقة الإسلام - ثانيا ، لاختراروا التاريخ الوطني في صدارة الهوية الجزائرية ، لأنه أكثر من يحمل بصمة الإنسان الجزائري ، النابعة من أعماقه .

4 - الأمازيغية :

تتوأت الأمازيغية المرتبة الرابعة ، ربما لأن كثيرا من المبحوثين ليسوا أمازيغ الأصل ، أو ربما يرون في الحديث عن الأمازيغية إثارة للنعرة القبلية ، أو ربما لا يرومون في الجزائر غير الوحدة -دون النظر فيما ستتحد عليه الجزائر - ... الأمر الذي يحيلنا إلى فتح مسألة أزمة الهوية الجزائرية ، التي يتم الولوج إليها عادة من بوابة المسألة الأمازيغية ، وتصفح نتائج الجدول رقم (07) يبيننا عن الأمر بوضوح حيث :

يبحث هذا الجدول اتجاهات الأساتذة تجاه بعض القضايا المتعلقة بالمسألة الأمازيغية ، والتي صنعت الأزمة في بيت الهوية الجزائرية ، حيث تفيد القراءة الإحصائية ما يلي :

شدة الاتجاه	أعراض بشدة		أعراض		غير متأكد		أوافق		أوافق بشدة		الشدة العبارة
	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
2.67	17.88	22	32.52	40	20.32	25	22.76	28	6.5	08	أويد ترسيم اللغة الأمازيغية كلغة أساسية في البلاد
2.57	17.07	21	17.07	21	58.53	72	5.69	07	1.62	02	أويد مطالب الحركات الأمازيغية
3.23	8.94	11	31.7	39	39.83	49	13	16	6.5	08	ستزول الأمازيغية في يوم من الأيام
2.93	8.13	10	28.45	35	30.08	37	28.45	35	4.87	06	الوجود الثقافي الأمازيغي محصور في الفلكلور فقط
3.17	3.25	04	34.14	42	13	16	41.46	51	8.13	10	أؤمن بالأمازيغ كجماعة عرقية ، لكن لا أؤمن بالدور الحضاري لغة الأمازيغية
3.17	8.94	11	19.51	24	25.20	31	37.39	46	8.94	11	فكرة ترسيم اللغة الأمازيغية فكرة غريبة وليست نابعة من المجتمع الجزائري
2.95											شدة اتجاه المحور

جدول رقم (07) اتجاهات المبحوثين نحو مسألة الأمازيغية

العبارة الأولى " أويد ترسيم اللغة الأمازيغية كلغة أساسية في البلاد " نسبة 32.52 % يرفضون ترسيم الأمازيغية كلغة أساسية في البلاد ، فيما يوافق على ذلك ما نسبته



22.76 % بينما لا يبدو متأكدا ما نسبته 20.32 %، في حين يرفض بشدة 22 أستاذًا ، أي بنسبة 17.88 % وأخيرا يوافق بشدة ما نسبته 6.5 % من الأساتذة ، وإذا استثنينا غير المتأكدين ، فإن نسبة المعارضة للفكرة تتفوق على الموافقة ، لتؤول شدة الاتجاه إلى قيمة 2.67 ، وهي قيمة سلبية تتجه نحو الحياد .

العبارة الثانية تقرأ أرقامها اتجاه المبحوث نحو "تأييد مطالب الحركات الأمازيغية" ، لكن ما يبدو واضحا أن الأساتذة يجهلون مطالب الحركات الأمازيغية أصلا ، وهذا ما يعتبر أمرا سلبيا ، فأن يجهل الإنسان العادي قضايا مصيرية في البلاد ، فهو أمر يمكن قبوله ، أما أن يجهل المتقف ذلك ، بل ولا يدري لماذا عاشت إحدى مناطق الوطن توترا حادا بسبب المسألة الأمازيغية فهو أمر أكثر من سلبي ، إذ تدل القراءة الإحصائية أن 72 فردا غير متأكدين من تأييد مطالب الحركات الأمازيغية ، أي بنسبة 58.53 % ، بينما يعارض ويعارض بشدة هذه المطالب نفس النسبة والمقدرة بـ 17.07 % ، أما الموافقون والموافقون بشدة لهذه المطالب فنسبتهم على التوالي 5.69 % و 1.62 % ، لتصل شدة اتجاه العبارة إلى 2.57 ، وهي نسبة سلبية ، ويشير التفسير السوسولوجي لهذه الأرقام ، إما لجهل الأساتذة لمطالب الحركات الأمازيغية ، وإما لرفض هذه المطالب من أساسها ، وإما لعدم الوثوق في الجهة التي تبنت هذه المطالب على أساس الأطروحة القائلة بأنها مطالب صيغت وراء البحر ، الأمر الذي ستفسره العبارة السادسة .

أما العبارة الثالثة "ستزول الأمازيغية في يوم من الأيام" فقد وردت سالبة المضمون ، تشير اتجاهات المبحوثين إلى أن نسبة 39.83 % من المبحوثين غير متأكدين من العبارة ، والمعارضون للعبارة تقدر نسبتهم بـ 31.70 % بينما المعارضون بشدة تقدر نسبتهم بـ 8.94 % ، في المقابل تصل نسبة الموافقين إلى 13.00 % فيما يوافق بشدة ما نسبته 6.50 % على زوال الأمازيغية في يوم من الأيام ، لتؤول شدة الاتجاه نحو بقاء الأمازيغية إلى 3.23 ، وهي قيمة إيجابية ، رغم التأثير الواضح لنسبة غير المتأكدين من زوال الأمازيغية المعتبرة ، وربما يعتقد المبحوثون أن الأمازيغية لن تزول بناء على بقاءها على السنة أصحابها منذ القدم ، رغم كل الاستعمارات التي تعاقبت على هذه البلاد ، ومحاولات النيل منها من طرف الاتجاه العروبي الرافض لأي لغة غير العربية ،

والاتجاه الإسلامي الذي مافتئ يبرر إقصائه للأمازيغية بأن العربية هي لغة القرآن وهي الأولى بالتعلم ، وأن تاريخ الجزائر قد بدأ بقدوم الفاتحين المسلمين للبلاد .

العبرة الرابعة " الوجود الثقافي الأمازيغي محصور في الفلكلور فقط " ، يحايد المبحوثون لدى حديثهم عن الوجود الثقافي الأمازيغي ومدى انحصاره في الفلكلور فقط بنسبة 30.08% ، بينما يتساوى الموافقون والمعارضون في النسبة المقدرة بـ 28.45% ، في حين تقدر نسبة المعارضين جدا بـ 8.13% ، ونسبة الموافقين جدا بـ 7.87% ، لتصل شدة اتجاه هذه العبارة إلى 2.93% ، وهي قيمة سالبة تتجه نحو الحياد ، بمعنى أن الوجود الأمازيغي غير محصور فقط في الفلكلور ، ومع ذلك فإن هناك عدد معتبر يعتقد أن الوجود الأمازيغي محصور فقط في الفلكلور وهو الأمر الذي لا يشجع على تنبي قضايا الأمازيغية ، ومعارضة مطالب الحركات الأمازيغية ، ذلك ما يظهر في وسائل الإعلام قلما يتعدى الغناء والرقص ، دون حضور للتراث الأمازيغي من قصص وحكم وأمثال وأشعار ، وكل ما يمكن أن يحمله المخيال الجزائري باللغة الأمازيغية ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 2.93 ، وهي قيمة سالبة.

العبرة الخامسة " أوّمن بالأمازيغ كجماعة عرقية ، لكن لا أوّمن بالدور الحضاري للغة الأمازيغية " يتفق مع العبارة من المبحوثين ما نسبته 41.46% ما يوحي بأن هذه النسبة العالية من المبحوثين تعرف الأمازيغ هم جزء من البعد العرقي في الجزائر ، لكنهم لا يعيرون اهتماما لما يحمله هؤلاء من خصائص وميزات ثقافية ، فيما يرفض آخرون الحديث عن الدور الأمازيغي في البلاد ، بل إن أدوار كل الجزائريين سواء ولا مجال للحديث عن عربي وأمازيغي درءا لأي اختلاف ، بينما يعارض ما نسبته 34.14% أن يكون الأمازيغ مجرد جماعة عرقية ، بل هم يحملون تراثا حضاريا خاصا بالمنطقة ، لكنهم عادة لا يميزون التراث الحضاري الأمازيغي ما إذا كان يمتد منذ القدم إلى غاية الآن ، أم أنه تراث يتوقف عند اعتناق المجتمع الجزائري الإسلام ، أما غير المتأكدين فنسبتهم 13.00% يليهم الموافقون جدا بنسبة 8.13% وأخيرا المعارضون جدا بنسبة 3.25% ، لتؤول قيمة الاتجاه إلى 3.17 .

العبارة السادسة " فكرة ترسيم اللغة الأمازيغية فكرة غريبة وليست نابعة من المجتمع الجزائري" يعتقد ما نسبته 37.39% من المبحوثين أن ترسيم الأمازيغية مشروع صيغ وراء البحر والمقصود به تشتيت الجزائريين بدليل صياغة بعض المصطلحات في فرنسا ، وكالعادة تجد نسبة معتبرة من المبحوثين نفسها غير متأكدة من العبارة ، لتقدر هذه المرة بـ 25.20% ، تليها نسبة المعارضين للفكرة والمقدرة بـ 19.51% حيث يعتبر أصحاب هذه النسبة أن ترسيم الأمازيغية مطلب نابع من المجتمع الجزائري ، بل ولهم الحق في ذلك ، أما الموافقون بشدة والمعارضون بشدة فإن نسبتهما متساوية وهي مقدرة بـ 8.94% ، وبهذه الصورة تؤول شدة هذا الاتجاه إلى القيمة 3.17 ، وهي قيمة إيجابية ، أي أن المبحوثين يميلون إلى أن فكرة ترسيم الأمازيغية فكرة غريبة .

وإذ يجمع هذا الجدول شتات الأفكار حول مسألة الأمازيغية ، فإن النتائج قد أسفرت عن سلبية اتجاه المبحوثين نحو ترسيم اللغة الأمازيغية في الجزائر ، وكذا نحو تأييد مطالب الحركات الأمازيغية ، حيث يعتقد كثير من الجزائريين بأن فكرة ترسيم الأمازيغية فكرة غريبة وليست نابعة من المجتمع الجزائري ، رغم اعتقاد عدد كبير بأن الأمازيغية لن تزول مع الأيام ، ربما لاعتقاد عدد لا بأس به من المبحوثين بأن الوجود الثقافي الأمازيغي محصور في الفلكلور لا غير ، رغم الاعتراف بالوجود الفعلي للعنصر الأمازيغي ، إلا أن الدور الحضاري المأمول منهم كفاعلين في الثقافة الأمازيغية لا فائدة ترجى منه .

إن المتأمل في أرقام الجدول يجد أن نسبة "غير متأكد" قد طغت عليه ، حتى أن هناك سبعة استمارات أجابت عن كل الأسئلة المتعلقة بالأمازيغية بـ "غير متأكد" ، وهذا في تقدير الدراسة يعود إلى

- المكون العاطفي للمبحوث الذي يرفض الأمازيغية دونما معرفة بها ، نظرا للاتجاهات التي تكونت لديه عبر الزمن ، أو ربما عبر مواقف سابقة .
- المعرفة بالأمازيغية مع الإنكار خشية إحداث الفتن ، وإيقاظ النعرات العرقية ، للمحافظة على الوضع مستقرا في البلاد.
- المعرفة بالأمازيغية مع عدم تقبل تعددية ثقافية في البلاد ، والرغبة في إقصاء الأمازيغية حتى من دائرة التفكير بها .

- عدم المعرفة بالأمازيغية ، وهذا هو الأدهى والأمر ، فإن يجهل المثقف أهم القضايا التي تصنع الأزمة في هوية المجتمع الجزائري ، وأن ينزوي في خانة الحياد فهو أمر يقلل من شأنه كمثقف ، حيث الأولى به أن يدلي برأيه ويناقش مختلف الأفكار والاتجاهات ، ويسعى لإيجاد الحلول ، بل أن يكون ملما بما يجري على الساحة الوطنية ، بل وأن يقود مسيرة الوفاق بين مختلف التيارات ، لا أن يكون سلبي الموقف .

وإزاء هذه الردود تصل شدة اتجاه المحور إلى 2.95 ، وهي قيمة سلبية تقترب من

الحياد .

والواقع أن اتجاهات المبحوثين لم تختلف كثيرا عن اتجاهات الرأي العام في المجتمع الجزائري وكذا مواقف وآراء مختلف الأدباء والمفكرين ، حسب ما ورد في مختلف الكتب والمؤلفات وكذا المقالات المنشورة على صفحات الأنترنت ، ومن خلال سطور الإضافات التي ذيلت الاستمارة كثيرا ما تطرق المبحوثون إلى مسألة الأمازيغية ، ونصحوا بعدم إثارة النعرات العرقية لأن المجتمع الجزائري في غنى عن أية فرقة أو تشتت ، ودعا معظم من ذيل الاستمارة برد خاص إلى ضرورة الوحدة والاتفاق على ثقافة واحدة بين أبناء الوطن ، لكنهم لم يتطرقوا إلى الحيثيات التي سيتم الاتفاق عليها ، ولعل معظم هؤلاء يرمي إلى تبني الثقافة الإسلامية والثقافة العربية دون سواهما ، وهم في الأمر يفكرون على شاكلة أحمد بن نعمان إذ قال : "...إن أي طرح للمسألة البربرية على أي أساس داخل أي قطر عربي مغربي على حدة ، هو طرح تفتيتي انعزالي انفصالي عن بقية سكان المناطق الأخرى داخل القطر الواحد ، ناهيك عن الوطن الأكبر الذي كان وما يزال يصبو إلى تحقيقه كل المخلصين من الموحدين في هذه الأمة " <sup>1</sup>.

### ثالثا : محور مواجهة العولمة بالانعزال

يعتبر الانعزال واحدا من بين آليات التفاعل مع الآخر من أجل إثبات الوجود ، ويعني الانعزال هنا غلق الأبواب والنوافذ إزاء السلع الوافدة من الخارج ، سواء كانت سلعا مادية أم معنوية كالأفكار ومختلف الآداب والفنون ، وكانت إجابات المبحوثين كما يلي :

<sup>1</sup> أحمد بن نعمان . فرنسا والأطروحة البربرية ، الخلفيات الأهداف الوسائل والبدائل . دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع . ط2 . الجزائر . 1997 . ص10 .

شدة الاتجاه	أعارض بشدة		أعارض		غير متأكد		أوافق		أوافق بشدة		الشدة العبرة
	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
1.95	26.82	33	59.34	73	8.94	11	1.62	02	3.25	04	الانعزال عن الفكر العالمي من شأنه أن يحمي مجتمعنا من مخاطر العولمة
2.27	20.32	25	47.96	59	17.07	21	13	16	1.62	02	يإمكان الهوية المحلية الاستغناء عن أي أفكار وافدة من الخارج
2.30	23.57	29	45.52	56	13	16	13	16	4.87	06	الاكتفاء بثقافة محلية واحدة أفضل من تبني بعض من الثقافة العالمية
2.17											شدة اتجاه الحور

جدول رقم ( 08 ) اتجاه المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعولمة بالانعزال

العبرة الأولى " الانعزال عن الفكر العالمي من شأنه أن يحمي مجتمعنا من مخاطر العولمة" ، يعارض المبحوثون فكرة الانعزال عن الفكر العالمي بنسبة 59.34 % ، بينما يؤيد ما نسبته 1.62 % الانعزال ، ربما لأن العملية تبدو مستحيلة من كل الجهات ، حيث أنه في عهد الأقمار الصناعية عابرة القارات والانترنت والفيديو والهاتف المحمول و...وكل الوسائل التي آلت بالكرة الأرضية إلى الانكماش والتشبه بالقرية ، تبدو كل الدول والأمم مكشوفة لبعضها البعض ، فمن المستحيل أن تضرب الدولة طوقا عن نفسها حفاظا على هويتها من تأثير الدول الأخرى ، فحتى الحروب تغيرت إيقاعاتها ووسائلها وأماكنها ، وأكثر من ذلك فمواثيق الأمم المتحدة ، والمحكمة الدولية ومنظمة حقوق الإنسان و....من شأنها أن تتدخل في الشؤون الطارئة للأمم شاءت أم أبت ، لذلك باتت العلاقات الدولية روادع في وجه الأمم التي تروم الاعتزال عن المجتمع الدولي ، الأمر الذي آل بالمبحوثين إلى شدة سلبية قيمتها مقدرة بـ 1.95 .

العبرة الثانية " بإمكان الهوية المحلية الاستغناء عن أي أفكار وافدة من الخارج " حظيت العبرة بالمعارضة بنسبة 47.96 % ، وبالمعارضة الشديدة بنسبة 20.32 % ، الأمر الذي أفضى بشدة الاتجاه إلى القيمة السالبة المقدرة بـ 2.27 ، ما يوحي بأن الانكفاء على الذات لا يؤدي إلى الانسحاب من المجتمع الدولي فحسب وإنما إلى عدم

الانتشار الحضاري ، وبالتالي التآكل الثقافي الذي يتم بالتدرج مما يهيئ للخور والوهن وعدم القدرة على الصمود والمحافظة على الذات ، نظرا لعدم مواكبة جديد التفكير البشري من إبداع وابتكار .

العبارة الثالثة " الاكتفاء بثقافة محلية واحدة أفضل من تبني بعض من الثقافة العالمية " يعارض المبحوثون العبارة بنسبة تقدر بـ 45.52% ويعارضون بشدة بنسبة 23.57% ، وهي قيم معتبرة ، الأمر الذي رجح الكفة إلى الجهة السلبية حيث تؤول شدة الاتجاه إلى قيمة 2.30 ، ومع ذلك هناك نسبة 13% توافق على العبارة ، ربما لتقتها الكبيرة بأن ما تكتنزه الثقافة المحلية وما تعبر عنه الهوية المحلية أحسن بكثير مما لدى الطرف الآخر الممثل للعولمة ، على اعتبار أن الإسلام الذي أرسل إلى العرب - في فترة الجاهلية- وكانوا قبائل متفرقة لا مجد ولا حضارة تذكر لهم ، استطاع توحيدهم ، وإخراج منهم وبهم خير أمة أخرجت للناس ، وإن تكن هذه الفكرة الأخيرة تمد أصحابها بالقوة والثقة بالنفس ، إلا أن الأعمال التي لا تتجاوز المستوى النظري والطموحات والأحلام عادة لا تؤتي ثمارها في غياب العمل الصالح .

لقد آل الجدول إلى شدة اتجاه مقدرة بـ 2.17 وهي قيمة سالبة ، وهو أمر يدل على أن الانعزال والتفوق بعيدا عن الفكر العالمي والمجتمع الدولي بشكل عام أمر مرفوض .

#### رابعا : محور مواجهة العولمة بالعنف والمناهضة

هذا المحور يعبر عن آلية من آليات التفاعل مع الآخر ، حيث بعض الناس لا يرون العلاقة مع الآخر إلا في صورة مواجهة مسلحة أو عنيفة أو رفض أو إقصاء أو نبذ أو شتم أو...ما إلى ذلك ، ويعتقد كثيرون أيضا أن تفجير بعض المواقع الحساسة في المجتمعات التي تراعي العولمة ، سيحد من غزوها لنا ، لكن واقع الأمر يثبت غير ذلك ، فبعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ، ورغم الخسائر التي تكبدتها الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا أن ذلك ما زادها إلا قوة وطغيانا ، حتى أصبحت تتبوأ مقعد شرطي العالم بأسره .

شدة الاتجاه	أعراض بشدة		أعراض		غير متأكد		أوافق		أوافق بشدة		الشدة العبارة
	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
2.00	34.14	42	47.96	59	5.69	07	8.13	10	4.06	05	يجب ضرب المصالح الأمريكية والغربية في بلادنا ، كرد فعل على التدخل في شؤوننا.
2.03	26.01	32	49.59	61	21.13	26	1.62	02	1.62	02	أؤيد تفجيرات 11 سبتمبر 2001 .
1.87	36.58	45	43.90	54	14.63	18	4.87	06	00	00	ضرب المصالح الأمريكية والغربية عموما سيوقف زحف العولمة .
2.12	26.82	33	49.59	61	11.38	14	8.94	11	3.25	04	مناهضة العولمة حل استراتيجي للدفاع عن هوية المجتمع
2.08	19.51	24	58.53	72	16.26	20	5.69	07	00	00	مناهضة العولمة بالنظائر والاحتجاج يوقف زحفها إلينا
2.02											شدة اتجاه المحور

جدول رقم ( 09 ) اتجاه المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعولمة بالعنف والمناهضة .

إلى جانب العنف نجد المناهضة أيضا كإستراتيجية يتبناها بعض الناس والجهات - حركات ، جمعيات ، منظمات ، ...- للتعبير عن رفضهم للعولمة بشتى رموزها ومؤسساتها ونظمها وكل ما يمت لها بصلة، حيث كثيرا ما تطالعنا الأخبار بصور أناس يتظاهرون أثناء اجتماعات الدول الثمانية\* أو الدول الغنية بشكل عام ، للتعبير عما لحقهم من أضرار بسبب سياسات النسق العولمي ، مما اضطر كثيرا من الدول إلى غلق مصانعها وتسريح عمالها ، أو انتهاج سياسة التقشف أو... أو إرسال بعض الدول العظمى لجنودها إلى مختلف بؤر التوتر في العالم أو ....لذلك صممت هذه العبارات لتستقرأ اتجاهات الأساتذة نحو مسألة العنف والمناهضة حيث :

العبارة الأولى " يجب ضرب المصالح الأمريكية والغربية في بلادنا ، كرد فعل على التدخل في شؤوننا" ، أبدى الأساتذة معارضة بنسبة 47.96% ومعارضة شديدة بنسبة 34.14 %، لاعتقادهم ربما بأننا من سمح لهم بالتدخل في شؤوننا ، أو ربما ضعفنا أبقى كل نوافذنا

\* الدول الثمانية هي : الولايات المتحدة الأمريكية ، اليابان ، ألمانيا ، روسيا ، إيطاليا ، إنجلترا ، فرنسا ، كندا .

مفتوحة لكل من أراد العبث في بيتنا ، وفي المقابل يؤيد ما نسبته 8.13 % من المبحوثين ضرب المصالح التي ترمز للعولمة في بلادنا لأنهم يعتقدون أن الغرب هو السبب في كل المآسي والتخلف الذي تعيشه بلاد العالم العربي والإسلامي ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 2.00 ، وهي قيمة سالبة.

العبارة الثانية " **أويد تفجيرات 11 سبتمبر 2001** " ، صيغت هذه العبارة كمثال حي ، شهد العالم فصوله ، وأسأل من الحبر الكثير بين مؤيد لهذا العمل ومعارض ، حيث سمته جهات عملا إرهابيا ، وسمته جهات أخرى عملا فدائيا ، وجهات أخرى عملا جهاديا ، فيما سمي أيضا عملا انتحاريا ، و...بيد أن مبحوثي هذه الدراسة يعارضون تفجيرات 11 سبتمبر 2011 بنسبة 49.59 ، ويعارضون بشدة بنسبة 26.01 ، فيما أيد وأيد بشدة أربعة أفراد هذه التفجيرات ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 2.03 ، وهي أيضا قيمة سالبة .

العبارة الثالثة " **ضرب المصالح الأمريكية والغربية عموما سيوقف زحف العولمة** " يعارض المبحوثون العبارة بنسبة 43.90 %، ويعارضونها بشدة بنسبة 36.58 % ، بينما لا يؤيد إلا نسبة 4.87 % ، وهي نسبة قليلة جدا مقارنة بنسبة المعارضة ، الأمر أدى بشدة الاتجاه إلى القيمة 1.87 ، وهي قيمة سالبة .

العبارة الرابعة " **مناهضة العولمة حل استراتيجي للدفاع عن هوية المجتمع** " ، ربما كانت المناهضة أقل حدة في الخطاب وأقل دموية في الممارسة ، لذلك لا يعارضها المبحوثون بنفس النسب المئوية التي سجلها بخصوص العنف ، حيث عارضوا العبارة بنسبة 49.59 % وعارضوها بشدة بنسبة 26.82 % ، فيما وافق على المناهضة ما نسبته 8.94 % ووافق بشدة 3.25 % من المبحوثين ، لتصل شدة الاتجاه إلى القيمة 2.12 .

العبارة الخامسة " **مناهضة العولمة بالتظاهر والاحتجاج يوقف زحفها إلينا** " ، يعارض المبحوثون العبارة بنسبة 58.53 % ويعارضونها بشدة بنسبة 19.51 % ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 2.08 ، وهي قيمة سالبة أيضا .



من خلال الجدول يتضح أن المبحوثين لا يؤيدون رد الفعل السريع المتمثل في أي شكل من أشكال العنف ضد أي جهة تمثل العولمة ربما لوعيهم بأن العنف لا يأتي إلا بالعنف ، أو أن العنف ليس سبيلا للحفاظ على الهوية ولإيقاف زحف العولمة ، ونفس الأمر ينسحب على مناهضة العولمة ، حيث آلت شدة اتجاه الآلية إلى القيمة 2.02 ، وهي قيمة سالبة .

### خامسا : محور مواجهة العولمة بالحوار الحضاري

يمثل هذا المحور أيضا آلية من آليات التفاعل مع الآخر لإثبات الوجود ، إذ من المؤكد أن العلاقة بين الثقافات ، بما فيها تلك التي عرفت نوعا من الجوار والحوار أيا كان نوعه ، قد كانت دائما علاقة صعبة ومعقدة ، لأن كل علاقة لا بد وأنها تتطوي على نوع من الصراع والسلطة ، إن لم نقل على نوع من التسلط والهيمنة ، ولعل أهم انشغال يثار حول الموضوع ، هو مدى إمكانية الحديث عن الحوار الحضاري في عالم أحادي القطب ، مما يغيب بعض المعايير الكفيلة بإنجاح الحوار ، ويستقرأ الجدول الآتي اتجاهات المبحوثين نحو إمكانية التحوار في عالم أحادي القطب حيث :

شدة الاتجاه	أعراض بشدة		أعراض		غير متأكد		أوافق		أوافق بشدة		الشدة العبارة
	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
3.90	3.25	04	4.87	06	20.32	25	41.46	51	30.08	37	لا بديل عن الحوار بين الثقافات لصد هجوم العولمة علينا
3.31	9.75	12	39.83	49	27.64	34	17.88	22	4.87	06	الهوية والثقافات المحلية لن تصمد أمام العولمة
3.68	28.45	35	38.21	47	11.38	14	17.07	21	4.87	06	يجب للدول المتقدمة التدخل في الشؤون الثقافية للدول المتخلفة ما دامت عاجزة عن إدارة شؤونها
3.63											شدة اتجاه المحور

جدول رقم ( 10 ) اتجاه المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعولمة بالحوار الحضاري

العبارة الأولى " لا بديل عن الحوار بين الثقافات لصد هجوم العولمة علينا " ، رغم أن الحوار ليس البديل الوحيد أو الآلية الوحيدة لصد هجوم العولمة ، إلا أن

المبحوثين يوافقون على العبارة بنسبة 41.46 %، ويوافقون بشدة بنسبة 30.08 %، فيما يعارض ما نسبته 4.87 % ويعارض بشدة ما نسبته 3.25 % ، وربما يعود سبب المعالضة إلى عدم الوثوق بجدوى الحوار الحضاري ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 3.90 .

العبارة الثانية " الهوية والثقافات المحلية لن تصمد أمام ثقافة العولمة "، هي عبارة سالبة المضمون ويبدو أن نسبتي 17.88 % و 4.87 % من المبحوثين يدخلون الحوار بنفسية منهزمة تجاه ثقافة العولمة بإقرارهم مسبقاً بأن الهوية المحلية بكل ما تحمل من ثقافة لن تستطيع الصمود في وجه العولمة ، بينما تعارض نسبة 39.83 % العبارة ، على اعتبار أن الدخول في الحوار لا يعني تكريسا لمنطق الغالب والمغلوب بقدر ما يعني تكريسا وإرساء لثقافة الاختلاف ، مع محاولة تقليص مساحات الاختلاف المؤدية للتصادم والصراع ، هذا دون إغفال النسبة المعتبرة لغير المتأكدين والمقدرة بـ 27.64 % ، لتؤول شدة الاتجاه في الأخير إلى القيمة 3.31 .

العبارة الثالثة " يحق للدول المتقدمة التدخل في الشؤون الثقافية للدول المتخلفة ما دامت عاجزة عن إدارة شؤونها"، عبارة سالبة المضمون ، لأن تدخل أي طرف في الشؤون الثقافية للطرف الآخر إخلال بشروط الحوار الحضاري الصحيح ، لذلك يعارض المبحوثون العبارة بنسبة 38.21 % ويعارضون بشدة بنسبة 28.45 % ، فقد يكون مقبولا أن تتدخل الدول المتقدمة في الشؤون السياسية أو الاقتصادية للدول المتخلفة ، أما الشؤون الثقافية فلكل مجتمع نمطه في العيش الذي يتميز به عن غيره من المجتمعات .

ومع ذلك يوافق على العبارة من المبحوثين ما نسبته 17.07 % ، ويوافق بشدة ما نسبته 4.87 %، إما لأن هؤلاء المبحوثين لا يقيمون اعتبارا لثقافة الدول المتخلفة ، ويعتبرونها غير ذات قيمة ، ويتمنون استبدالها بثقافة العولمة ، وإما أنهم مستسلمون ويرون أن من حق النسق العولمي التدخل في كل شؤون الدول المتخلفة ، بما في ذلك الشؤون الثقافية .

بيد أن الكفة ترجح لمن يرفضون التدخل في الشؤون الثقافية للدول الأخرى مهما كان شكلها ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 3.68 .

من خلال العبارات الثلاث آنفة الذكر يتبين أن الحوار الحضاري والثقافي هو آلية من آليات الدفاع عن هوية المجتمع المحلي في وجه العولمة ، حيث بلغت شدة المحور القيمة 3.63 ، وهي قيمة موجبة .

### سادسا : محور مواجهة العولمة بالتنمية البشرية المستدامة

تعتبر التنمية البشرية المستدامة رهانا لمختلف الدول والمجتمعات في سبيل الحفاظ على هويتها نقية من كل الشوائب، إذ أن صناعة الإنسان السليم في فكره وعلمه وعقيدته وأخلاقه وسلوكه ومعاملاته ، من شأنه أن يوفر العديد من أساليب المواجهة ، وتضطلع الأسرة والمدرسة والجامعة ومختلف المؤسسات الاجتماعية بهذه الصناعة ، وقد أجاب الأساتذة عن العبارات المتعلقة بالموضوع بما يلي :

العبارة الأولى " التنمية البشرية المستدامة أحسن وسيلة لتحسين الهوية " يبدو أن المبحوثين يدركون جيدا أن تنمية الإنسان هي مفتاح كل الأبواب المغلقة في وجه الهوية لتحقيق ذاتها ، حيث يوافق المبحوثون على العبارة بنسبة 73.98% ويوافقون بشدة بنسبة 24.39% فيما لا يعارض أحد على العبارة لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 4.22 .

شدة العبارة	أوافق بشدة		أوافق		غير متأكد		أعارض		أعارض بشدة	
	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
التنمية البشرية المستدامة أحسن وسيلة لتحسين الهوية	30	24.39	91	73.98	02	1.62	00	00	00	00
لا علاقة للتربية الأسرية بمواجهة تحديات العولمة .	04	3.25	04	3.25	05	4.06	54	43.9	56	45.52
الحفاظ على الهوية الوطنية يبدأ من المدرسة	56	45.52	51	41.46	07	5.69	09	7.31	00	00
البحث العلمي هو سبيل للحفاظ على الهوية المحلية	54	43.9	59	47.96	06	4.87	04	3.25	00	00
تنشيط عملية التعليم بكل أنواعه يساعد على مواجهة الآثار السلبية للعولمة	55	44.71	64	52.03	00	00	00	00	04	3.25
شدة اتجاه المحور	4.27									

جدول رقم(11) اتجاهات المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعولمة بالتنمية البشرية المستدامة

العبارة الثانية " لا علاقة للتربية الأسرية بمواجهة تحديات العولمة " عبارة سالبة ، والغرض منها أن مواجهة تحديات العولمة إنما تبدأ من الأسرة وتنتهي إليها ، وذلك بالتربية الخلقية والروحية والعقلية ، وتنشئة الأفراد بنقل القيم المتوارثة لتحصينهم ضد أي قيم ترمي إلى استئصال جذورهم الفكرية والعقيدية من الحياة الاجتماعية ، حيث يعارض المبحوثون كون الأسرة لا علاقة لها بتحديات العولمة بنسبة 43.9% ، ويعارضون بشدة بنسبة 45.52% ، فيما تشترك نفس نسبة 3.25% لدى الموافقين والموافقين جدا ، الأمر الذي يؤول بشدة اتجاه العبارة إلى القيمة 4.25 ، وهي قيمة موجبة .

العبارة الثالثة " الحفاظ على الهوية الوطنية يبدأ من المدرسة " ، يدرك المبحوث جيدا أن الحفاظ على الهوية إنما تتكامل فيه الأسرة والمدرسة ، كل حسب مجاله ، حيث يكون ذلك عن طريق الدروس اليومية والكتاب المدرسي ومختلف الممارسات التي ترمي إلى ترسيخ هوية المجتمع المحلي ، كتعليم القيم التي لا تضطلع الأسرة بها كتحية العلم ... لذلك يوافق المبحوثون بشدة على العبارة بنسبة 45.52% ، ويوافقون بنسبة 41.46% ، فيما يعارض 09 أفراد فقط هذه العبارة ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 4.25 ، وهي قيمة موجبة .

العبارة الرابعة " البحث العلمي هو السبيل للحفاظ على الهوية المحلية " ، ولأن الأسئلة موجهة للأستاذ الجامعي ، فهو يدرك جيدا ما يرمي إليه التعليم العالي ، والبحث العلمي بشكل خاص ، فالأهم إنما تتمايز عن بعضها بما لديها من إنجازات وقدرات معرفية ، ولذا فإن نسبة 47.96% من المبحوثين يوافقون على العبارة و نسبة 43.9% يوافقون بشدة ، فيما لا يعارض سوى نسبة 3.25% ، الأمر الذي يجعل شدة اتجاه العبارة تؤول إلى القيمة 4.32 .

العبارة الخامسة " تنشيط عملية التعليم بكل أنواعه يساعد على مواجهة الآثار السلبية للعولمة" يتجه المبحوثون إلى أن التعليم بكل أنواعه\* العالي والابتدائي ومحو الأمية والتكوين المهني ، و.... كلها أساليب يجب أن تجند لمحو الآثار السلبية للعولمة ،

\* ينبغي الاعتراف بأن الجزائر تتميز عن غيرها من الدول العربية في مجال إتاحة التعليم لكل الأفراد بلا استثناء ، فعلاوة على مجانية التعليم وإجباريته ، توفر الدولة محو الأمية لمن لم يلتحقوا بالمدرسة أصلا ، وتوفر التعليم عن بعد لمن لم تسعفهم الظروف لإكمال دراستهم ، وتوفر التكوين المهني لذوي الميولات الفنية الخاصة وللمن تسربوا من المدرسة ، وتوفر التكوين المتواصل لمن لم تسعفهم انشغالاتهم وأعمالهم اليومية من الالتحاق بالجامعة ، هذا إلى جانب الجمعيات التي تسهر على تحفيظ القرآن الكريم وتلقين تعاليم الدين الإسلامي للصغار والكبار على السواء .

حيث ينقسم المبحوثون بين موافق وموافق جدا ، ولا يعكس صفو هذه النتيجة إلا 04 أفراد يعارضون جدا ، مواجهة التعليم للآثار السلبية للعولمة ، لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 4.34 .

خلاصة القول يدرك المبحوثون جيدا أن الأسرة والمدرسة والجامعة إلى جانب مؤسسات اجتماعية أخرى بكل الأساليب هي الأدوات الصحيحة للحفاظ على الهوية المحلية واستئصال الآثار السلبية للعولمة ، لأن إرادة الحفاظ على الهوية إنما هي إحساس ورغبة داخلية قبل كل شيء ، ولن تستطيع أي مؤسسة خارجية أن تحفظ هوية المجتمع المحلي ، إن الحفاظ على الهوية المحلية لا يعني فقط ألا تذوب في الهويات الأخرى الوافدة ، وإنما بقوتها ورسالتها لن يتوق أصحابها إلى هويات غيرهم ، خاصة إن كان هذا الآخر غازيا أو محتلا ، أو مستنزفا لثروات البلاد تحت مختلف الذرائع والأغطية ، ولذلك آلت شدة اتجاه الجدول إلى القيمة 4.27 ، وهي قيمة موجبة .

هذا وتحت عنوان "الثروة الحقيقية للأمم: مسارات إلى التنمية البشرية"، أعلنت منظمة الأمم المتحدة يوم الخميس 04 نوفمبر تقرير التنمية البشرية لعام 2010، و يشير التقرير إلى أن الجزائر حققت تقدما كبيرا في مجال التنمية البشرية ، و أنها تعد من بين 10 بلدان في العالم ذات تنمية بشرية عالية في ضوء التغيرات التي شهدتها البلاد و السياسات المنتهجة لتحسين رفاهية المواطنين ، حيث عرفت تطورا بنسبة 53% خلال الفترة الممتدة من 1980 إلى 2010 و أن التطور الذي حققته في مؤشر التنمية البشرية مهم جدا، و أنها تحتل المرتبة التاسعة عالميا ضمن الدول التي حققت "أسرع تقدم في مجال التنمية البشرية من حيث المؤشر المفصل للتنمية البشرية خلال الفترة 1970 – 2010" ، بعد كل من السعودية التي جاءت في المرتبة الخامسة و تونس السابعة و قبل المغرب بالمرتبة العاشرة ، في حين احتلت المرتبة الخامسة عالميا ضمن الدول التي حققت أسرع تقدم في مجال التنمية البشرية من حيث "المؤشر غير النقدي للتنمية البشرية" أي خارج الناتج الداخلي الخام مما يثبت سداة و نجاعة السياسات العمومية الموجهة لبلوغ هذا الهدف بالنظر إلى الجهود المبذولة خلال الفترة 1999 – 2010 ، موضحا أن "مصدر هذا التقدم ليس إيرادات النفط والغاز كما قد يفترض"، بل هو نتيجة "

للإنجازات الكبيرة التي حققتها هذه البلدان في الصحة و التعليم، أي في البعدين غير المرتبطين بالدخل من دليل التنمية البشرية<sup>1</sup>.

• وحسب دليل التنمية البشرية لعام 2010، فقد جاءت الجزائر في المركز 84 محققة تقدما بـ 20 نقطة بعدما كانت العام الماضي في المرتبة 104 وبهذا أصبحت تنتمي إلى فئة التنمية البشرية المرتفعة ، لكن رغم هذا التقدم تبقى الجزائر في المركز الأخير بين الدول العربية ذات التنمية البشرية المرتفعة .

• أما فيما يتعلق بتطور مؤشر دليل التنمية البشرية فتفيد البيانات ، أن هذا المؤشر يعرف تطورا مطردا على مدى 20 سنة ، حيث انتقل من 0,537 سنة 1990 إلى 0,602 سنة 2000 وإلى 0,677 سنة 2010 ، و يعود انخفاض المؤشر في فترة التسعينيات إلى الظروف المالية و الاقتصادية و الاجتماعية التي سادت الجزائر آنذاك والتي انعكست سلبا على مسار التنمية بصفة عامة ، و لكن بفضل الجهود التي بذلت من خلال تطبيق بعض الإجراءات خاصة مع حلول الألفية الجديدة ضمن برامج الإنعاش الاقتصادي و برامج دعم النمو و إنجاز الاستثمارات في مجالات الصحة و التعليم و السكن وغيره من القطاعات بدأ يعرف مؤشر دليل التنمية البشرية تحسنا سنة تلو الأخرى ، حيث انتقل من 0,564 سنة 1995 إلى 0,651 سنة 2005 و إلى 0,677 سنة 2010 مما سمح للجزائر بأن تحرز على ترتيب 84 عالميا وبالتالي انتقلها من فئة التنمية البشرية المتوسطة سنة 2009 إلى فئة التنمية البشرية المرتفعة.

وبالرغم من المكانة التي احتلتها الجزائر ضمن تقرير 2010 إلا أنها لم ترق إلى طموحات ممثلي الحكومة، حيث "عبر بعض الأعضاء كوزير الصناعة و وزير التضامن عن تدمرهم من هذه النتائج، و أنها تبقى دون المستوى المرغوب بالنظر إلى الإنجازات التي حققت في مجالات الصحة، التعليم المياه و الصرف الصحي... الخ"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> نصيرة قوريش . مرجع سبق ذكره . ص 34 .

• تحتل دولة الإمارات العربية المتحدة المركز الأول بين الدول العربية ذات التنمية البشرية المستدامة المرتفعة ، و في المرتبة 32 على الصعيد العالمي، ما يجعلها في فئة البلدان ذات التنمية البشرية المرتفعة جدا. كما جاءت قطر و البحرين في المركزين 38 و 39 على التوالي و الكويت في المركز 47 و ليبيا 53 و السعودية 55 و تونس 81، و الأردن 82 ضمن فئة التنمية البشرية المرتفعة ، فيما تم إسقاط من نفس التقرير كلا من العراق، فلسطين، لبنان نظرا لعدم توفر البيانات عن جميع عناصر دليل التنمية البشرية باستثناء الدخل القومي الإجمالي.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق . ص 34 .

### سابعا : محور مواجهة العولمة بالتنمية الاقتصادية المستدامة

ربما كان مؤشر التنمية البشرية المستدامة أمرا نحس به جميعا ، لإدراكنا أن الحفاظ على هويتنا لا بد أن ينبع من داخلنا ، وأن التنمية البشرية تعني ببساطة في حالتنا نحن الجزائريين تغيير الذهنية ، تغيير ذهنية التواكل والاعتماد على ما يأتينا جاهزا من وراء البحر ما دمنا نملك النفط والأرض الشاسعة الصالحة للزراعة والمناخ المتنوع والموقع الاستراتيجي العام والثروة المعدنية والطاقة الشبانية الهائلة ...إلى إرساء ثقافة العمل والاجتهاد والبحث الدؤوب عن مواطن الخلل لتصحيحها ، ومواطن النقص لاستكمالها ، ومواطن الكمال لتنميتها ، ... بيد أن التنمية الاقتصادية هي المؤشر الأكثر وضوحا ، حتى أن بعض المبحوثين أشار قائلا : "حين يقوى اقتصادنا ، ونحقق الاكتفاء الغذائي ، ونصنع بأيدينا ما نأكل ونلبس ، فلن نفكر بخوف في هويتنا ، ...إن الاقتصاد هو السبيل الوحيد للمحافظة على الهوية المحلية ، وما سواه مجرد كلام ، ..." وعلق مبحوث آخر قائلا : " لقد غزت أوروبا وأمريكا العالم بواسطة الاقتصاد الذي مهد لها الطريق لنشر ثقافتها ....علينا أن نرد بالمثل ، أي بنفس الأسلوب ، إن التنمية البشرية وأساليب الحفاظ على الهوية تضييع للوقت ، الاقتصاد هو حل كل المعضلات ، والتخلص من التبعية الاقتصادية هو تخلص من كل أنواع التبعية ..." لهذه الأسباب كانت العبارات الخاصة بالمؤشر الاقتصادي أكثر من غيرها - رغم أن ذلك يخل بالجانب الشكلي لمنهجية البحث ، إلا أن جماعة البحث رأت أن الانفلات العرضي من قيود المنهجية لصالح بناء الأفكار ، بإعطاء كل قضية حقها في المناقشة حسب حجمها ووزنها الفكري داخل الأطروحة أمرا طرح نفسه بإلحاح ، فلإن تضمنت الأطروحة خلافا في المنهجية ، فحسبنا أن ذلك قد يكون بديلا لما قد يحدث من خلل في معالجة القضايا-، وقد تضمن محور التنمية الاقتصادية المستدامة جملة من العبارات التي رسم من خلالها المبحوثون اتجاهاتهم كما يلي :

العبارة الأولى " التحرر من التبعية الاقتصادية هو تحرر من قبضة العولمة " ، يبدو أن الأستاذ الجزائري يدرك جيدا مخاطر التبعية الاقتصادية على هوية المجتمع المحلي ، حيث وافق على العبارة بشدة ما نسبته 47.15% ، كما وافق آخرون بنسبة 32.52% ، بينما لم يكن متأكدا من الأساتذة ما نسبته 16.26% ، في حين عارض خمسة

أفراد كون التبعية الاقتصادية سببا في سيطرة العولمة علينا ، لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 4.22 .

شدة الاتجاه	أعراض بشدة		أعراض		غير متأكد		أوافق		أوافق بشدة		الشدة العبارة
	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
4.22	00	00	4.06	05	16.26	20	32.52	40	47.15	58	التحرر من التبعية الاقتصادية هو تحرر من قبضة العولمة
4.56	00	00	00	00	00	00	43.08	53	56.91	70	يجب دعم الاقتصاد الوطني و رفع مستواه من اجل مواجهة الاقتصاد الوافد
3.61	1.62	02	11.66	14	31.66	38	33.33	40	21.66	26	اعتماد اختيارات اقتصادية نقيضة للاقتصاد الرأسمالي العالمي من شأنه تحيرنا من العولمة الاقتصادية *
3.92	30.08	37	42.27	52	19.51	24	6.5	08	1.62	02	لا جدوى من المقاومة لأن الاقتصاد الرأسمالي أقوى من أن نقاومه
3.56	8.13	10	10.56	13	9.75	12	60.16	74	11.38	14	علة تخلفنا هي الخلل في اقتصادنا
3.56	8.13	10	57.72	71	16.26	20	17.88	22	00	00	أفضل استهلاك المواد المعلن عنها على القنوات الفضائية غير الجزائرية
3.23	3.25	04	31.7	39	8.13	10	52.03	64	4.87	06	أفضل استهلاك المواد ذات الماركات العالمية
3.80											شدة اتجاه الحور

جدول رقم (12) اتجاهات المبحوثين نحو مواجهة الهوية للعولمة بالتنمية الاقتصادية المستدامة

العبارة الثانية " يجب دعم الاقتصاد الوطني و رفع مستواه من اجل مواجهة النظام الاقتصادي الوافد" ، لم يبد أي مبحوث اعتراضا أو عدم تأكد من العبارة ، بل إن نسبة 43.08% أبدو موافقتهم ، بينما وافق بشدة نسبة 56.91% ، الأمر الذي أدى بشدة اتجاه العبارة إلى القيمة 4.56 ، لأن من شأن دعم الاقتصاد الوطني تقليص الواردات الأجنبية ، وامتصاص اليد العاملة الوطنية ، وتحقيق الاكتفاء ليس الغذائي فحسب ، بل في كل

\* مجموع التكرارات هو 120 وليس 123



شؤون الحياة ، هذا فضلا على أن الصناعات تجسد البيئة الوطنية في مركبات التصنيع ، وتجسد الثقافة الوطنية في أشكال وأنماط المصنوعات .

العبرة الثالثة " اعتماد اختيارات اقتصادية نقيضة للاقتصاد الرأسمالي العالمي من شأنه تحريرنا من العولمة الاقتصادية " ، لم يجب سوى 120 فردا من أفراد العينة عن هذه العبارة ، المتضمنة أن اعتماد خيارات اقتصادية نقيضة للاقتصاد الرأسمالي يعتبره البعض إستراتيجية لعدم الوقوع في شرك النظام الرأسمالي ، وإزاء هذه العبارة يوافق من المبحوثين ما نسبته 33.33% ويوافق بشدة ما نسبته 21.66% ، بينما يعارض 11.66% ويعارض بشدة ما نسبته 1.62% ، أما المفارقة فتبدو لدى غير المتأكدين من العبارة الذين يشكلون نسبة 31.66% ، لتصل شدة الاتجاه إلى القيمة 3.61 .

العبرة الرابعة "لا جدوى من المقاومة لأن الاقتصاد الرأسمالي أقوى من أن نقاومه" ، جاءت العبارة بشكل سالب ، وجاءت أغلبية الاتجاهات معارضة لهذه السلبية وهذه النظرة التشاؤمية ، صحيح أن الاقتصاد الرأسمالي قوي ، لكن الأقوى منه إرادات الشعوب إذا عازمت على بناء اقتصاد فعال ، لذلك ذهب 79 مبحوثا إلى أنه بالإمكان مقاومة الاقتصاد الرأسمالي مهما كان قويا ، وهم يتوزعون على نسبتين : 42.27% يعارضون العبارة ، و30.08% يعارضون بشدة ، فيما أفراد آخرون ينظرون للاقتصاد الرأسمالي بشيء من الانهزامية ، حيث يوافق على عدم جدوى المقاومة 6.5% ويوافق بشدة ما نسبته 1.62% ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 3.92 .

العبرة الخامسة "علة تخلفنا هو الخلل في اقتصادنا " ، يؤمن بعض الناس بأن عيوب العالم الثالث هي عيوب داخلية ، ولا شأن للعولمة والاقتصاد الرأسمالي بهذا التخلف ، ولذلك يرون من العبث مقاومة العولمة ، وإنما ما يجب هو إصلاح الخلل الداخلي الذي لولاه لما سمح للاقتصاد الرأسمالي بالسيطرة على اقتصاديات العالم ، ويستشهد كثيرون بالإجراءات التي تبنتها اليابان وبريطانيا لتحسين اقتصادها الداخلي من

التدخل الأجنبي ، ومن النسق العولمي بالذات ، لهذه الأسباب وغيرها يوافق المبحوثون على أن علة التخلف هي خلل في نظامنا الاقتصادي بنسبة 60.16% ويوافقون بشدة بنسبة 11.38%، بينما تعارض نسبة 10.56% وتعارض بشدة نسبة 8.13% ، لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 3.56 .

العبارة السادسة " أفضل استهلاك المواد المعلن عنها على القنوات الفضائية غير الجزائرية " وهي عبارة سالبة المضمون لأن الجزائر لا تعلن عن موادها خارج قنواتها ، كثيرا ما يتوق الناس إلى استهلاك المواد المعلن عنها على القنوات الفضائية ، ليس لأنها تقدم للمشاهد في قالب ساحر أخذ ، وإنما لأن معظم القنوات التي يتابعها الجزائريون ، إما أنها قنوات عربية معظم برامجها مستوحاة وموجهة لدول الخليج ودول الشرق الأوسط ، الأمر الذي يجعل الإعلانات عادة تتناول المواد المتداولة في أسواق هذه البلدان ، وليس السوق الجزائرية ، وإما القنوات الفرنسية ، وهذه عادة تعلن عن مواد بسعر السوق الفرنسية ، وليس بمقدور الإنسان الجزائري البسيط أن يساير السوق الفرنسية ، ولذا فإن الكثير من متتبعي مختلف البرامج يغيرون القناة في أوقات الإعلانات ، لذا فإن ثقافة الإعلانات في الجزائر لم تأخذ بعد بعدها الحقيقي\* ، وتؤكد اتجاهات المبحوثين ذلك ، حيث عارض استهلاك المواد المعلن عنها على القنوات الفضائية 57.72% من المبحوثين ، وعارض بشدة من المبحوثين ما نسبته 8.13% ، في حين وافق العبارة نسبة 17.88% من المبحوثين ، الأمر الذي يوحي بأن الإنسان الجزائري بإمكانه الاستغناء عن البضائع الخارجية إن توفر مثلها في الجزائر ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 3.56 .

العبارة السابعة " أفضل استهلاك المواد ذات الماركات العالمية " ، يفضل المبحوثون استهلاك المواد ذات الماركات العالمية بنسبة 52.03% ، ويفضل بشدة نسبة 4.87% ، وهما نسبتان عاليتان معا لأنهما تحوزان على الأكثر من النصف من الاتجاهات ، لعل مبرر هذا الاختيار هو الجودة والسمعة التي تتميز بها الماركات العالمية

\* تم استقاء هذه الأفكار من إحدى الدراسات بقسم الإعلام والاتصال ، نسيت عنوانها ، وكذا من مختلف المناقشات مع المبحوثين .

عادة ، فكثيرا ما يشعر الناس بالفخامة بوجود الكوكا كولا على طاولة العشاء ، بينما لا يشعرون بذلك في وجود مشروبات أخرى ، ومع ذلك فإن نسبة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها لا تفضل استهلاك المواد ذات الماركات العالمية وهي نسبة 31.7 % من المبحوثين الذين يعارضون ، ونسبة أخرى للمعارضين بشدة وهي 3.25% ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 3.23 .

وخلاصة الحديث ، هي أن الإنسان الجزائري لم تتبلور لديه بعد خطة اقتصادية واضحة ، فيبدو أنه يشتكي التبعية ويتمنى مقاومة العولمة الاقتصادية ، بل ويبحث عن إستراتيجية بديلة أو نقيضة للاقتصاد الرأسمالي ، ويدرك جيدا أن الخلل نابع من داخله ، ثم يفضل استهلاك المواد ذات الماركات العالمية ، مع علمه بأن الجزائر لا تنتج ماركات عالمية ، هو أمر ينطوي على كثير من التناقض ، بعبارة أخرى ، إن استهلاك الكوكا كولا أو البيبسي كونها ماركات عالمية هو ضرب لمشروبات حمود بوعلام وما شابهها ، ... ربما يعود ذلك إلى رغباته النفسية التي تحول دون التفكير في الاقتصاد الوطني ، أو لنظرة دونية تجاه الآخر إذ كل ما جاء من الآخر جميل حتى لو كان يعني القبح بعينه ، وإما مجرد طغيان الرغبات الداخلية تجاه أشياء مرغوبة دون أي سبب ، وبهذه المواقف تؤول شدة اتجاه محور التنمية الاقتصادية المستدامة إلى القيمة 3.80 ، وهي قيمة إيجابية.

● أما بالنسبة لمؤشر الفقر في الجزائر و بناءا على التقرير السنوي حول التنمية البشرية في الجزائر الذي أصدره المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالتعاون مع خبراء برنامج الأمم المتحدة للتنمية فقد تم التوصل إلى أن مؤشر الفقر قد تراجع بين 995 و 2005 من 25,23% إلى 16,60% و يعود الفضل في هذا التحسن في مكافحة ظاهرة الفقر إلى برامج دعم الإنعاش الاقتصادي و دعم النمو بالإضافة إلى المخطط الوطني للتنمية الفلاحية و الريفية، و يشير نفس التقرير إلى أن ثلث الأسر الجزائرية تعاني من متاعب مالية<sup>1</sup>، ويعود يعود سبب هذه المتاعب إلى الانتشار الواسع لظاهرة المضاربة والتهریب ، بحيث أصبح الأمر لا يقتصر فقط على بعض المجموعات الخارجة عن القانون ، وإنما أضحت الظاهرة تشمل فئات عريضة من الشباب بما فيهم البنات ، لتتوسع بذلك هذه الأنشطة من تهريب السلع الأولية والمواد الاستهلاكية إلى تهريب مختلف التجهيزات والسيارات والمواشي ، ولتطال في السنوات الأخيرة تهريب البشر أيضا ، ... الأمر الذي يدل دلالة صريحة على اتساع نطاق البؤس والحرمان

<sup>1</sup> نصيرة قوريش . مرجع سبق ذكره . ص 35 .

الاجتماعي والاقتصادي ، وللتصدي لهذه الظاهرة ينبغي على الجهات المسؤولة كالإدارة المحلية أن توجه استثمارات كافية لامتناس نسبة البطالة التي تفاقمت بين الشباب ، حتى ذوي الشهادات الجامعية وخريجي مراكز التكوين المهني<sup>1</sup> .

ولكي تأتي التنمية المستدامة أكلها ويستجيب المجتمع لكل الخطط ينبغي صناعة فكر تنموي جديد ، يتجاوز مع تحديات العولمة ومختلف المتغيرات على الساحة الدولية من جهة ، ومراعاة المعطيات المحلية ، سواء من ناحية الموارد الطبيعية أو الموارد البشرية أو معايير المجتمع ، حيث :

- أن التنمية لكي تكون ناجحة ينبغي أن تنهض على عدة أهداف مترامنة ، وليس على هدف واحد فقط ، لأن الارتقاء بالمجتمع يستوجب العناية لمختلف الأبعاد.
- لا توجد سياسة نموذجية واحدة لتحقيق التنمية في جميع الدول ، بل توجد سياسات متعددة ومتنوعة ، ولكي تتجح جهود التنمية ، ينبغي على هذه السياسات أن تتكامل وتتداخل في بيئة مناسبة من القوانين والقواعد والنظم .
- للحكومات على اختلافها دور فعال في النشاط الاقتصادي ، ليس فقط في تسريع عملية التنمية وتكملة دور القطاع الخاص ، وإنما ضمان حماية المجتمع من التجاوزات التي قد تولد الرغبة في الربح السريع والثراء بأي ثمن ، حتى لو كان الأمر غير مشروع.
- لنجاح عملية التنمية لا يجب أن تقتصر المشاريع على فئات معينة تستأثر بالاهتمام ، وتحقق الأرباح على مستواها فقط ، بل إن الإجراءات السليمة التي تؤتي ثمارها على مستوى المجتمع ككل ، هي تلك التي تتميز بالإجماع الشعبي بشأنها<sup>2</sup> .

**ثامنا : محور مواجهة العولمة بتفعيل عناصر الهوية المحلية في المجتمع.**

**المؤشر الأول : تفعيل دور الدين الإسلامي في الحياة الاجتماعية**

للدن وظيفة اجتماعية أساسية في حياة الإنسان ، وهو منهج كامل متكامل ، يسعى إلى تنظيم علاقات الناس ضمن تصور متميز ، وقد ارتبطت حياة الإنسان منذ نشأتها الأولى بالنظام الديني الذي ظل يوجهها ويرسم أهدافها ويقم انحرافاتا ، وقد كان الدين وما زال لدى كل الشعوب على اختلاف لغاتها وأطرها المرجعية بعدا هاما من أبعاد

<sup>1</sup> بلقاسم سلاطينة وأخران .عولمة الفقر ، المجتمع الآخر ...مجتمع الفقراء والمحرومين .دار الفجر للنشر والتوزيع .القاهرة .مصر . 2003 .ص45

<sup>2</sup> للمزيد من التفصيل انظر : المرجع السابق ص ص 43- 56

الهوية ، حتى لدى أولئك الذين اخترعوا أو صنعوا ما يعبدون بأنفسهم ، وإذا كانت الاتجاهات الوضعية والعلمانية تقوم على أساس أن الدين ليس له أي اعتبار في مختلف القضايا الاجتماعية ، فذلك يعود لكونها استخدمت كوسيلة الدين إيديولوجية ، وهذا الأمر يعتبر طارئاً في حياة الإنسان ، لأن الأصل هو الدين ، حيث أن بعض المدارس الفكرية تدعو إلى اعتبار الدين المؤسس على الوحي السماوي ضمن المصادر المعرفية في تنظيم قضايا الإنسان، وهي بهذا إنما تدعو إلى الترتيب الطبيعي الذي وجدت فيه هذه القضايا<sup>1</sup>.

العبارة الأولى " من شأن تفعيل الدين في الحياة اليومية المحافظة على الهوية " ولارتباطه المباشر بالهوية المحلية ، يشكل الدين حجر الزاوية فيها ، ويعتبر تفعيل وجوده واستحضاره في كل الأفعال الاجتماعية اليومية حفاظاً على الهوية ، وإزاء هذه العبارة يوافق المبحوثون بشدة وبنسبة 77.23% ، فيما يوافقون بنسبة 21.95% ، ويبيدي فرد واحد عدم تأكده من العبارة التي تؤول شدتها بهذه الأرقام إلى القيمة 4.76 .

شدة الاتجاه	أعراض بشدة		أعراض		غير متأكد		أوافق		أوافق بشدة		شدة العبارة
	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
4.76	00	00	00	00	0.81	01	21.95	27	77.23	95	من شأن تفعيل الدين في الحياة اليومية المحافظة على الهوية
4.44	3.25	04	4.06	05	3.25	04	23.57	29	65.85	81	أؤيد معيار الحلال والحرام في المعاملات اليومية
3.13	17.07	21	19.51	24	34.95	43	17.07	21	11.38	14	أسلمة العلوم ضرب من المستحيل
3.96	40.65	50	35.77	44	11.38	14	4.06	05	8.13	10	أصبح التمسك بالإسلام رمزا للتخلف في مجتمعنا
4.23	00	00	3.25	04	7.31	09	52.03	64	37.39	46	ألتزم بتعظيم شعائر الإسلام في معظم ممارساتي اليومية
4.10											شدة اتجاه المؤشر

جدول رقم ( 13 ) تفعيل دور الدين الإسلامي في الحياة الاجتماعية .

<sup>1</sup> محمد محمد امزيان . منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية . الدار العالمية للفكر الاسلامي والمعهد العالمي للفكر الاسلامي . ط 2 . فوجينيا . الولايات المتحدة الأمريكية . 1992 . ص 266 .

العبرة الثانية " أؤيد معيار الحلال والحرام في المعاملات اليومية" لعل المعاملات اليومية بكل ما تحمله من سلوك إنساني بسيط وفعل اجتماعي وظواهر اجتماعية معقدة وعادات باتت تبحث لها عن سلطان في أذهان الناس وتقاليد متوارثة و...، هي أكثر ما يظهر صوابية المعاملة أو انحرافها ، ولذلك فإن مختلف المعايير تجد مكانها خلال تعامل الناس مع بعضهم ، فرادى وجماعات ، ويعتبر معيار الحلال والحرام واحدا من أهم المعايير التي ارتبطت بالدين ، والتي يعبر بها المجتمع عن مدى قبوله أو رفضه للسلوك ، عادة إتيان السلوك الحرام لا ينفي عنه هذه الصفة حتى لو أتته جماعة من الناس ، وحتى لو تقادم وجوده في المجتمع لأنه يعني بمخالفة شرع الله ، بينما معيار العيب -وهو المستخدم كثيرا في المجتمع الجزائري - يتغير بتغير نظرة المجتمع لبعض السلوك الذي يعتبر من خوارم المروءة ، ففي المجتمع الجزائري كان خروج المرأة للتسوق عيبا كبيرا لا يغفره المجتمع ، ولكن ما كان عيبا في زمن ما أصبح مستحبا اليوم... هذا إلى جانب معيار آخر يتعلق بالقانون الرسمي والذي يحتكم إليه أفراد المجتمع في مواطن دون أخرى ، كأماكن العمل مثلا ، ومع توجه المجتمع إلى الحياة المدنية أصبح القانون الرسمي حاضرا في الكثير من مواقف الحياة اليومية ، بينما بدأ يضم معيار العيب في مقابل معيار الحلال والحرام ومعيار يجوز قانونا أو لا يجوز ، ففي موقع العمل مثلا قد نحكم على شخص يستخدم هاتف العمل لأغراض شخصية بمعيار يجوز أو لا يجوز قانونا كون الشخص يستغل المال العام لأغراض شخصية ، وقد نحكم عليه بمعيار يجوز أو لا يجوز شرعا كون الشخص يحوز شيئا ليس من حقه .

ويوافق المبحوثون بشدة معيار الحلال والحرام في المعاملات اليومية بنسبة 65.85 % ، بينما يوافقون بنسبة 23.57 %، في حين يعارضون بشدة بنسبة 3.25 % ، وتأتي هذه المعارضة بدعوى أن لا شأن للدين بالحياة العامة من الناس ، واستخدام هاتف العمل لأغراض شخصية لا يجب الحديث عنه ما دام مالا عاما والاستخدام لا يؤدي شخصا بعينه ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 4.44 .

العبرة الثالثة " أسلمة العلوم ضرب من المستحيل " ظهر اتجاه أسلمة العلوم بظهور الصحة الإسلامية .....ولأن العلم والمعرفة هما الوسيلة المثلى لصناعة الأدمغة وصيانة الهوية من التلف، بل وتقويتها بمختلف الأفكار النيرة ، لذلك ربطت بالدين الذي يعتبر أهم بعد من أبعاد الهوية .

إن أهم ما يميز اتجاهات المبحوثين هو عدم التأكد الذي بلغت نسبته 34.95% ، والواقع أن جهل الأستاذ الجامعي بأسلمة المعرفة أمر سلبي ، فلاإن كانت معارضة الفكرة أو موافقتها أمرا إيجابيا ينم عن عما يحيط به من أفكار واتجاهات ، حتى وإن كانت مسألة الأسلمة لم تطبق ، أو أنها لا يمكن أن تتم مع جميع العلوم فليس شرطا أن يوافق المبحوث حتى نحكم عليه بالحفاظ على الهوية ، وإنما أن يبدي رأيا في الموضوع ، ويعارض من المبحوثين ما نسبته 19.51% ويعارض بشدة نسبة 17.07% ، كما يوافق ما نسبته 17.07% ويوافق بشدة 11.38% ، لتؤول شدة اتجاه العبرة إلى القيمة 3.13 .

العبرة الرابعة " أصبح التمسك بالإسلام رمزا للتخلف في مجتمعنا " ، عبارة سالبة المضمون صيغت بناء على نظرة العالم للعالم الإسلامي الذي يعيش تخلفا في كل مناحي الحياة ، إذ بات يوصف أهله بأبشع الأوصاف ، حيث يوصف المسلم في العالم الغربي بالعنف والإرهاب ، ويوصف المتمسك بالدين في الداخل بالتخلف والرجعية ، ولكلا الوصفين - في الداخل والخارج - جذور لممارسات اجتماعية وتاريخية وسياسية أصقت بالدين بناء على ممارسات الأفراد والجماعات ، لكن أن يصف الأكاديمي التمسك بالدين تخلفا فهذا قصور في الرؤى وضيق في الأفق ، لأنه يسقط مقولات عهد التنوير في أوربا تجاه الكنيسة ورموزها على المجتمع المسلم بإطاره المرجعي المختلف تماما عن العالم الأوربي ، وأن يزن مصداقية المجتمعين بميزان مظاهر الحياة المادية ، إذ كثيرا ما يشار للإسلام على أنه سبب في تخلف المجتمع ، مادام هذا المجتمع متواكلا عاطلا عن العمل ،....

وقد لاقت العبارة من المبحوثين معارضة شديدة قدرت بنسبة 40.65%، ومعارضة قدرت بنسبة 35.77% فيما يوافق بشدة نسبة 8.13% ويوافق على العبارة نسبة 4.06% ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 3.96 .

ورغم أن أكثر من 76% لا يرون أن التمسك بالإسلام تخلفا ، إلا أن نسبة الموافقة رغم قلتها تتم عن خلل في الرؤية للدين الإسلامي الحنيف .

العبارة الخامسة " ألتزم بتعظيم شعائر الإسلام في معظم ممارساتي اليومية " جاءت عبارة "تعظيم شعائر الإسلام " بدلا عن "تطبيق شعائر الإسلام" تقاديا لإحراج المبحوث ، وقد لاقت العبارة موافقة بنسبة 52.03% وموافقة شديدة بنسبة 37.39% ، فيما عارض تعظيم الشعائر الإسلامية نسبة 3.25% وانعدمت المعارضة الشديدة ، لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 4.23 وهي قيمة إيجابية ، لتسفر العبارة عن نتيجة مفادها أن الإنسان الجزائري حتى وإن لم يلتزم بتطبيق الشعائر فهو يعظمها ويحترمها ، ويبدو ذلك واضحا في شهر رمضان المعظم ، حيث يحجم الناس عن الأكل نهارا أمام الملائ حتى لو لم يكونوا صائمين احتراماً وتعظيماً للشهر الفضيل\* ، كما ترتاد النساء غير المحجبات المساجد في ليالي رمضان باللباس الشرعي ، تعظيماً للصلاة ووقارا للوقوف بالمسجد ، بخلاف المجتمعات العربية الأخرى التي تؤدي فيها المرأة الصلاة بالسروال شأنها شأن الرجل .

بهذه الاتجاهات يحظى مؤشر تفعيل الدين الإسلامي في الحياة الاجتماعية بقيمة إيجابية تقدر بـ 4.10 .

### المؤشر الثاني : تفعيل دور اللغة العربية في الحياة الاجتماعية

من الصعب فهم الواقع الحالي للمدرسة الجزائرية دون الرجوع إلى الواقع الاجتماعي التربوي للجزائر غداة الاستقلال ، من جهل وفقر وحرمان ، حيث كانت التربية موجهة بالدرجة الأولى للمعمرين الفرنسيين والمتعاملين معهم ، ولذلك كان هذا الواقع الاجتماعي يتميز بعدة مظاهر من بينها :

\* تتميز المدن الجزائرية عن كثير من مدن العالم العربي في شهر رمضان المعظم ، حيث تبدو شوارع المدن بسمتها الخاص الموافق للشهر ، إذ يتأهب الناس عادة لاستقبال الشهر كل على طريقته ، حيث يحضرون المواد الأولية للأطباق التقليدية ، بل وأصبح المجتمع البسكري يقتني أواني جديدة كل شهر رمضان ، كما يعتبر الكثير من الناس الشهر مناسبة للإفلاق عن المنكرات والإقبال على الفضائل ، ففي هذا الشهر يكثُر المصلون وتتجلب البنات و....وبهذه الممارسات يتميز المجتمع الجزائري عن غيره من المجتمعات ، بغض النظر عن مدى صحة هذه الممارسات أو عدم صحتها .



- انخفاض مستوى التمدرس عند الجزائريين .
- حاجة الجزائر إلى إطارات : بخروج فرنسا من الجزائر ، بقي الاقتصاد الجزائري والمصالح الاجتماعية والإدارية دون إطارات ذات كفاءة ، لهذا كانت الحاجة إلى من يسد الفراغ على كل المستويات وفي كل التخصصات ، ولذا كان نصيب المتعلمين بالفرنسية وافرًا .
- توفر قيادة وطنية : بوجود قيادة ذات روح وطنية عالية ، محبة للوطن ومستعدة لخدمته ، وبوجود مداخل من المحروقات ، تم توفير مختلف الاحتياجات والهيكل للدفع بعملية التعليم نحو الأمام\*\* ، فجلب بعض المتعاونين الفنيين من بعض الدول العربية والأوروبية ، بيد أن هذا التعليم لم يكن معربا بما يكفي ، وانتابته جملة من النقائص نذكر منها :

• **ازدواجية في طبيعة التكوين :** فهو إما نظري عام كما هو الحال بالنسبة لما

يقدم في المتوسطات ، التي تنمي لذي المتخرجين منها الميل نحو الأعمال المكتبية وتجنب الأعمال اليدوية والتقنية ، حيث يصلح المتخرجون منها ككتاب إداريين ، وليس كتقنيين بورشات الإنتاج . وهكذا يبقى التكوين التقني والمهني مثل ما يقدم في المتاقن مراكز التكوين المهني محدودا ، إذا ما قورن بعدد المتخرجين من متوسطات التعليم النظري العام .

• **ازدواجية في لغة التكوين :** حيث كانت هناك شعبتان في إطار التعليم المتوسط

مغربون ومتفرنسون ( أو ما يطلق عليهم مزدوجي اللغة) ، وهكذا كانت تطرح مشكلة اللغة على التلاميذ في سن مبكرة ، مما يؤثر سلبا على مستواهم التحصيلي لمدة من الزمن ، فلا هم بالمعربين ولا هم بالمتفرنسين ، كما أن ذلك أدى إلى التفريق بين لغة التخاطب في الشارع وبين لغة الدراسة والعمل ، وقد يؤدي الفرق في لغة التعليم إلى تعميق الاختلاف بين أفراد المجتمع ، وهو ما ينتج تباينا وصراعات لدى أفراد الشعب الواحد<sup>1</sup>.

هذا فيما يرى عز الدين مناصرة أن الدولة الجزائرية قد تأخرت في مسألة التعريب ، وكانت غير جدية في تطبيقه ، كما لم تأخذ بالوسائل المعرفية الحديثة لتطبيقه تدريجيا ، بعد قراءة الواقع الألسني الجزائري ، كما مارست الحكومات المتعاقبة أساليب أمنية لحل مشكلة ثقافية ، مما جعل التعريب وسيلة للإثارة ، والتغطية على مشاكل سياسية واجتماعية واقعية ،

\*\* ليس التعليم فقط ، وإنما كل القطاعات الحيوية .

<sup>1</sup> الكاتب . الكتاب . دار الغريب للنشر والتوزيع . وهران . الجزائر . 2002 . ( وجدت الكتاب بالمكتبة وكان كتابا فيما يتناول المدرسة الجزائرية ، لكنه بدون غلاف )

ومجرد شعارات تستخدم في الصراع على السلطة ، كما وضعت الدولة اللغة العربية في مواجهة الأمازيغية ، وهي لغة وطنية<sup>1</sup>.

لهذه الأسباب وغيرها ، ورغم أن اللغة العربية تعتبر بعدا أساسيا من أبعاد الهوية الجزائرية ، إلا أن متعلقاتها من التمكين والتطوير والتفعيل والعناية ما زالت تطرح بقوة في مختلف المناسبات ، والجدول الموالي نموذج من هذه المناسبات .  
وقد كانت إجابات المبحوثين على النحو الآتي :

شدة الاتجاه	أعراض بشدة		أعراض		غير متأكد		أوافق		أوافق بشدة		الشدة العبارة
	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
4.76	00	00	00	00	0.81	01	21.95	27	77.23	95	من شأن تفعيل اللغة العربية في الحياة اليومية المحافظة على الهوية
3.97	20.32	25	21.95	27	0.81	01	47.15	58	9.75	12	اللغة العربية ليست لغة العلم في الوقت الحالي
4.57	00	00	2.43	03	4.06	05	26.86	33	66.66	82	تطوير اللغة الوطنية و جعلها ترقى إلى مستوى استيعاب مستجدات العلوم والآداب و التكنولوجيات المتطورة في مختلف المجالات من شأنه المحافظة على الهوية .
3.93	00	00	8.94	11	13	16	53.65	66	24.39	30	أجتهد الحديث باللغة العربية الفصحى
3.12	6.50	08	38.21	47	15.44	19	16.26	20	23.57	29	لتمكين اللغة العربية يجب التخليص أولا من التبعية للفرنسية والانجليزية
3.01	15.44	19	23.57	29	13.82	17	41.46	51	5.69	07	لا مجال لتعريب التعليم بكل أطواره في الوقت الحالي
3.89											شدة اتجاه المؤشر

جدول رقم (14) تفعيل دور اللغة العربية في الحياة الاجتماعية

العبارة الأولى "من شأن تفعيل اللغة العربية في الحياة اليومية المحافظة على الهوية" ولعلاقتها الوثيقة بالدين الإسلامي ولمكانتها الهامة كبعد من أبعاد الهوية الجزائرية ، فقد حظيت اللغة العربية بالموافقة بشدة بنسبة 77.23% على أن تفعيلها من شأنه المحافظة على الهوية المحلية من الذوبان ، فيما توافق نسبة 21.95% بينما لا أحد يعارض العبارة التي تؤول شدة اتجاهها إلى القيمة 4.76. العبارة الثانية " اللغة العربية ليست لغة العلم في الوقت الحالي "

<sup>1</sup> عز الدين المناصرة . مرجع سبق ذكره . ص159 .

في ظل تخلف العالم العربي عن ركب التقدم العلمي والتكنولوجي ، نالت اللغة العربية قسطا وافرا من التجريح والتحقير والانتقاص من القيمة ، من قبل أهلها وغير أهلها على السواء ، يجنح كثير من غير المعربين - وفي ظل عدم تمكنهم من الإلمام باللغة العربية وعجزهم عن تقديم جديد لها -\* إلى أن اللغة العربية ليست لغة العلوم ، نظرا لعدم استيعابها المصطلحات الحديثة التي نشأت في دول غير ناطقة بالعربية ، ومقولتهم الشهيرة في ذلك "إذا عربت خربت" ، على اعتبار أن مريد العلوم لابد أن يتقن اللغتين الفرنسية والانجليزية - وحاليا يتجه الاهتمام صوب اللغة الصينية - ، لذلك كانت اتجاهات المبحوثين على النحو التالي :

توافق نسبة 47.15% من المبحوثين على أن اللغة العربية ليست لغة العلم في الوقت الحالي ، وتوافق بشدة نسبة 9.75% ، بينما تعارض نسبة 21.95% وتعارض بشدة نسبة 20.32% ، لتؤول شدة الاتجاه إلى القيمة 3.97 .

العبارة الثالثة " تطوير اللغة الوطنية وجعلها ترقى إلى مستوى استيعاب مستجدات العلوم و الآداب و التكنولوجيات المتطورة في مختلف المجالات من شأنه المحافظة على الهوية " ، لا أحد ينكر أنه للمحافظة على الهوية المحلية يجب أن تتوفر إلى جانب النية الحسنة ، قوة في الأداء وجرأة في التنفيذ ، وقد جاءت إجابات المبحوثين موافقة بشدة بنسبة 66.66% وموافقة بنسبة 26.82% ، بينما عارض العبارة نسبة 2.43% ، لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 4.57 .

العبارة الرابعة " أجتهد الحديث باللغة العربية الفصحى " إذا كان مطلوبا من حماة الهوية المحلية المحافظة عليها ، فإن أولى الأولويات على أرض الواقع هو التمسك بها على مستوى الممارسات اليومية ، ومن ذلك اجتهاد الحديث بالعربية الفصحى ، لأن من شأن ذلك الاستعلاء بها والتعود عليها ثم توريثها للأجيال ، ولعل أكثر من يناط بهم الحفاظ على العربية هم رجال التعليم ، ولا حجة في ذلك لمن تلقى تكوينه بلغة غير العربية ، وقد وافق على العبارة نسبة من المبحوثين مقدرة بـ 53.65% ، فيما وافق بشدة نسبة 24.39% وعارض ذلك نسبة 8.94% لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 3.93 .

العبارة الخامسة " لتمكين اللغة العربية يجب التخلص أولا من التبعية للفرنسية والانجليزية " كثيرا ما يتحجج العاملون في حقل اللغة العربية بأن تطويرها مرهون بمصير

\* المفارقة العجيبة في بلادنا ، أنه قلما نجد طبيبا أو مهندسا معماريا أو ...أو أي من أصحاب التخصصات التي تدرس بالفرنسية يتقن الحديث باللغة العربية الفصحى ، أو الكتابة بها ، وكثيرا ما يفخر هؤلاء بهذا الوضع ، فيما يحس بالحرج المعرب الذي لا يتقن الفرنسية ، بل وحين يخطئ شخص في عبارة كتبها أو نطقها بالفرنسية يلقى استهجان المحيطين به ، بينما لا يحدث ذلك حين ترتكب أخطاء باللغة العربية ، وأعتقد أن مرد ذلك يعود إلى الترتيب الاجتماعي للغات حسب أهميتها ، مما ولد لدى المثقفين لدينا عقدة الشعور بالدونية من اللغة الأجنبية ، وكان امتلاكها هو امتلاك قسط وفير من المجد .

اللغات الأجنبية ( الفرنسية والانجليزية ) المتداولة في المجتمع الجزائري ، التي تشكل عامل هيمنة على العربية في الممارسات اليومية ومختلف التخصصات الأكاديمية ، بينما يغفلون عن أن التخلص من اللغات الأجنبية على المستوى الأكاديمي يتطلب جهودا مضنية في ترجمة العلوم إلى العربية ، هذا إن كانت قابلة للترجمة أصلا ، وحتى الجهود الجبارة في المجتمع التي يوكل لها التخلص من اللغات الأجنبية على مستوى اللسان المحلي ، ستصطدم حتما مع واقع رسخت فيه الفرنسية منذ ما يقارب القرنين .

ويعارض من المبحوثين العبارة بما نسبته 38.21% ووافق بشدة ما نسبته 23.57% فيما يوافق 16.26% ، فيما يبدي 15.44% عدم تأكدهم من العبارة ، لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 3.12 .

العبارة السادسة " لا مجال لتعريب التعليم بكل أطواره في الوقت الحالي " تعتبر العبارة مكملة لسابقتها ، وتوافق نسبة 41.46% على العبارة فيما توافق بشدة نسبة 5.69% ، وربما جاءت هذه الاتجاهات بناء على واقع معيش تعيشه المدرسة الجزائرية ، من بين مظاهر هذا الواقع أن المدرسة غير مؤهلة في الوقت الحالي لبرامج ومناهج معربة بالكامل ، إضافة لعدم وفرة الإطارات التي ستقود عملية التعريب ، كما أن مصطلحات التعريب غير موحدة ، في المقابل يعارض من المبحوثين ما نسبته 23.57% ويعارض بشدة ما نسبته 15.44% ، وربما يجد كثير من الناس أنفسهم يؤيدون خيار التعريب بدافع عاطفي ، تعوزه النظرة الصائبة لآليات التعريب حيث يغيب التخطيط للعملية التربوية بغياب الأهداف التربوية الواضحة ، وطرائق التدريس التي تتماشى والواقع الجزائري ، المفارقة في اتجاهات المبحوثين هو عدم تأكد نسبة 13.82% من المبحوثين من العبارة ، وكأن الأستاذ الجامعي لا علاقة له بالعملية التربوية ، والتعريب على وجه الخصوص . لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 3.01 .

وبين الرغبة في ترسيخ أبعاد الهوية الجزائرية واستخدامها كأداة لرهانات سياسية معينة ، تتأرجح اللغة العربية في أروقة الأدلجة وفي هذا الإطار دائما يستعرض محمد العربي ولد خليفة تحت عنوان "أمثلة من منابر الرأي الصحفية " مقالا نشر في صحيفة الوطن بتاريخ 1998/06/17 للسيد عبدو الإمام وهو دكتور في اللسانيات ، حيث يتساءل الكاتب في البداية

عن مسوغ تصويت المجلس الشعبي الوطني على قانون تعميم استعمال اللغة العربية قبل وقت قصير من إجراء الانتخابات التشريعية<sup>1</sup>.

بلغت شدة اتجاه مؤشر تفعيل اللغة العربية في الحياة الاجتماعية قيمة 3.89 ، وهي قيمة موجبة ، لكنها تعكس مفارقة لدى الأستاذ الجامعي ، حيث نجد له رأياً واضحاً على المستوى النظري ، بينما يخفت صوته ويحجم عن الموافقة والمعارضة في الجانب الميداني ، إذ أن النسب التي أبدت عدم تأكدها فيما يتعلق بالاجتهاد في الحديث بالعربية الفصحى ، وكذا عن موقف العربية تجاه اللغات الأجنبية الأخرى وكذا مسألة التعريب ، هي نسب لا يستهان بها .

بينما يؤكد الكثير من المتقنين الجزائريين الشبان أنه «الآن تصاغ الهوية الجديدة الجزائرية ويعاد تعريفها». لكن ذلك يتم بلا أسس مرجعية واضحة ، إذ مازال تعريف وتحديد عناصر هذه الهوية رجراجاً ومبعثراً ، وهو يدل بذلك على الصراع الخفي القائم بين الجسم البيروقراطي المعرب ، المتضخم والراسخ من جهة ، والنخبة الاقتصادية الفرنكوفونية الثقافة والهوى والليبرالية الميول من جهة ثانية ، هذا الصراع لا يجد ترجمته السياسية طالما أن النخبة الاقتصادية تلك لا تتبنى خطاباً سياسياً يعبر عن طموحاتها أو مصالحها.

بمعنى آخر ، فإن النخبة الاقتصادية الناشئة ، وهي الفرنكوفونية في الثقافة وفي نمط العيش وفي أساليب العمل ، تحولت إلى تيار فعال مع انتقال الجزائر التدريجي إلى اقتصاد السوق ، لكن فعاليتها تلك محاصرة من تخوف البيروقراطية والقوى التقليدية وحذرهما المتأصل في سلوكها.

هذا الصراع الصامت هو عبارة عن «عقدة» تشعر بها النخبة السياسية الحاكمة تجاه النخبة الاقتصادية : «كأن الحداثة لا تكون إلا فرنكوفونية، وكأن المعربين لا يمكن إلا أن يكونوا محافظين أو رجعيين أو إسلاميين».

بينما مجتمع المتقنين يعاكس الخطاب الديني ويرتاب من السلطة السياسية وهو منقطع الصلة عن النخبة الاقتصادية الجديدة ، لكنه هو الذي يتولى تظهير «الحوار» العام بدءاً من النقاش حول النشيد الوطني وصولاً إلى تلك «المصالحة» الجارية بين العربية والفرنسية ، إذ انتهت تقريباً تلك القطيعة بين اللغتين ، ففي مجال النشر باتت سمة أي دار جزائرية هي إنتاجها للكتب الأدبية والفكرية الجزائرية باللغتين الفرنسية والعربية والترجمة عبرهما ، فنحن بات

<sup>1</sup> للمزيد انظر : محمد العربي ولد خليفة . مرجع سبق ذكره . ص 155 .

بوسعنا أن نقرأ أي نص جزائري باللغة التي نختارها، عدا عن هذا الظهور الملحوظ لدور النشر الأمازيغية ، بل أبعد من ذلك، أن دور النشر في فرنسا لم تعد تكتفي بنشر مؤلفات الكتاب الجزائريين الفرنكوفونيين، وتترجم إلى الفرنسية المؤلفات الجزائرية المكتوبة بالعربية. أي أن «التمييز» انتهى وانحلت «عقدة» كانت تحكم الثقافة الجزائرية لعقود عدة ، ودخلت الدولة الجزائرية في هذا الحراك، إذ أنها تتولى اليوم تمويل الترجمة والطباعة والنشر ما بين اللغتين لمعظم المؤلفات الجزائرية في حقول الأدب والإنسانيات ، هذا القرار الرسمي الذي اتخذ منذ ثلاث سنوات ظهرت نتائجه سريعاً عبر تأسيس الكثير من دور النشر الخاصة وعبر تضاعف الإصدارات في مجال الرواية والفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية<sup>1</sup>.

### المؤشر الثالث : تفعيل دور الأمازيغية في الحياة الاجتماعية

مثما شكلت الأمازيغية شرخا في هوية المجتمع الجزائري ، فإنها أيضا تشكل ثراء ثقافيا قل نظيره في المجتمعات الأخرى ، ولأن التعدد من طبيعة المجتمع الجزائري ، فعلى هذا المجتمع أن يسمح بالتنوع والثراء ، بدلا من أن يتحول إلى مجتمع فسيفسائي على شاكلة المجتمع اللبناني ، وفي هذا الإطار قال الروائي الطاهر وطار : "المسألة الأمازيغية ، ليست عرقية ، فلا العربي ولا الأمازيغي ولا الفرنسي يعرف عرقه ، إنه تخلف حضاري أن تطرح مسألة العرق بمفهوم بعثي -المقصود هنا بمفهوم ضيق ليس إلا- ...فنحن منذ خمسة عشر قرنا عرب مسلمون ، ومع هذا احتفظنا باللغة الأمازيغية ، لغة الأجداد ، وأنا لا أقبل أن يطمس أحد لغة أجدادي ، رغم أنني عربي مسلم . صحيح أن العربية لغة القرآن ولغة المسلمين ، ولكنها أيضا لغة المسيحيين العرب ، مثما أن هناك مسيحيين إنجليز ، وهذا معناه أنه لا صلة للغة بالدين ...لا يمكن في الجزائر فرض نمط واحد من السلوك الاجتماعي ..."

وتبدو إجابات المبحوثين غير متجاوبة - إلى حد ما - مع مسألة الأمازيغية ، حيث كان الحياد وعدم التأكد سيد الموقف في هذا المؤشر ، ومع ذلك فقد أجاب المبحوثون بما يلي :

العبارة الأولى " الأمازيغية لغة جزائرية وعلى الجميع التخاطب بها" يعارض العبارة نسبة 37.39% من المبحوثين ويعارض بشدة نسبة 24.39% ، فيما توافق نسبة 13% وتوافق بشدة نسبة 8.13% ، وربما يعود سبب هذه الموافقة إلى التعصب للأمازيغية ، إذ أن هناك من ينظر إلى الجزائر على أنها بلاد الأمازيغ وعلى الجميع التخاطب باللغة الأصلية ، على غرار تركيا - التي كانت مركز الخلافة الإسلامية - وإيران وباكستان وباقي الدول الإسلامية التي

<sup>1</sup> يوسف بزي . حيث تصاغ الهوية الجزائرية الجديدة ويعاد تعريفها . منتدى الأوان . 2011/03/28 . <http://www.alawan.org>

تتحدث لغاتها الأصلية رغم مشاركتها الفعالة في بناء الحضارة الإسلامية ، وحفاظها على لغتها الأصلية لم ينف عنها أو ينتقص من انتمائها للإسلام والمسلمين ، وقياسا عليه يرى بعض الأمازيغ أن على المجتمع الجزائري الحديث باللغة الأمازيغية بدلا عن العربية ، كما يرى بعض المتعصبين وفي ظل تخلف العالم العربي أن لا جدوى ولا فائدة من الحديث بالعربية ، بل ويجب مقاطعة العالم العربي وعدم الانتماء إليه والأولى الانتماء للعالم الأوربي ما دام الأكثر تطورا ، كما أن رفض العبارة من قبل النسبة آنفة الذكر مرده إلى جهل كثير من الناس بالأمازيغية ، وكذا اعتبار من هم ليسوا أمازيغا أن لا جدوى من الحديث بها ما دامت ليست لغة العلم والتكنولوجيا ، وإن كان واردا تعلم لغة غير العربية فالأولى للغة الإنجليزية ، ما دامت ذات فائدة على المستوى العلمي والاجتماعي .

وإضافة إلى النسب السابقة فإن نسبة 17.07% من المبحوثين تبدي عدم تأكدها من

العبارة ، الأمر الذي يؤول بشدة الاتجاه إلى القيمة 2.43 ، وهي قيمة سالبة .

شدة الاتجاه	أعراض بشدة		أعراض		غير متأكد		أوافق		أوافق بشدة		الشدة العبارة
	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
2.43	24.39	30	37.39	46	17.07	21	13	16	8.13	10	الأمازيغية لغة جزائرية وعلى الجميع التخاطب بها
3.19	17.7	21	13	16	13.82	17	45.52	56	10.56	13	يجب فتح تخصص لغة أمازيغية بالجامعة على غرار اللغات الأخرى
3.00	2.43	03	27.64	34	44.71	55	17.88	22	7.31	09	لن تتقن الأجيال القادمة التخاطب بالأمازيغية
2.95	13	16	21.13	26	31.70	39	25.20	31	8.94	11	يجب التحالف مع جيراننا الأمازيغ لتشكيل مجمع اللغة الأمازيغية
2.98	14.63	18	28.45	35	12.19	15	33.33	41	11.38	14	الأمازيغية تجذر الفروق الثقافية بين الجزائريين وهو ما من شأنه صناعة الفتنة مستقبلا
2.91											شدة اتجاه المؤشر

جدول رقم ( 15 ) تفعيل دور الأمازيغية في الحياة الاجتماعية .

العبارة الثانية " يجب فتح تخصص لغة أمازيغية بالجامعة على غرار اللغات الأخرى "

تضع العبارة المبحوث أمام خيار عملي للحفاظ على اللغة الأمازيغية والتراث الأمازيغي، وربما من باب حب الاطلاع تبدي الموافقة نسبة 45.52% والموافقة بشدة نسبة 10.56% ، فيما تبدي نسبة 13.82% عدم تأكدها من العبارة ، وتعارض نسبة 13.00% وتعارض بشدة نسبة



17.7% بدعوى أن لا فائدة ترجى من الأمازيغية ما دامت ليست لغة العلم والتكنولوجيا ، الأمر الذي يدفعنا إلى مساءلة المثقف " من يضيف القيمة العلمية على اللغة ويجعلها لغة للتكنولوجيا ولغة للإبداع باستثناء المثقف ؟ ، وإن اتصل المثقف من مهامه كـمـثـقـف إما فاعلا وإما مبد للرائي فمن سيقود مسيرة تحصين الهوية ؟ ثم هل كانت الإنجليزية قبلا لغة علم لولا الجهود المضنية لأهلها لتكون كذلك ؟ ألم تكن اللغة العامية المصرية مجهولة لدى غير المصريين لولا جهود أهلها المضنية عبر كل أشكال الفن والإبداع في سبيل تعليمها للعالم العربي قاطبة حتى صارت لغة التفاهم بين عامة العرب فيما بينهم ؟ ، " ، الأمر الذي يحيلنا إلى الحديث عن الثورات العربية " لماذا تنطلق من المساجد ومن الشوارع ولا تنطلق من الجامعات ؟ ببساطة لأن المثقف العربي غائب عن الساحة ، بل وينتظر أن يتحدث الشارع باسمه ويقرر مصيره " ، وخلاصة لما سبق حظيت العبارة بشدة اتجاه قدرت قيمتها بـ 3.19 ، وهي قيمة موجبة .

العبارة الثالثة " لن تتقن الأجيال القادمة التخاطب بالأمازيغية " عبارة تتطلب النظر في مستقبل الأمازيغية ، لكن 55 فردا من المبحوثين لا رأي لهم فيما سيكون عليه مستقبل الأمازيغية لدى الأجيال القادمة ، الأمر الذي يقصي نسبة 44.71% من أصوات المبحوثين عن إمعان النظر في المستقبل ، ومع ذلك فإن نسبة 27.64% تعارض العبارة و نسبة 2.43% تعارض بشدة ، فيما توافق نسبة 17.88% وتوافق بشدة نسبة 7.31% ، لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 03.00 وهي قيمة محايدة .

العبارة الرابعة " يجب التحالف مع جيراننا الأمازيغ لتشكل مجمع اللغة الأمازيغية " لا شك أن التراث الأمازيغي ليس مقتصرًا وجوده على الجزائر فحسب ، بل كل دول المنطقة ( المغرب ، تونس ، ليبيا ، الصحراء الغربية وموريتانيا إلى غاية واحة سيوة بمصر ) ، وإن تباينت الدول في احتوائها على العنصر البشري الأمازيغي ، وفي تعاطيها مع اللغة والتراث الأمازيغيين ، وعليه فإن تحالف كل الأمازيغ في سبيل إعلاء شأن الأمازيغية يعتبر مطلبًا مغاربيًا أكثر منه جزائريًا ، واللغة الأمازيغية هي مسؤولية جميع الأمازيغ ، حتى وإن اختلفت لهجاتها من قطر لآخر ومن جماعة إثنية لأخرى ، فإنها شأنها شأن اللغة العربية بحاجة لمجمع ينقب عن الكلمات الأمازيغية لدى أصحابها الأصليين - حيث مازالت بعض المجتمعات خاصة في جبال الأوراس وبني ميزاب تحتفظ بالخام من الكلام الأمازيغي ، سواء كانت مجرد كلمات



أو حكم وأمثال أو ...- ويجمع شتات الألفاظ والعبارات من ينقي اللسان الأمازيغي من المفردات الدخيلة - خاصة المفردات الفرنسية - ويضبط مفردات اللغة بما يتماشى ومتطلبات العصر .

وفي هذا الإطار تفاوتت اتجاهات المبحوثين ، حيث سيطر اتجاه عدم التأكد بنسبة 31.70% ، يليه اتجاه الموافقين بنسبة 25.20% ثم المعارضين بنسبة 21.13% وهي نسبة تقترب إلى حد ما من سابقتها ، فالمعارضين جدا بنسبة 13.00% ثم الموافقين جدا بنسبة 8.94% لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 2.95 ، وهي قيمة سالبة لكنها تقترب من الحياد .

العبارة الخامسة " الأمازيغية تجذر الفروق الثقافية بين الجزائريين وهو ما من شأنه صناعة الفتنة مستقبلا " كثيرا ما أبدى المبحوثون تخوفهم من أن قبول الاختلاف الثقافي بشكل رسمي ، سيجذر الفروق الثقافية بين مختلف جهات الوطن ، بل وبين مختلف الجماعات الإثنية ، مما سيؤدي تعصب كل جهة لما لديها ويساهم بشكل أو بآخر في صناعة الفتنة بين الجزائريين ، بل إن الكثير من المبحوثين يلحون على وحدة الثقافة في المجتمع الجزائري ، ويعتبرون أن الحديث عن الأمازيغية هو حديث عن احتمال حدوث فتنة بين الجزائريين ، معربين عن ذلك بأن هوية المجتمع الجزائري تنحصر في الإسلام واللغة العربية ، لكن الغريب في الأمر أنهم لا ينظرون للأمر من زاوية إثراء الثقافة ، مما أسفر على نتائج شكلت فيها الموافقة على العبارة نسبة 33.33% تليها نسبة المعارضة والمقدرة بـ 28.45% ثم المعارضون بشدة بنسبة 14.63% فغير المتأكدين بنسبة 12.19% وكذا الموافقين جدا بنسبة 11.38% ، لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 2.98 .

من خلال ما سبق يبدو أن تفعيل الأمازيغية لا يلقى تجاوبا من قبل المبحوثين ، ودليل ذلك شدة اتجاه المؤشر المقدره قيمتها بـ 2.91 .

وفي هذا الإطار ، وأمام عائق اللغة الأمازيغية يورد صالح بلعيد مقترحات متعددة بشأن تفعيل الكتابة باللغة الأمازيغية "التيفيناغ"<sup>1</sup> ، ويعلق أيضا بما يلي : لعل النهضة اللغوية كيفما

<sup>1</sup> صالح بلعيد . مرجع سبق ذكره . ص ص 71 - 108 .

كان نمطها ، لازمة أو متعدية<sup>1</sup> ، هي شرط من شروط النهضة العامة ، التي تؤدي إلى تحرير العقل من الاستلاب اللغوي ، وبالتالي تعبيد الطريق أمام التطورات العلمية المنشودة ، واللغة وجه مكمل للتنمية الشاملة ، واهتزازات اللغة ليست اهتزازا في الفك ، بل اهتزاز في عصب داخلي تحت الجلد ، هو عصب الحياة والانتباه ، فالعلم والتعليم لا يمكن أن يصبحا مكسبا شعبيا وجزءا من البرنامج اليومي لأبناء المجتمع إلا إذا كانت أداتهما العربية لغة تدريس ، والأمازيغية لغة تدريس وتراث مساندة للعربية ، ويبدو أنه لا فرق بين العربية والأمازيغية من حيث الغاية ، فإذا كانت الأولى تستهدف السيادة والرسمية وجعلها في متناول الجميع ، فليست تريد الثانية إلا متطلبات المحافظة على الشخصية الوطنية ، أي الهوية التي يتميز بها عن الأغيار<sup>2</sup>.

إن أكبر تهديد يواجه الهوية الجزائرية هو خلق هوية ذات قيم هجينة تخيب فيها مقومات الشخصية الجزائرية الأصيلة ، لذا يجب أن تأخذ مسألة الهوية البعد الروحي في المقام الأول ، وبه تتحصن ، ثم تأتي المعطيات الأخرى القابلة للتغير والتطور حسب المجالات والأحوال .

إن نظم التعليم في بلادنا قصرت مهامها على نقل المعلومات ، أي على التعليم أو التدريب على المهارات ، وتناست دورها التربوي ، ولأن نقل المعلومات إذا لم تواكبه تربية أخلاقية وروحية لا يسمى تعليما كاملا ، ومن هنا بقيت مدارسنا تعيش أزمت حادة ، تتمثل في سوء استعمال العقل في النقل ، ويضاف إليها أزمة الحرية في الاختيار والاحتكام إلى العقل ، حتى غدت مصنعا دون حياة ، بل مختبرا تتفاعل فيه مجموع الآلات ، ويتضح بصورة غير متكاملة غياب العقل أو الجسم أو الوجدان ، في الوقت الذي كان يجب أن تعمل على التكامل

<sup>1</sup> يقول جان بول سارتر : "إن اهتزازات الكلمات شبيهة بالهزات الأرضية والأفلاك ، إنها خطيرة وتكشف عن اهتزازات عميقة الفور في الحضارة ذاتها" ، بينما اللغة الموصلة (Transitif) أو المتعدية ، واللغة اللاموصلة (Intransitif) أي اللازمة ، هما العبارتان اللتان استعملهما رولان بارت في كتابه "الدرجة الصفر للكتابة" للتمييز بين لغة العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية من جهة ، ولغة الفن من جهة ثانية ، فهو يصف الأولى بأنها موصلة بالضرورة ، والثانية بأنها لغة لا موصلة .

فلسفة العلوم في رأيه لغة مشروطة بغايات محددة ترمي إليها ، فإذا انتفى الوصول إلى هذه الغايات انتفى مبرر اللغة ، فأنت حين تعرض نظرية الجاذبية لنوتن على سبيل المثال ، أو النسبية لأنشتاين ، إنما تستعمل التعابير والمعادلات اللغوية التي توصل إلى الغرض المحدد بدقة . كذلك حين تعرض نظرية الانعكاس الشرطي في علم النفس أو نظرية السوق في الاقتصاد أو نظرية الندرة ، أو نظرية النشوء والارتقاء ، فإنك ملزم بالضبط والدقة والاختزال والإصابة وهذه هي عناصر معنى الإيصال .

أما لغة الفنون فيعتبرها "بارت" لغة مكتفية بذاتها ، لا غائية ، لا عرضية من وراء اللغة ، فهي اكتفاء ذاتي وإشباع . إنها بنية لغوية لا تاريخية ولا اجتماعية ، وبالتالي تكاد تكون مقلدة على ذاتها ، فالفن أساسه الالتباس ، أما العلم فمن مشاكله الالتباس . انظر : محمد علي شمس الدين ، عماء اللغة . مجلة العربي . العدد 636 . نوفمبر 2011 . وزارة الإعلام بدولة الكويت . ص 88 .

<sup>2</sup> صالح بلعيد . مرجع سبق ذكره . ص 57 .

بين تلك الأطراف إلى جانب تنمية الثقافة الوطنية الداعية للتطوير وملاحقة العصر ، والإشباع بالثقافة الإسلامية المرتكزة على العقيدة ، هذا إلى التركيز على الثقافة التي تسمح بالانفتاح الواعي على ما لدى الآخرين من علوم ومعارف لتعزيز الترابط الإنساني مع العالم المحيط ، كون الفرد الجزائري أمازيغي مغاربي عربي إفريقي متوسطي<sup>1</sup> .

إن إحداث التغيير الهادف في المنظومة التربوية الجزائرية من شأنه أن يحول جيل الناشئة من صناعة الكلمات إلى صناعة الأشياء ، وسيصبح هذا الجيل حرا عندما يتعلم كيف يفكر ، وسيصبح حرا أكثر عندما يعرف كيف يوظف التربية لتساهم في البناء الحضاري ، بل وسيصبح حرا عندما يوظف العقل ويشحذ القابليات والملكات من خلال تعليم المواد الفاعلة في الثراء الفكري ، والمؤدية إلى التحليل والمنطق والفكر الرياضي ، لأن وراء الثروة اللغوية العلمية يكمن التغيير ، الأمر الذي يحول دون انفصام الجانب الوجداني والمعرفي ، لعدم حدوث ما يجعل شخصية المتعلم مفصولة عن قيمه .

هذا من جهة ، من جهة أخرى فإن تفعيل المجتمع يبدأ من تفعيل العملية التربوية ، وإن عجزت في الوقت الراهن ، فإن الإصلاحات التربوية هي الأسلوب الأمثل لتشخيص النقائص والتعجيل بعملية التغيير ، ولذا فمن الأجدر على الجزائر للمحافظة على هويتها أن تولي الأهمية لما يلي :

- تنمية اللغة العربية الفصيحة .
- تدريس الأمازيغيات وتنمية تراث اللغات الوطنية .
- تعلم اللغات الأجنبية والاستفادة منها بشكل جيد<sup>2</sup> .

#### المؤشر الرابع : تفعيل التاريخ الوطني في الحياة الاجتماعية .

جاء في التقرير العام للتربية في الجزائر في صفحته 105 مقترحات بشأن تدريس مادة التاريخ ، حيث يقترح التقرير تركيز المناهج التعليمية على التاريخ الوطني بمختلف أطواره ، من غير تفضيل حقبة تاريخية على أخرى ، كما جاء في مكان آخر بأن مادة التاريخ لا تدخل

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق . ص ص 54 - 55 .

<sup>2</sup> المرجع السابق . ص ص 56 - 57 .

ضمن مواد الامتحان بالنسبة لتلاميذ الصف السادس من التعليم الأساسي ، هذا الأمر الذي أثار استياء الكثيرين ، ودفعهم لطرح سؤال تعجبي : ما هكذا يعامل التاريخ يا أمة التاريخ ؟ ! ، الأمر الذي حدا بأحد التربويين إلى القول : ....لقد أسهمنا في صنع التاريخ الحديث وما زلنا نسهم في صناعة التاريخ بإرساء قواعد المجتمع المتحضر ، الذي يؤمن بالحرية والديمقراطية ، ويستلهم في سلوكه ومواقفه الجوانب المشرقة في حضارتنا ، ويتتبع الخطى التي سارت عليها أمتنا في مجال العطاء الفكري والعلمي ، الذي قدمته للإنسانية ، ما السبب الذي دعا إلى حذف مواد أساسية ؟ فهل السبب هو تخفيف العبء على التلاميذ الممتحنين ؟ وهل الشفقة على المعلمين المصححين هي التي دفعت إلى ذلك ؟ ....ومهما كان السبب فهل يجوز أن نفاضل بين المواد ، ونجعل من مادة التاريخ مادة لا تزيد شأننا عن الرسم والأشغال اليدوية؟<sup>1</sup>.

شدة الاتجاه	أعراض بشدة		أعراض		غير متأكد		أوافق		أوافق بشدة		الشدة
	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
4.76	00	00	00	00	0.81	01	21.95	27	77.23	95	من شأن تفعيل التاريخ الوطني في الحياة اليومية المحافظة على الهوية
4.33	4.06	05	4.87	06	3.25	04	29.26	36	58.53	72	يجب تدريس التاريخ الوطني للتلاميذ منذ العهود القديمة في كل المستويات الدراسية
4.11	1.62	02	6.5	08	12.19	15	38.21	47	41.46	51	رفع معامل مادة التاريخ من شأنه تحفيز التلاميذ على دراسته بجدية
4.10	44.71	55	39.83	49	00	00	12.19	15	3.25	04	لا جدوى من دراسة الماضي ، فالحاضر أولى بالدراسة
3.73	26.01	32	47.15	58	8.13	10	11.38	14	7.31	09	تاريخ الجزائر قبل الإسلام هو تاريخ وثني ودراسته مضيعة للوقت
4.20											شدة اتجاه المؤشر

جدول رقم ( 16 ) تفعيل دور التاريخ الوطني في الحياة الاجتماعية .

لم يحظ هذا المؤشر بالاختلاف الكبير بين المبحوثين ، ربما لأنه يشمل جميع الجزائريين على اختلاف أصولهم الاثنية ، واتجاهاتهم الفكرية وانتماءاتهم الحزبية و... ، إذ بدا جل المبحوثين حريصين على تاريخ جزائري ناصع ، تقرأه الأجيال وتعزز بما طوت صفحاته من مآثر صنعت بأيد جزائرية ، رغم إدراك الجميع بأن التاريخ الجزائري لم يكتب كاملا ، إلا أن

<sup>1</sup> عبد القادر فضيل . المدرسة في الجزائر حقائق وإشكالات . تقديم : عبد الحميد مهري . جسور للنشر والتوزيع . الجزائر . 2009 . ص 228 و ص 381 .

ما وصل إلى وعي الناس من المراحل السابقة وما يعايشونه يوميا يدعو بأن يصحح الجزائري بكونه جزائريا .

العبرة الأولى " من شأن تفعيل التاريخ الوطني في الحياة اليومية المحافظة على الهوية الوطنية " لم يعارض أحد العبارة ، بل إن 95 فردا وافقوا بشدة على أن تفعيل التاريخ الوطني في الحياة اليومية من شأنه الحفاظ على الهوية الجزائرية ، وبذلك آلت شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 4.76 .

العبرة الثانية " يجب تدريس التاريخ الوطني للتلاميذ منذ العهود القديمة في كل المستويات الدراسية " لترسيخ التاريخ الوطني في المجتمع لابد أن يرسخ في المدرسة أولا ، فنحن نعرف عن نابليون بونابارت أكثر مما نعرف عن الأمير عبد القادر ، ونعرف بل ونحفظ تفاصيل الحرب العالمية في وقت لم يكتب فيه تاريخ الثورة الجزائرية بعد ، وكأن أرحام الجزائريات عقرت عن إنجاب الكتاب ، نحن نحفظ جيدا تفاصيل الحرب الفيتنامية ، لكننا نجهل تمام الجهل حروب الدولة النوميديّة مع الدولة الرومانية ، نحن نحفظ قصائد حافظ إبراهيم وأحمد شوقي ونزار قباني ولا نكلف أنفسنا - إلا بعض الهواة - عناء قراءة الشعر الجزائري الملحون الذي يعكس بحق هوية المجتمع الجزائري ، ونحفظ ملوك الحضارة الفرعونية وتواريخ حكمهم في وقت لا نعرف عن ماسينيسا إلا اسمه ، بل ولا نعرف حتى أين كان ومن أين انحدر و.... بل ونقلد غيرنا في تسمية بناتنا "شيرين وشاريهان وروجينا و....مختلف الشخصيات الفرعونية القديمة ، فيما نستحي ونعتبر الأمر ضربا من العنصرية تسمية بناتنا بالكاهنة وتينهان و....".....كل ذلك لأن المدرسة وكتابها عرفتنا على حافظ إبراهيم منذ نعومة أظافرنا ....

وقد جاءت إجابات الباحثين بالموافقة الشديدة بنسبة 58.53 % وبالموافقة بنسبة 29.26 % ، فيما عارض من الباحثين ما نسبته 4.87% وعارض بشدة ما نسبته 4.06% ، الأمر الذي يعطي الأولوية لتدريس التاريخ الجزائري للناشئة منذ الأزل ، وعدم الاقتصار على الفترة التي دخل فيها الإسلام المنطقة ، أو الاقتصار على تاريخ الثورة الجزائرية ، أو الاقتصار

- وهذا ما تذهب إليه الدراسات التاريخية خاصة - على الأحداث التي تخللتها المعارك والحروب ، فالمقصود بالتاريخ هنا هو تاريخ الاجتماع البشري على هذه الرقعة الجغرافية ، وقد آلت شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 4.33 .

العبارة الثالثة "رفع معامل مادة التاريخ من شأنه تحفيز التلاميذ على دراسته بجدية " ، إن تحفيز التلاميذ على دراسة التاريخ والتخصص به يحتاج إلى وسائل وأساليب ، ومن بين الإغراءات في ذلك رفع معامل مادة التاريخ ، حتى يقبل التلميذ عليه بشغف ، وقد حظيت العبارة بشدة اتجاه قدرت بـ 4.11 ، حيث وافق بشدة على العبارة من المبحوثين ما نسبته 41.46% ووافق 38.21% في حين بدا ما نسبته 12.19% غير متأكدين من العبارة ، بينما عارض الفكرة ما نسبته 6.5% ، ( وعلى حد قول أحد المبحوثين فنحن لسنا بحاجة لتدريس تاريخ مضى وانتهى ، نحن بحاجة لتدريس العلوم التقنية الحديثة التي بإمكانها تغيير حياتنا إلى الأحسن ، فنحن أبناء اليوم وحياتنا تنتهي في حدود أيامنا ، لسنا بحاجة إلى العودة للوراء حتى لو كان ناصعا ، فتاريخ ثورة التحرير الجزائرية ، والتي يذكرها العالم أجمع ، هي بالنسبة لنا تاريخ للجوع والقهر والعبودية ، إنه عار في جبين الدولة الجزائرية ، كل العالم لا يرى في الثورة الجزائرية إلا جانب البطولة والبسالة في مقاومة المستعمر ، أما أنا فأرى غير ذلك ، إنه تاريخ جور واستبداد وفساد الحكام تزامن مع استكانة ورضا الشعب الجزائري عن ذلك الظلم ، أعقب استعمارا فرنسيا غاشما ، لم يزدنا عن جور الحكام سوى قسوة وظلما واستعبادا ، لماذا علينا دراسة هذا التاريخ الذي لا يوحي إلا بالضعف والهوان ؟ ) الأمر الذي يحيلنا إلى العبارة الموالية والتي تتناول مدى الجدوى من دراسة الماضي .

العبارة الرابعة "لا جدوى من دراسة الماضي ، فالحاضر أولى بالدراسة " عطا على نتائج العبارة السابقة جاءت هذه العبارة في قالب سالب ، حيث عارض بشدة من المبحوثين ما نسبته 44.71% ، عارضت نسبة 39.83% عدم جدوى دراسة الماضي والاكتفاء فقط بدراسة الحاضر ، في حين وافقت على انعدام الجدوى نسبة 12.19% ووافقت بشدة نسبة 3.25% ، فيما انعدمت نسبة الحياد ، الأمر الذي يرجح الكفة لصالح أن هناك جدوى من دراسة الماضي ،

دون الاقتصار على دراسة الحاضر فقط أو إعطائه الأولوية في الدراسة ، لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 4.10 .

العبارة الخامسة " تاريخ الجزائر قبل الإسلام هو تاريخ وثني ودراسته مضيعة للوقت " يعارض من المبحوثين ما نسبته 47.15% على العبارة ، ويعارض بشدة ما نسبته 26.01% ، على اعتبار أن تاريخ الجزائر هو تاريخ كل الجزائريين على مر العصور بإسلامهم ووثنيهم ومختلف دياناتهم ، ولا يجب إقصاء هذه الفترة من الدراسة ، إضافة لذلك فهي تمثل التاريخ الأمازيغي ، وإقصاؤها هو إقصاء للعنصر الأمازيغي من تاريخ الجزائر ، هذا ويوافق من المبحوثين ما نسبته 11.38% على العبارة ويوافق بشدة ما نسبته 7.31% ، في حين بدا ما نسبته 8.13% من المبحوثين غير متأكد ، لتؤول شدة اتجاه العبارة إلى القيمة 3.73 .

وبهذه النتائج للعبارات الخمس يجمع المبحوثون على أن التاريخ الوطني هو تاريخ كل الجزائريين ، وأشكال تفعيله مقبولة لديهم بشكل واضح ، وما قيمة شدة اتجاه المؤشر إلا دليل على ذلك ، وهي المقدرة بـ 4.20 .

### خلاصة الفصل :

في هذا الفصل تمت قراءة اتجاهات أساتذة جامعة بسكرة نحو آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة ، من خلال شدات الاتجاه التي يقترحها مقياس ليكرت ، وقد تم تفرغ مختلف الاتجاهات في الجداول الخاصة بها ، مع الاعتماد على السؤال المفتوح الذي يذيل الاستمارة والذي يسمح للمبحوث بقول ما يريد إزاء هذا الموضوع ، كما تم تفسير اتجاهات المبحوثين علاوة على الأرقام المسجلة على مختلف الأدبيات التي تمت قراءتها ، وكذا الخبرة الشخصية لجماعة البحث .

## نتائج الدراسة:

في الماضي أدت نظريات هوية الإنسان مثل " الداروينية الاجتماعية" و"التقسيمات العرقية" و"الأديان القائلة بطبقية الخلق" إلى ظهور سياسات الصراع والبقاء للأقوى، والغزو والاستعمار، وظهر ممارسات التسلط الطبقي، وعدم المساواة والرق، والاستنثار بمصادر العيش، وجميع هذه التطبيقات ما زالت تهيمن على السلوك البشري والعلاقات بين الأفراد والجماعات والشعوب .

كذلك أدت صعوبة المواصلات وقصر مسافات السفر وضيق دائرة الحركة -في الماضي- إلى ظهور الحدود الإقليمية والقومية ، فكان الإنسان لا يتحرك في الغالب إلا داخل حدود الإقليم ، وكان الفرد يجد في المجتمع القائم على انتماءات الدم والعصبية القبلية والإقليمية والقومية ما يشبع حاجته في الانتماء ، ولذلك كانت هذه الانتماءات هي المصادر الوحيدة لتحديد "الجنسية" وبلورة "الثقافة" ، فكانت الإقامة الدائمة والتواصل الدائم يوفران نوعا من القيم المحلية التي يمكن أن نسميها "قيم المصانعة" ، وهي قيم تقوم على خجل الناس بعضهم من بعض ، ومراعاة شؤون بعضهم بعضا ، والتردد عن الإساءة لبعضهم بعضا ، فإذا اشتدت الخلافات وانفجرت الخصومات كان للقيم المذكورة دورها في إصلاح العلاقات وترميمها ، وهذا تطور نوعي من الثقافة والعادات والتقاليد التي تسهم في انسجام الأذواق محليا ، وبذور الخلاف عالميا .

في العصر الحاضر ، عصر التكنولوجيا وقرية الكرة الأرضية ، فقد أفرزت ظاهرتان فريدتان ، الأولى : تزويد الإنسان بأدوات فاعلة يمكن استعمالها للدفاع عن الإنسان وبناء حياته ، أو لفناء الإنسان وتدمير مقومات حياته ، والقيم الدينية والاجتماعية هي العامل الحاسم في أحد الاستعمالين ، الثانية : هي انهيار الحدود بين الأقطار والقوميات والثقافات ، وتفتت القبائل والعائلات ، ووهن روابط الدم والإقليم إلا في أماكن معزولة ومواقف هشة متسارعة الانهيار والانحسار، ودخلت المجتمعات البشرية في طور جديد تتميز الحياة فيه بالإقامة الموقوتة والجوار الموقوت ، وانقلب التجانس الثقافي إلى "خلطة" مضطربة من الثقافات والتقاليد والعادات والقيم في المدينة الواحدة ، وأحيانا في البناية الواحدة ، مما ساعد على تمزق الروابط القائمة وتنافر الأذواق والتوتر في العلاقات في المواقف المختلفة ، ووجد الإنسان المعاصر نفسه يعيش في تجمعات وأكوام بشرية مجردة من الروابط والانتماءات ، إلا ما كان من روابط المصالح المتذبذبة والرغبات الآنية الموقوتة .



ولقد أفرزت هذه التغيرات المضطربة ثلاث أزمات : الأولى هي عدم ملائمة الهوية الشائعة عند الإنسان ، والثانية عدم ملائمة الجنسية المحلية التقليدية ، والثالثة انهيار نظم الثقافة والقيم المحلية القديمة<sup>1</sup> .

على المستوى الأكاديمي ظهر مصطلح جديد ، يكاد يكون نقطة التقاطع بين مختلف الأدبيات على اختلاف تخصصاتها ومشاربها ومناهلها ، إنه العولمة.

اصطلاح العولمة Globalisation لم يثر في الواقع إلا حديثا عن وضع تزال فيه الحدود والقيود الجغرافية والسياسية والثقافية أمام الانتقال الحر للسلع والخدمات والمعلومات والعادات ، بحيث أن ما يحدث في الغرب يسمع صدها في ذات اللحظة في الشرق والعكس صحيح ، وعلى الرغم من شيوع الاعتقاد بارتباط تعبير العولمة بالاقتصاد أو الدراسات الاقتصادية وخاصة الدولية منها<sup>2</sup> ، إلا أن الواقع ينبأ بعكس ذلك ، فالممارسات الاقتصادية والسياسية على اختلافها إنما تتسحب آثارها على كل مناحي الحياة الإنسانية دونما تمييز ، ولذلك فإن مواجهة هذا التيار الجارف للعولمة ينبغي ألا يستثني جانبا من جوانب الحياة أيضا ، بل يجب أن تكون المواجهة بكل الوسائل والأساليب وفي نفس الآن ، إذ من غير الممكن أن نبني اقتصادا صلبا ومتينا ونحن لا نكثرث بصناعة الإنسان ، أو نوفر مختلف أساليب ووسائل التنمية المستدامة فيما لا نغير أهمية للحوار مع الآخر الذي بوجوده نشبت وجودنا .

وعلى هذا الأساس جمع هذا العمل شتات الطرائق ووضعها في موقع المواجهة ، حتى خرج بهذه الصيغة ، فقد صاغت هذه الأطروحة نتائجها من مختلف مشارب البحث الأكاديمي وبشتى مناهجه وتقنياته ، فعلاوة على تحليل نتائج استمارة قياس الاتجاه ، اتكأت على مختلف القراءات حول هوية المجتمع الجزائري بشتى اتجاهاتها المتضاربة في الكثير من الأحيان والمستفزة في أحيان أخرى ، كما اعتمدت على الواقع الاجتماعي الجزائري في تفسير نتائج الاستمارة وفهم مختلف الممارسات الاجتماعية في المجتمع المحلي .

فهذه النتائج هي زبدة الدراسة ، وهي خلاصة البحث بشقيه النظري والإمبريقي على السواء ، إذ جرى التطرق للمتغيرين الأساسيين للدراسة ، ورغم اختلاف نمطيهما ، إلا أن المداخل المنهجية قد سهلت مهمة القراءة السوسيولوجية لكليهما من زاوية علاقته بالآخر دون الإخلال بطبيعة أي منهما ، حيث تمت قراءة العولمة في سياق المقاربات النظرية ، ومختلف

<sup>1</sup> ماجد عرسان الكيلاني . الأمة المسلمة، مفهومها ، مقوماتها ، إخراجها . العصر الحديث للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . 1992 . ص ص 45-46 .

<sup>2</sup> رضا عبد السلام . انهيار العولمة ! . دار الإسلام للطباعة . المنصورة . مصر . 2003 . ص 15 .

الفعاليات ، ومختلف الأدوات الميدانية التي يتجلى فيها نفوذها ، كما تمت قراءة الهوية من خلال مختلف المداخل التي توليها أهمية ، وكذا سبر أغوار الماهية التي سمحت بالوقوف على مختلف المفاهيم والخصائص والأهمية والأهداف ، وكذا مراحل التشكل ، الأمر الذي مهد لتحديد معالم الهوية الجزائرية وأبعادها وكذا الأزمة التي تعانيتها ، لتجد أن العولمة وما شابهها واحدة من أهم أسباب هذه الأزمة ، وبذلك كان لزاما على هوية المجتمع مواجهة هذه العولمة .

### نتائج متعلقة بالمبحوث :

ولأن المتقف هو قائد المجتمع ، وقلبه النابض وعينه الناقدة ، فقد كان مبعثا في اختياره ليمثل عينة الدراسة ، وتمثل ذلك في أساتذة جامعة محمد خيضر بسكرة ، الذين تمت محاولة قراءة عقولهم الباطنة عبر استمارة قياس اتجاه ، تضمنت أسئلة بسيطة شاملة لكل محاور الدراسة ، دون توضيح هذه المحاور ، مع فسح المجال لهم بالتعبير عما يخالجهم بخصوص الموضوع وكذا أسئلة الاستمارة ، حيث وفي معرض تعليقهم أبدى بعض المبحوثين استياء تجاه عدد العبارات المتعلقة بالأمازيغية\* ، كما سيطر اتجاه الحياد لدى المبحوث فيما يخص تفعيل دور الأمازيغية في المجتمع الجزائري ، وكذا الجهل بمطالب الحركات الأمازيغية ، وكان الأولى بالمبحوث أن يكون الأدرى بذلك في المجتمع ، لأنه موكل إليه بحكم مهنته وبحكم المستوى العلمي الذي وصل إليه أن يتبوأ دوره كقائد للمجتمع ، لا كمنقاد يجمع شذرات الأخبار من أفواه غير ذات اختصاص .

- ما سجل أيضا هو غياب الفاعلية الهوياتية لدى المتقف الجزائري إذ أن الأحداث الكبيرة والقضايا المصيرية لا يقودها المتقفون بقدر ما تقودها عامة الناس ، والهوية الجزائرية يتمثلها عامة الناس بدلا عن المتقفين ، ففيما يبحث المتقفون في إطار تخصصاتهم عن الحدود الإثنية والعرقية والثقافية و...بين الجزائريين ، لا يكثر الإنسان العادي بذلك ، بل ويمارس كل طقوس العبادة والفرح والحزن و...ما دام ذلك يصنع موقفا للسعادة ، الأمر الذي يحيلنا إلى التفكير بأن الإنسان البسيط يبحث عن الفرحة أينما كان ، ويشيد له موسما بأبسط الأشياء ، بينما يبحث المتقف عن التمايز والتغاير ليصنع الخلاف والاختلاف ويحيك بذلك خيوطا للأزمة ، فعلى سبيل المثال : حين تخبر إنسانا بسيطا عن قبيلتك أو عرشك أو مدينتك بادرك قائلا : "خيار

\* يعود الأمر إلى جهل المبحوث كيفية تقسيم العبارات على المحاور ، حيث أنها وزعت على أسباب أزمة الهوية الجزائرية ، وكذا تفعيل عناصر الهوية الوطنية .

الناس " بينما لو أخبرت مثقفا قال لك : نحن نختلف عنكم في كذا وكذا ، وأنتم تختلفون عنا في كذا وكذا ...وكان الحياة لا تستمر إلا إذا اختلفنا .

بينما يمكن استخلاص ما جاء في استمارة قياس الاتجاه من شدات الاتجاه صوب مختلف آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة من خلال الجدول الآتي :

شدة الاتجاه	محاور المقياس	
3.74	محور الوعي بالعولمة	
2.95	مسألة الأمازيغية	
2.17	الانعزال	عناصر التفاعل مع الآخر
3.63	الحوار الحضاري	
2.02	المناهضة والعنف	
4.27	التنمية البشرية المستدامة	عناصر التناسق الداخلي
3.80	التنمية الاقتصادية المستدامة	
4.10	تفعيل دور الإسلام	
3.89	تفعيل دور اللغة العربية	
2.91	تفعيل دور الأمازيغية	
4.20	تفعيل دور التاريخ الوطني	

جدول رقم ( 17 ) اتجاهات إجمالية للمبوحين

### نتائج متعلقة بوعي العلاقة بين الهوية والعولمة

يبدو أن الأستاذ الجامعي يعي جيدا طبيعة العلاقة بين العولمة والهوية المحلية ، حيث وبناء على اعتقاده بأن العولمة ليست فرصة للتخلص من التقاليد البالية ، وكذا الوعي بالعولمة يساعد في مواجهة أخطارها ، هذا إلى جانب اعتقاده أيضا بأن الصراع القائم بين العولمة والهوية ليس مجرد خرافة ، بل صراعا حقيقيا ، وأن الشعوب بمختلف هوياتها المحلية بإمكانها مواجهة العولمة إن أرادت ذلك ، قدرت شدة اتجاه هذا المحور بـ 3.74 وهي قيمة إيجابية تعكس وعي المبحوث بهذه العلاقة .

### نتائج متعلقة بأبعاد الهوية الجزائرية

في محور تمثلات الهوية الجزائرية لدى المبحوث ، طرح السؤال أن رتب عناصر الهوية حسب أهميتها بالنسبة إليك ، فكانت إجابات المبحوثين مقدمة للدين الإسلامي بنسبة

90.24% ثم جاءت اللغة العربية في المرتبة الثانية بنسبة 83.73% فيما جاء التاريخ الوطني المرتبة الثالثة بنسبة 73.98% بينما حلت الأمازيغية في المرتبة الرابعة بنسبة 73.98% ، بيد أن الملاحظ أن الدين الإسلامي لم يخرج عن خانتي المرتبة الأولى والثانية ، فيما لم تتل اللغة العربية أي نسبة في المرتبة الأولى ، في حين أن الأمازيغية حظيت بالمرتبة الأولى ثماني مرات .

ووفقا للقراءة الإحصائية فإن الدين يشكل أهم بعد من أبعاد الهوية الجزائرية للمبحوث.

### نتائج متعلقة بمسألة الأمازيغية :

بلغت شدة اتجاه المحور المتعلق بمسألة الأمازيغية قيمة 2.95 ، صحيح أنها قيمة تقترب من الحياد ، لكنها تظل قيمة سالبة ، تعبر عن الاتجاه السالب للمبحوث تجاه قضايا الأمازيغية ، وقد صيغت هذه القيمة من خلال عدم تأييد المبحوث ترسيم اللغة الأمازيغية كلغة أساسية في البلاد ، وكذا الجهل المطبق بمطالب الحركات الأمازيغية ، وحكم المبحوث على الأمازيغية كونها تنحصر في الفولكلور ليس إلا ، ولعل رفض المبحوث الخوض في قضايا الأمازيغية نابع من اعتقاده بأنها ستزول في يوم من الأيام ، أو أن طرح مسألة الأمازيغية فكرة غريبة ولا شأن للأمازيغ بها ، أو لأن المبحوث يؤمن بالأمازيغ كجماعة عرقية في البلاد ، لكنه لا يؤمن بالدور الحضاري والتنوع الثقافي الذي يمثله الأمازيغ .

و إزاء هذا لا تجد الدراسة فرقا بين مختلف الأدبيات المتضاربة بشأن الأمازيغية وآراء المبحوثين ، مما يضعها في خانة الأزمة بشكل دائم ، الأمر الذي يوحي بأن الأستاذ الجامعي لم يصل بعد إلى النضج (المستوى) الذهني الذي يتيح له قبول الآخر دونما عقدة .

### نتائج متعلقة بمواجهة الهوية للعولمة بالانعزال :

لا يؤيد المبحوثون مواجهة الهوية للعولمة عن طريق الانعزال ، وقطع العلاقات الدولية ، لأن منطق الاجتماع البشري يقول بأن المجتمعات تتعاون وتتساند فيما بينها ، ولا يشكل الصراع والتنافس السمة الأساسية للعلاقات بينها ، كما أن منطق العصر الحديث المبني على أساسا على الإمكانيات المتعددة للاختراق في ظل الفضاءات المفتوحة لوسائل الإعلام والاتصال ينبئ بأنه لا الدول ولا المجتمعات المحلية اليوم بإمكانها إيقاف الانترنت ولا القنوات الفضائية حتى لو أرادت ذلك .

وقد قدرت شدة اتجاه هذه الآلية بـ 2.17 وهي قيمة سالبة ، تتم عن رفض المبحوث لهذه الآلية .

## نتائج تتعلق بمواجهة الهوية المحلية للعولمة بالعنف والمناهضة :

جنح المبحوثون بشكل كلي إلى الاتجاه السالب الذي قدرت قيمة شدته بـ 2.02 ، وهو دليل رفض مختلف الأساليب العنيفة التي يتبناها الأفراد والجماعات ومختلف الهيئات في سبيل رفضهم للعولمة ، وقد سجلت هذه السلبية بناء على رفض المبحوثين ضرب المصالح الأمريكية والغربية بشكل عام في بلادنا ظنا بأن ذلك سيوقف زحف العولمة، وكذا عدم تأييد المبحوثين لتفجيرات 11 سبتمبر 2001 والتي ألحقت أضرارا جسيمة بالولايات المتحدة الأمريكية ، ولتدفع فاتورة هذه الأضرار البلدان العربية والإسلامية وبأبشع الطرق والوسائل ، بينما وخلال توزيع الاستمارة تبين أن كثيرا من الأساتذة يجهلون المعنى من مناهضة العولمة ، بل ولا يسمعون بحركات مناهضة العولمة في العالم ، لذا فإن السؤال الذي طرح مرات عديدة هو : "كيف سنناهض العولمة ؟ هل سنخرج إلى الشوارع ونهتف بأن تسقط العولمة؟ وما المعنى من ذلك ؟.

## نتائج تتعلق بمواجهة العولمة بالحوار الحضاري :

يوافق المبحوثون بشكل عام على مواجهة العولمة بالحوار الحضاري وبشدة اتجاه قدرت قيمتها بـ 3.63 ، من خلال الاعتقاد بأن لا بديل عن الحوار الحضاري للتفاهم مع المبشرين بالعولمة ، لأن الثقافات المحلية صامدة مهما كانت الضغوط في وجه العولمة ، ولا يحق للدول المتقدمة بأي شكل من الأشكال التدخل في الشؤون الثقافية للدول الضعيفة .  
لكن وخلال الأحاديث المتكررة مع المبحوثين تبين أنهم يجهلون آليات الحوار الحضاري في كثير من المواطن ، وهو الأمر الذي حدا بجماعة البحث إلى تغيير بنود من المقياس فيما يخص هذا المحور بالذات .

## نتائج تتعلق بمواجهة العولمة بالتنمية البشرية المستدامة

تعتبر صناعة الإنسان من أقوى الأسلحة في وجه أي خصم أو عدو أو أي تحديات مهما كان لونها ، وتتبأنا أخبار الحضارة الإسلامية بذلك ، فرسول الله "صلى الله عليه وسلم " لما أرسل بالرسالة ، كان في قوم تحفهم الأمية والجهل والتفرق والتشرذم ، ولكنه بدأ بصناعة الإنسان بالقدوة الحسنة والموعظة والمعاملة الحسنة والتلقين و... وحين صنع الإنسان تشكلت بعده الدولة والأمة والاقتصاد وأرسي لمختلف المؤسسات الاجتماعية ، فكانت بذلك خير أمة أخرجت للناس ، وصناعة الإنسان هنا ليست صناعة الخلق الحسن والسلوك الجيد و... بقدر ما هي صناعة الإنسان العامل العالم المجتهد المكافح المناضل الصبور .... فالأمم لا تبنى بالأخلاق النظرية ، وإنما تبنى بالعمل الوائق الجاد المتواصل المواكب لتغيرات العصر .

وقد كانت شدة اتجاه هذا المحور مقدرة بـ4.27 ، وهي قيمة إيجابية ، وقد صاغها المبحوثون بناء على اعتقادهم بأنها الوسيلة الأحسن لتحسين الهوية من التصدع ، وبأنها تبدأ من الأسرة والمدرسة وينمىها البحث العلمي الجاد والمتواصل ، والتعليم بمختلف أشكاله وأطواره وأنماطه .

### نتائج تتعلق بمواجهة العولمة بالتنمية الاقتصادية المستدامة

يستحوذ المحور على شدة اتجاه عامة مقدرة قيمتها بـ3.80 وهي مستخلصة أساساً من مجموع العبارات التي تصب في الموضوع والتي ترى بأن التحرر من التبعية الاقتصادية هو تحرر من قبضة العولمة ، وكذا فإن الاقتصاد الوطني لكي يتبوأ مكانه يجب دعمه من كل الأطراف الفاعلة في المجتمع ، علاوة على ضرورة انتهاج سياسات اقتصادية نقيضة للاقتصاد الرأسمالي - ولا نعني هنا الاقتصاد الاشتراكي - حتى تظهر في الأفق خطط جديدة تستعصي على النسق العولمي اختراقه أو التحكم به ، فالخلل إذن لا يكمن في قوة العولمة بقدر تعلقه باقتصادات الشعوب ، وسلوكها الاستهلاكي الذي يرنو في أغلب أوقاته إلى البضائع الوافدة على حساب البضائع المحلية .

### نتائج تتعلق بمواجهة العولمة بتفعيل عناصر الهوية المحلية في المجتمع

#### المؤشر الأول : تفعيل دور الدين الإسلامي في الحياة الاجتماعية

بلغت شدة اتجاه المؤشر قيمة 4.10 وهي قيمة إيجابية ، استمدت من اتجاهات المبحوثين حول المحافظة على الهوية المحلية عن طريق تفعيل الدين في الحياة اليومية ، وكذا تأييد معيار الحلال والحرام في المعاملات اليومية ، - رغم أن هذا المعيار لا يلغي المعايير الأخرى المستمدة من القوانين الوضعية ، ومن تقاليد المجتمع الجزائري- ، إلى جانب مسألة أسلمة العلوم خاصة العلوم الإنسانية ، بينما استنكر كثيرون أن يكون الالتزام بالإسلام تخلفاً ، ووافق المبحوثون على تعظيم شعائر الإسلام ، ليحتل هذا المؤشر المرتبة الثانية بعد التنمية البشرية المستدامة .

لكن مختلف الشواهد تقول بأن تفعيل دور الإسلام في الحياة لن يكون على مستوى الاعتقاد ما لم تصحبه ممارسة عملية ، وما لم إبداع علمي قوي قائم على المنهج ، وفي هذا الصدد تحدث علي عزت بيجوفيتش قائلاً بأن البحث في أساس القوة الغربية أثبت أن هذه القوة لا تكمن في أسلحتها واقتصادها ، فهذا هو المظهر للأشياء فقط ، وإنما يكمن في الملاحظة والمنهج التجريبي في التفكير الذي ورثته الحضارة الغربية عن بيكون ، فقد كتب جان فوراستي يقول : "إن ملاحظة الطبيعة والمجتمع والناس هو المرحلة الأولى في التعليم الأساسي لجميع

الأطفال في العالم الغربي... وهو اهتمام بالعالم الخارجي مضاد لاهتمام فلاسفة البراهمة والبوذيين الذين انصرفوا عن العالم الخارجي إلى العالم الداخلي... إنه لا فائدة من هذا اللون من التفكير الذي يذهب إلى أن الناس يمكنهم أن يلحقوا بطريق التقدم ما يتبنوا مبادئ التفكير التجريبي لجاليليو وباسكال ونيوتن وكلود برنارد، إن الشرط المسبق لكل تقدم اقتصادي واجتماعي هو التغيير في وجهة التفكير... التحول من التجريد إلى التعيين... من العقلي إلى التجريبي... من الركود إلى الإبداع "

وإنه من المستحيل تطبيق الإسلام في الممارسة العملية انطلاقاً من مستوى بدائي ، فالصلاة لا يمكن أداؤها أداء صحيحاً إلا بضبط الوقت والاتجاه في المكان ، فالمسلمون ( مع انتشارهم على سطح الكرة الأرضية) عليهم أن يتوجهوا جميعاً في الصلاة نحو الكعبة مكيفين أوضاعهم في المكان (على اختلاف مواقعهم) ، وتحديد مواقيت الصلاة تحكمه حقائق علم الفلك ، ولا بد من تحديد هذه المواقيت (للصلوات الخمس ) تحديداً دقيقاً خلال أيام السنة كلها .

ويقضي هذا تحديد موقع الأرض في مدارها الفلكي حول الشمس ، وتحتاج الزكاة إلى إحصاء ودليل حساب ، ويتصل الحج بالسفر وضرورة الإمام بكثير من الحقائق التي يتطلبها المسافر إلى مسافات بعيدة ، فإذا وضعنا الأمر في أبسط صورته ، وإذا صرفنا النظر عن أي شيء آخر - (في الإسلام)- لوجدنا أن المجتمع المسلم بدون أن يمارس أي شيء سوى هذه الأعمدة الخمسة للإسلام ، يجب عليه أن يبلغ حداً أدنى من الحضارة ، ومعنى هذا أن الإنسان لا يستطيع أن يكون مسلماً ويبقى متخلفاً<sup>1</sup>.

### المؤشر الثاني : تفعيل دور اللغة العربية في الحياة الاجتماعية

حظيت اللغة العربية بنصيب وافر من تأييد التفعيل ، حيث كانت اتجاه المؤشر مقدرة بـ 3.89 وهي قيمة إيجابية ، واستمدتها من إجابات المبحوثين المتمثلة في أن تفعيل اللغة العربية في الحياة اليومية من شأنه المحافظة عليها ، إلى جانب تطويرها و جعلها ترقى إلى مستوى استيعاب مستجدات العلوم و الآداب و التكنولوجيات المتطورة في مختلف المجالات ، هذا إلى جانب التنويه إلى أن تمكين اللغة العربية يقتضي التخلص أولاً من التبعية للفرنسية والانجليزية في مختلف العلوم والمجالات الحياتية على اختلافها .

<sup>1</sup> علي عزت بيغوفيتش . الإسلام بين الشرق والغرب . ترجمة : محمد يوسف عدس . مؤسسة العلم الحديث . بيروت . لبنان . 1994 . ص ص 309 - 310 .

### المؤشر الثالث : تفعيل دور الأمازيغية في الحياة الاجتماعية

لم يكن حظ الأمازيغية كباقي أبعاد الهوية الجزائرية ، فقد شدة اتجاه المبحوثين إزاءها 2.91 ، وهي قيمة سالبة تقترب من الحياد ، فالمبحوثون لم يوافقوا على كونها لغة جزائرية ويجب على الجميع التخاطب بها ، ولم يوافقوا على إنشاء مجمع للغة الأمازيغية بالاشتراك مع جيراننا الأمازيغ ، بل ولم يوافقوا على أن الأمازيغية تعمق الخلاف بين الجزائريين ، لكنهم في الآن ذاته يوافقون على فتح تخصص الأمازيغية بالجامعة ، فيما تموقعوا في خانة الحياد وعدم الدراية عما إذا كانت الأجيال القادمة ستتقن الأمازيغية أم لا .

ونعتقد بهذا الخصوص أنه وإزاء قضايا معينة كالأمازيغية يستخدم المبحوث الذاتي المفرطة في تعاطيه مع الموضوع ، حيث يعتقد مسبقا أنه بمجرد اعتماد الأمازيغية على المستوى الرسمي سيؤدي إلى إحداث فرقة بين أفراد المجتمع الجزائري ، فإذا كانت الأمازيغية على المستوى الشعبي موجودة وممارسة في كل أشكال الثقافة ولم تحدث الفرقة ، فكيف سيكون ذلك على المستوى الرسمي؟ .

### المؤشر الثالث : تفعيل دور التاريخ الوطني في الحياة الاجتماعية

عكست شدة اتجاه المؤشر إجابات المبحوثين التي توزعت عبر مختلف العبارات التي تضمنت تدريس مادة التاريخ الوطني للتلاميذ منذ أقدم العهود في كل المستويات الدراسية ، وكذا رفع معامل مادة التاريخ فيما استنكر المبحوثون أن يكون تاريخ الجزائر قبل الإسلام هو تاريخ وثني ودراسته مضيعة للوقت ، فهم يرون تدريس التاريخ يجب أن يشمل العهود الحالية والماضية على السواء ، وبناء على ما سبق جاءت شدة اتجاه المؤشر مقدرة بـ 4.20 ، وهي قيمة إيجابية

في ختام الدراسة نخلص إلى أن اتجاهات المبحوثين تتفق وإلى حد بعيد مع مختلف الأدبيات التي تناولت العلاقة الجدلية بين الهوية والعولمة ، إذ يدرك المبحوثون جيدا مدى العلاقة بين الهوية المحلية والعولمة ، وفيما يختلف المبحوثون في ترتيبهم لعناصر الهوية الجزائرية تُجمع الأرقام والنسب المئوية بأن الإسلام ظل يحظى بالمرتبة الأولى ، تليه اللغة العربية في المرتبة الثانية والتاريخ الوطني ثالثا ، فيما تظل الأمازيغية في المرتبة الأخيرة ، وما يؤكد هذا الترتيب أكثر هو شدة العبارات المتعلقة بكل بعد من هذه الأبعاد ، فالانتمية البشرية المستدامة كانت قد حظيت بالاتجاه الإيجابي الأعلى يليها تفعيل دور التاريخ الوطني ثم تفعيل دور الإسلام في الحياة الاجتماعية اليومية ، فيما يظل تفعيل دور الأمازيغية في خانة الرفض من قبل المبحوثين ، ربما يعود الأمر إلى أن المبحوث رغم أنه أستاذ جامعي ، إلا أنه لم يع بعد



المقصود من التنوع الثقافي ونعتقد أنه لو كانت اتجاهات جميع الجزائريين تجاه الأمازيغية على النحو ، فستظل أزمة الهوية الجزائرية قائمة.

كما يمكن استنتاج أي الآليات يراها المبحوثون فعالة في مواجهة العولمة ، ويتمثل ذلك في الحوار الحضاري والتنمية المستدامة وتفعيل عناصر الهوية المحلية ، فمواجهة العولمة بالانعزال والعنف والمناهضة آليات يرفضها المبحوثون ، فقد بات الانعزال أمراً مستحيلاً حتى لو مارست الدول تعتيماً إعلامياً ، وصادرت كل ما من شأنه تحقيق عملية التثاقف . فقد كتب فيصل القاسم قائلاً : "...ولو أخذنا البث الفضائي مثلاً لرأينا أن العرب التفوا حول قنواتهم القومية دون سواها ليس فقط بسبب عامل اللغة بل بسبب العامل الثقافي والقومي تحديداً ، فإذا ألقينا نظرة على القنوات التي يشاهدها العرب من المحيط إلى الخليج، نجد أنها فضائيات عربية بمجملها،...بالرغم من أن الساتلايت يتيح للناس مشاهدة أكثر من ألف قناة عالمية في بعض الأحيان ، لكن المشاهد يحصر مشاهدته في القنوات التي تعبر عن ثقافته القومية في السياسة والاجتماع والموسيقى والترفيه ، وقلما تجد قناة أجنبية ضمن القنوات العشر المفضلة الأولى لدى ملايين المشاهدين العرب ، ربما قد يبرمج بعض المتقنين والمتقنين للغات الأجنبية والمهتمين بالسياسات والثقافات العالمية بعض القنوات الأوروبية والأمريكية ضمن قائمة القنوات المفضلة على أجهزة الاستقبال لديهم ، لكن عدد هؤلاء محدود جداً ولا يمثل الطيف الشعبي العام.

ولعل القنوات الفضائية العربية العابرة للحدود أنجزت على صعيد الوحدة الثقافية أكثر من كل الشعارات والحركات "القومية" مجتمعة ، وهذا ما جعل حرب الأفكار التي تشنها أمريكا على العالم العربي مثلاً تواجه عقبات وصعوبات متصاعدة بفضل وسائل الاتصال التي أنتجتها العقول الأمريكية والأوروبية واليابانية والتي على ما يبدو غدت سلاحاً يستخدمه العرب وغيرهم في الاتجاه المعاكس تماماً للعولمة المنشودة أمريكياً...<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> فيصل القاسم . مرجع سبق ذكره .

## خاتمة

وكننتيجة عامة يمكن القول يمكن القول بأن انعزال المجتمع المحلي عن سائر المجتمعات والعمولة بشكل خاص أمر مرفوض ، وكذا مواجهة العمولة بالعنف والصراع والمناهضة ، فيما يظل اعتماد الحوار الحضاري أمرا مطلوباً ولكن بشروط ، إذ الإخلال بهذه الشروط قد يؤدي إلى القطيعة وقد يؤدي إلى الذوبان في الآخر ، لتعود الهوية أدرجها من حيث بدأت ، من جهة أخرى يؤيد المبحوثون التنمية البشرية المستدامة والتنمية الاقتصادية إلى جانب تفعيل عناصر الهوية في المجتمع ، ويستثني المبحوثون تفعيل الأمازيغية ، ربما لاعتقادهم أن لا جدوى منها ، أو ربما لاعتقادهم بأنها تجذر الفروق الثقافية بين أفراد المجتمع الجزائري ولذلك يندبونها ، كما أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتماد آلية واحدة والاكتفاء بها دون غيرها ، فالآليات يجب أن تتكامل فيما بينها لتشكل الهوية المحلية سدا منيعاً في وجه الغزو بأي شكل من أشكاله ، وتبقى التنمية البشرية المستدامة وتفعيل الدين الإسلامي والتاريخ الوطني في المجتمع هي الآليات التي يجمع عليها المبحوثون دونما تردد .

ولذا فقد بات ملحا التعامل مع العالم بعقل تركيبي مفتوح ، وليس بلغة الحتمية القاهرة أو السلسلة المتحكمة ، فالواقع مركب ومفتوح على تعدد الخطوط والمسارات .  
فلا بد إذن من مغادرة لغة الإقصاء والاستعلاء على المختلف والمغاير ، وبناء لغة تتأسس على سياسة الاعتراف المتبادل أو إتقان لغة التداول والشراكة ما هي تواصل وتعدد وتوسط ، وتكريس خطاب العلاقات الأفقية بدل العلاقات العمودية ، هذا خاصة بعد استنفاد الشعارات المتعلقة بالعمل الوحدوي والمجتمع المدني والتحول الديمقراطي .

ولذلك فإنه يجب إزاء هذه الوضعية ، التخلي عن عقلية القوقعة أو المؤامرة للتعامل مع العالم بعين أكثر اتساعاً بوصفه المدى الحضاري للعمل الكوكبي والتنمية البشرية ، فنحن نخرط في زمن تتداخل فيه ثلاثة مستويات : المحلي والإقليمي والعالمي ، وكل العلامات تنبئ بمفاعيل جديدة ، الأجدى والأحرى التعامل معها وليس نفيها أو إقصاؤها للتطابق مع ما في الذهن من النظريات الكبرى والنماذج المثلى والحلول القصوى وسواها من الأفكار المطلقة<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> مجموعة باحثين . العمولة والهوية الثقافية . إشراف : فضيل دليو . مرجع سبق ذكره . ص.35.

# قائمة المراجع

## القواميس والموسوعات

1. بدوي، عبد الرحمن . موسوعة الفلسفة . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ج2 بيروت . لبنان . 1984 .
2. الجوهري، عبد الهادي . قاموس علم الاجتماع . المكتب الجامعي الحديث . ط3 . الأزاريطة . اسكندرية . 1998
3. الحسن إحسان محمد . موسوعة علم الاجتماع . الدار العربية للموسوعات . بيروت . لبنان . 1999 .
4. روزنتال و ب. يودين . الموسوعة الفلسفية . ترجمة سمير كرم . دار الطليعة للطباعة والنشر . ط4 . بيروت . لبنان . 1981 .
5. صليبا ، جميل . المعجم الفلسفي - بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية - . دار الكتاب اللبناني . دار الكتاب المصري . ج 2 . بيروت . لبنان . 1979 .
6. العولمة والتنمية المستدامة . الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة . المجلد الأول . تحرير :مصطفى طلبة . بيروت . لبنان . 2006 .
7. غيث محمد عاطف . قاموس علم الاجتماع . دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية . مصر . 1989 .

## المراجع باللغة العربية

1. الإبراهيمي ،خولة طالب . الجزائريون والمسألة اللغوية ، عناصر من أجل مقارنة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري . ترجمة : محمد يحياتن . دار الحكمة . الجزائر . 2007 .
2. الأخرس ،محمد صفوح . الانثروبولوجيا و تنمية المجتمعات المحلية . منشورات وزارة الثقافة . دمشق سوريا . 2001 .
3. امزيان ،محمد محمد . منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية . الدار العالمية للفكر الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي . ط2 . فرجينيا . الولايات المتحدة الأمريكية . 1992 .

4. أمين ، سمير . امبراطورية الفوضى .دار الفارابي .بيروت .لبنان . 1992 .
5. أمين ، سمير و فرانسوا أوتار . مناهضة العولمة ، حركة المنظمات الشعبية في العالم .ترجمة : سعد الطويل .مكتبة مدبولي . القاهرة .مصر 2004 .
6. برتراند ، ي . النظريات التربوية المعاصرة . ترجمة : محمد بوعلاق . قصر الكتاب . البليدة .الجزائر . 2001 .
7. البرغثي ، محمد حسن . الثقافة العربية والعولمة . دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . 2007 .
8. بركات ، حلیم . المجتمع العربي المعاصر : بحث استطلاعي اجتماعي . ط2 مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت .لبنان . 1985 .
9. بركات ، حلیم . المجتمع العربي في القرن العشرين : بحث في تغير الأحوال والعلاقات . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت لبنان . 2000 .
10. بكار ، عبد الكريم .العولمة .طبيعتها -وسائلها-تحدياتها - التعامل معها .دار الإعلام للنشر والتوزيع . ط3 .عمان .الأردن . 2002 .
11. بلعيد ،صالح . في الهوية الوطنية .دار الأمل . للطباعة والنشر والتوزيع .الجزائر 2007.
12. بن نعمان ، أحمد .فرنسا والأطروحة البربرية ، الخلفيات الأهداف الوسائل والبدائل . دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع . ط2 .الجزائر . 1997 .
13. بن نعمان أحمد . الهوية الوطنية .دار الأمة . الجزائر . 1995 .
14. بودون ،ريمون . **مناهج علم الاجتماع** . ترجمة : هالة شيوون الحاج .منشورات عويدات . بيروت .لبنان . 1972 .
15. بولعوالي ،التجاني . الإسلام والأمازيغية نحو فهم وسطي للقضية الأمازيغية .إفريقيا الشرق . الدار البيضاء . المغرب . 2008 .
16. بومهرة ، نور الدين . الجزائر والعولمة . منشورات جامعة منتوري . قسنطينة . 2001 .
17. بيجوفيتش ، علي عزت . الإسلام بين الشرق والغرب .ترجمة : محمد يوسف عدس . مؤسسة العلم الحديث .بيروت .لبنان . 1994 .
18. بيرتراند . ي . النظريات التربوية المعاصرة . ترجمة : محمد بوعلاق . قصر الكتاب . البليدة .الجزائر . 2001 .

19. تومنايسون ،جون . العولمة والثقافة . ترجمة : إيهاب عبد الرحيم محمد . سلسلة عالم المعرفة . عدد 354 . 2008 . الكويت .
20. الجابري ، محمد عابد . مسألة الهوية : العروبة والإسلام ...والغرب . مركز دراسات الوحدة العربية .بيروت .لبنان . 2001 .
21. الجابري ،محمد عابد . العولمة والهوية الثقافية . بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية 20 ديسمبر 1997 . بعنوان العرب والعولمة .الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية .بيروت .لبنان .
22. الجابري ،محمد عابد. العولمة والهوية الثقافية : عشر أطروحات . من كتاب العرب والعولمة . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت.لبنان . 1998.
23. جاكسون ، روبرت . ميثاق العولمة : سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول . تعريب : فاضل جتكر . مكتبة العبيكان . المملكة العربية السعودية . 2003 .
24. جراح ، بدر أحمد . قضايا معاصرة في العولمة (التربية ، السياسة ، الاقتصاد ) المعتر للنشر والتوزيع . عمان . الأردن . 2009 .
25. الجراد ،خلف محمد. مُعضلات التجزئة والتأخر وآفاق التكامل والتطور. منشورات اتحاد الكتاب العرب. لبنان . 1998 .
26. جغلول ،عبد القادر . مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط . ترجمة : فضيلة الحكيم . دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت .لبنان . 1982 .
27. جلال ،شوقي . العولمة الهوية والمسار رؤية عربية . الدار المصرية اللبنانية . القاهرة . مصر . 2007.
28. الجماعي ، صلاح أحمد . الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي . دار زهران للنشر والتوزيع . عمان .الأردن . 2010 .
29. جودة ،محفوظ أحمد. العلاقات العامة مفاهيم وممارسات .دار زهران للنشر والتوزيع . عمان .الأردن .
30. جورج ،فيك وبول ويلدينج . العولمة والرعاية الإنسانية. ترجمة طلعت السروجي . المجلس الأعلى للثقافة ( المشروع القومي للترجمة ) . القاهرة . 2005 .
31. جوليان ،شارل أندري . تاريخ شمال إفريقيا . تعريب : محمد مزالي و البشير بن سلامة . 1968 .

32. جيدل ،عمار . حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني . دار الحامد للنشر والتوزيع . الجزائر . 2003 .
33. جينز ،انتوني . الطريق الثالث "تجديد الديمقراطية الاجتماعية" ترجمة :مالك عبيد أبو شهيوه و محمود محمد خلف .دار الرواد .طرابلس .ليبيا . 1999 .
34. جينز ،انتوني . علم الاجتماع . ترجمة :فايز الصباغ . المنظمة العربية للترجمة .ومؤسسة ترجمان . ط4 .بيروت لبنان . 2005 .
35. جيمسون ، فريديريك و ماساو ميوشي .ثقافات العولمة .ترجمة : ليلي الجبالي . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة .مصر . 2004 . ص315 .
36. حجازي ،أحمد مجدي .إشكاليات الثقافة والمتقف في عصر العولمة . دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع .القاهرة .مصر . 2008 .
37. حسام الدين ،كريم زكي .اللغة و الثقافة دراسة انثروولوجية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية .دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع .القاهرة . 2001..
38. الحسن ،إحسان محمد .موسوعة علم الاجتماع .الدار العربية للموسوعات .بيروت لبنان . 1999 .
39. الحمد ،تركي . الثقافة العربية في عصر العولمة .دار الساقى . ط2 . بيروت .لبنان . 2001 .
40. الحمد ،تركي . الثقافة العربية أمام تحديات التغيير .دار الساقى . بيروت .لبنان . 1993 .
41. حمدوش ، رشيد . مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة . دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع . الجزائر . 2009 .
42. خروف ، حميد و آخرون .الإشكالات النظرية و الواقع ( مجتمع المدينة نموذجا ) . منشورات جامعة منتوري . قسنطينة . 1999 .
43. خمش ، مجد الدين . العولمة وتأثيراتها في المجتمع العربي .دار مجدلاوي للنشر والتوزيع . عمان الأردن . 2011 .
44. الخوري ،نسيم . الإعلام العربي، وانهيار السلطات اللغوية . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت .لبنان . 2005 .
45. دليو ،فضيل وعلي غربي وآخرون - أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية - منشورات جامعة منتوري - قسنطينة - 1999 .

46. رستون ،ولتر. أفول السيادة ، كيف تحول ثورة المعلومات عالمنا . دار النسر للنشر والتوزيع.عمان .الأردن . 1994 .
47. روبرتسون ، رونالد. العولمة " النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية . ترجمة: أحمد محمود و نورا أمين . المشروع القومي للترجمة. المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . مصر 1998 .
48. روبيرتس ، تيمونز .من الحداثة إلى العولمة.ترجمة " سمر الشيشكلي . ج 2 . سلسلة عالم المعرفة .عدد 310 . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .الكويت
49. روزناو ، جيمس. ديناميكية العولمة : نحو صياغة علمية . مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية . القاهرة .مصر .1999 .
50. الزعبي ،موسى. دراسات في الفكر الاستراتيجي والسياسي . منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق .سوريا . 2001 .
51. زقاغ ،عادل . القضية الأمازيغية :إيتولوجيا الأزمة . مجموعة من الباحثين .التحولات السياسية في الجزائر ، منظور سوسيواقتصادي . تحرير : صالح زياني . دار قانة . الجزائر .2011 .
52. سالم ، فاطمة الزهراء . نحو هوية ثقافية عربية إسلامية .دار العالم العربي .القاهرة .مصر .2008 .
53. سلاطينية ، بلقاسم وآخران .عولمة الفقر ، المجتمع الآخر ...مجتمع الفقراء والمحرومين .دار الفجر للنشر والتوزيع .القاهرة .مصر . 2003
54. سنو ، غسان منير حمزة و علي أحمد الطراح . الهويات الوطنية والمجتمع العالمي والإعلام .دراسات في إجراءات تشكل الهوية في ظل الهيمنة الإعلامية العالمية . دار النهضة العربية . بيروت .لبنان . 2002
55. سي بي راو. العولمة ( الكونية) وأبعادها الإدارية . ترجمة: عبد الحكم أحمد الخزامي . دار الفجر للنشر والتوزيع.القاهرة .2002 .
56. شاكر ،سالم . الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر . ترجمة: حبيب الله منصور . دار القصة للنشر . الجزائر . 2003 .
57. شبلي ،محمد - المنهجية في التحليل السياسي- الجزائر 1997 .
58. الشماس ،عيسى .مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) .دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق .سورية . 2004 .

59. **صالحى، العيد**. العولمة و السيادة الوطنية المستحيلة . دار الخلدونية للنشر و التوزيع .الجزائر 2006.
60. **صموئيل هنتنغتون** . صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي .ترجمة : مالك عبيد أبو شهيوه ومحمود محمد خلف . الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان .بنغازي . ليبيا . 1999
61. **صيام، شحاتة** .علم اجتماع العولمة . مصر العربية للنشر والتوزيع . القاهرة . مصر . 2009 .
62. **طلاس ، ناهد العجة** .تحدي العولمة "إعادة تنظيم منظومة المبادلات الدولية أم تبديل حضاري ؟ (العوامل ، الآثار ، البدائل) .ترجمة :محمد عرب صاصيلا.دار طلاس .ط2 . دمشق سورية . 2008 .
63. **الظاهر ،نعيم ابراهيم** . إدارة العولمة وأنواعها .عالم الكتب الحديث .اربد .الأردن . 2010 .
- عبد الرحمان ،محمد شريف. العولمة والهوية " الهوية الثقافية لطلاب الجامعات الخاصة في ظل العولمة " .دار الهدى للنشر والتوزيع . المنيا .مصر 2008 .
64. **عبد السلام ،رضا**. انهيار العولمة !. دار الإسلام للطباعة .المنصورة .مصر 2003 .
65. **عبد الله عثمان عبد الله** . أيديولوجية العولمة "من عولمة السوق إلى تسويق العولمة ".دار الكتاب الجديد المتحدة .بيروت .لبنان . 2003 .
66. **عثمان ، فاروق السيد** . سيكولوجية العولمة . دار الأمين للنشر والتوزيع . القاهرة .مصر . 2006 .
67. **العزاز ،عبد الله** . العولمة ..حقيقتها .. نشأتها .. تطورها.. مَن يقودها؟ .. أهدافها ..مظاهرها.. 2012/01/27 .
68. **عزوي ،محمد الطاهر** . الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي . دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع . عين مليلة . الجزائر . 1999 .
69. **عشراتي ،سليمان** . الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 2002 .
70. **عطية ،محمد عبد الرؤوف**. التعليم وأزمة الهوية الثقافية . مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع . القاهرة . مصر . 2009 .
71. **العلي ،أحمد عبد الله**. العولمة والتربية. دار الكتاب الحديث . القاهرة.مصر . 2008 ..



72. عماد ،عبد الغني .سوسيولوجيا الثقافة . المفاهيم والاشكاليات من الحداثة إلى العولمة . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت .لبنان . 2006.
73. عماد ،عبد الغني .منهجية البحث في علم الاجتماع . الإشكاليات ، التقنيات ، المقاربات .دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت .لبنان . 2007
74. عيادي ،سعيد . آليات إعادة البناء الحضاري للإنسان والمجتمع . دار المعاصرة للنشر والتوزيع .الجزائر . 2009 .
75. عياشي ، احميدة . الإسلاميون الجزائريون بين السلطة والرصاص .دار الحكمة .الجزائر . 1991.
76. غليون ،برهان و سمير أمين . ثقافة العولمة و عولمة الثقافة .ط 3 . دار الفكر سورية و دار الفكر المعاصر لبنان . 2002 .
77. غيث ،محمد عاطف. علم الإجتماع الحضري: مدخل نظري.دار النهضة العربية للطباعة.بيروت .1983.
78. فريدمان ،توماس . السيارة ليكساس وشجرة الزيتون "محاولة لفهم العولمة " .ترجمة : ليلي زيدان . الدار الدولية للنشر والتوزيع .القاهرة .مصر . 2000.
79. فضيل ،عبد القادر . المدرسة في الجزائر حقائق وإشكالات . تقديم : عبد الحميد مهري .جسور للنشر والتوزيع .الجزائر .2009 .ص 228 و ص 381 .
80. الكاتب . الكتاب . دار الغريب للنشر والتوزيع . وهران . الجزائر . 2002 .
81. كونسن ،بيتر . البحث عن الهوية "الهوية وتشتتها في حياة ايريك ايريكسون وأعماله " . ترجمة : سامر جميل رضوان .دار الكتاب الجامعي .العين .الإمارات العربية المتحدة . 2010 .
82. كيران ،جازية . محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع . ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر . 2008 .
83. كيركبرايد ، بول . العولمة والضغوط الخارجية . ترجمة : رياض الأبرش . مكتبة العبيكان . الرياض . المملكة العربية السعودية . 2003 .
84. الكيلاني ، ماجد عرسان . الأمة المسلمة، مفهومها ، مقوماتها ، إخراجها . العصر الحديث للنشر والتوزيع . بيروت .لبنان . 1992 .
85. الكيلاني ، ماجد عرسان . مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح . مكتبة دار الاستقامة .المملكة العربية السعودية . 1996 .

86. الكيلاني، ماجد عرسان . مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها . عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع .بيروت . لبنان . 1995 .
87. لومبار ،جاك. مدخل إلى الاثنولوجيا . ترجمة :حسن قبيسي . المركز الثقافي العربي . بيروت .لبنان .1997.
88. لينتون ، رالف . دراسة الإنسان .ترجمة : عبد المالك الناشف . المكتبة العصرية .بيروت لبنان . 1964 .
89. مجموعة باحثين . العولمة والهوية الثقافية . إشراف : فضيل دليو . سلسلة أعمال الملتقيات . مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة .جامعة قسنطينة .قسنطينة . الجزائر . 2010 .
90. مجموعة باحثين .العولمة والهوية الثقافية . إشراف : جابر عصفور . سلسلة أبحاث المؤتمرات (7) . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . مصر .
91. مجموعة من الباحثين . الثقافات المحلية والعولمة ، دراسات مصرية إفريقية . تحرير : يمان يوسف البسطويسي . دار الثقافة الجديدة .القاهرة .مصر . 2008 .
92. مجموعة من الباحثين . ليسلي سكلير . سوسيولوجيا النظام الكوكبي . مجلد : العولمة الطوفان أم الإنقاذ "الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية . تحرير: فرانك جي لتشنر وجون بولي . ترجمة : فاضل جتكر . المنظمة العربية للترجمة و مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . لبنان . 2004 .
93. مجموعة من الباحثين .العولمة والهوية . تحرير: صالح أبو اصبع.أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون .دار مجدلاوي للنشر والتوزيع .ط2.عمان .الأردن . 2002 .
94. محمد علي محمد . علم الاجتماع والمنهج العلمي .دراسة في طرائق البحث وأساليبه . الاسكندرية . دار المعرفة الجامعية . 1981 .
95. مراد ،بركات محمد. ظاهرة العولمة رؤية نقدية . وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية . قطر . 2001.
96. مسعد ،محي محمد. ظاهرة العولمة الأوهام والحقائق .مكتبة الإشعاع للطباعة و النشر و التوزيع .الاسكندرية . 1999 . ص ص 78 . 79 .
97. مسلم ، محمد. الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا .دار قرطبة للنشر والتوزيع .الجزائر . 2009 .

98. المسيري ، عبد الوهاب. فتحي التريكي .الحدثة وما بعد الحدثة . دار الفكر .ط2. دمشق . سورية . 2008 .
99. المناصرة ،عز الدين . الهويات والتعددية اللغوية . دار مجدلاوي للنشر والتوزيع . عمان . الأردن . 2004 .
- 100.ميكشلي ،أليكس . الهوية . ترجمة علي أسعد وطفة .. دار الوسيم . دمشق . سورية . 1993 .
101. نجيب ،عصام . الدور الثقافي للجامعة بين خصوصية الحدثة وتنافسية العولمة - جامعة فيلادلفيا نموذجا
102. نعمة ،عدنان. السيادة في ضوء التنظيم الدولي المعاصر. بيروت. 1978.
- 103.الهرماسي ،محمد صالح .مقاربة في إشكالية الهوية .ط2 . دار الفكر . دمشق.سورية . 2002.
104. هندي ،صالح وآخرون، الثقافة الإسلامية، دار الفكر للثقافة والنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2000 .
105. الوجيز في إسلامية المعرفة . كتاب المعهد العالمي للفكر الإسلامي . هيرندن فيرجينيا . الولايات المتحدة الأمريكية . 1987 ..
- 106.ولد خليفة ، محمد العربي. المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية .ديوان المطبوعات الجامعية . ومنشورات ثالة .الجزائر . 2003 .
107. وهولبورن ،هارلمبس . سوشيولوجيا الثقافة والهوية . ترجمة :حاتم حميد محسن . دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع .دمشق .سورية . 2010 .
108. ياسين ، السيد . الحوار الحضاري في عصر العولمة . دار نهضة مصر . ط2 . القاهرة . مصر . 2002 .
109. ياسين ، السيد . العولمة و الطريق الثالث . ميريت للنشر .القاهرة . 1999 .
110. يونس ،عماد. العولمة : تاريخ -أبعاد مؤثرات على العالم العربي ، بحث في التاريخ السياسي .المؤسسة الحديثة للكتاب . طرابلس .لبنان . 2005 .

1. Amin , Samir.Imperialism and Globalization . Monthly Review Foundation. INC June .2001
2. Anderzian, Sossie .Les Algériens en France .Génèse et devenir d'une immigration. Publisud.1985 .
3. Bourricaud , François. Modernity « universal reference» and the process of modernisation in S.N .Eisenstadt patterns of modernity . volume1 .the west . New York University press. P.21.
4. Castles , Stephen. Globalization and Migration , Somme Pressing Contraditions. International Social Science Journal . U.S.A . Black Well Publishers .1998 .
5. Ibrahimi , Khaoula Taleb .Les Algériens et leurs langues .les éditions el Hikma .Alger .1997 . p61
6. Jonthan L, Parapak. Global communications and cultural identity challegenes and opportunities .report Global communications Asia 1998 .
7. Megherbi ,Abdelghani. Culture et Personnalité Algérienne.de Massinissa à nos jours .O.P.U.Alger.1986.p26.
8. Moatassime, Ahmed .Arabisation et langue Française au Maghreb, un aspect sociolinguistique des dilemmes du développement .I.E.D.E.S . Collection Tiers Monde . presses universitaire de France. 1992 .
9. Ritzer , George .The McDonaldization of Society.PINE FORGE PRESS .An Imprint of sage publications ,Inc Thousand Oaks.London.1994
10. sklair , Leslie. competing conceptions of Globalization. Journal of world – systems research. vol 1999 .
11. Touraine ,Alain.Sociologie de l'action . Seuil-points .Paris .1974
12. Tsoukalas ,Konstantinos.Globalization and the Executive Committee . The Socialist Register .1999..
13. Unisco . An information society at the service of all humanity . report world communication .1997 .

## أطروحات الدكتوراه

1. باهمام ، إيمان سعيد أحمد . دور المنهج الدراسي في النظام التربوي الاسلامي في مواجهة تحديات العصر . أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه . إشراف : محمود كسناوي . جامعة أم القرى . كلية التربية بمكة المكرمة . المملكة العربية السعودية . السنة الجامعية 2008-2009 .
2. بوراكي ، محمد . القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الاستقلال : دراسة انثروبولوجية لبحث نمط الهوية في مخيال تراث الأدب الشعبي . أطروحة دكتوراه . إشراف : عبد الغني مغربي . قسم علم الاجتماع . كلية العلوم الانسانية والاجتماعية . جامعة الجزائر . 2002-2003 .
3. الرواشدة ، علاء زهير . اتجاهات النخب السياسية في الأردن نحو العولمة . دراسة مسحية ميدانية . أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع . إشراف : عبد المهدي السوداني . كلية الدراسات العليا . الجامعة الأردنية . 2006 .
4. الضبع ، ماهر . العولمة والهوية الثقافية دراسة لموقف المثقف المصري . إشراف : شادية قناوي . أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع . جامعة عين شمس . كلية الآداب . قسم علم الاجتماع . القاهرة . مصر . 2002 .

## ندوات ومؤتمرات

1. إبراهيم شوقار . فلسفة التربية في عصر العولمة (قراءة نظرية من منظور إسلامي ) ندوة العولمة وأولويات التربية . كلية التربية جامعة الملك سعود . الرياض . المملكة العربية السعودية . 17 ، 18 / 04 / 2004 .
2. علي أحمد مذكور . العولمة وحتمياتها التكنولوجية والحصانة الثقافية . مقدم إلى ندوة العولمة وأولويات التربية . المنعقدة بكلية التربية جامعة الملك سعود . 18 أبريل 2004 .
3. فالح بن شبيب العجمي . دور اللغة في التمييز والتعصب للهوية . محاضرة أقيمت في ندوة "اللغة والهوية " جامعة الملك سعود . المملكة العربية السعودية . 05 ديسمبر 2006 .

## المجلات والدوريات

1. باعباد ، علي. الهوية العربية الإسلامية في ظل العولمة. صحيفة 26 سبتمبر الالكترونية . العدد 1427 . 26seb.net
2. بن علي ، عبد الغني. العقلانية الناقدة في الفكر العربي المعاصر بين اللغة والدين .مجلة دراسات . عدد 2010 . جامعة منتوري قسنطينة . ص ص 08- 36 .
3. بهبهاني ، أمين أحمد . الأفق المبين "أقول السيادة " .القبس "جريدة كويتية يومية سياسية مستقلة . العدد 13032 . الاثنين 07 سبتمبر 2009 ، 17 رمضان 1430 . الكويت .
4. شمس الدين ، محمد علي.عماء اللغة . مجلة العربي .العدد 636 .نوفمبر 2011 .وزارة الإعلام بدولة الكويت .
5. غربي ، علي . مجلة الباحث الاجتماعي .منشورات جامعة منتوري . قسنطينة .1999.
6. قوريش ، نصيرة .التنمية البشرية في الجزائر وآفاقها في ظل برنامج التنمية 2010 – 2014 . مجلة : الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية . العدد 06 سنة 2011 .دورية دولية محكمة تصدرها جامعة الشلف . الجزائر . ص 32 .
7. المنجرة ، المهدي .قيمة القيم . قراءة محمد فاو بار . العولمة وحوار الحضارات والثقافات . مجلة عالم التربية العدد17 .الدار البيضاء.المغرب .2007.
8. وطفة ، علي أسعد . صدام الهوية والعولمة في دول الخليج العربية . مجلة آراء . العدد 71 . أوت 2010 .مركز الخليج للأبحاث
9. وطفة ، علي أسعد . في الاغتراب الثقافي المعاصر . مجلة المعرفة . العدد 571 نيسان 2011 .
10. وطفة ، علي أسعد .من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي : قراءة في الوظيفة البيداغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية . مجلة :شؤون اجتماعية . العدد 104 . شتاء 2009 . السنة 26 .

## حصص تلفزيونية

- أرشيفهم وتاريخنا . قناة الجزيرة الوثائقية . www.Aljazeera.net

1. Arwikify.svg :[http://ar.wikipedia.org/wiki/Ù\\_Ù\\_Ù](http://ar.wikipedia.org/wiki/Ù_Ù_Ù) 2012/04/01
2. <http://www.annoormagazine.com> 04/03 / 2008
3. [http:// Jeunessearabe\\_info.htm](http://Jeunessearabe_info.htm)2008/03/07
4. <http://www.toislam.net/contactus.asp>2008/08/10
5. <http://www.annoormagazine.com> 23/02/ 2008
6. [www. aleppo \\_ culture .org](http://www.aleppo_culture.org) 13 / 03/2008
7. [www. aleppo \\_ culture .org](http://www.aleppo_culture.org) 13 / 03/2008
8. [http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/namaa-05\\_04\\_2008\\_41/morajaat.asp](http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/namaa-05_04_2008_41/morajaat.asp)
9. [info.worldbank.org/etools/docs/library/85673/devdebates/ME\\_2008/04/04\\_NA/masri.doc](http://info.worldbank.org/etools/docs/library/85673/devdebates/ME_2008/04/04_NA/masri.doc)
10. [www.abubaseer.bizland.com/books/read/b22](http://www.abubaseer.bizland.com/books/read/b22) . 14/03/2008
11. [www.eg.emb-](http://www.eg.emb-japan.go.jp/e/bilateral/japan_egypt/seminar/peace_and_human_development/mohammed_selim/mohammed_selim_15.htm)
12. [japan.go.jp/e/bilateral/japan\\_egypt/seminar/peace\\_and\\_human\\_development/mohammed\\_selim/mohammed\\_selim\\_15.htm](http://www.eg.emb-japan.go.jp/e/bilateral/japan_egypt/seminar/peace_and_human_development/mohammed_selim/mohammed_selim_15.htm) 2008 / 03 / 07
13. أزمة الهوية الثقافية في عصر العولمة: رؤية أنثروبولوجية ..منتدى طلبية سيدي بلعباس لكل الجزائريين والعرب .2012/04/04 .[http://tolabe-22.yoo7.com/t185-](http://tolabe-22.yoo7.com/t185-topic#287) topic#287
14. التعريب في الجزائر . عناصر دولة . 2012/05/12 .  
[htm?DocID=49920&TypeID=2&ItemID=432](http://www.eg.emb-japan.go.jp/e/bilateral/japan_egypt/seminar/peace_and_human_development/mohammed_selim/mohammed_selim_15.htm)
15. التعليم وتحديات العولمة . ملتقى شذرات العرب.2011/08/08 .  
[www.support-](http://www.support-ar.com/vb/index.php) .ar.com/vb/index.php
16. جميل حمداوي . جدلية المنقف والسلطة . منتدى ديوان العرب يوم 20/08/2010 .  
[http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=forum&id\\_article=7610](http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=forum&id_article=7610)
17. سعيد فودة . الاتجاهات النفسية الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك البشري .  
<http://www.khayma.com/menbaral3elm/index.htm> 2011/07/30
18. سكان الجزائر . ويكيبيديا . الموسوعة الحرة .

19. سلمان عباس . حركات مناهضة العولمة . www.rai-akhar.com 24/12/2010 .
20. عادل زقاغ . 2010/04/03 . .
- www.geocities.com/adelzeggagh/rationalism\_in\_IR.html
21. علي أسعد وطفة . تصدعات في الهوية العربية المعاصرة . شبكة النبا  
المعلوماتية.2012/05/14 . http://www.annabaa.org/index.htm
22. علي أسعد وطفة . تصدعات في الهوية العربية المعاصرة .شبكة النبا .  
http://www.annabaa.org/index.htm . 2012/05/15
23. علي أسعد وطفة .في نقد ثقافة ما بعد الحداثة . موقع : حركة مصر المدنية بتاريخ  
http://j.mp/H8lJv0 . 2012/04/04
24. فيصل القاسم . العوربة تصرع العولمة بأدواتها . Syria-news.com.
25. اللهجة الأمازيغية - تعريف - منتديات المحبة في الله . 2012/04/05  
http://a7iba.ahlamontada.com/f23-montada
26. مبارك عبد الرحمان أحمد .ورقة عن مشكلة الهوية في شمال السودان .منتدى  
سودانيل . 2009/12/08 . http://www.sudanile.com
27. محمد عابد الجابري، فكر ونقد، العدد السادس من موقع الجابري الإلكتروني.
28. محمد فاضل رضوان . نحن والعولمة .مأزق مفهوم ومحنة هوية .2008/04/02.  
http://www.educdz.com/montada/
29. المنتدى التربوي الشامل - علوم بلا حدود5 . 2011/07/25 .  
http://belahdoud.a7larab.net/t111-topic#11
30. موقع جامعة بسكرة . إحصائيات . . 2011/07/30 . http://www.univ-  
. biskra.dz
31. نديم البيطار . حدود الهوية القومية .نقد عام . موقع الحوار المتمدن .
32. يحي يحيياوي . في إشكالية العولمة 15 / 05 / 2009  
.www.elyahyaoui.org/cpr\_settat.htm
33. يوسف بزي . حيث تصاغ الهوية الجزائرية الجديدة ويعاد تعريفها . منتدى الأوان .  
/http://www.alawan.org . 2011/03/28



## الملخص بالعربية

تشكل الهوية نسيجاً معقداً جداً ، يستمد من عقيدة الشعب ، وقيمه الكبرى ، وذاكرته التاريخية ، وخصائص المكان الذي ينتمي إليه ، وهي ليست بنية جامدة ، ولا معطى نهائياً ، فبعض مفرداتها يتمدد ، وبعضها ينكمش ، وبعضها يظهر ، وبعضها الآخر يتوارى ، بحسب نوعية الأنشطة الثقافية التي يمارسها الناس ، وبحسب الظروف والتحديات التي يواجهونها لأن الثقافة تعتبر أصلاً ورافداً يصب في روح المجتمع كي يصنع الهوية المحلية ، ولذلك فإنه مهما كانت الثقافة علية ، ومهما كانت بعيدة عن متطلبات العصر ، فإنها تظل في عيون أصحابها شيئاً لا يصح التفريط به ، والتنازل عنه بأي ثمن ، وهذا الشعور على المستوى الشعبي أقوى منه على مستوى النخبة .

ولذلك ما فتئت الأمم والشعوب تدافع عن هوياتها بشتى الطرق ومختلف الوسائل لصد هجوم العولمة على مقوماتها الثقافية التي تتجسد الهوية من بعض سماتها ، فالعولمة وإن كانت تعني في مفهومها المثالي بناء عالم واحد ، أساسه توحيد المعايير الكونية، وتحرير العلاقات الدولية، والسياسية والاقتصادية، وتقريب الثقافات، ونشر المعلومات، وعلمية الإنتاج المتبادل، وانتشار التقدم التكنولوجي ، وعلمية الإعلام .. إلا أنها في عالم الواقع تعتبر عملية إلحاقية انتقائية، تقسم العالم إلى عالمين : عالم القوى الكبرى ذات المصالح المتبادلة، والمؤسسات العالمية ، والشركات العملاقة ، وعالم الدول النامية أو الضعيفة . والعالم الثاني عليه أن يقبل دور التابع للعالم الأول ، وحتى طاقاته التكنولوجية القليلة التي طورت بشق الأنفس يتم استنزافها والاستيلاء عليها بواسطة دول العالم الأول .

وتبحث هذه الدراسة في آليات مواجهة الهوية المحلية للعولمة من منظور أساتذة جامعة بسكرة ، حيث تتراوح هذه الآليات بين مواجهة الهوية للعولمة عن طريق الانعزال والتفوق على الذات ، أو عن طريق العنف والمناهضة أو بالحوار الحضاري ، هذا ناهيك عن آليات أخرى كالتنمية البشرية المستدامة والتنمية الاقتصادية المستدامة ، إلى جانب تفعيل عناصر الهوية المحلية المتكونة أساساً من الدين واللغة والأمازيغية والتاريخ الوطني.

## Résumé

L'identité forme un tissu très complexe qui découle de la doctrine du peuple, de ses grandes valeurs, de sa mémoire historique, et des caractéristiques de l'endroit où il appartient. Donc, elle n'est ni une structure rigide ni une donnée finale, un peu de son lexique se développe, certain se rétrécisse, autre se dévoile et d'autres se dissimule, en fonction de la qualité des activités culturelles exercées par les gens, et en fonction des circonstances et des défis auxquels ils font face parce que la culture est déjà le débit des affluents dans l'esprit de la communauté de faire une identité locale, et donc que la culture malade soit –elle et distanciee des exigences des temps, elle reste dans les yeux de ses propriétaires quelque chose à ne pas perdre, et à renoncer à n'importe quel prix, et ce sentiment est plus fort au niveau populaire qu'au niveau d'élite.

Donc, les nations et les peuples n'ont jamais cessé de défendre leurs identités de diverses façons et divers moyens pour repousser l'attaque de la mondialisation sur les mérites de l'identité qui s'incarne de quelques de ses caractéristiques. Ainsi, la mondialisation, même si elle signifie dans son concept idéal la construction d'un monde unique basé sur l'unification des normes cosmiques, la libéralisation des relations internationales, politiques et économiques, le rapprochement des cultures, la diffusion de l'information, la production mutuelle et mondiale, la diffusion du progrès technologique, et l'internationalisation des médias .. mais dans le monde réel est un processus de suivi-sélectif, qui divise le monde en deux mondes: le monde des grandes puissances d'intérêts mutuels, des institutions internationales, et des géantes entreprises, et le monde des pays en développement ou faibles. Le deuxième le monde doit accepter le rôle de dépendent du premier monde, et même ses énergies technologiques restreintes et minutieusement développées sont épuisées et capturées par les premiers pays dans le monde.

Cette étude examine les mécanismes de l'affrontation de l'identité locale face à la mondialisation du point de vue des enseignants de l'Université de Biskra, où Celles-ci vont de la confrontation de l'identité de la mondialisation par **l'isolement** et **le repli sur soi**, ou par **la violence** et **la résistance** ou **le dialogue des civilisations**, pour ne pas oublier les autres mécanismes tels que **développement humain** et **le développement économique durable**, , ainsi que **le l'activation d'éléments de l'identité locale** constituée essentiellement de la religion, la langue, le tamazight et de l'histoire nationale.

## *Summary*

*The identity forms a very complicated tissue, which derives from the doctrine of the people, of their major values ,their historical memory, and the characteristics of the place where they belong, which is not a rigid structure, and a final data, some of its vocabulary expand, some shrink, some show, some of the other slip, according to the quality of cultural activities exercised by the people, and depending on the circumstances and the challenges they face because the culture is already tributary flows into the spirit of the community to make a local identity, and therefore whatever the culture is sick, no matter how far it is from the requirements of the times, it remains in the eyes of its owners something not right to waste and waived at any price, and this feeling is stronger at the popular level than at the elite level.*

*So the nations and peoples have never stopped to defend their identities in various ways and various means to repel the attack of globalization on the merits of cultural embodied identity of some of its characteristics, so globalization even if in its ideal concept means the construction of a unique world, the basis of standardization of cosmic, the liberalization of international political and economic relations, and bring the cultures , and the dissemination of information, mutual and global production, and the spread of technological progress, and international media .. But in the real world is a follow-selective process, divides the world into two worlds: the world of big powers of mutual interest, international institutions, giant corporations and the world of developing or weak countries. The second the world has to accept the role of the dependent to the first world, and even the few technological energies painstakingly developed are depleted and captured by countries in the the first world.*

*This study examines the coping mechanisms of local identity of globalization from the perspective of the teachers of the University of Biskra, where These range from facing globalization through the **isolation** and **withdrawal into the self**, or through **violence** and **resistance** or through the **dialogue of civilizations**, not to mention the other mechanisms such as **development of sustainable human and economic development**, , along with **the activation of elements of local identity** formed the basis of religion, language, Tamazight and the national history.*

# الملاحق

جامعة محمد خيضر - بسكرة -

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة علم الاجتماع

استمارة بحث

## هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة "وجهة نظر أساتذة جامعة بسكرة"

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اجتماع التنمية.

إشراف الأستاذ الدكتور :

عبد الرحمان برفوق

إعداد الطالبة :

ميمونة مناصرية

**ملاحظة :** الأستاذة (ة) الفاضل (ة) ، ولأن رأيك يهمنا نرجو إجابتنا على أسئلة هذه الاستمارة بكل موضوعية ، ونعدك أنها لن تستخدم إلا لغرض البحث العلمي ، فبفضل تصورك لهوية المجتمع الجزائري نستطيع معا صياغة آليات مواجهة العولمة وشكرا سلفا.

السنة الجامعية 2010 - 2011

الاسم (اختياري): ..... السن ..... الجنس: .....

التخصص: ..... طبيعة التكوين:  مغرب ،  مفرنس ،  آخر .....

طبيعة التوجه:  إسلامي ،  علماني ،  وطني ،  آخر .....

رتب عناصر الهوية الجزائرية حسب أهميتها إليك :

الإسلام  العربية  الأمازيغية  التاريخ الوطني

أعترض بشدة	أعترض	غير متأكد	أوافق	أوافق بشدة	العبارة
					العولمة فرصة للتخلص من التقاليد البالية
					يساعد الوعي بالعولمة في مواجهة أخطارها .
					صراع الهوية والعولمة مجرد خرافة.
					لا تستطيع هويات الشعوب الصمود في وجه العولمة حتى لو أرادت ذلك
					الانعزال عن الفكر العالمي من شأنه أن يحمي مجتمعنا من مخاطر العولمة
					بإمكان الهوية المحلية الاستغناء عن أي أفكار وافدة من الخارج
					الاكتفاء بثقافة محلية واحدة أفضل من تبني بعض من الثقافة العالمية
					يجب ضرب المصالح الأمريكية والغربية في بلادنا ، كرد فعل على التدخل في شؤوننا.
					أزيد تفجيرات 11 سبتمبر 2001 .
					ضرب المصالح الأمريكية والغربية عموما سيوقف زحف العولمة .
					مناهضة العولمة حل استراتيجي للدفاع عن هوية المجتمع
					مناهضة العولمة بالتظاهر والاحتجاج يوقف زحفها إلينا
					لا بد من الحوار بين الثقافات لصد هجوم العولمة علينا
					الهوية والثقافات المحلية لن تصمد أمام العولمة
					يحق للدول المتقدمة التدخل في الشؤون الثقافية للدول المتخلفة ما دامت عاجزة عن إدارة شؤونها
					التنمية البشرية المستدامة أحسن وسيلة لتحسين الهوية
					لا علاقة للتربية الأسرية بمواجهة تحديات العولمة .
					الحفاظ على الهوية الوطنية يبدأ من المدرسة
					البحث العلمي هو سبيل للحفاظ على الهوية المحلية

				تنشيط عملية التعليم بكل أنواعه يساعد على مواجهة الآثار السلبية للعولمة
				التحرر من التبعية الاقتصادية هو تحرر من قبضة العولمة
				يجب دعم الاقتصاد الوطني و رفع مستواه من اجل مواجهة الاقتصاد الوافد
				اعتماد اختيارات اقتصادية نقيضة للاقتصاد الرأسمالي العالمي من شأنه تحريرنا من العولمة الاقتصادية
				لا جدوى من المقاومة لأن الاقتصاد الرأسمالي أقوى من أن نقاومه
				علة تخلفنا هي الخلل في اقتصادنا
				أفضل استهلاك المواد المعلن عنها على القنوات الفضائية غير الجزائرية
				أفضل استهلاك المواد ذات الماركات العالمية
				من شأن تفعيل الدين في الحياة اليومية المحافظة على الهوية
				أزيد معيار الحلال والحرام في المعاملات اليومية
				أسلمة العلوم ضرب من المستحيل
				أصبح التمسك بالإسلام رمزا للتخلف في مجتمعا
				ألتزم بتعظيم شعائر الإسلام في معظم ممارساتي اليومية
				من شأن تفعيل اللغة العربية في الحياة اليومية احفاظة على الهوية
				اللغة العربية ليست لغة العلم في الوقت الحالي
				تطوير اللغة الوطنية و جعلها ترقى إلى مستوى استيعاب مستجدات العلوم و الآداب و التكنولوجيات المتطورة في مختلف المجالات من شأنه المحافظة على الهوية .
				أجتهد الحديث باللغة العربية الفصحى
				لتمكين اللغة العربية يجب التخلص أولا من التبعية للفرنسية والانجليزية
				لا مجال لتعريب التعليم بكل أطواره في الوقت الحالي
				أزيد ترسيم اللغة الأمازيغية كلغة أساسية في البلاد
				أزيد مطالب الحركات الأمازيغية
				ستزول الأمازيغية في يوم من الأيام
				الوجود الثقافي الأمازيغي محصور في الفلكلور فقط
				أؤمن بالأمازيغ كجماعة عرقية ، لكن لا أؤمن بالدور الحضاري للغة الأمازيغية
				فكرة ترسيم اللغة الأمازيغية فكرة غريبة وليست نابعة من المجتمع الجزائري
				الأمازيغية لغة جزائرية وعلى الجميع التخاطب بها
				يجب فتح تخصص لغة أمازيغية بالجامعة على غرار اللغات الأخرى

